حول

الحركة العربية الحديثة

تاريخ ومذكرات وتعليقات

تأليف

محمد عزة دروزه

ويحتوي على الكلام عن ادوار القضية الفلسطينية
ومواقف الانكليز منها الى بدء الحرب العالمية الثانية

الجزء الثالث

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

المطبعة العصرية
للطباعة والنشر
صيدا - لبنان

حول

الحركة العربية الحديثة

تاريخ ومذكرات وتعليقات

تأليف

محمد عزة دروزه

ويحتوي على الكلام عن ادوار القضية الفلسطينية
ومواقف الانكليز منها الى بدء الحرب العالمية الثانية

الجزء الثالث

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

المطبعة العصرية
للطباعة والنشر
صيدا - لبنان - تلفون [illegible]



طبع هذا الجزء في سنة ١٩٥١ ونفدت طبعته منذ بضع سنين . واخذ كثير من المشتغلين في القضايا العربيه يلحون على اعادة طبعه لما احتواه من حقائق تشرح مراحـــل القضية الفلسطينية وجزئياتها مما لم يرد في كتاب آخر . وقـــد اشترك الاستاذ شريف الأنصاري صاحب المكتبة العصرية وناشر الكتاب في المرة الأولى في هذا الالحاح فنزلنا عند الرغبة الكريمة واعدنا النظر في الجزء واضفنا اليـــه بعض زيادات نرجو ان تكون مفيدة .

والله ولي التوفيق
ذو الحجة ١٣٧٨
حزيران ١٩٥٩

المؤلف

اجمال لمباحث هذا الجزء الرئيسية

تمهيد اول	فيه استعراض وجيز لصلات الانكليز بالبلاد العربيــة ومطامعهم فيها .
تمهيد ثان	سبب الاسهاب في تاريخ القضية الفلسطينية وملابساتها في عهد الانتداب الانكليزي وادوار هذه القضية .
الدور الاول لقضية فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٣١	فيه شرح لنيات الانكليز واليهود ومراميهم في فلسطين وادوار الحركة الوطنية الاولى ومكائد الانكليز لها الى سنة ١٩٣١ حيث نكثوا بالكتاب الابيض الذي اصــدروه في هذه السنة . وفيه بحوث حول ثورة البراق ولجنة شو ولجنة البراق والمجلس الاسلامي الاعلى والمؤتمر الاسلامي العــام والمؤتمر العــربي .
الدور الثاني ١٩٣٢ـ ١٩٣٧	فيه شرح لحالة فلسطين في أواخر سنة ١٩٣١ وتفاقم الخطر اليهودي ونشوء الاحزاب والاضراب الطويل وثورته وفيه بحوث حول اللجنة الملكية وتقريرها .
الدور الثالث ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩	فيه شرح لهياج العرب من التقسيم وعنف الانكليــز في مكافحة الوطنيين وانفجار الثورة وادوارهــا ووقائعهــا وقياداتها وآثارها وخسائرها وتحقق غاياتها بالعدول عــن التقسيم ومؤتمر لندن والكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ .
ملاحق الكتاب	وهي صك الانتداب ، والكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢ والكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ وقانون حزب الاستقــلال والقوانين التي امكن العثور عليها للاحزاب الاخرى وثلاثة بيانات صدرت من حزب الاستقلال والبيان الذي اذاعته اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي محتوياً الميثاق القومي الجديد واسماء موقعيه والكتاب الابيض مع توصيات التقسيم لسنة ١٩٣٩ والمذكرات المتبادلة بين ملز الانكليزي وفريق من الوطنيين .

تمهيد

استعراض وجيز لصلات ومطامع الانكليز في البلاد العربية

بدء صلتهم قديما

شغل الانكليز في تاريخ الحركة العربية الحديثة وما يزالون يشغلون حيزاً واسعاً شديد الأثر بعيد المدى .

وصلتهم بالعرب وبلادهم ليست حديثة . فقد كان لهم هم الآخرون دور في الحروب الصليبية ، حيث قاد أميرهم ريكاردوس المعروف عند العرب بقلب الأسد إحدى حملات هذه الحروب ، ونجح في حمل صلاح الدين الأيوبي على توقيع معاهدة تخلى فيها عن القسم الساحلي من فلسطين لسيطرة الصليبيين ، وكان ذلك نتيجة التسامح الذي ابداه صلاح الدين نحو الصليبيين بعدان ضربهم الضربة القاضية وقوض حكمهم واسترد جميع فلسطين ثم بيت المقدس منهم . فقد التمس منه فلولهم ان يسمح لهم بالذهاب الى صور ليبحروا منها الى بلادهم فلما تجمعوا حصنوا المدينة وأخذوا يقومون بحركات عدائية نحو عكا ثم ارسلوا يحرضون نصارى اوروبا على الثأر واسترجاع الأرض المقدسة من المسلمين فجاءت نتيجة لذلك حملات جديدة بقيادة فردريك امبراطور النمسا وريكاردوس ملك بريطانية وابن ملك فرنسة فزحف الصليبيون من صور نحو عكا وحاصروها براً وبحراً . وجاء صلاح الدين فحاصر المحاصرين من جهة البر . وطال الحصار والعناء على اهل عكا وعلى جيش المسلمين الذي لم يرتح منذ عشر سنين فاضطر المسلمون الى تسليم عكا . ثم وقع خلاف بين ملوك الصليبيين فعاد ابن ملك النمسا وابن ملك فرنسة وبقي ريكاردوس القائد المسؤول فاتصل بصلاح الدين واتفق معه على الهدنة على ان يبقى الساحل من عكا الى يافا في حكم الصليبيين كما قلنا .

وظل الأمر كذلك ردحاً من الزمن ، ثم انتهت هذه الصلة بانتهاء تلك الحروب وعودة فلسطين وسائر البلاد الشامية الى السلطان الاسلامي .

بدء صلتهم الحديثة ومداها

●

على انها عادت ثانية في القرن السادس عشر بعد ان استولى العثمانيون على البلاد العربية وأدخلوها في نطاق مملكتهم العظمى ، حيث استطاع الانكليز ان ينالوا

بعض الامتيازات التجارية والملاحية في سواحل البلاد العربية الواقعة على البحـر الابيض ، وحيث استطاعوا ارتياد البحر الاحمر والخليج العربي والشواطىء العربية الواقعة على بحر الهند وإنشاء بعض المراكز التجاريـة والملاحية عليها .

وقد كانت هذه الصلة ضيقة المدى في بدءأمرها ولكنها ظلت مستمرة وتطورت واتسعت بمرور الزمن والأحداث حتى شغلت ذلك الحيز الواسع . وكان من أهم أسباب ذلك ما يسمى في سياسة انكلترة بطرق المواصلات الامبراطورية ، حيث غدت هذه السياسة بعد ان تمكنت انكلترة في الهند جوهرية وتقليدية وجعلتها تشتد في اهتمامها للبحر الابيض والبحر الاحمر والخليج العربي وبحر الهند وسواحلهـا ومعابرها وطرقها ومراكزها ، وجميع البلاد العربية واقعة في هذه الساحة فكانت موضع ذلك الاهتمام الشديد هي الاخرى بطبيعة الحال .

ومن العجيب أن بريطانيا انسحبت من الهند أخيراً وهي التي كانت دعامة تلك السياسة التقليدية ولكن شدة اهتمامها لهذه البلاد الواقعة في طريقها وشدة حرصها على الهيمنة عليها لم تخفا ، حيث انقلبت الوسيلة بتطور الزمن والأحداث الى غاية!

التنافس بين بريطانية وفرنسة وغزوة نابوليون

●

ولقد كان تشاد وتنافس مديدان بين بريطانية وفرنسة في هذه الساحة نتيجة للعداء الذي طال بين الدولتين في القرون الأخيرة ، حيث كان كل منهما يطمع في ان يكون له المركز الممتاز فيها ويحاول ان يدحر عدوه ومنافسه عنها .

الاحتلال الانـكليزي الاول لمصر

●

وكانت مصر خاصة مما اشتد حولها التنافس والمطامع لمركزها الجغرافي الممتاز المتصل بتجارة الشرق ومواصلاته وسياسته ، ولما رأت بريطانية نابوليون يسبقها ويسارع الى غزو مصر في عام ١٧٩٨ ثارت ثائرتها ومخاوفها سواء من استقـرار فرنسا في مصر وتمكنها من الشرق العربي الذي تعد مصر أكـبر أقطـاره أو من محاولات نابوليون وخططه البعيدة ضد مواصلاتها وامبراطوريتها الهندية، فأرسلت اسطولها يتعقب اسطول الحملة حتى حطمه في ابو قير قرب الاسكندرية، ثم تحالفت مع الدولة العثمانية على نابوليون وحاربته معها في فلسطين حتى ارتد خائباً الى مصر، ثم انزلت جيوشها الى مصر بسبيل محاربة حملته وإجلائها عن مصر بالاشتراك مـع الجيوش العثمانية التي جاءت الى مصر كذلك من البر والبحر ، وظلت الدولتان

تضيقان الخناق على الحملة حتى تم لها إجلاؤها عن مصر . ولقد حاولت بريطانية أن تستسنح الفرصة وتمكن قدمها في مصر في هذا الوقت تحقيقاً لمطامعهـــا في الشرق العربي وضماناً لطرق مواصلاتها وتجارتها وتفادياً من احداث مماثلة لاحداث الحملة الافرنسية حتى لقد اضافت شرطاً ملحقاً بمعاهدة التحالف التي عقدتها مع الدولـــة العثمانية ضد الحملة ينص على أن الجيش الانكليزي لا يجلو عن مصر الا بعد استتباب الامن في ربوعها » ، واخذت تحرك فلول الامراء المماليك وتصطنعهم بل وتتآمر



محمد علي باشا

معهم بسبيل التذرع للبقاء، غير أن نابوليون الذي غدا صاحب الشأن الأكبر في فرنسا وأوروبا جعل من شروط معاهدة الصلح التي عقدها مع بريطانية عام ١٨٠٢ جلاء قواتها عن مصر ، وظل يلاحق تنفيذ هذا الشرط ملاحقة شديدة حينما رآها تتلكأ وتماطل فلم يسعها في النهاية إلا التنفيذ فجلت عن مصر عام ١٨٠٣ على مضض بعد

ان وثقت صلاتها مع الأمراء المماليك ليكونوا عدة لها في المستقبل. وقداستصحب قائد الحملة محمد الالفي كبير هؤلاء الامراء على امل التفاهم على الخطط بسبيل الكرة على مصر مرة اخرى .

وفي سنة ١٨٠٤ تقلد محمد علي الكبير ولاية مصر بالتضامن مع زعماء الشعب الذين رأوا من دهائه وحسن إدارته ما جعلهم يقفون في جانبه ، وأخذ يضيق الخناق على الأمراء المماليك ويوطد أقدامه في مصر ، فسارع الانكليز لتلافي خطره فاعادوا الألفي إلى مصر من جهة وضغطوا على الدولة العثمانية وجعلوها تصدر أمراً بعزل محمد علي وإعادة الحكم ثانية الى المماليك بزعامة الألفي من جهة اخرى على أمل أن يكون لهم في عهدهم الفرصة المنشودة للسيطرة على مصر . غير أن محمد علي أبدى حزماً ودهاء وتضامن معه زعماء الشعب فتمكن من إحباط المكيدة وثبت أقدامه في الولاية واستطاع أن يوجه الضربات العديدة الى المماليك ويخضد شوكتهم.

الاحتلال الانكليزي الثاني لمصر

●

وقد ازداد بذلك حنق الانكليز على محمد علي وتوجسهم على خططهم منه فأخذوا يتربصون به ، ولم يطل الأمر لخلق الفرصة المنشودة، فقدتحسنت الصلات بين الدولة العثمانية وفرنسة بعد قليل وأخذت فرنسة تستغل الموقف الجديد للكيد لانكلترا ومصالحها : فغضب الانكليز وجاهروا الدولة العثمانية بالعداء وتحالفوا ضدها مع روسية ثم سارعوا إلى إرسال أسطولهم إلى المياه المصرية واحتلوا الاسكندرية ورشيد وكان ذلك عام ١٨٠٧ ، وكانوا يعولون تعويلا كبيراً على الالفي ورفاقه . غير ان الحظ خانهم حيث مات الالفي قبل وصول حملتهم ببضعة أسابيع كما مات أحد كبراء المماليك الذي كانوا يعتمدون عليه أيضاً وهو عثمان البرديسي قبله بأسابيع قليلة ، واستطاع محمد علي أن يشل بدهائه وحزمه قوى بقية الامراء المماليك وان يواجه القوى الانكليزية بالتضامن مع الزعماء والقوى الوطنية المصرية وأن يهزمها في رشيد والاسكندرية وأن يكبدها الخسائر الفادحة وأن يستولي على مقادير كبيرة من معداتها وسلاحها . فلم ير قوادها بداً من مفاوضته على الجلاء وانتهت المفاوضات إلى ذلك على أن يعاد اليهم اسراهم وجرحاهم وتم التنفيذ في أواخر عام ١٨٠٧ بعد ستة أشهر من الاحتلال . وهكذا باءت المحاولة الثانية بالاخفاق . على أن الانكليز ظلوا يتربصون بمحمد علي ويترقبون الفرص للتأرمنه،

واشتد حنقهم عليه وتخوفهم منه خاصة بعد أن رأوا سلطانه يشتد ويتسع وقدمه ترسخ ، وجيشه وأسطوله يقويان ، وحروبه في السودان وفي جزيرة العرب تكلل بالنجاح مما يحمل في طياته حيوية عظيمة ومطامح بعيدة تقف دون مطامعهم وتعرقل أغراضهم ومآربهم ، وبنوع أخص بعد أن رأوا فرنسا توطدصلاتها به، وتعقد معه أواصر الصداقة وتعاونه في خططه ورغباته وتمده بالخبراء العسكريين وغير العسكريين وتفتح أبواب معاهدها لبعثاته ، وبالتالي تهيء لنفسها في مصر المركز الممتاز الذي تطمح اليه سلمياً بعد أن أخفقت في إحرازه حربياً .

نهضة محمد علي وضربة الانكليز الشديدة الاولى للحركة العربية

●

وفي سنة ١٨٣١ نشب الخلاف بين محمد علي والدولة العثمانية كانت من نتيجته أن سير محمد علي جيوشه بقيادة ابنه ابراهيم فاستولى على بلاد الشام وهزم الجيوش العثمانية واحداً بعد آخر ، وأخذ يتوغل في الأناضول حتى وصل إلى كوتاهيه وكاد يدق أبواب الأستانة ، وبدا من خلال هذه الحركة الخطيرة إحتمال قيام دولة عربية إسلامية كبرى على أنقاض الدولة العثمانية التي أنهكتها الشيخوخة والغفلة والضعف ، وسارعت الدولة المذكورة إلى الارتماء في أحضان روسية بسبيل حمايتها مما يهددها من الانهيار بسبب هذه الحركة . وقد اهتمت بريطانية للأمر وقلق بالها . فنجاح حركة محمد علي قد يشوش عليها سياستها ويعرقل خططها التي يمكن تحقيقها بيسر اكثر في حالة بقاء الدولة العثمانية ، كما انه يكون بمثابة إندحارها أمام منافستها فرنسا التي كان ضلعها بارزاً فيها ،فضلا عما كان من خطر روسية من جراء ارتماء الدولة العثمانية في أحضانها فنشطت لتلافي خطر هذا الكابوس الجديد الذي يجر معه هذه المضاعفات ، وعادت الى الوقوف ثانية إلى جانب الدولة العثمانية لتحول دون مطامع محمد علي وغيره من الدول التي كانت تتعجل إنحلال هذه الدولة ووضع اليد على تركتها وتتهدد بذلك مصالحها القريبة والبعيدة وطرق مواصلاتها في سواحل البلاد العربية ومعابر البلاد العربية ، وكان من جراء ذلك تلك الحركة الدولية التي وقفت في وجه محمد علي بحجة المحافظة على استقلال الدولة العثمانية وتمام ملكها والتي اضطرته إلى سحب جيوشه والتراجع إلى مصر، وهكذا حالت إنكلترة دون قيام دولة عربية كبرى ربما كان لها شأن كبير في تاريخ العرب الحديث . وكان ذلك أولى الضربات الشديدة التي وجهتها هذه الدولة إلى العرب في تاريخهم المذكور.

●

ومع أن فرنسا قداندمجت في حركة التأليب الانكليزية ضد محمدعلي ولم تستطع أن تنصر صديقها وكان ذلك من أسباب خذلان حركته وإخفاقها فقد استطاعت أن تحتفظ بمركز الصديق المعين عند محمد علي وأبنائه بسبب الموقف العدائي الذي وقفته إنكلترة ، وكان من نتائج ذلك ان نال دى ليسبس امتياز حفر قناة السويس، فأثار هذا مخاوف إنكلترة إثارة كبيرة لما ينطوي عليه من الأخطار الحربية وغير الحربية على مصالحها وطرق مواصلاتها ، فحاولت إحباط المشروع بمختلف الوسائل فلم تستطع ، وفكرت في مشاريع عديدة في بلاد العرب لتلافي الخطر مثل مد خط حديدي بين خليج البصرة واسكندرونة وحفر قناة من خليج العقبة الى البحر الأبيض بطريق فلسطين فلم تساعدها الظروف ، وتم حفر القناة عام ١٨٦٩ فاشتد همها لأنها رأت طريق مواصلاتها وعصب حياتها مهدداً من قبل منافستها ولم يهدأ بالها من ناحية المشروع إلا حينما اشترت في غفلة من فرنسا وبعد ست سنين أي عام ١٨٧٥ من الخديوي إسماعيل الأسهم التي أخذها من أسهم شركة قناة السويس البالغة (١٧٧٠٠٠) سهم فغدت بذلك قسيمة فرنسا في الشركة ثم سعت فحصلت على مقدار آخر من الأسهم بحيث أصبحت صاحبة كلمة نافذة في ادارة شركة القناة . على أن هذا لم يكن في نظرها كافياً لزوال هواجسها فظلت تترقب الفرص للسيطرة على مصر فعلا حتى تطمئن طمأنينة كاملة . وقد واتتها هذه الفرصة بعد سبع سنين اخرى . فقد أخذت هي وفرنسه تتدخلان في شؤون مصر الداخلية بسبب القروض التي استقرضها الخديوي اسماعيل من الانكليز والافرنسيين وأنفقها على رحلاته ومآربه وقصوره فحاول منعها فسعتا مع السلطان العثماني وتمكنتا من خلعه وتنصيب ابنه توفيق مكانه . وقامت حركة وطنية تطالب بالاصلاح وتقوية الجيش والحياة النيابية ومنع تدخل فرنسة وانكلترة وتطورت الى حركة عسكرية وطنية بقيادة البطل المصري عرابي باشا . وخشي الانكليز أن تنجح هذه الحركة فينسد امامهم الباب فحركوا بعض أذنابهم في الاسكندرية فأثاروا فيها فتنة دموية فاتخذوا ذلك وسيلة الى احتلال الاسكندرية سنة ١٨٨٢ بحجة حماية مصالحهم وحماية دماء ومصالح الأجانب وحماية العرش المصري معاً . وحاول عرابي باشا بالتضامن مع المصريين الوقوف في وجههم ولكنهم أخفقوا وكان من أسباب اخفاقهم محاصرة الخديوي توفيق مع الانكليز والتجائه اليهم بعد احتلالهم

الاسكندرية ، ونتج عن ذلك قمع الحركة الوطنية واحتلال القاهرة ورضوخ الخديوي وحكومته لأوامرهم ونفوذهم . وقد عرض الانكليز على فرنسة الاشتراك معهم في الاحتلال فتبالدت فكان ذلك من تمام فرصتهم المشؤومة .

الاحتلال الانكليزي الثالث لمصر واثره في الحركة العربية

●

واحتلال مصر من قبل الانكليز كان الضربة الشديدة الثانية التي ضربوا بها العرب في تاريخهم الحديث ، لأن مصر اقوى وأغنى بلاد العرب : وقد كانت دخلت في نطاق الاستقلال الذي كان يمكن ان يصل الى نهاية محمودة تكون تتمة للعهد العربي الاسلامي الجديد الذي بدأ بمحمد علي ، وان يتسع ذلك النطاق حتى يشمل بلاد الشام وغيرها من بلاد العرب كما كان شأن مصر في ادوار تاريخية عديدة بعد الاسلام .

ولم يكتف الانكليز باحتلال مصر . فقد قام في هذه الأثناء في السودان ثورة عربية اسلامية بقيادة محمد عبد الله المهدي تهدف الى تخليص السودان من فساد حكام الأتراك الذين كانت ترسلهم حكومة مصر التركية وتجديد حياة الاسلام واصلاح الحكم فيه . وقد استطاع المهدي ان يبسط سلطانه على جميع السودان وينشيء دولة عربية اسلامية واخذ ينشط لنشر دعوته في مصر والبلاد الاسلامية الاخرى . فخشي الانكليز من نتائج هذه الحركة وتطورها ووقوفها في وجه مطامعهم فأقنعوا الخديوي بضرورة مشاركتهم في اخمادها على شرط ان يكون لهم شركة في ادارة السودان . ثم اخذوا يسيرون الحملات المشتركة التي تمكنت في النهاية من قمع الحركة واحتلال السودان ، وحينئذ املوا على الخديوي معاهدة اعترف فيها بأن يكون حاكم السودان انكليزياً وبأن يكون للانكليز شركة في ادارته ومرافقه ثم تذرعوا بقوتهم حتى كادوا ان ينفردوا في حكم السودان واستثمار مرافقه . وهكذا حالوا دون هذه الحركة الاسلامية الجديدة التي كان من المحتمل ان تقوى وتتطور وتتجدد بها حياة وادي النيل كما حالوا دون حركة محمد علي .

سير الانكليز في عهد الاحتلال

●

ولقد سار الانكليز في مصر والسودان على نهج استعماري خبيث شل قواها ونشاطها ، وضيق في وجهها ابواب الأمل والحياة والطموح ، وكان من نتائجه

التي لا تزال آثارها قائمة إلى الآن أن انشغلت بنفسها وانحصرت في نطاق ضيق من الاقليمية وإن لم تتأثر بما جرى من تيارات قومية عامة وعربية مع شدة صفاء روحها وعناصرها العربية وشمولها ، وإن بقي السواد الأعظم من اهلها في لجج الامية والفقر والامراض المحلية الوبيئة ، وأن تأرث العداء والأحقاد بين طبقاتها وإن امتلأ الأقباط والطوائف المسيحية الاخرى والجوالي الأجنبيه بالخوف من المسلمين الذي جعلهم يرون في الانكليز الحماة المنقذين ويتمسكون بهم ، وإن اكتظت دوائر الحكومة بالمستشارين والخبراء والموظفين الانكليز الذين كانوا أصحاب الامروالنهي في كل شأن ، وإن انحصرت المناصب والوظائف بالمستسلمين المائعين والغرباء الطفيليين الذين يكونون آلات صماء في ايديهم ، وان ضعفت قوة مصر الحربية كمية وكيفية الى ان كادت تكون في حكم العدم ، وأن كان منهج التعليم ضيق النطاق جداً ليس من شأنه الا تخريج طبقة الموظفين والمستخدمين الآليين الذين فقدوا الروح والحيوية .

ولقد انتبهت فرنسا إلى غفلتها وحماقتها اللتين تكررتا اكثر من مرة في حقبة قصيرة وكانتا سبباً لتغلب السياسة الانكليزية عليها في هذه الساحة ؛ حيث اخذت تستنجز الانكليز وعودهم التي اعلنوها بالجلاء عن مصر حالما يعود الأمن والطمأنينة الى نصابها وتحرض الاستانة ومصر على ذلك ، غير ان الانكليز لم يبالوا وظلوا يكررون الوعود ويستمهلون الوفاء بها ؛ ثم رأوا ان يسكتوا فرنسا فعقدوا معها عام ١٩٠٤ اتفاقاً اطلقوا فيه يدهم في مراكش مقابل سكوتها عنهم واطلاق يدهم في مصر ، فكانت هذه المؤامرة كاشفة لحقيقة نوايا الافرنسيين وزيف صداقتهم ومظاهرتهم لمصر ، ومظهراً من مظاهر الكيد الاستعماري الانكليزي الافرنسي ضد بلاد العرب واستغلالها ويقظتها ، كما كانت عاملا من عوامل استقرار الاحتلال الانكليزي ، حيث كانت فرنسا اقوى منافس لبريطانيا في هذه الساحة والدولة التي يمكن ان يحسب الانكليز لها بعض الحساب فيها .

ولقد ظل منهج الانكليز الفظيع المذكور آنفاً نافذاً في مصر والسودان نحو خمسين عاماً بالرغم مما كان من تململ ومحاولات وطنية واصلاحية . ولم يتزلزل نوعاً ما الا بعد الحرب العالمية الاولى . وكان من اثر ذلك اليقظة الوطنية المصرية الجديدة . على ان الانكليز لم يألوا جهداً في اضعاف اثر هذه اليقظة بما كانوا يعدون اليه من الدسائس والمراوغات والمماطلة وتشجيع الفتن والفساد والاحقاد .

ولقد قبلوا في النهاية بعقد معاهدة اعترفوا بها باستقلال مصر وسيادتها على شرط بقاء جنودهم محتلة للقناة وبقاء مصر مرتبطة بعجلتهم ومنحهم مرافقها المتنوعة في زمن الحرب . ولقد انفسح لهم المجال في ظل هذه المعاهدة أيضاً للتدخل في شؤون مصروبث الدسائس المتنوعة ، وكان من المحتمل أن يدوم ذلك أمداً طويلا لولا أن قيض الله لمصرفتية مؤمنة من الضباط المصريين العرب الأحرار الذين قاموا بثورة مباركة واستطاعوا أن يقضوا على الملكية والاقطاعية والحكم الفاسد في مصر وأن يرغموا الانكليز على الموافقة على الجلاء عن مصروالسودان معاً خلال سنتي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ . على أنهم ما لبثوا أن ندموا أشد الندم لأنهم رأوا الحركة المباركة الجديدة أخذت تندمج في الحركة العربية أقوى اندماج وتتزعمها وتقدم على أعمال عظيمة داخلية وخارجية تزداد بها قوتها وعزتها وقوة العرب وعزتهم في آن واحد مما رأوا فيه خطراً على مصالحهم ونفوذهم وهيبتهم في الشرق العربي فأخذوا يتربصون بها الدوائر ويختلقون الأسباب للتعكير عليها وعرقلة نشاطها .

الانكليز والجزيرة العربية

●

وقد قلنا إن التنافس بين فرنسة وانكلترة شمل جميع السواحل العربية منذالقديم ولقد عمل الانكليز ببراعة ودأب في هذه الساحة للتغلب على منافستهم من جهة ولتنسيق سياسة المواصلات الامبراطورية التقليدية من جهةأخرى ، فطفقوا يلفون حول عدن وسواحل جزيرة العرب الجنوبية والشرقية وخليج البصرة منذ القرن السابع عشر، ثم خطوا خلال القرن التاسع عشرخطوات حاسمة فتمكنوا من بسط سيطرتهم ، احتلالا أو حماية وعهداً على عدن وسلطنة لحج والمشيخات العديدةالتي في منطقتها ثم على منطقتي حضرموت البرية والبحرية والمشيخات العديدة التي فيها ثم على مسقط والمشيخات العديدة التي تقع على ساحل خليجها الشمالي ثم على قطر والبحرين والكويت فضلا عن احتلالهم لنقاط عديدة على الجانب الفارسي من الخليج . وكانت بوادر المزاحمة الالمانية التي أخذت تبدو منذ أواخر القرن التاسع عشرمن عوامل بعض هذه الخطوات ، كما كانت هذه البوادر حافزة لهم على إعلان مقاومتهم لكل مزاحمة لهم في منطقة الخليج واعتبار ذلك عملا عدائياً موجهاً ضد مصالحهم فيها على لسان وزير خارجيتهم عام١٩٠٣ . وهكذا طوقوا جزيرة العرب من الجنوب والشرق حتى أصبح لهم في طرفيها هذين سلسلة مراكز

ومستعمرات ومحميات مهمة وأصبحوا بالتالي ذوي شأن خطير في جزيرة العرب له آثار سلبية وايجابية في سير الحركة العربية الحديثة يمكن أن يذكر منها انعزال هذه المناطق انعزالا تاماً عن هذه الحركة رغماً عما يبدو أحياناً من بعض سكانها ومشايخها وأمرائها من الرغبة في المشاركة فيها والالتحاق بقافلتها . وقد حفزتهم سياستهم هذه الى توطيد الصلات مع آل السعود أمراء نجد في قلب الجزيرة أيضاً منذ أواسط القرن التاسع عشر ، حيث عقدوا معاهدة معهم عام ١٨٦٥ ووثقوها بثانية مع الأمير (الملك) عبد العزيز عام ١٩١٥ ثم بثالثة مع الملك عبد العزيز عام ١٩٢٧ وقد انطوى في نصوص معاهدة ١٩١٥ ما يعد مثلا لما كانوا وظلوا يتوخونه في صلاتهم مع أمراء وشيوخ الجزيرة العربية من حماية وهيمنة وإحتكار وتبعية حيث جاء في المادة الثانية أن الحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد أي حكومة تعتدي على أراضيه ولها ان تتخذ التدابير الشديدة في مثل هذه الظروف لأجل حفظ وحماية منافعه ، وفي الثالثة ان ابن سعود يتعهد بالامتناع عن كل مخابرة او اتفاق او معاهدة مع اي حكومة او دولة اجنبية ، وفي الرابعة انه يتعهد بصورة قطعية ان لا يتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة من الأراضي التي في حيازته ولا يمنح امتيازاً فيها لدولة اجنبية او لرعايا دولة اجنبية دون رضاء الحكومة البريطانية وانه يتبع نصائحها التي لا تضر بمصالحه وفي السادسة يتعهد ابن سعود كما تعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتدخل في ارض الكويت والبحرين واراضي مشايخ قطر وعُمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية انكلترا والذين لهم معاهدات معها . .

اصبع الانكليز في بلاد الشام

●

على ان حرصهم على السيطرة والنفوذ في الأقطار العربية الاخرى كبلاد الشام والعراق لم يكن اقل من حِرصهم على السيطرة والنفوذ في الانحاء المذكورة آنفاً لانها هي الاخرى واقعة على طرق مواصلاتهم وداخلة بالتبعية في نطاق سياستهم التقليدية . غير ان سيطرة الدولة العثمانية على هذه البلاد كانت اشد وافعل من سيطرتها على تلك الانحاء ، فسلكوا في سبيل ذلك مسلكاً مختلفاً يهدف إلى التمهيد والتوطئة للفرص المواتية كما فعلت فرنسا على ما ذكرناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، حيث اخذوا يسيرون في سياسة البعثات الطبية والثقافية والدينية التي

انشأت بعض المستشفيات والعيادات والمدارس والكنائس في فلسطين وبعض انحاء الشام الاخرى . ولقد كانت فرنسا تزعم لنفسها الاولوية والامتياز في بلاد الشام وتترسم الخطط التي تتسق مع هذا الزعم ، فرات في اصابع الانكليز ومحاولاتهم منافسة وفضولية ، فكان تشاد خفي بين الانكليز والافرنسيين في في بلاد الشام ظهرت آثاره بنوع خاص في الفتن الاهلية التي نشبت بين الدروز والموارنة في اواسط القرن التاسع عشر ؛ حيث اثبتت مدونات المعاصرين ومحاضر التحقيق تحريكات وصلات الانكليز بالدروز وتحريكات وصلات الافرنسيين بالموارنة كما ظهرت آثاره في ما كان من تسابق في نيل امتيازات السكك الحديدية والمواني وغيرها في هذه البلاد .

تعكير الالمان على الانكليز

●

ولقد كانوا ظنوا ان اتفاقهم مع فرنسا عام ١٩٠٤ قد يهدىء من شدة هذا التنافس وقد يسمح لهم بالسير في ما يترسمونه من خطط بشيء من اليسر ،ولكنهم لم يلبثوا ان اصطدموا بمنافس جديد خطر هو الامبراطور غليوم الذي اخذ يوطد الصلات الحسنة مع السلطان عبد الحميد الثاني وينال منه الامتيازات الاقتصادية ويحرضه على الانكليز والافرنسيين معاً . وقد دفعه بسبيل ذلك إلى احتلال موقع طابا على خليج العقبة حتى لا يبقى لمصر مركز على هذا الخليج يستفيد منه الانكليز الذين سيطروا على مصر في مشروعاتهم كما دفعه إلى احتلال الكويت وتقوية ابن الرشيد حتى يحرم الانكليز من بعض مراكزهم على خليج البصرة ويعكر عليهم صفوهم في هذه المنطقة ويعطل مشروعاتهم فيها ايضاً . ولكن الانكليز وقفوا موقفاً حاسماً من السلطان ، ولم يكن الالمان قد بلغوا من القوة إلى حد البروز في الميدان جهرة فتراجع السلطان واعترف بشمول حدود مصر لطابا وسحب فصائله من منطقة الكويت ، ولم يعتم الانكليز ان اعلنوا حمايتهم رسمياً على الكويت .

مطامع الانكليز في فلسطين وشرق الاردن

●

ولم يكن احتلالهم لمصر ليخفف من حرصهم على السيطرة على فلسطين وشرق الاردن وجميع خليج العقبة وكان حادث طابا منبهاً شديداً وحافزاً قوياً لهم ، فأخذوا يرسمون الخطط ويترقبون الفرص ، وقد حاولوا تحقيق مأربهم

قبل الحرب العالمية الاولى في سياق ما جرى من مساومات بينهم وبين روسيا وفرنسا عام ١٩١٢ حول تركة الدولة العثمانية فلم يصلوا إلى نتيجة ، فلما نشبت هذه الحرب عادت المساومات في الخفاء بين الدول الثلاث وتم الاتفاق في اوائل سنة ١٩١٦ على تقسيم الحصص فنال الانكليز فيما نالوه الاعتراف بأن تكون السواحل الممتدة من الحدود المصرية إلى حيفا فعكا منطقة نفوذ إنكليزية ، اما بقية فلسطين فقد اتفق على جعلها دولية وكان هذا نصراً للانكليز لانهم لم يكن لهم في فلسطين صلات ومزاعم تقليدية حتى ولا في اماكنها المسيحية المقدسة في حين كان الروس يدعون حماية الارثوذكس وحقوقهم والفرنسيون يدعون حماية الكاثوليك وحقوقهم . ثم عقد الانكليز والافرنسيون في نفس السنة وبعدالاتفاق الثلاثي بقليل معاهدة سايكس بيكو حيث ثبت فيها خليج عكا الذي يضم ثغري عكا وحيفا كمنطقة إنكليزية وجعل للانكليز الحق بتمديد واستغلال خط حديدي يصل ثغر حيفا بالعراق ولم يمكن الاتفاق على فلسطين فجعلت ادارتها دولية كما كان الامر فيالاتفاق الثلاثي .

على ان الانكليز لم ينوا في صدد فلسطين لان حرصهم علىالسيطرة عليها كان شديداً كما قلنا «١» فاتخذوا اولا اليهود وحركتهم تكأة في سبيل تحقيق مآربهم حيث كانت فكرة استعمار واستيطان فلسطين قد اخذت تقوى فيهؤلاء نتيجةلما كانوا يلقونه من اضطهاد وخاصةفي وسط اوروباوشرقها ولانتشارالفكرة القومية في العالم . وقد سعى اليهود بوسائط مختلفةمن جملتها وساطة بريطانية نفسها لدى الدولة العثمانية لتحقيق فكرتهم هذه فلم يستطيعوا ان ينالوا الا نتائج ضيقة المدى كانت مع ذلك نواة مشروعهم العظيم حيث تمكنوا من استملاك بعض الاراضي وانشاء بعض المستعمرات مثل زمارين وملبس والخضيرة وعيون قارة ونيتر وتل ابيب قرب يافا وحيفا ، حتى اذا كانت الحرب العالمية المذكورة تضامن اليهود مع الحلفاء وخاصة مع بريطانيا بسبيل أربهم ، وسارع الانكليز

(١) نقل صاحب كتاب « من المتنعم في فلسطين » وهو انكليزي خطاباً للمستر ايمري أحد اقطاب الاستعمار البريطاني وممن تولوا وزارة المستعمرات القاه في مجلس العموم في سياق الحديث عن الثورة الفلسطينية ووجوب قمعها في شهر حزيران ١٩٣٦ جاء فيه « ان فلسطين تشغل مركزاً عسكرياً على جانب عظيم من الاهمية من وجهة الدفاع عن الامبراطورية فهي ملتقى جميع الطرق الجوية بين هذه المملكة وبين أفريقيا وآسيا هذا الى انها من اهم المراكز البحرية في البحر الأبيض المتوسط في الظروف الحاضرة مما فيه ايضاح وجيز لهذا الحرص الشديد من وجهة النظر الاستعمارية الانكليزية .

إلى تبني قضيتهم حينا لاح لهم النصر واحتل قائدهم العام اللنبي المناطق الجنوبية في فلسطين وصار احتمال احتلالهم سائر فلسطين قوياً فأصدروا تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ، وقد جاء مصداق ظنهم وشيكا بعض الشيء حيث احتلوا القدس في ٩ كانون الاول من السنة نفسها ، ثم أخذوا ثانياً يضغطون على فرنسا بعد المدنة وفي أثناء العهد الفيصلي ويقيمون في وجهها العراقيل ويثيرون عليها الافكار والعواطف ويستعينون باليهود أيضاً حتى اضطروها إلى التسليم بسيطرتهم على فلسطين بدلا من الادارة الدولية وسلخ منطقة شرق الاردن التي كانت جزءاً من سوريا إدارياً في ذلك العهد وقبله والتي كانت بالتالي مما يقع في نفوذ فرنسا والموافقة على دخول المنطقتين تحت إنتدابها وسيطرتها نهائياً على ما شرحناه في الجزء الاول من كتاب حول الحركة العربية.

العرب والانكليز في مجال حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ العالمية

●

على أن أكثر ما مر من الاحداث ـ باستثناء ما جرى أثناء الحرب العالمية الاولى ـ قد لا يكون منطوياً على المناوأة للفكرة العربية والحركة العربية الحديثة مباشرة . لان هذه الفكرة والحركة بسبيلها لم تكن قد برزت وانتشرت بعد ، ولان الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على اكثر بلاد العرب كانت ما تزال قائمة تتمثل فيها الخلافة الاسلامية ويعد العرب فيها جزءاً غير منفصل عنها لم يكونوا من ناحية الحركة والنشاط في صدد دعوة قومية وكيان خاص منفصل ؛ وإن كان له أثر خطير في الادوار التالية التي ظهرت فيها الفكرة وجرى تيارها وقامت حركاتها ، ويمكن أن يعد البذرة الاولى للسياسة الانكليزية وأساليبها ومكائدها في بلاد العرب ، حيث تمثل فيها حرص الانكليز على السيطرة على بلاد العرب بأي شكل واسلوب ، وعرقلة اي نشاط قوي قد يؤدي الى خروج هذه البلاد من هذه السيطرة أولا ، وعدم الرضاء عن منافس سياسي لهم فيها ثانياً ، وغدو ذلك سياسة تقليدية لهم.

أما الادوار التالية التى ما زالت مستمرة والتي كانت مجال نضال وأخذ ورد والمتصلة بالحركة العربية الحديثة فانها قد تهيأت بمناسبة الحرب العالمية الاولى التي نشبت عام ١٩١٤ .

وقد أشرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب إلى ما كان من استغلال الانكليز لعواطف العرب وطموحهم وحركتهم القومية الحديثة ، ولما نال رجالهم القوميين من قسوة واضطهاد بسبيل ذلك ، وإلى ما كان من استغلالهم كذلك لمركز الحجاز المعنوي والمادي ، فكان ذلك الاتصال المعروف بينهم وبين الملك حسين رحمه الله الذي انتهى باعلان الثورة العربية الكبرى وانحياز العرب الى جانب المعسكر الانكليزي ضد الدولة العثمانية فكان ذلك بدء صلتهم بالحركة العربية الحديثة بصورة عملية وجدية على ما ذكرناه كذلك في الجزء المذكور .

نية الغدر المبيتة من الانكليز للعرب ومظاهرها

●

والناظر في الادوار الاولى لهذه الصلة يرى ان الانكليز قد بيتوا النكث والغدر والكيد للحركة العربية وأهدافها منذ خطواتهم الاولى ، وترسموا أن لا تخرج هذه الحركة عن النطاق الذي تكون فيه البلاد العربية والسياسة العربية الحديثة دائرة في فلكهم وسيطرتهم ونفوذهم واستغلالهم ،وأن تكون قصارى الصداقة العربية الانكليزية صداقه العبيد مع الاسياد إن صح هذا التعبير مع الاحتفاظ بحرية خيانتها أيضاً ، وما يتسق مع هذا من أساليب وخطط متنوعة ، بالرغم مما بدا من اخلاص وتوجه صادق من العرب نحوهم ورغبة اكيدة في التضامن والتعاون معهم على أساس الصداقة النزيهة الدائمة التي تضمن في نطاقها مصالح الطرفين .

ويبدو كل هذا واضحاً (١) في رسائلهم للملك حسين بالرغم مما احتوته من ألقاب التفخيم والتعظيم والعبارات الطنانة الرنانة بالاستقلال العربي والحرية العربية والامجاد العربية وخاصة في رسالة مكماهون المؤرخة في ٢٤ اكتوبر ١٩١٥ التي تقيد العرب باستشارة ومعونة وادارة بريطانيا وحدها والتي تصر على سلخ ولايتي بغداد والبصرة عن جسم الدولة العربية وجعلها تابعة لادارة وتنظيم بريطانيا وفي رسالة مكماهون المؤرخة في ١٣ دسمبر ١٩١٥ التي ظلت تصر على مسألة بيروت والسواحل الشامية بالرغم عن اعتراضات الملك وملاحظاته مما شرحناه في الجزء الاول من كتاب حول الحركة العربية . (٢) في ما كان من اتفاقهم مع الروس والافرنسيين اولا ثم مع الافرنسيين ثانياً على تقطيع اوصال البلاد الشامية والعراقية تقطيعاً فظيعاً . وجعلها مناطق نفوذ واستعمار واستغلال قبل ان يجف مداد تلك

الرسائل العهدية وفي حين كانوا يدفعون فيه العرب الى الثورة ويستغلون عاطفتهم وامانيهم ودماءهم الى ابعد حـــدود الاستغلال . (٣) في المؤامرة الانكليزية اليهودية وتصريح بلفور الذي كان عنواناً لها والذي صدر والدماء العربية تراق والجهود العربية تبذل والمتطوعون العرب من فلسطين وغير فلسطين يزحفون الى جبهة الثورة بقيادة فيصل بن الحسين .

ولقد ارسل القائد العثماني الى الامير فيصل وهو في الجبهة رسائل يخبره فيها بما اتفق الافرنسيون والانكليز عليه من تمزيق بلاد الشام والعراق واعطاء الانكليز فلسطين لليهود ومعه رسائل قصاصات الصحف التي تذكر هذه الانباء فارسلها لابيه وهذا بدوره ارسلها الى الحكومة البريطانية محتجاً مستوضحاً فسارع المعتمد البريطاني في مصر الى ارسال مندوب خاص اليه بناء على تعليمات وزارة الخارجية يحمل منه كتاباً مؤرخاً في ١٨ شباط ١٩١٨ يشكره فيه على ارساله الرسائل ويعتبر ذلك دليل الاخلاص والنبل ويقول له ان الرسائل هي حركة دعائيه يقصد بهـــا بث الشك بين العرب والحلفاء ويؤكد له ان الحكومة البريطانية وحلفاءها ثابتون على العهد الذي قطعوه للعرب ؛ فكان ذلك من الأم مشاهد الغدر الانكليزي الذي وقع فعلا بعد نهاية الحرب [١] .

ولقد كانت مواقفهم عقب الهدنة من العرب والحركة العربية في هذا النطاق الذي ترسموه ؛ حيث استغلوا ثقة العرب بهم واركانهم اليهم الى ابعد حـــدود الاستغلال في ما كان بينهم وبين الافرنسيين من تنافس وتشاد اضطروهم به الى التنازل عن مطامعهم في الموصل وفلسطين وادخالها في منطقة نفوذهم وسيطرتهم، وحيث استغلوا ارتباك فيصل بسبب موقف فرنسا منه لدى مجلس الصلح فجعلوه يغضي عن الكلام عن العراق وفلسطين والوحدة العربية بل ويساير اليهـــود في آمالهم ومطامعهم في انشاء الوطن القومي في فلسطين في الكتاب الذي وقعـــه لوايزمان بالحاح لورانس والذي ضمنه بعض التحفظات ؛ حتى إذا ظفروا بكل ما ارادوا نبذوهم في سوريا التي كانت تتمثل فيها الثورة العربية والحركة العربية والاهداف العربية نبذ النواة ، ونفضوا ايديهم منهم ، ولم يبالوا بالصدمة الحاطمة التي صدمت العرب من حقيقة موقفهم الباغي معهم ، وخلّوا بينهم وبين فرنسا

«١» صورة هذا الكتاب الفوتوغرافية منشورة مع ملحق ٨

فكان ما كان من غزوة غورو وهدم العهد الفيصلي ، وما ترتب على هذا مـــن كوارث وفواجع مثلتها فرنسا على مسرح سوريا ولبنان مما المنا به في الجزئين الاول والثاني من الكتاب .

اما ادوارهم التطبيقية في البلاد العربية الاخرى التي نكبت بهم قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها مما يتصل بالحركة العربية واهدافها فقد كانت في نطاق تلك النية المبيتة والخطة المترسمة وصادرة عنها . وتفصيل ذلك بالنسبة لفلسطين هو ما يدور عليه فصول هذا الجزء والجزئين التاليين له .

الانكليز وفلسطين

تمهيد

ادوار القضية الفلسطينية والاسهاب فيها بعض الشيء

●

ان الكلام على افاعيل الانكليز في هذه القضية قد استغرق حيزاً كبيراً حيث اسهبنا بعض الاسهاب في كثير من احداث فلسطين ومشاهد قضيتها وادوارها على خلاف ما ترسمناه في الجزئين الاول والثاني من الكتاب .

وقد جاء ذلك نتيجة لاعتبارين . الاول : اننا كنا شهود عيان من جهة ، وفي بهرة العمل في هذه الاحداث والمشاهد والادوار من جهة ، وكنا ندّون مذكرات في صددها من جهة ، فرأينا ان هناك أشياء كثيرة يحسن نشرها والتعليق عليها بشيء من الاسهاب خدمة للتاريخ السياسي والنضالي لهذا القطر العربي وقضيته . اما الاعتبار الثاني فهو انقضية فلسطين غدت بعد سنة ١٩٣٠ خاصة ثم بعد سنة ١٩٣٦ قضية عربية عامة عملياً ، ثم تطورت الى ان غدت قضية العرب الكبرى، شغلت من جمهورهم وحكوماتهم الاذهان والقلوب والاوقات والجهود ،واثارت فيهم الحسرات والهموم والاشجان ، وصارت مجالا لأعظم حادث تاريخي عربي بدخول جيوش الدول العربية في حرب اجماعية في سبيلها ، فاقتضى الأمر كذلك الكلام عن الصور والمشاهد والظروف التي اشترك العرب وحكوماتهم فيها في هذه القضية والتعليق عليها بشيء من الاسهاب .

ومع ذلك فمن الحق ان نذكر اننا لم ندون كل شيء وانه قد فاتنا اشياء كثيرة ذهبت عن الذاكرة أو لم نشهدها ولم يتيسر لنا الاطلاع عليها من جهود ومشاهد.

ولقد مرت القضية الفلسطينية ومكائد الانكليز للعرب وحركتهم القومية بطريقها في ستة أدوار بارزة كان ينتهي كل دور منها بكيد أو مكر أو نكث، ويمتد أولها الى سنة ١٩٣٠ حيث نكث الانكليز بعهدهم الذي قطعوه في الكتاب الابيض

الصادر نتيجة لثورة البراق وتقارير لجنة شووسيمسون . ويمتدثانيهاالىسنة ١٩٣٧ حيث حاولوا ان يحققوا غايتهم فتبنوا حل التقسيم وانشاء دولة يهودية في أفضل وأحسن بقاع فلسطين ، ويمتد ثالثها الى سنة ١٩٣٩ حيث اخفق المؤتمر العربي الانكليزي الذي انعقد في لنـــدن نتيجة لثورة فلسطين الكبرى بسبب عنادالانكليز ومواربتهم ورفضهم للانصياع للحق والمنطق وحيث اصدروا الكتاب الابيض الذى احتوى من التعقيد والغموض والتضليل مـــا فيه الدليل على سوء نيتهم عند اصداره ، ويمتد رابعها الى سنة ١٩٤٥ حيث يتناول تطورات القضية بالنسبة لليهود والعرب اثناء الحرب العالمية الثانية وحيث أخفقت جهود العرب في سبيل حلها حلا عادلا ، ويمتد خامسها الى خريف سنة ١٩٤٧ حيث نقض الانكليز فيه سياسة الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ الموافق عليها مـــن برلمانهم وفتحوا بـــاب الهجرة الذي تعهدوا بسده سداً تاماً ، واشركوا اميركا في القضيه واعادوها عوداً على بدء ، وحيث اخفق مؤتمر لندن نتيجة لذلك فانتقلت القضية الى هيئة الامم التي قررت تقسيم فلسطين . اما سادسهافقد دار الكلام فيه عن ما كان من احداث بعد قرار التقسيم كان للانكليز فيها انكى المكائدواشدها خطورة كانت العامل الاقوى في قيام الدولة اليهودية وتوطدها واخفاق الكفاح العربي الاجماعي .

وبسبب الاسهاب الذي شرحنا باعثه في ادوار القضية الفلسطينية اضطررنا ان نوزع احداث ووقائع هذه الادوار على ثلاثة اجزاء هذا الجزء ويدور فيه الكلام على الادوار الثلاثة التي امتدت الى بدء الحرب العالميةالثانية ، والجزءالرابعويدور الكلام فيه على الدورين الرابع والخامس والجزء الخامس ويدور الكلام فيه على الدور السادس .

الدور الاول

١٩١٧ - ١٩٣١

صدى نكبة فلسطين بوعد بلفور

●

لقد كانت الضربة التي وجهها الانكليز للعرب وحركتهم القومية الحديثة بوعد بلفور والنكبة اليهودية اشد الضربات واوجعها وابعدها نكاية واثراً في كيان العرب واهدافهم .

ففلسطين عقدة الصلة بين الاقطار العربية الشمالية والجنوبية أو الاسيوية والافريقية ، واتصال هذه الاقطار ببعضها اتصالا لا تقاطع فيه من اهم مميزات القضية العربية وعناصرها . وهي بعد قطر اصيل من هذه الاقطار لا تشوب عروبته شائبة ما تضعف من شأنها فيه ، حيث كان مهجراً من مهاجر الموجات العربية قبل الاسلام ، ثم خلدت عروبته بالموجة الاسلامية الكبرى التي جرت بينها وبين الرومان فيه معارك طاحنة استشهد فيها الالوف من مجاهدي الفتح الاول ودفن في تربته فيمن دفن ابو عبيدة القائد العام لجيوش الفتح وشرحبيل وعكرمة وغيرهما من كبار القواد والصحابة ، وخلدت صلة قدسيته بالاسلام في القرآن وبما كان من الاسراء النبوي اليه ، وكان له بعد بضعة قرون دور عظيم في سجل تاريخ النزاع بين الشرق والغرب استمر مئتي عام ودفن في تربته كذلك عشرات الوف الشهداء من العرب والمستعربين المسلمين ، وانتهى بدحر الغرب عنه وتخليد صفته العربية الاسلامية ومدته القبائل العربية بعد ذلك بموجاتها التي خلدت اسماءها في مختلف بقاعه مثل ديار بني حسن وبني مره وغسانه والحوارث والحارثية وبني عامر وغيرها وغيرها فضلا عن الموجات التي ما زالت تحتفظ بصفتها وطابعها القبلي البدوي والمتوطنة في انحاء عديدة منه في الجنوب والشرق والشمال ، وكان رجال فلسطين وشبابها في ابان انبثاق الحركة العربية الحديثة العملي في طليعة الصفوف ، وكانوا من الاركان التي قامت عليها هذه الحركة في مختلف مظاهرها وأدوارها على ما ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب .

●

والقضية الصهيونية كانت تنطوي منذ البدء كما شرحه باعثوها وايده مؤتمراتها ونادى به رجالها على اختلاف صفاتهم منذ نشأتها في القرن التاسع عشر على حشر الملايين من اليهود من مختلف انحاء الارض ، واقامة كيان قومي يهودي بلغة قومية وامجاد قومية في ما سموه « الدولة اليهودية » التي اعتبروا فلسطين قاعدتها والتي حددوها من الفرات شمالا الى النيل جنوباً بزعم انها مواطن اسرائيل التاريخية الاولى ، والتي رأوا أنها الوسيلة الوحيدة الى انتظام اليهود في سلك الامم الاخرى ذات الكيان الخاص والحياة المستقلة ، والعلاج الوحيد للحالة التي ارتكس فيها اليهود من جراء تبرم سائر الامم بهم بسبب طبيعة جبلتهم بقطع النظر عما في هذا من مناقضةٍ لطبيعة الأشياء ومغايرة للحقائق ، وعدم اتساقٍ مع المنطق والعلم .

وواضح أن هذه القضية بهذه الاسس التي تقوم عليها والاهداف التي تهدف اليها ترمي الى قلع جذور العرب وهدم كيانهم في فلسطين العربية اولا وفي امتدادات تلك الحدود المجاورة لها بعد ذلك ، وقطع عقد الصلة التي تربط المواطن العربية في آسيا وأفريقيا ببعضها ثانية ، وتؤدي ثالثاً الى نشوب صراع شديد ومديد بين العرب واليهود وحفز هؤلاء الى الحيلولة دون قيام كيان عربي قوي وموحد ودون أي تقدم عربي في ميادين السياسة والاقتصاد والصناعة والتجارة لان كل هذا مما يكون عثرة في سبيل أهدافهم ، وحفزهم كذلك الى التضامن التام الوثيق والمستمر مع كل عدو للعرب ضد كل حركة ونشاط وحيوية عربية في أي مجال من مجالات الحركة والنشاط والحيوية ، وصيرورتهم عوناً له في سبيل إبقاء العرب متفرقين ضعافاً فاقدي الحيوية والنشاط ، مستغلين منهم وممن يتضامنون معه من الاعداء إستغلالا سياسياً واقتصادياً .

ولقد قلنا آنفاً ان الانكليز قد تبنوا منذ الأصل سياسة إيجاد كيان يهودي سياسي في قسم من فلسطين على الاقل . ويؤيد هذا أن كبار ساستهم الذين أصدروا

تصريح بلفور واشتركوا في تطبيقه قد قرروا في مناسبات عديدة أنهم كانوا يدركون أن هذا التصريح ينطوي على قيام دولة يهودية في المستقبل على ما جاء بصراحة في مذكرات هربرت صموئيل التي نشرت في سنة ١٩٤٦ ،وحتى تشرشل الذي أصدر في سنة ١٩٢٢ حينما كان وزيراً للمستعمرات كتاباً أبيض أكد فيه « ان هدف التصريح هو إنشاء وطن روحي لليهود وأنه لا ينطوي على أي حال على أي مدى من شأنه فرض رعوية على أهل فلسطين أو قيام دولة يهودية فيها ، وان الآمال التي يعلقها اليهود غير قابلة للتحقيق ، وان مخاوف العرب لا مبرر لها » لم يتورع عن تقرير ذلك في الحقبة الأخيرة – ١٩٤٦ – ومطالبة حكومة العمال بتنفيذه .

التوافق بين اغراض الانكليز الاستعمارية وبين الصهيونية

●

وبصرف النظر عما اذا كان الانكليز رأوا في سعة آمال اليهود خيالا غير قابل التحقيق أم لا فإن إيجاد كيان يهودي سياسي حتى في قسم من فلسطين وهو ما تبنوه منذ البدء على الاقل كان متسقاً مع السياسة التي ترسموها بالنسبة للعرب والتي ذكرناها قبل ؛ حيث كانوا يقدرون ان هذا الكيان سيظل خاضعاً لنفوذهم ودائراً في فلكهم وفي حاجة دائمة الى حمايتهم ورعايتهم [1] وسيكون في الوقت نفسه مشغلة للعرب ينهك قواهم ويورثهم الهم الدائم ، وإسفينا في بلادهم يعرقل كل محاولة للوحدة أو الاتحاد فيما بينها ، وسيكون كذلك وسيلة دعاية وتخويف للعرب وذريعة الى حفظ التوازن بينهم وبين اليهود وإثارة الشعور في العرب أيضاً بالحاجة الدائمة اليهم وضمان البقاء في فلكهم أبداً . مما يدل فضلا عن النية الانكليزية المبيتة لضمان تحقيق السياسة المرسومه على قصد تضليل العرب وتخديرهم في الخطوات الاولى التي كانوا فيها أقوى من اليهود في فلسطين ،وقد ادركوا مدى ما ينطوي في التصريح من شر رهيب وهبوا للنضال بعده .

---

(١) يقول كاتب انكليزى كان ذا منصب في البلاد العربية في كتاب له اسماه « من المتنعم في فلسطين » وترجمة عبد الستار فوزي الى اللغة العربية وطبعه سنة ١٩٣٧ : « ان رجال الاستعمار الانكليزي كانوا يرون ان اليهود بناء على وضعهم السيء في مختلف البلاد وما لديهم من رؤوس الاموال الهائلة هم خير من يمكن ان يكون آلة للاستعمار البريطاني في فلسطين » وهذا ما جعلهم يتمنون قضيتهم فضلا عن اتخاذهم تكأة لنيل الانتداب في فلسطين .

تمحلات الانكليز في صدد فلسطين

●

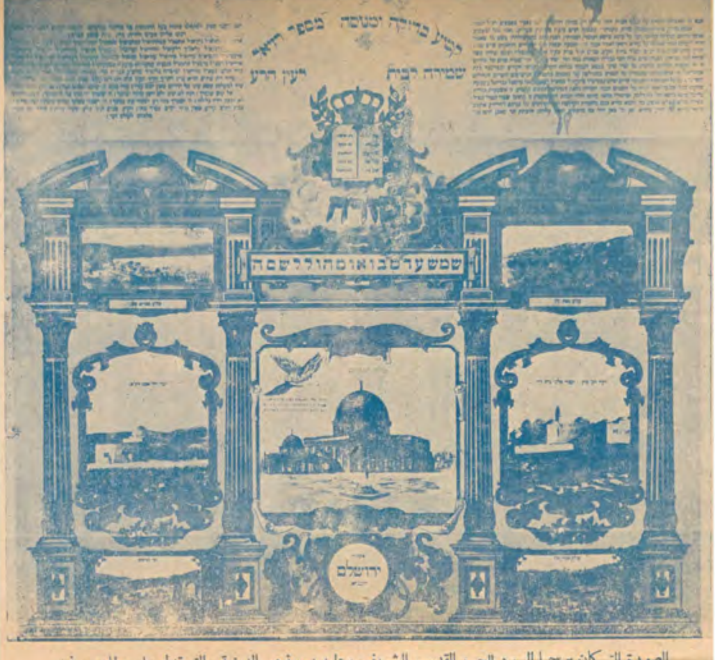
وهذه الدلالة قائمة في انكار الانكليز شمول عهود الملك حسين لفلسطين كلما ادعى العرب ذلك وادعائهم بأنهم قد استثنوها حينما تحفظوا بالمناطق الواقعة غرب الشام وحمص وحماه وحلب بينما كان تحفظهم منصباً بصراحة تامة على لبنان وسواحله على اعتبار ان لفرنسة مزاعم فيها ، وبينما لم تكن فلسطين واقعة غرب تلك المدن ولم يكن لفرنسا فيها تلك المزاعم التي كانت تزعمها في لبنان وسواحله، حيث كانوا بهذا الانكار والادعاء يكشفون عن نياتهم التي بيتوها منذ البدء باقتطاع فلسطين من جسم البلاد العربية واختصاصها لتطبيق هذه السياسة التي ترسموها للكيد للحركة العربية والامة العربية فضلا الى ما فيهما من محاولة للتخلص من دمغة الغدر والنكث التي دمغتهم (١) .

مطامع اليهود الرهيبة منذ البدء

●

على ان اليهود انفسهم قد ادركوا انطواءه على هذا المدى منذ صدوره . فقد زار وايزمن القدس عقب دخول الانكليز اليها في ٩ كانون الاول ١٩١٧ وجمع له الحاكم الانكليزي العسكري بعض زعماء العرب في دار الحكومة فخطب فيهم معلنا ابتهاجه بتيسير عودة اليهود إلى وطنهم وحسن نواياهم نحو مختلف طوائف السكان مما أثار هؤلاء الزعماء وحملهم على ترك الاجتماع ساخطين ، وأخذوا ينذرون بني قومهم مما يبيت لهم . وقد صدرت تصريحات عديدة في اوقات مختلفة ومنذ اوائل الاحتلال من زعماء يهود مسؤولين وبارزين تدل على ذلك الادراك أيضا حيث جاء في كتاب « الجار » الذي الفه الفرد موند (اللورد ملتشت) : « إني أتطلع إلى ذلك اليوم الذي تصبح فيه فلسطين وشرق الاردن وحدة تحكم نفسها ضمن حدود الامبراطورية البريطانية وتشغل مركزاً على جانب عظيم من الاهمية في مشروع تلك الامبراطورية الواسع في الوجهات العسكرية والتجارية والثقافية وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود المخلصين الذين تربطهم بالامبراطورية رابطة الوطن والمدنية » وحيث صرح اثنان من زعماء الجمعية الصهيونية التي كانت هي الهيئة الرسمية المعترف بها امام لجنة تحقيق بريطانية في سياق حوادث ثورة عام

(١) سنعود الى بحث هذا الادعاء في مناسبات اخرى .



الصورة التي كان يرسمها اليهود للحرم القدسي الشريف وعليه رموزهم الدينية والتي تدل على مطامعهم فيه

١٩٢٠ التي نشبت في يافا وامتدت الى انحاء كثيرة من المناطق المجاورة لها :

«إن فلسطين يجب ان تكون يهودية كما ان انكلترا انكليزية وكندا كندية ، وإن الخدمة العسكرية وحمل السلاح يجب ان يكونا محصورين باليهود دون العرب وانه لا يمكن أن يكون في فلسطين الا وطن قومي واحد هو الوطن القومي اليهودي بدون مساواة في الاشتراك بين اليهود والعرب بل سيادة اليهود وتفوقهم حالما يكون عددهم قد زاد لدرجة كافية » . وقد اعلن اليهود نياتهم بصراحة نحو الحرم الشريف منذ البدء مما ينطوي على نفس الادراك والمدى حيث جاء في تقرير لمدير فلسطين العام الانكليزي العسكري بتاريخ ٧ حزيران ١٩٢٠ . « ان نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفاقه قدموا طلباً مؤيداً من ابراهيم اسحاق كوك رئيس الحاخامين ومجلس الربانيين بوضع يد اليهود على حائط المبكى وجميع مكان الهيكل الذي هو الحرم القائم في وسطه مسجدا الصخرة والاقصى . » ، وحيث نشر الفرد موند الذي نقلنا بعض أمانيه قبل قليل مقالا قال فيه « إن اليوم الذي سيعاد فيه الهيكل أضحى قريباً وإني سأكرس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الاقصى (١) » . وقد قدمت تقارير عن تحقيقات عام ١٩٢٠ وعن طلبات زعماء اليهود بالهيكل الى الحكومة الانكليزية وعلمت بها ثم قدمت احتجاجات عربية اليها . ولكن هذه الحكومة استمرت في سياستها مع محاوله التسكين والتخدير وهي على علم بما فيها من تضليل وزيف ، وبما يعنيه اليهود فيما قالوا وطلبوا من جد وعزيمة .

وإذا كان زعماء اليهود البارزون والمسؤولون كفوا عن مثل هذه التصريحات حينما أخذت تثير العرب في وقت كانوا فيه أقلية ضئيلة وضعيفة بل وأعلنوا موافقتهم على ما جاء في كتاب شرشل الابيض بسبيل تسكين هياج العرب فان زعماء آخرين ظلوا يرددون ذلك في كل فرصة حتى انهم الفوا حزباً بين سمع الانكليز وبصرهم سموه « حزب الدولة اليهودية » وجعلوا من اهدافه شمول الدولة المذكورة شرق الاردن وغربه معا ، وكان يشترك في انتخابات المجالس اليهودية ويبعث بمندوبيه

---

(١) مما كان ينشره اليهود في هذه الاونة بسبيل الدعاية وبسبيل التعبير عن نياتهم نحو الحرم الشريف صور للحرم ومساجده وعليها الرموز الصهيونية والكتابات العبرانية كما ترى في الصورة التي أثبتناها امام هذه الصحيفة .

اليها . وهذا فضلا عن تصريحات يهودية عديدة بمطامع اليهود في جميع الساحة التي تقع بين الفرات والاردن وبهتافهم للعرب بأن يقوضوا خيامهم من فلسطين ويرحلوا إلى الصحراء وبطبعهم خريطة الدولة اليهودية الكبرى ونشرها في كتبهم وتعليقها في بيوتهم ومؤسساتهم منذ ذلك الوقت .

سوء نية الانكليز منذ البدء

●

وسوء نية الانكليز نحو العرب كان منذ البدء ايضا ، حيث كان تصريح بلفور منصبا على اعتبار اليهود هم الاصل ، وحيث سموا العرب باسم الطوائف غير اليهودية مما يعيد إلى ذلك الادراك (١) وفعلوا مثل هذا في صك الانتداب حيث لم يذكروا العرب وعبروا عنهم بالطوائف الاخرى .

وقصة صك الانتداب (٢) نفسه تدل على ان الانكليز كانوا منسجمين كل الانسجام في القضية الصهيونية واهدافها على المدى الواسع الرهيب الذي كان اليهود يترسمونه ويهدفون اليه . فالصك قد كان في اصله المنهج الذي وضعه وقدمه زعماء اليهود بعد صدور تصريح بلفور والذي تفاهموا مع الحكومة الانكليزية على السير عليه ، فلما تقرر إنتداب انكلترا رسميا على فلسطين في نيسان عام ١٩٢٢ كان هذا المنهج هو الذي قدمته الحكومة الانكليزية ليكون صك الانتداب كما ورد ذلك بصراحة في تقرير لجنة التحقيق الملكية سنة ١٩٣٧ . (٣)

---

(١) هذا نص التصريح وهو موجه الى اللورد روتشلد : « يسرني جداً ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضا والارتياح الى المشروع الذي يراد به انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل خير مساعيها لتحقيق هذا الغرض . وليكن معلوماً انه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الاخرى وبمركزهم السياسي .

(٢) جعلنا الصك من ملاحق الكتاب رقم (١)

(٣) هذا نص ما جاء في التقرير :

« وفي الثالث من شباط سنة ١٩١٩ عرضت الجمعية الصهيونية صورة قرار يتضمن المشروع الذي وضعته لتنفيذ مشروع بلفور وحضر زعماء هذه الجمعية امام المجلس الاعلى في جلسته المنعقدة في ٢٧ شباط وشرحوا الموضوع . ثم وضع المستر فيلكس فرانكفورتر وهو من الصهيونيين الاميركيين البارزين مشروعاً أكثر تفصيلاً من السابق في ٢٨ آذار . ومما يتضح من هذه الوثائق ومن الوثائق الاخرى أن المشروع الصهيوني قد اتخذ شكل صك الانتداب الذي نعرفه » .

والمادة الثانية منه تنص على مسؤولية الحكومة المنتدبة عن جعل البـلاد في احوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي .

والمادة الرابعة تخول الجمعية الصهيونية التي تحولت فيما بعد الى الوكالة اليهودية حق الشورى والمعاونة في ادارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي ومصالح اليهود ومشاركة الحكومة في ترقية مرافق البلاد كما تخولها الحصول على معونة جميع اليهود في انشاء الوطن القومي. والمادة السادسة أوجبت على الحكومة المنتدبة تسهيل هجرة اليهود وتنشيطها بالاتفاق مع الجمعية الصهيونية وتيسير استقرار اليهود في أراضي الدولة وفي الأراضي البور وهـذه الأراضي وتلك مما كان يزرعه وينتفع به العرب . والمادة السابعـة أوجبت على الحكومة سن قانون يسهل على اليهود الحصول على الجنسية الفلسطينية . والمـادة الحادية عشرة نصت على اتفاق الحكومة مع الجمعية الصهيونية على استثمار الأعمال والمصالح والمنافع العامة وترقية مرافق البلاد الطبيعية ، وأوجبت كـذلك وضع نظام للأراضي يتفق مع نتائج تشجيع وإكثار المهاجرين وإستغلال الأراضي أعظم ما يستطاع من استغلال .

وهكذا جعل المنهج الذي وضعه اليهود وقبلت به الحكومة الانكليزية كصك للانتداب وأخذت موافقة عصبة الأمم عليه وسارت في تطبيقه بكل حماس ونشاط وغيرة اليهود كل شيء في فلسطين ، وجعل الانتداب تابعاً للقضية اليهودية ومسؤولا عن تحقيق أهدافها وعن اشراك اليهود في جميع الأعمال والمشاريع بسبيـل ذلك . وليس من المعقول ان يكون الانكليز قد سمعوا كل تلك التفسيرات وقبلوا المنهج بحذافيره إلا وهم على بينة من الأمر وبالتالي إلا وقد صمموا على اتخاذ القضيـة الصهيونية وسيلة من وسائل السياسة التي ترسموها نحو العرب منذ البدء .

عدم الجدوى في الاستدراكات الموجودة في صك الانتداب

●

نقول هذا ونحن نعرف ان تصريح بلفور وبعض مواد صك الانتداب قـد احتوت نصاً بأن لا تضار حقوق ومركز الطوائف غير اليهودية . ولكن هذا إنما كان تخديراً وتعمية زائفة ومكشوفة على ما كان اليهود والانكليز منسجمين فيه، لأنه كان واضح الاستحالة منذ البدء حيث لم يكن اغبى الناس ليجهل ان في ذلك

تعارضاً وتناقضاً ، وان تكاثر عدد اليهود بالهجرة سيخل بمركز العرب السياسي، وان اختصاص الجمعية الصهيونية فالوكالة اليهودية بمشاركة الحكومة في أعمالها وتخويلها حق القيام بالمشاريع والمصالح والمرافق العامة المتنوعة بسبيل تقوية الوطن القومي ، وتسهيل استقرار اليهود في اراضي الحكومة التي ينتفع ويرتفق بها العرب والتي هي مجالهم الحيوي عاجلا وآجلا، وتسهيل انتقال الأراضي لليهود الذي سيضيق مجال الرزق والارتفاق على العرب وانسالهم ، كل ذلك من شأنه إيقاع الاضرار بمركز العرب وحقوقهم من جميع النواحي . يضاف إلى هذا ان صك الانتداب الذي بني على المادة (٢٢) من عهد جمعية الامم المعترفة مبدئياً باستقلال البلاد العربية المنسلخة عن الدولة العثمانية والقائلة بالانتداب الارشاد فحسب قد صيغ بقالب شاذ مناقض لهذه المادة ولصكوك انتداب سوريا ولبنان والعراق حيث لم يوجب على الحكومة الانكليزية إقامة حكم وطني تكون مرشده فيه وانما جعل حكومة فلسطين جزءاً من الانتداب او الحكومة المنتدبة ، ولم يكن منتدب ومنتدب عليه في فلسطين . وطبيعي انه قصد بهذا ان لا يكون حكم وطني لان العرب سيكونون فيه الاكثرية فلا يتحقق معه المنهج اليهودي الذي قبله الانكليز بحذافيره لاتساقه مع السياسة التي ترسموها كما ورد ذلك بصراحة في الكتاب الابيض الذي اصدره شرشل عام ١٩٢٢ .

التضليل والنفاق في صدد تعارض الالتزامات

●

ولهذا كان من السخرية البالغة بالحقائق المعروفة منذ الاصل ومن التضليل والنفاق اللذين هما طابع السياسة الانكليزية ان يعترف الانكليز في سنة ١٩٣٧ بأن السياسة التي التزموها في فلسطين متعارضة لا يمكن التوفيق بينها وذلك حينما قرروا تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في افضل اقسامها ، وان يكرروا اعترافهم بذلك في سنة ١٩٤٦ حينما ارادوا العودة إلى التقسيم الاتحادي وقرروا نسف الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ ثم في سنة ١٩٤٧ حينما رفعوا الامر إلى هيئة الامم المتحدة وهم متيقنون ان التقسيم هو الحل المحتوم ،ولاسيما ان هذه الاعترافات قد جاءت بعد ان نفذوا المنهج اليهودي بكل حماس واهملوا قيد مراعاة حقوق غير اليهود ومركزهم إهمالا لئيما ضاربين بصراخ العرب وشكاويهم واحتجاجاتهم وثوراتهم وبراهينهم

عرض الحائط .

الخطوات الاولى في فلسطين ومداها

●

ولقد قلنا ان الانكليز اخذوا في تنيفذ المنهج اليهودي بكل حماس وقوة منذ البدء . فقد فتحوا ابواب فلسطين للهجرة اليهودية منذ ان احتلوا موانئها ومدينة القدس وقبل ان يحتلوا سائرها ، واستقبلوا وايزمن وزعماء اليهود الآخرين بالحفاوة وسمحوا لهم باعلان آمالهم واهدافهم منذ وقت مبكر . ثم عينوا في سنة ١٩٢٠ هربرت صموئيل اليهودي الصهيوني مندوباً سامياً كبرهان على انهم متفقون مع اليهود على دمغ فلسطين بدمغة الحكم اليهودي منذ اول الحكم المدني فبرز هذا في صورة اول ملوك اليهود في فلسطين ، وكان وسيلة من وسائل اثارة عاطفة اليهود وحماسهم في مختلف انحاء الارض ولفت انظارهم وافكارهم الى فلسطين، وجعلهم يقنعون بأنها اصبحت تحت الحكم اليهودي ومطبوعة بالطابع اليهودي ليقبلوا على الهجرة اليها ومد يد المساعدة على تحقيق الاهداف الصهيونية فيها. وقد جاء الى فلسطين وهو مقتنع بأن مهمته إنشاء حكومة يهودية في فلسطين حيث صرح بهذا امام كبار موظفي الحكومة من الانكليز قائلا : « ان سياسة حكومة جلالته التي جاء لتطبيقها هي تشجيع اليهود الى ان تصبح السيطرة لهم على البلاد ويمكن انشاء حكومة يهودية » على ما جاء في مقال نشره الكولونيل بويهام من كبار موظفي حكومة فلسطين في عهد مندوبيته .

ومع ان المعروف ان صاحب هذا المنصب هو بمثابة وكيل الدولة المنتدبة او الوصية او الحامية لدى الدولة المنتدب عليها او المحمية فان هذا المعنى قد شذ في فلسطين حيث كان المندوب السامي بمثابة الحاكم العام ورئيس السلطات التشريعية والتنفيذية واحياناً كان يجمع إلى ذلك منصب القائد العام ، ولم يكن هناك دولة محمية او منتدب عليها .

الجهاز الاستعماري الصهيوني

●

ولقد اخذ هذا المندوب منذ وطئت قدماه فلسطين يسير في السياسة المرسومة، ويقيم جهازاً حكومياً علي اساس انه جهاز مستعمرة انكليزية تتهيأ ليستلم اليهود مقاليدها وتكون لهم المشاركة في هذه التهيئة أيضاً .

وقد أقيم على رأس كل دائرة من دوائر هذا الجهاز موظف انكليزي مسيحي او يهودي وعلى رأس كل مقاطعة حاكم انكليزي كما عين في كثير من الوظائف المهمة والقانونية في الدوائر المركزية ودوائر المقاطعات موظفون انكليز مسيحيون ويهود وموظفون يهود وغير يهود من غير الانكليز منهم الفلسطيني ومنهم غير الفلسطيني بحيث كان الجهاز وظل دائماً يبدو كالمرقعة من كثرة الالوان والبلدان والجنسيات ، وكان لليهود خاصة فيه نصيب الاسد حيث كان عددهم وظل يفوق نسبتهم اضعافاً مضاعفة ، وكان نصيب اكثر العرب وخاصة مسلميهم فيه الوظائف الثانوية والصغيرة ، وقد عين كثير من المسيحيين وخاصة البروتستانت في هذا الجهاز على غير سابق خدمة وخبرة كموظفين وتراجمة على اعتبار انهم يتواثقون مع السلطة الانكليزية والاهداف الانكليزية اكثر من غيرهم .

واعتبرت اللغات الانكليزية والعربية والعبرانية رسمية فأدى هذا الى تعيين عدد كبير من التراجمة والمساعدين والمستشارين الذين تضخم بهم الجهاز بما لا نسبة بينه وبين رقعة فلسطين وعدد سكانها . وكان هذا شأن قوى البوليس أيضاً التي كانت تتألف من انكليز ويهود وعرب والتي كان عليها مهام لم تكن لولا سياسة الوطن القومي التي كانت تحمل في طياتها مخاوف واحتمالات الاحتكاك والاصطدام دائماً .

ومع ان اليهود استقلوا منذ البدء بمدارسهم ومعارفهم فقد ابى هذا الجهاز الاستعماري الصهيوني ذلك على العرب فجعل أمر مدارس هؤلاء ومعارفهم الى رئيس ومساعدين انكليز مع بعض العرب المسلمين والمسيحيين ايضاً لضمان عدم تلقي النشء العربي تعليما وتربية غير متسقين مع الغاية التي يتوخاها كما هو المتبادر .

وقد انشيء ذراً للرماد في العيون مجلس سمي المجلس الاستشاري اعضاؤه خليط من انكليز وعرب ويهود وموظفين وغير موظفين ، وكانت اكثريته انكليزية يهودية ، واختير اعضاؤه العرب من الاسر البارزة التقليدية المضمون ولاؤهم او مسايرتهم فضلا عن تفاهة ما كان يعرض على هذا المجلس من شؤون وعن رأيه الاستشاري البحت فيها ، فكان في الحقيقة تكأة للجهاز اكثر منه ذا جدوى في مصالح البلد ومرافقها ، ولم يعمر مع هذا كله إلا مدة قصيرة حيث صار المجلس الاستشاري حكومياً وانكليزيا بحتا يتألف من رؤساء الدوائر الانكليز .

●

وأقيم على رأس هذا الجهاز مجلس تنفيذي كان يتألف في البدء من المندوب وثلاثة سكرتيرين هم السكرتير العام والسكرتير المالي والسكرتير القضائي ، وكان الاول يضطلع بشؤون الادارة والمقاطعات والثاني بالشؤون المالية والأقتصادية والثالث بالشؤون العدلية والقضائية التي كان من جملتها لمدة من الزمن الاشراف على المحاكم الشرعية ! . وقد وسد هذا المنصب الذي كان صاحبه المشرع لقوانين الدوله وفتاويها ايضاً الى بنتوش اليهودي الصهيوني الانكليزي الرعوية ، فتمكن يهوديان صهيونيان من رقبة فلسطين ادارياً وسياسياً وتشريعياً واقتصادياً وهما هربرت صموئيل وبنتويش هذابالاضافة الىهذا الجهازالاستعماري الذي كان اوغل في الصبغة اليهودية منه بالصبغة الانكليزية والذي لم يكن للعرب فيه على اي حال شأن مؤثر .

وتبدو خطورة هذين اليهوديين في هذا الجهازحينما يلاحظ ان المجلس التنفيذي قد ظل في عهديهما يتألف من اصحاب المناصب الاربعة المذكورة آنفاًوان اكثريته تكون آلياً في جانب اليهود حتى اذا حدّثت نفس الموظفَيْن الانكليز يَيْن الآخرين بالاعتراض والمخالفة في امر ما لأن صوت المندوب يرجح عند التساوي بصفته رئيساً .

ودارت هذه الادارة الاستعمارية اليهودية في طريقها المرسوم فكان من نتائج ذلك ان اتيحت الفرصة لليهود لتهيئة فلسطين ادارياً وسياسياً وتشريعياً واقتصادياً لانجاح انشاء الوطن القومي اكبر نجاح ممكن . وضمان النمو والقوة والرسوخ والوثوق للحركة الصهيونية . وفي عهد هذين اليهوديين وضعت الاسس الادارية والتشريعية والاجتماعية والاقتصادية التي ضمنت حياة واستمرار الحركة المذكورة التي كانت تترجح في الفضاء في سنواتها الاولى لولم يتاحا لها حيث لم تكن قدنالت بعد من تعضيد العالم اليهودي ما فيه الضمان الكافي ، وفي عهديهما اشترى اليهود أكبر صفقات الاراضي التي اشتروها بالاسعار الزهيدة وزالت معالم عشرات القرى العربية فيها وتشرد آلاف المزارعين عنها تحت سمع الانكليز وبصرهم. وفي عهديهما منح اليهود امتياز كهرباء عموم فلسطين وامتياز إستثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة وعشرين ملياراً من الجنيهات ، وأقطع اليهود اكثر اراضي الدولة،

ووضعت القوانين الحامية للصناعات اليهودية والمانحة لها الامتيازات والاعفاآت المتنوعة ، فنشأت صناعة يهودية قوية محمية لم تلبث ان تحكمت في اسواق فلسطين ، ثم ملأت اسواق البلاد العربية الاخرى وزاحمت صناعاتها المحلية او خنقتها .

ولقد ثارت مخاوف العرب من السياسة الصهيونية ـ الانكليزية من البدء لما لمحوه في ثناياها من الاخطار الفادحة على حركتهم وأهدافهم القومية ، فكان الانكليز كلما احتج العرب عليهم او اشتد غليانهم وانفجر مرجلهم داخل فلسطين وخارجها يعمدون الى التخدير والتضليل او الدس والتخذيل او القسوة والتنكيل واستغلال الفرص حسب ما تقتضيه الظروف ، ثم يظلون سائرين في تلك السياسة بنفس الحماس والقوة مما ينطوي على التصميم الحاسم، ويحاولون التغلب بسبب ذلك على كل صعب غير مبالين بمعنى من معاني الحق والحقيقة والوفاء والرأفة والشرف والعهد والعدل ، حتى تم للانكليز واليهود معاً ما أرادوه وقفز عدد اليهود من اقل من ستين ألفاً في عام ١٩١٨ الى اكثر من اربعماية في عام ١٩٣٦ و ٧٥٠ ألفاً في عام ١٩٤٧ ، وتملكوا المساحات الواسعة من اجود اراضي فلسطين وانشأوا مئات المصانع والمعامل وسيطروا على مرافق البلاد ونثروا مئات المستعمرات في مختلف انحاء فلسطين وفق خطة مرسومة ، واستمر العرب المزارعون يتشردون وحرم العمال العرب من كثير من موارد الرزق بل وكانوا يطردون بالقوة من ساحات العمل والرزق ، وامتلأت فلسطين بموظفي الانكليز وبوليسهم لانجاح الحركة وحمايتها الى ان تقف على رجليها، وبلغ مايجبى من الفرد في فلسطين من الضرائب المتنوعة ثلاثة اضعاف ما يجبى من الفرد في الشام والعراق ومصر واكثر ليمكن سد النفقات الباهظة التي اقتضتها تشكيلات فلسطين وبوليسها ، وجاءت فرصة الحرب العالمية الثانية فأتم اليهود بمساعدة الانكليز إستعدادهم بالتحصين والتدريب والتسلح الواسع الذي اذهل العرب وادهش العالم بمظاهره وآثاره .

ولقد احتج الملك حسين على تصريح بلفور حال ما علم به فهوّن الانكليز عليه شأنه وفسروه له تفسيراً مطمئناً ، فلما وضعت الحرب اوزارها وظهرت حقيقة التصريح استأنف احتجاجه وإنكاره فأنكروا ان فلسطين داخلة في الحدود التي اتفقوا عليها معه وفي العهود التي قطعوها له رغم ما في هذا الانكار من مكابرة وكذب على ما ذكرناه قبل . ثم اخذوا يلاحقونه ملاحقة مضنية وحاولوا استغلال

ظروف ضعفه وحاجته ولوحوا له بالفوائد المتنوعة بسبيل إقناعه بالاعتراف بانتدابهم على فلسطين الذي ينطوي فيه التصريح ، وكفه عن الالحاح والمطالبة بالوفاء ، فلما لم يضعف ويستجب اليهم خلوا بينه وبين ابن السعود ولم يتورعوا عن نبذه بلؤم ، وعن نسيان ما اسداه اليهم من مساعدات مادية ومعنوية وقطعوه له من عهود ووعود فكان في ذلك ضياع عرشه ومملكته .

الحركة الكفاحية الفلسطينية منذ البدء

●

ولم ين عرب فلسطين عن الاستنكار والاحتجاج والنضال وتحمل التضحيات الجسيمة في الاموال والارواح منذ ان عرفوا بتصريح بلفور ، لأنهم ادركوا ما ينطوي فيه من اخطار رهيبة . وقد سارعوا الى تشكيل جمعياتهم الوطنية المعروفة بالجمعيات الاسلامية المسيحية حيث اخذت على عاتقها رفع صوت العرب والاحتجاج والمطالبة بحقوقهم المشروعة في وطنهم والدفاع عنها . وكان عنوانها يطوى فيه تضامن العرب على اختلاف طوائفهم على الوقوف في وجه السياسة الانكليزية ـ الصهيونية والدفاع عن عروبة فلسطين ، وعدم عزلها عن قافلة العروبة العامة وحركتها القومية والنضال في هذا السبيل ، وظل هذا التضامن متجلياً في جميع ظروف النضال في فلسطين فكان مضرب المثل وموضع الاجلال . ولكن كل ما قام به عرب فلسطين وبذلوه تحطم على صخرة المؤامرة الانكليزية ــ اليهودية ضد الامة العربية وحركتها القومية .

المؤتمر الاول وميثاقه

●

وفي اوائل سنة ١٩١٩ قررت الجمعيات الاسلامية المسيحية عقد مؤتمر تتدارس فيه القضية وتضع ميثاقاً لنضالها ؛ وقد انعقد هذا المؤتمر في مدينة القدس ــ في البناية التي فيها اليوم مدرسة دار الايتام الاسلامية والتي كانت مركز الحكومة في العهد العثماني ــ وقد مثل كل مدينة وقضاء مندوبان ، وكان احد المندوبين في المدن والاقضية التي يكثر فيها المسيحيون مسيحياً وشهده جمهرة من رجالات فلسطين البارزين في ذلك الوقت منهم على ما وعته الذاكرة عارف باشا الدجاني ويعقوب فراج عن القدس والشيخ راغب الدجاني ويوسف العيسى عن يافا

والحاج سعيد الشوا ومحمد الصوراني عن غزة والشيخ فريح ابو مدين ورفيق له عن بئر السبع والشيخ عبد الله طهبوب ورفيق لـه عن الخليل وعزة دروزه وابراهيم القاسم عبد الهادي عن نابلس والشيخ سعيد الكرمي والشيخ عبد اللطيف الحاج ابراهيم عن طولكرم ونافع العبوشي وحيدر عبد الهادي عن جنين ويوسف زمريق واسكندر كزما عن بيسان وعبد الفتاح السعدي والشيخ ابراهيم العكي عن عكا والشيخ طاهر الطبري ومحمد العاقل عن طبريا والشيخ احمد النحوي ورفيق له عن صفد ورشيد الحاج ابراهيم واسكندر منسى عن حيفا ؛ وانعقد برئاسةعارف باشا الدجاني وسكرتيرية عزة دروزه ؛ وقرر فيما قرر ميثاقاً قومياً لفلسطين يتضمن رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والانتداب الانكليزي والمطالبة بوحدة فلسطين مع سورية والاستقلال التام ضمن الوحدة العربية وتسمية فلسطين باسم سورية الجنوبية توكيداً على كونها جزءاً طبيعياً من سورية ، وارسال وفد الى دمشق الشام ليشترك في نشاط العهد الفيصلي بسبيل تحقيق الميثاق ، وارسال وفد الى باريس للسعي في سبيل ذلك لدى مؤتمر السلم الأعلى الذي انعقد فيها وتبليغ الميثاق مدعوماً بالحجج الطبيعية والسياسية والتاريخية والوطنية الى دول الحلفاء التي كان يعد العرب الممثلين بالشريف الملك حسين منها .

وقد حاول الانكليز صرف المؤتمرين عن هذا الميثاق او تعديله بما يتفق مع سياستهم ومآربهم خشية ان يكون له تأثير ما في مصير فلسطين الذي لم يكن قد تقرر بعد رسمياً والذي كان موضع نشاد وتجاذب وغموض ، واستعانوا على اعضاء المؤتمر بحداد باشا الذي كان يمارس وظيفة مدير الأمن العام في العهد الفيصلي وكان من بطانة فيصل ، وكان في الوقت نفسه من اوليائهم ، ولما ابوا منعوا وفدهم من السفر الى دمشق .

امام لجنة الاستفتاء

●

وجاءت لجنة الاستفتاء الاميركية في نفس السنة فأجمع العرب تقريباً على هذا الميثاق رغم المحاولات الانكليزية المتنوعة؛ثم ذهب ممثلوهم إلى دمشق حيث اندمجوا في المؤتمر السوري وعملوا على دمج الميثاق في قراره الذي قدم الى اللجنة وعلى دمجه بعد ذلك في قرار اعلان الاستقلال وملكية فيصل في ٨ مارس ١٩٢٠



الوفد الفلسطيني العربي الأول الى لندن سنة ١٩٢١

الجالسان من اليمين موسى كاظم الحسيني والحاج توفيق حماد

والواقفون من اليمين ابراهيم شماس فشبلي الجمل فأمين التميمي فمعين الماضي

المؤتمر الثالث في حيفا عام ١٩٢٠

المؤتمر الرابع في القدس عام ١٩٢١



المؤتمر الخامس في نابلس عام ١٩٢٢

على ما فصلناه في الجزء الأول من كتاب حول الحركة العربية وحيث ظلوا مندمجين في نشاط العهد الفيصلي بسبيل توثيق الصلة بينه وبين هيئات فلسطين وأنديتها وحركة مقاومتها مما كان له أثر عظيم في استمرار نشاط أهل فلسطين وقوة أملهم وروحهم وحيويتهم ، حيث كانت أنديتهم تعج بالنشاط القومي وحفلاتهم ومواسمهم تبدو قوية صاخبة ومظاهراتهم تتوالى ، وحيث كان الانكليز واليهود معاً في قلق واضطراب من جراء ذلك .

الاصطدام الدموي الاول في القدس

●

وفي هذه الظروف كان أول احتكاك دموي في القدس أثناء موسم النبي موسى في ربيع عام ١٩٢٠ ، حيث انقلبت زفّات الموسم الى مظاهرات وطنية تهتف ضد الانكليز واليهود ، واعتدى بعض العرب على بعض اليهود فكان اشتباك دموي بين العرب من جهة والبوليس واليهود من جهة اخرى وإن ظل محدود النطاق ضئيل النتيجة وقد كان موسى كاظم الحسيني رئيساً لبلدية القدس إذ ذاك فمرت المظاهرة بالبلدية فحياها وخطب فيها متحمساً فكان نصيبه الاقالة من الرئاسة . وقد اتهم الحاج أمين الحسيني وعارف العارف وكانا من الشبان النشيطين في الحركة بالتحريض وحكم عليهما بالسجن الطويل غير أنهما كانا قد غادرا فلسطين إلى شرق الاردن فدمشق . وفي هذه الظروف كذلك بدت بعض حركات مسلحة في منطقة سمخ والحدود السورية الفلسطينية دبرها بعض الذين كانوا في دمشق من رجال فلسطين بسبيل الكفاح المسلح ضد المؤامرة ، غير أنها لم يكتب لها نجاح واستمرار لان ظروف دمشق السيئة التي انتهت بانهيار العهد الفيصلي كانت قد أخذت تشتد وتتلاحق دراكاً .

تجدد الحركة في مؤتمر حيفا

●

ومع ان انهيار هذا العهد كان صدمة أليمة لفلسطين لانه جعل اهلها يقفون وحدهم أمام الانكليز واليهود وييأسون من تضامن واندماج عربي عام في القريب العاجل فانهم ما لبثوا بعد قليل من الركود أن استأنفوا نشاطهم ، فعقدوا مؤتمرهم

الثالث (١) في حيفا عام ١٩٢٠ برئاسة موسى كاظم الحسيني ، وقد قرروا فيه الاستمرار في السير على الميثاق المقرر مع تعديل طفيف وهو المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لمواصلة السعي . كانت مؤلفة على ما وعته الذاكرة من موسى كاظم الحسيني رئيساً والحاج توفيق حماد والشيخ سلمان التاجي وعارف الدجاني وعمر البيطار ويعقوب فراج والفرد روك وآخرين لم نعد نتذكرهم وقد اتصلت هذه اللجنة بشرشل الذي جاء إلى القاهرة والقدس لحل مشاكل الشرق العربي فلم يكن لهذا الاتصال نتيجة حيث حاول شرشل تخديرهم بالتطمين الكاذب والمغالطة والاستهتار .

ثورة يافا

●

وفي هذه السنة اندلعت الثورة في يافا ، وكانت ثورة عنيفة وواسعة بعض الشيء بلغ عدد قتلاها وجرحاها مئتين أكثرهم من اليهود وامتدت الى بعض المستعمرات الواقعة في منطقتي يافا وطولكرم . وقد عين الانكليز لجنة للتحقيق في أسباب الثورة وظروفها وهي المعروفة بلجنة هايكرافت وكان هذا يمارس وظيفة قاضي القضاة . ومع أن تقرير اللجنة احتوى حقائق هائلة من مطالب اليهود ومزاعمهم كشفت عن النية التي يبيتونها لفلسطين واهلها بصراحة تامة ورهيبة وقد نقلنا بعضها في مناسبة سابقة ، وكشف ذلك الغطاء عن سبب ثورة العرب الحقيقي وهو استياؤهم من وعد بلفور والهجرة اليهودية ومزاحمة اليهود لهم في وطنهم ومحاباة الانكليز لهم في مختلف المصالح والمرافق محاباة تامة تدل على أنهم منسجمون في حركتهم كل الانسجام فانهم كابروا في صحة مخاوف العرب واستمروا في سياستهم المرسومة .

الوفد الفلسطيني الأول

●

وعقد العرب مؤتمرهم الرابع في السنة نفسها في القدس برئاسة موسى كاظم الحسيني شهده زهاء مئة مندوب من مختلف أقضية فلسطين فقرر توكيد الميثاق

«١» كانت الجمعيات قررت عقد مؤتمر ثان فمنعته السلطات لأسباب تتصل بالأمن العام فاعتبر هو المؤتمر الثاني في سلسلة المؤتمرات الفلسطينية الوطنية .

القومي المعدل وإرسال وفد الى لندن لينشر شكوى بني قومه ويطالب بحقهم الشرعي في وطنهم العربي وكان برئاسة موسى كاظم الحسيني ومعه كل من الحاج توفيق حماد وامين التميمي ومعين الماضي وشبلي الجمل وابراهيم شماس ، ومكث يقوم بمهمته نحو سنة . ومع ما ظهر من قوة قضية الوفد وحججها وحقائقها بحيث اثارت عطف بعض الأوساط الانكليزية وحملت مجلس اللوردات على اتخاذ قرار يوصي الحكومة باعادة النظر في سياستها فان هذه الحكومة لم تر ان ترعوي ، وحملت مجلس العموم على إقرار هذه السياسة الباغية . وقال شرشل وزير المستعمرات للوفد بصراحة إن إنشاء حكم وطني باكثرية عربية سيحول دون تنفيذ العهد المعطى لليهود وإنه ليس هناك بسبب هذا شيء يقال له حكومة وطنية في برنامج الحكومة الانكليزية ، فسجل بذلك ان واجب الانكليز هو تنفيذ السياسة اليهودية وان هذه السياسة ستكون مانعاً ابداً لنيل العرب حقوقهم واستقلالهم ، وقد كابر شرشل في شمول عهود الملك حسين التي كانت من اقوى حجج الوفد وزعم عدم شمولها ، فرجع الوفد خائباً يحمل في ذهنه انطباعات التصميم على السياسة المرسومة لفلسطين ضد الحركة العربية واهدافها .

الكتاب الأبيض لسنة ١٩٢٢ ومداه وعدم جدواه

●

وكل ما فعلته الحكومة ان اصدر شرشل كتابه الأبيض لسنة ١٩٢٢ (١) حاول فيه ان يفسر الوطن القومي ومداه بسبيل التخفيف من مخاوف العرب فكان مما جاء فيه بصدد ذلك « ان حكومة جلالته تلفت النظر إلى الواقع بأن احكام تصريح بلفور لا ترمي إلى تحويل فلسطين برمتها إلى وطن قومي لليهود وإنما انشاء وطن لهم فيها وان الهجرة اليهودية التي تمكن اليهود من زيادة عددهم لا يجوز ان تكون كبيرة الى درجة تزيد عن مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب مهاجرين جدد ، ولا ان يكون المهاجرون عبئاً على اهل فلسطين وسبباً لحرمان اي طبقة من سكانها من عملها ، وان الوطن القومي لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهل فلسطين اجمالا وكل ما يعنيه ان يصبح لليهود في فلسطين مركز يكون موضع

«١» جعلنا هذا الكتاب ملحقاً برقم «٢» لانه وثيقة تاريخية مهمة .

اهتمامهم وفخرهم من الوجهتين الدينية والقومية ، وان التصريح إذا فهم على هذه الصورة لا يتضمن أمراً يوجب تخوف سكان فلسطين العرب » .

وقد اورد تشرشل كتوكيد لما يقوله وتنويه بحسن نواياااليهود نحوالعرب قراراً كان المؤتمر الصهيوني المنعقد في سنة ١٩٢١ في كارلسباد قرره واعلنه وجاء فيـه « ان الشعب اليهودي عقد النية على ان يعيش مع الشعب العربي باتحاد واحترام متبادلين وان يسعيا معاً لجعل هذا الوطن زاهراً بحيث يضمن تجديدهالرقي القومي لكل من الشعبين بسلام » .

على ان تشرشل لم يفعل شيئاً بكتابه ولم يزل اي غموض عن مدى التصريح كما لم يزل شيئاً من مخاوف العرب فالادارة الاستعمارية الانكليزية التي سميت حكومة فلسطين لم تخلص قط من السير وفق ما رسمه الكتاب الابيض وقد استمرت الهجرة بعد البيان فوق الاستيعاب المزعوم ، والمزارعون العرب شردوا عن اراضيهم التي كانوا يزرعونها ويعيشون فيها الاجيال العديدة لأن مالكيها من غير الفلسطينيين قد باعوها ولم تفعل السلطات شيئاً بسبيل حمايتهم ، والعمال العرب حرموا بالقوة والمزاحمة من موارد رزقهم وعملهم ، وقوانين الحكومـة كانت تسن في صالح الصناعة اليهودية والهجرة اليهودية والاستثمار اليهودي ودوائر الحكومة امتلأت باليهود ومصالح اليهود ونموهم ونجاحهم كان هو المعني به في الدرجة الاولى من قبل دوائر الحكومة الرئيسية والثانوية ؛ واليهود ظلوا يدأبون في توطيد اقدامهم وترديد نواياهم الرهيبة دون خوف وتردد . وحينما قرر الأنكليز تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ وانشاء دولة يهودية فيها لم يرو بأساً بان يكون ٧٠٪ مـن املاكها من املاك العرب وأن تفرض الرعوية اليهودية على العرب الذين كانوا نحو ٤٥ ٪ من سكانها ! ومما سجلته لجنة التحقيق الملكية في تقريرها عام ١٩٣٧ الذي اقترحت فيه هذا التقسيم يفهم ان تشرشل نفسه لم يكن جاداً فيما قاله في كتابه الابيض المذكور حيث شهد امامها انه لم يكن القصد من تفسيره للوطن القومي الحيلولة دون إقامة دولة يهودية .. وهكذا ظل الخداع والمراوغة بسبيل تنفيذ السياسة المرسومة ضد العرب يطبع اقوال وافعال الحكومة الانكليزية ويدل على ان هذه السياسة قد رسمت عن عمد وبينة وتصميم .

اما قرار المؤتمر الصهيوني الذي اراد تشرشل ان يدعم به كلامه المضلل الخادع

فقصد المراوغة والتضليل فيه ظاهر صيغة ومفهوماً ولا سيما إنه صدر في وقت كان اليهود فيه في فلسطين كالغثاء ضعفاً وقلة .

دسائس اليهود بين العرب

●

ومما جرى مما يتصل بالوفد أن اليهود استطاعوا أن يحملوا بعض المارقين والمأجورين على الابراق إلى لندن بعدم تمثيل الوفد لعرب فلسطين كافة وبوجود فريق من العرب راض عن الوطن القومي ومقتنع بفائدته . وكان هذا أول صوت شاذ علني على الميثاق القومي . ومن بين هؤلاء زعماء نفسوا على الأسرة الحسينية تزعمها للحركة الوطنية في شخص شيخها موسى كاظم . غير أن المندوب الانكليزي اليهودي هربرت صموئيل لم يسعه إلا أن يقرر الحقيقة لحكومة لندن ويقول إن الوفد يمثل الأكثرية الكبرى لعرب فلسطين فأخفقت الحركة اليهودية .

وعلى ذكر مساعي اليهود مع بعض المائعين والطامعين ومرضى القلوب نقول انهم اهتموا منذ البدء للتقرب للعرب والدعاية بينهم بسبيل تخفيف مفهوم هدفهم ومداه أو تضليل العرب عنه زاعمين لهم أنهم إنما يريدون أن يعيشوا معهم بسلام ويتعاونوا معهم لصالح فلسطين وبلاد العرب وازدهارها وأنهم أبناء عم . ومن جملة ما فعلوه في هذا الباب دفعهم شخصاً اسمه كلفريسكي من يهود الجاعونة القدماء فتزعم حركة الدعاية بين العرب والدعوة إلى التعاون العربي اليهودي ؛ وقد جاء إلى دمشق في عهد فيصل واتصل برجالات فلسطين ، فلما أخفق أخذ يسعى مع بعض المائعين والطامعين والنكرات من العرب في فلسطين وألف الجمعية العربية اليهودية التي عرفت بالجمعية الكلفريسيكية وغذاها بالمال ؛ وكانت عدة لليهود في إبان قوة الحركة الوطنية ، يستكتبونها العرائض والشهادات التأييدية كلما دعت الحاجة إلى ذلك . على أن هذه الحركه ظلت محصورة بنطاق ضيق ، واندمغ المتورطون فيها بالخيانة ، ونبذوا وقوطعوا مقاطعة شديدة حتى لقد لبث بعضهم بضع سنين لا يلقون من يسلم عليهم أو يرد لهم السلام برغم انهم من أسر وجيهة ثم ما لبثت بعد سنتين أو ثلاث وحينما طرأ على الجبهة الوطنية ما طرأ من وهن وتفكك على ما سوف نذكره بعد أن تضاءل شأنها ونفض اليهود أيديهم منها لأنهم لم يعودوا في حاجة اليها على تفاهة ما أدته لهم من خدمة .

ونقول استطراداً إن اليهود حاولوا أن يمكروا بالأمير فيصل أيضاً . فقد ذهب وايزمن اليه في معسكر أبي اللثم في أوائل سنة ١٩١٨ حينما عرف فيصل خبر وعد بلفور واحتج عليه هو وأبوه وعرض عليه المشروع اليهودي عرضاً مضللا ونفى أي مأرب سياسي بعيد وأكد له براءة القصد اليهودي من الوعد الذي حصلوا عليه من بريطانية . ويزعم وايزمن في مذكراته أنه حصل على موافقة الأمير ورضائه . ثم استغلوا الحرج الذي كان فيه حينما ذهب في سنة ١٩١٩ إلى باريس لعرض قضية سورية على مجلس الأمن بسبب مناوأة فرنسة له فوسطوا لورانس في الحصول على موافقته على الوطن القومي اليهودي في فلسطين وكتب هذا كتاباً باللغة الانكليزية فيه عطف على أماني اليهود وترحيب بهجرتهم إلى فلسطين ووعد بالتعاون معهم ، وقال لفيصل إن هذا الكتاب يضمن له مساعدة اليهود في القضايا العربية عامة وفي قضية سورية خاصة . ويروى أن فيصل وقع الكتاب ولكنه كتب فوق توقيعه باللغة العربية أنه موافق على ما جاء فيه إذا تحققت وعود وعهود الحلفاء للعرب .

ولقد حاول اليهود أكثر من مرة فيما بعد التنويه بموافقة فيصل على مشروعهم وتفسيرهم لهذه الموافقة تفسيراً مضللا يتسق مع مآربهم حتى لقد ذكروا ذلك أمام لجنة شو البرلمانية التي جاءت للتحقيق في أسباب ثورة العراق التي كانت في صيف عام ١٩٢٩ . غير أن هذا المكر لم يكن له أثر في مجال الحق والحقيقة . ففيصل كان من دون ريب خالي الذهن من مآربهم البعيدة ، وكل ما يمكن أن يكون فهمه ان اليهود يريدون ان يجعلوا فلسطين ملجأ لمضطهديهم ومركزاً لنشاطهم الثقافي في ظل المملكة العربية المستقلة التي تكون فلسطين في نطاقها . على ان قرار المؤتمر السوري بيعة الملك فيصل في ٦ آذار ١٩٢٠ جاء حاسماً حيث تضمن القرار رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية وكان ذلك بموافقة ورضاء فيصل فجب ما قبله . ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة إن اللجنة التنفيذية العربية ابرقت في سنة ١٩٣٠ إلى الملك فيصل في العراق تخبره بما ذكره اليهود امام لجنة شو البرلمانية من خبر كتابه المعطى لهم بالموافقة على وعد بلفور فجاء جواب برقي من رئيس ديوانه يقول فيه ان مولاه لا يذكر انه اعطى مثل هذا الكتاب . ولم يذكر اليهود خبر الاتفاقية المزعومة بين وايزمن وفيصل حينما زاره في الجبهة وذكرها كان اهم واقوى في مجال الدعاية لو كانت صحيحة حقاً .

المؤتمر الخامس ومقاطعة المجلس التشريعي

●

ونعود إلى السياق فنقول ان العرب عقدوا حينما عاد وفدهم من لندن مؤتمرهم الخامس في نابلس في ربيع عام ١٩٢٢ وسط مظاهرة رائعة لأن الوفـــد جاء من رحلته رأساً إلى المؤتمر ، فاستمعوا إلى بياناته عن جهوده ومساعيه أثرت تأثـــيراً قوياً حتى إن مجلس اللوردات قرر وجوب الرجوع عن السياسة الصهيونية ، وأنه رجع وهو مقتنع بأن العرب إذا صبروا واستمروا على نضالهم وخاصة إذاقاطعوا المجلس التشريعي انفتح أمامهم أفق جديد وأمل جديد لأن السلطات ستعمد إلى هذا كتجربة من تجارب التخدير ، وأن هذا الذي رجع وهو مقتنع به قد سمعه من كثير من رجال السياسة والصحافة الانكليزية الذين كانوا يتظاهرون بالعطف على حركة العرب عطفاً شديداً ويشجعونهم على مناوأةالحركة اليهودية .

ونستطرد إلى القول إن هذا المشروع جزء من دستورسنته حكومة فلسطين التي يرأسها هربرت صموئيل في نطاق صك الانتداب القائم على تصريح بلفور وبأمر من الحكومة الانكليزيه . وقد حمله المندوب إلى لندن ليحاول بالتعـــاون مـــع الحكومة الانكليزية حمل الوفد العربي الذي كان في لندن على قبوله كخطوة ايجابية في سبيل تطمينهم على مصالحهم في الظاهر وكتوريط بارع لهم في الاندماج بالسياسة الصهيونية ـــ الانكليزية وصك الانتداب الذي انطوى عليها في الحقيقة . والدستور يتضمن الاشارة والاستناد الى هذا وذاك بصراحة ، وقد جعلت اكثريـــة المجلس التشريعي انكليزية يهودية . ولم يعط صلاحية ايجابية ما في الشـــؤون التشريعيـــة والمالية فضلا عن حظر اي بحث يتعلق بأسس السياسة الانكليزية القائمة على ذلك الصك البغيض عليه .

ولقد كانت العواطف الوطنية والروح الوطنية قوية جارفة إذا استثنينا بعض شذاذ معروفين اتخذهم الانكليز واليهود آلات تحريك وتشويش وتوهين ، فقرر مؤتمر نابلس على ضوء الايضاحات التي سمعها من الوفد بقوة هذه العواطف والروح مقاطعة المجلس التشريعي وعدم التعاون مع السلطات في تطبيق الدستور المفروض والاستمرار على سياسة المقاومة والنضال إلى النهاية ، وتعاهد اعضاؤه على ذلك بالأيمان القوية ، وانتخبوا لجنة تنفيذية لتنظيم حركة المقاطعة وبث روح النشاط والنضال في الأمة .

ولقد كتب النجاح الباهر للمقاطعة ، حيث تضامن العرب تضامناً رائعاً في تنفيذها أثار إعجاب البلاد والصحافة العربية ، بالرغم من محاولة اليهود والانكليز بالترهيب والترغيب وبالرغم عن حرص المندوب اليهودي خاصة على نجاحه حيث كان يرى في ذلك خطوة مهمة إلى تخفيف حدة مناوأة العرب لمشروع الوطن القومي الذي كان ما يزال خيالا وإشغالهم به على عدم جدواه . ولم يشذ عنها إلا أفراد معدودون لم يؤثروا على النتيجة وانسحب أكثرهم أخيراً ومنهم من كان في مركز او موقف يبعث على الاعتقاد ان المندوب واليهود وبعض موظفي الانكليز هم الدافعون لهم على هذا الشذوذ وان كان واحد منهم على الأقل شذ نتيجة لاجتهاده . ولم يسع السلطات إلا أن تعلن اخفاق الانتخابات وتعطل مواد الدستور التي تنص على وجود المجلس التشريعي .

ومما جرى ان الرأي العام قد سخط سخطاً شديداً على الشخص الذي شذ في قضاء نابلس وغدت حياته في خطر ، واتهم رئيس الجمعية الوطنية العربية التي كانت تدعى الجمعية الاسلامية المسيحية الحاج توفيق حماد وسكرتيرها عزة دروزة بتهمة التحريض الجنائي . ولكن الحاكم لم يجد ما يبرر المحاكمة . كذلك مما جرى وفيه دلالة على ما كان من موقف بعض موظفي الانكليز ان حاكم نابلس الانكليزي امر باعتقال فريق من الوطنيين وأعضاء الجمعية ومحاكمتهم لأنهم دعوا إلى مقاطعة عملية الاحصاء التي جرت تمهيداً لانتخابات المجلس وقد أهاج الاعتقال الشعب حتى قام بمظاهرة وأنقذ المعتقلين من يد البوليس . ولم تخف الأزمة إلا بعد إعلان السلطات انه لا صلة بين الاحصاء والانتخابات .

ولقد انتقد فيما بعد قرار المقاطعة ورأى المنتقدون ان العرب اضاعوا فرصة حسنة وغلوا في السلبية . ولكن هذا الانتقاد ككل انتقاد مماثل في الحركات النضالية وقد كان للدعاية اليهودية الانكليزية التي هدفت الى توهين مقاومة العرب وتفريق شملهم على ما نذكره بعد اثر في هذا الانتقاد كما ان بعض مرضى القلوب والأعصاب والوصوليين الذين اندمجوا في تلك الدعاية قاموا بدور غير يسير بسبيل ذلك . وإذا كان اندمج في الانتقاد بعض حسني النية فقد كان ذلك بتأثير التبدل الذي طرأ على الحركة الوطنية بعد اخفاق الانتخابات . ولقد كانت الروح الوطنية قوية جارفة كما كانت الحركة الصهيونية ضعيفة تافهة فكان هذا وذلك مما يجعل قبول المجلس مستحيلا كما هو ظاهر . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان

بعض المنتقدين والشاذين في المقاطعة ومنهم من شذ عن اجتهاد عدم صواب المقاطعة كانوا ممن شهدوا المؤتمر واشتركوا في إقرار المقاطعة واقسموا عليها ، ولم يبد منهم أي اعتراض عليها .

المجلس الاستشاري وفشله

●

وقد عمدت السلطات الى طريقة اخرى بسبيل توريط العرب في التعاون معها ضمن نطاق صك الانتداب والسياسة المنطوية فيه ، فألفت مجلساً استشارياً اعضاؤه معينون واكثريته انكليزية يهودية كذلك وليس له من الأمر شيء وعينت لعضويته عشرة من وجهاء العرب وابناء بيوتاتهم (١) . غير ان الحركة الوطنية القوية حملت اكثريتهم على الاستقالة فكان نصيب هذه المحاولة الاخفاق أيضاً ، حيث أعلنت السلطات عدولها عن هذه التجربة بسبب تلك الاستقالة ، وقد شذ عن الاستقالة اثنان من زعماء القدس فلم يكن لشذوذهما أثر ما في اعلان السلطات عدولها وكان هذا مما أثار السخرية والرثاء .

جد الانكليز ودسائسهم في محاربة الحركة الوطنية

●

ولم يقف العرب عند هذا الحد في الموقف السلبي ،فأخذوا يتحدثون في وجوب الامتناع عن دفع الضرائب ، بل كان هذا من المواضيع التي أقرت مبدئياً في المؤتمر السادس الذي انعقد بعد قليل في يافا عام ١٩٣٣ فكان من الطبيعي ان يثير حماس العرب وموقف التحدي الذي وقفوه بتعطيل مشاريع السلطات وما يمكن ان يكون لما تحدثوا فيه من امر الامتناع عن الضرائب من اثر في شل حركة السلطات ، هذه السلطات التي كان يرأسها يهودي جاء لتنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية ، وان يجعل الانكليز انفسهم حتى من كان يشجع العرب على مصاولة اليهود يرون فيه احتمالات بعيدة المدى ضد السياسة الانكليزية والمصالح الانكليزية مباشرة ، ولم يكونوا ليهضموا ذلك مهما هضموا ان يناوىء العرب اليهود بعض المناوأة ، ولا

(١) وهم اسماعيل الحسيني وعارف الدجاني وراغب النشاشيبي ومحمود أبو خضرة وسليمان طوقان وعبد الفتاح السعدي وسليمان ناصيف والدكتور حبيب سالم والشيخ فريح ابو مدين على ما بقي في الذاكرة .

سيما انهم انما كانوا يهضمون ذلك ويشجعون عليه كاسلوب من اساليبهم الاستعمارية البارعة من تخويف العرب باليهود وتخويف اليهود بالعرب وقيامهم مقام الحامي العادل الذي لا بد منه في مثل هذه المصاولة بين الشعبين المتصاولين على وطن واحد، فلم يلبثوا ان اخذوا يدسون اصابعهم في صفوف العرب بقصد التوهين والتفريق.

الحزب الزراعي والحزب الوطني

●

ولم يلبث ان ظهر للميدان تشكيلتان عربيتان اولاهما الحزب الزراعي وثانيهما الحزب الوطني كان لهما اثر قوي في تفرق الصفوف وتوهين العزائم واضعاف الحركة الوطنية وبلبلتها واشغال الناس بتوافه الامور واغراق جهودهم وقواهم في الخصومات والمنازعات والخلافات الشخصية والمحلية امداً طويلا .

وقد كانت التشكيلة الاولى تحمل في باطنها فكرة التفريق بين المدينة والقرية والمدني والفلاح ، وتغذى بدعاية خبيثة تستهدف ايقاظ الريبة وسوء الظن في الفلاح نحو المدني ، وكون هذا يضطهد ذاك ويحتقره ويستغله ، وتحمل في ظاهرها الرغبة في الدفاع عن حقوق الفلاح وتحسين حالته والعناية بالقرية مما له وقع دعائي جميل في اوساط القرى بطبيعة الحال .

وقد لمست ايدي موظفي الحكومة من انكليز وعرب في هذه الحركة وشوهدت مشاهد واتصالات متنوعة بينهم وبين القائمين بهذا الحزب من متنوري القرويين وبارزيهم ومتحركيهم وطامعيهم كشفت الستار عن بواعث هذه الحركة ومقاصدها والموجه الأصلي لها .

وكانت هذه الحركة اقوى ما تكون في لواء نابلس لان هذا اللواء كان يبدو الاشد والاعنف في الحركة الوطنية وفي حركة المقاطعة حينئذ .

وجاء وقت اخذت تنتشر فيه نغمة الفلاح والمدني والافندي فتثير جواً ساماً وتحدث توتراً وانفراجاً بين كتلتي العرب ، وبالتالي اخذت تبدو تباشير الغرض الاصلي الذي توخاه الانكليز من هذه التشكيلة . ولم يترك اليهود التشكيلة وشأنها، فقد رأوا فيها مجالا للدس واللعب والنفوذ الى ضمائر الطامعين من المشتغلين فيها، فنشطوا هم ايضاً في مجالها ، وشاهد النبهاء من القرويين مشاهد اتصال بين بعض

رجال الحزب واليهود كما لمسوا آثار الهدايا والرشاوى التي كان يقدمها هؤلاء لأولئك فلم يلبثوا ان تبينوا الخطر الذي يكمن في هذه الحركة والذي لم يكن بادياً للسواد في اتصالات اولئك الرجال بموظفي الحكومة، على اعتبار ان الحكومة مرجع الناس في شؤونهم ولا سيما ان الحكومة غـــذت الحركة ببعض تحسينات عمرانية وثقافية وان رأوا ما اخذت الحركة تسير فيه من اتجاهات خبيثة فتعاونوا مـــع الجمعيات الوطنية العربية تعاوناً وثيقاً انتهى بتضاؤل شأن هذه التشكيلة كتشكيلة رسمية ، غير انها ظلت تعمل عملها كفكرة في القاء الوهم وسوء الظن بين القروي والمدني كما ظل اثرها يظهر حيناً بعد حين وظل موظفو الحكومة يتعاهدونهـــا بالتحريض والتوجيه مدة غير يسيرة اخرى .

كلايتون واصبعه

●

اما الحزب الوطني فقد ظهر على المسرح حزباً سياسياً خالصاً ليشتغل في القضية السياسية ، وظهر كحزب معارض للسياسة السلبية التي سارت عليها المؤتمرات والجمعيات الوطنية . ولقد لمست يد الانكليز في هذا الحزب قوية حيث لعب كلايتن دوراً هاماً في ظهوره على ما اعترف به بعض اعضائه . وقد كان لهذا الانكليزي خبرة بالعرب وكان قضى زمناً في مصر ألمّ فيه باللغة العربية ، فأتي به الى فلسطين ليشغل منصب السكرتير العام الذي كان بمثابة رئيس وزراء ووزير داخليـــة ، وليعالج نشاط الحركة العربية فيها بحكمته وخبرته . فكانت اتصالات بينه وبـــين الوصوليين البارزين من العرب وشجعهم على البروز على المسرح بخطة إيجابية تقوم على اساس « خذ وطالب » ومناهم بما يمكن ان يصلوا اليه من هذا الطريق مـــن المركز والمكانة من جهة وأغراهم من جهة اخرى بأن هذا انفع للقضية العربية حيث ييسر للعرب أن ينالوا شيئاً ويتدرجوا منه الى مـــا هو اوسع . وقد كان الذين اتصل بهم ممن لم يرضوا في قرارة نفوسهم عن مقاطعة المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري ولكنهم لم يجرأوا على معارضة التيار الجارف ، وممن كانوا من ناحية اخرى ناقمين من بروز منافسيهم المحليين في الحركة الوطنية وممن كانت مصالحهم العائلية تدفعهم الى الوقوف في موقف يضمن لهم هذه المصالح ، ورأوا أن هذا يتحقق في جانب الحكومة من ناحية اخرى فتشجعوا واقدموا على تشكيل الحزب .

ولقد اشترك فيه رؤساء بلديات واعضاء لجان حكومية واعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض وجهاء ومتحركين يمتون اليهم من جهة ويطمعون في البروز والنفوذ عن طريق الحزب من جهة اخرى . واشترك فيه كذلك بعض اشخاص كانوا مندمجين في الحركة الوطنية بل وبارزين في مؤتمراتها ولجانها التنفيذية ثم نقموا وشذوا استجابة لداعي الانانية والهوى والاغراء . وقد اشترك في الحزب بعض ذوي النيات الحسنة من ضعاف الاعصاب الذين ظنوا في الخطة الجديدة نفعاً وأملوا في الانكليز صدقاً وبراً . وقد ظهر الحزب على اثر مؤتمر اجتمع فيه هذه الفئات برآسة الشيخ سليمان التاجي الذي كان يمين مقاطعة الدستور والمجلس التشريعي والنضال الذي اقسمه مؤتمر نابلس من وضعه ، وسمي بالمؤتمر الوطني .

مدى ظهور الحزب الوطني

●

ولقد كان ظهور هذا الحزب خرقاً رسمياً لصفوف الحركة الوطنية لم يكن متوقعاً ولا سيما ان هذه الحركه كانت قوية جارفة بسبب ما اصابته من نجاح في موقف التحدي الذي تحدت به السلطات . فكان لظهوره في هذه الآونة رد فعل شديد ساعد كثيراً على نجاح الدعاية ضده وحصره في نطاق ضيق من ضعاف الاعصاب او الصلابة الوطنية .

ومما ساعد على غمز الحزب ونجاح الدعاية ضده ما كان لكثير من رجاله من صلات بالحكومة اولا ولبعضهم من صلات باليهود ثانياً . وقد كان لهؤلاء الرجال مواقف عديدة في مساوقة الحكومة والسير في توجيهاتها ومناوأة الحركة الوطنية كما كان لبعضهم يد بارزة في السمسرة وبيوع الاراضي لليهود تسمح بالقول ان تلك الدعاية لم تكن جزافاً . ولقد ذهب وفد منه للسلام على الملك حسين في عمان فلقي اهانة شديدة من الناس حتى انه رشق بالبيض والبندورة في اسواق عمان بتأثير ما كان من دعاية ضده وكدليل على ما كان من رد فعل سيء لظهوره منشقاً على الجبهة الوطنية .

وظهور الحزب كحزب معارض ينطوي على صورة شاذة . فالمعارضة المعتادة هي التي تقوم لتعارض خطط الحكومة ولونها ومنهجها او لتعارض حزباً متساهلا

في حقوق الوطن ومسايراً للاجنبي فيها .

وقد كان هذا مما حمل عبئه المؤتمرات والجمعيات الوطنية واللجان التنفيذية فجاء هذا الحزب ليكون معارضاً لهذه المعارضة !

على أن الحزب لم يعمر طويلا كتشكيلة رسمية ، فالانكليز لم يبروا بما منوا ورجاله به من سياسة جديده لأنهم لم يكونوا يقصدون فيما شجعوا عليه الا التوهين الاضعاف ، ولم يلبث كلايتون ان غادر فاسطين بعد قليل من ظهوره . فكان هذا مما جعل كثيراً من الذين املوا الخير والنفع مـــن وراء الحزب يتريثون او يحجمون ، وبقي الحزب في نطاقه الضيق المغمور الذي حصرته فيه الدعاية الوطنية، بل وانسحب كثير ممن دخل فيه نتيجة للحملات والتهجم ، فلم يلبث ان أخذ بنيانه الرسمي يتداعى وشأنه يتضاءل إلى ان توارى عن المسرح بعد أمد غير طويل . ولكن الغاية التي توخاها الانكليز منه لم تخفق وفكرة المعارضة للجبهة الوطنيـــة المعارضة للسلطات والتي قام عليها الحزب لم تزل . فرجال الحكومة ظلوا متصلين برؤساء هذه التشكيلة كما ظلوا متصلين برؤساء تشكيلة الحزب الزراعي ، يبسمون لهم ويحققون لهم بعض المطالب والمنافع الخاصة والعائلية ، ويتمسكون بهم في المراكز الرسمية وشبه الرسمية التي كان كثير منهم فيها فظلوا بقوة هذا الاتصال وما يضمنه لهم من المنافع كتلا منفصلة عن الجبهة الوطنية دائبة على التجريح والتوهين والنقد . ومع أن هؤلاء قد ظلوا مطبوعين بطابع الوصولية ومغموزين بوطنيتهم واخلاصهم في الجملة ، ومع ان السواد ظل في جانب الجبهة الوطنية فان ما كان من دسائس ودعايات، وما لعبته الاوشاج والانساب والعصبيات والمنافسات المحلية من ادوار قد ساعد كثيراً على تحقيق شيء غير قليل من تلك الغاية وعلى طروء شيء غير يسير من الفتور والوهن على الحركة الوطنية ونشاطها .

حول المجلس الاسلامي

●

وقد كان وجود مؤسسة المجلس الاسلامي عاملا قوياً في هذه النتيجة المؤسفة . فقد وجد المعارضون فيها ميدان نشاط لم يتسنّ لهم في مجال القضية السياسية بسبب عدم برّ الانكليز بما وعدوا به من سياسة جديدة اولاً وبسبب ما كان ينطوي عليه موقفهم ضد الحركة الوطنية مباشرة من بشاعة ظاهرة ثانياً . ولا سيما انهم كانوا

يدعون الاخلاص للوطن وقضيته ؛ وكانوا يتظاهرون ضد الحركة الصهيونية والسياسة الصهيونية ، وكان كثير منهم مخلصاً في تظاهره هذا.

فرئيس المجلس وذووه وأنصاره كانوا من البارزين في الجبهة الوطنية وقد ساعدتهم هذه المؤسسة كثيراً على توطيد مكانتهم واعتبارهم فرأى منافسوهم وهم أركان المعارضة في العمل على نقد المجلس وتجريح أعماله متسعاً للتشفي ووسيلة للاحراج والازعاج وكانوا يقولون إنهم إنما يعارضون استغلال رئيس المجلس وذويه وأسرته للحركة الوطنية . ومما يجب قيده هنا أن رئيس المجلس وذويه لم يندمجوا في الجبهة الوطنية بعد إنشاء المجلس بل كانوا من العاملين النشيطين فيها قبله أيضاً ، وأن منافسيهم ومعارضيهم وخاصة العائليين كانوا ضالعين مع السلطات وكانوا يقفون مواقف لا تتسق مع الاهداف الوطنية وقرارات المؤتمرات ولا مع الرأي العام قبل ذلك أيضاً وحينما تظاهر موسى كاظم الحسيني بشعوره الوطني وأقالته الحكومة عينت مكانه قطباً من أقطابهم وهو راغب النشاشيبي زعيم الاسرة النشاشيبية المنافسة للاسرة الحسينية ، فكان هذا التعيين إيذاناً بحرب التنافس بين الاسرتين وأعوانهما أثارت نارها أو زادت سعيرها اليد الانكليزية عن قصد وبينة من دون ريب بسبيل ما كانت تتوخاه وتهيء له الفرص من توهين في صفوف العرب ومقاومتهم الوطنية . ولقد ظلت هذه اليد تحرص على بقاء هذه الحرب قائمة وكان رئيس الاسرة النشاشيبية خاصة مندمجاً في هدا الحرص لمصلحة ذاته ومركزه وأسرته حتى إن الحاج أمين الحسيني ليروي عنه قوله له في معرض المزاح إن من العبث انتظار الانسجام والتوافق بينهما حتى ولو أرادهما هو لان الانكليز لا يريدونها . وكان هذا المزاح ينطوي على نصيب كبير من الحقيقة . ولقد حاول زعماء عديدون فلسطينيون وغير فلسطينيين إزالة هذا التنافس وحمل الفريقين وأنصارهما على الانسجام فكانت المحاولات تذهب عبثاً مما فيه مصداق لهذه الحقيقة . ولقد كان من مجالات هذا التنافس منصبا إفتاء القدس ورئاسة المجلس الاسلامي حيث رشح الحسينيون الحاج أمين الحسيني أخا المفتي السابق ورشح النشاشيبيون الشيخ حسام الدين جار الله لكلا المنصبين . وقد جرى انتخاب الافتاء قبل فكانت درجة الحاج أمين أقل من درجة الشيخ حسام ومع ذلك فقد اختار المندوب السامي هربرت صموئيل الاول دون الثاني للمنصب ، وكان ذلك بعد تعيين راغب النشاشيبي للبلدية وقبل نشوء المجلس الاسلامي فكان هذا الاختيار من عوامل نجاح الحاج أمين في انتخابات المجلس وفوزه بالرئاسة كما كان

موضع انتقاد ومثار غيظ في نفوس خصومه .

ولقد نشبت ثورة يافا عام ١٩٢١ قبيل هذا الاختيار فهاجت الافكار وكان الوطن القومي ما يزال خيالا ، وكان المندوب السامي حريصاً على تهدئة الوطنيين الذين كان يرأسهم موسى كاظم الحسيني ، وكان ذووه من الناشطين في الحركة الوطنية ، فكان مما قيل إن المندوب جنح إلى هذا الاختيار بالرغم من درجة الحاج أمين المتأخرة نتيجة لمساعي الحسينيين الذين طعنوا في الانتخابات وترضية للحركة الوطنية التي كان هؤلاء يتزعمونها . ولم يستبعد الملاحظون أن يكون فيما قيل شيء من الحقيقه ، فالتقاليد العائلية الدينية كانت تدفع الاسر التي لها مناصب دينية إلى الحرص الشديد على الاحتفاظ بهذه المناصب جيلا بعد جيل بالرغم عن تفاهة المرتب في أغلب الاحيان لانها ترى فيها شرفاً للاسرة حتى أن هناك اسراً تحتفظ بمناصبها منذ قرون عديدة ، وحتى كان ابن صاحب المنصب المتوفى يتلقب بلقب المنصب ويستوفي مرتبه ولو كان طفلا وينصب عنه وكيل إلى أن يرشد ويتأهل للمنصب أو يتخلى عنه . وكان منصب الافتاء في الاسرة الحسينية خلال مدة غير قصيره ، ولم يكن الحاج أمين من رجال الدين وكان متطربشاً فلم يكد أخوه المفتي الشيخ كامل ينتقل إلى رحمة الله حتى لبس العمامة وأطلق اللحية إستعداداً للاحتفاظ بهذا المنصب التقليدي المهم في أمرته . ولعل المندوب قصد كذلك بهذا الاختيار إستبقاء التنافس بين اسرتي الحسينية والنشاشيبية حيث كان زعيم الاسرة الثانية رئيساً للبلدية ، وإشغالا للعرب كما وقع فعلا حيث لم يلبث أن صارت الحسينية والنشاشيبية علماً حزبياً لانصار كل من الاسرتين ومظهراً من مظاهر التنافس بينهم ومشغلة من مشاغلهم . ولعل المندوب اراد فيما اراد تقييد الحاج امين بقيود المنصب الذي كانت خزينة الدولة تدفع نصف مرتبه على حساب ما يدخلها من رسوم المحاكم الشرعية ، ولا سيما إنه كان قبل هذا المنصب جم النشاط حتى إنه كان من قواد المظاهرات التي وقع فيها صدام دموي عام ١٩٢٠ في القدس والتي عرفت بثورة القدس الاولى والتي اقيل بسببها موسى كاظم فطورد وحكم عليه غيابياً بالسجن خمس عشرة سنة وظل متغيبا عن فلسطين إلى ان التمس له العفو من المندوب فاستجاب هذا وعفا عنه وعن عارف العارف رفيقه في قيادة الثورة والحكم . ومع ان المندوب هو الذي عين الحاج امين كذلك رئيسا للمجلس الاسلامي في سنة ١٩٢٢ فقد كان في هذه المرة صاحب الاصوات جميعاً تقريبا . ومهما يكن من امر

فقد تحقق بعض الشيء مما اراده المندوب من تقييد الحاج امين بقيود المنصبين حيث جعله يداري بعض المداراة وإن لم يتخل عن الحركة الوطنية واهدافها مناصـــرة وتحريكا وظل الامر كذلك إلى عام ١٩٣٦ حيث قاد هذه الحركة جهاراً فكان من نتيجة ذلك ان اقالته الحكومة من رئاسة المجلس عام ١٩٣٧ لانها لم تعد ترى بقاءه فيها متسقا مع ما كانت تتوخاه غير مبالية بكونه إنما جاء إلى هـــذا المنصب بانتخاب المسلمين .

ولقد وجدت السلطات التي تمثل السياسة الانكليزية اليهودية معا في الاتجـــاه الذي اتجه اليه المعارضون متنفسا لتحقيق اغراضها من التوهين وصرف وجهةالعرب واندفاعاتهم المحتملة إلى غير وجهتها الطبيعية على اعتبار ان اكثرية العرب العظمى مسلمون وان حركة المقاومة والنضال تقوم بهم فشجعت المعارضين والمنـافسين في خطتهم واتجاهم ، فأخذ التيار يقوى ويعمل عمله ، واخذت الانظار تتجه إلى المجلس الاسلامي واعماله وتشكيلاته وموازنته الخ ، ولقد كان في كيان المجلس ما ساعد المعارضين والسلطات على ما انتهجوه من خطة وعملوا على تحريكه من انظاروتيار ، ولقد كانت فكرة المجلس حينما طرات على افكار بعض رجال المسلمين بسيطـــة تهدف إلى ان يتولى المسلمون شؤون اوقافهم ومؤسساتهم الدينية ورأىالمندوبانه قد يكون في هذا تهدئة لنفوس المسلمين الذين هم اكثرية العرب الساحقة وامارةغير ذات خطر من امارات المساواة والعدل بين الطوائف التي كانت تتـــولى تلك الشؤون في زمن الدولة العثمانية ، ونزولا في الحقيقة بالمسلمين إلى مستوى الطائفةالتي كانت طابع الاقليات ،فشجع عليهاوترك لرجال المسلمين ان يضعوا القانون الذي يريدونه لها ، وكان ذلك في حياة المفتي السابق . فوضع قانون فيه انتفاخ يـــكاد يجعل المجلس بمثابة حكومة إسلامية يستطيع المسلمون ان يطمئنوا به رغباتهموعاداتهم الخاصة والعامة والنفسية والدينية في ما منحه للمسلمين من حق الاشراف والتدقيق والتشريع والانتخاب العام الواسع والاجتماعات والمداولات البرلمانية من جهةوفي ما كان له من ميزانية ومؤسسات ومحاكم ومدارس ووسوم وضرائب من جهـة ثانية . وقد انبثقت في نفس رئيس المجلس رغبة في التوسع في المظاهر والدعايـــة والاتصالات والمراسم الداخلية والخارجية توسعا يتساوق مع المفهوم الآنف الذكر ، وكان حرمان العرب من الحكم دافعا لهم إلى الاتجاه نحو المجلس والتلهي به وتعليق اوسع الآمال عليه كاستجابة ايجابية إلى تلك الرغبة ، فكان في كل هذا مثارغيرة

وحسد ومنافسة وسخط ورضاء وحرمان ونوال ومنح ومنع استغل أقوى استغلال من جانب السلطات والمعارضين معاً ، حتى جاء وقت كاد المسلمون ينسون فيه الحكومة وملايينها ودوائرها وآلاف موظفيها وقوانينها ومدارسها وضرائبها وما في ذلك من مدى واسع وحقوق ضائعة وتصرفات شاذة مجحفة ، لتنحصر أنظارهم في المجلس يدققون في أعماله وتصرفاته ومشاريعه وينبشون عن كل صغيرة وكبيرة فيه وتحدق عيونهم في العشرات المحدودة من آلاف جنيهاته والعشرات المحدودة من موظفيه والساحة الضيقة التافهة من أعماله الانشائية والمادية ، ويقومون بالاسفار والرحلات ويعقدون الاجتماعات ويؤلفون الجبهات في صدد ذلك كله ، ويجدون في هذا تطميناً لرغبة الحكم وفشاً لشهوة النقد اللذين حرموهما .

المجلسية والمعارضة

●

ومنهم من كان يظن أن المجلس يجب أن يتسع لكل راغب في عمل ولكل مشروع ، وما دام المجلس بمثابة حكومة إسلامية فليكن لهذه الحكومة جبهة مؤيدة تدعى « المجلسية » وجبهة معارضة تشتغل بالنقد والتجريح وتعداد العيوب وتطالب بالاصلاح تدعى « المعارضة » ، وقد كان الامر كذلك ، وكانت اكثرية الجبهة الاولى من الجبهة الوطنية وأكثرية الجبهة الثانية من الجبهة المعارضة الاولى ، وانقلبت مفهومات الامور مرة اخرى حتى صارت هذه المعارضة عنواناً لمعارضة المجلس بدلا من أن تبقى عنواناً لمعارضة الحركة الوطنية كما كانت في الاصل والهدف وظلت كذلك في الحقيقة والواقع ، وصارت تسمية « المجلسية » أو كادت تصير عنواناً للحركة الوطنية .

انتخابات المجلس الاسلامي وأثرها في ضعف الحركة الوطنية

●

ولقد كان من نتائج ذلك أن قويت المهاترات والمشادات وانقسم المسلمون إلى معسكرين متعادين مجلسي ومعارضي واندمج فيها الناس بتأثير ما اعتادته فلسطين وما لم تنقطع صلتها به من حزبية القيسية واليمنية ، ونسوا أو كادوا ينسون القضية الوطنية . وقد نتج عن هذا حركة انتخابات لاعضاء المجلس فاتسع الانقسام بين المسلمين اتساعا شديداً شأن الانتخابات في الشرق العربي ، وقد كانت الانتخابات

عامة شملت كل مسلم راشد في كل مدينة وقرية وقبيلة وفقا لقانون انتخاب المجلس النيابي العثماني . وهذا من انتفاخات قانون المجلس العجيبة ـ مع أنها كانت لانتخاب اربعة اعضاء مرتب الواحد منهم خمسون جنيها وحقيقة عملهم الاشراف على المؤسسات والتشكيلات الوقفية والاسلامية ضمن ميزانية حدودها خمسون الف جنيه ! فكانت هذه العمومية الانتخابية سببا في اتساع مدى التنافس بين المسلمين ، وسببا في استغراقهم فيها جميعا وانجرافهم في تيارها دون استثناء ، وكان لرئيس المجلس وانصاره مرشحون وكان امامهم مرشحون آخرون من المعارضين الاصليين وغيرهم ولعبت العصبيات المحلية دورها الطبيعي فتساندت الجبهات تبعا لذلك دون مبالاة بالصيغة الوطنية . وقد املت ظروف العصبية على فريق من المعارضين الاصليين فناصروا مرشحي المجلس وتساندوا مع المجلسيين كما املت هذه الظروف على فريق من الوطنيين المخلصين البارزين في الجبهة الوطنية فناصروا غير هؤلاء المرشحين وتساندوا مع المعارضين الاصليين بالرغم مما كانوا يوجهونه إلى وطنيتهم من غمز وتجريح . وهكذا كان في فلسطين سنة ١٩٢٥ منظر كريه بائس ومحزن ومؤسف معا اختلط فيه الحابل بالنابل وتساند فيه المخلص مع المغموز ، وفسدت فيه المقاييس وانحطت الاذواق والاخلاق وضاع المنطق والاذعان ، وتوطدت اكثر من اي وقت الحزبية الشخصية والمحلية العمياء حتى صارت هي الناظمة لصلات الناس ، وحق معنى الكلمة المأثورة في مثل هذه الفتن الاهلية وكون قاتلها ومقتولها في النار على الجميع ، ثم لم يظفر احد بما اراد لان محكمة العدل الانكليزية حكمت ببطلان الانتخابات لاسباب خرجت عن إمكان التلافي ، فأقامت السلطات على انقاض ما حطمته هذه الحركة من أخلاق وقلوب وجهاد ومبادىء وكرامة مجلسا تعاهد المجلسيون على رفضه اولا ثم قبلوا به حينما راوا ان اكثريته في جانبهم ، وحرمته من بعض الصلاحيات التي كانت للمجلس المنتخب ، ولم يظفر في هذه المعركة غيرها لانها حققت غرضها في هذا التحطيم واوهنت قوى الامة وكادت تضمن عدم قيام اي حركة ضدها ، وخرج المعارضون من هذه المعركة اكثر بروزاً وشمولا لان طبيعة الانتخاب يسرت ان يكون لها مناصرون في كل مكان بقطع النظر عن التفاوت في الكثرة والقلة والقوة والضعف .

وقد كانت الرغبة التي قلنا انها انبثت في نفس رئيس المجلس في التوسع والمظاهر والمراسم قائمة على اجتهاده بان تقوية كيان وبنيان المجلس وجعله ملاذاً

للمسلمين تقوية لروح الامة مع ان الذي حصل هو عكس ذلك ، لانها كانت محركة للغيرة والحسد والحركات المتنوعة التي نجمت بين المسلمين واوهنت قواهم وشغلتهم عن قضية الوطن الكبرى فضلا عن الاضطرار إلى مداراة الانكليز في سبيل ذلك وهذا ما أراده الانكليز منذ الاصل في جملة ما أرادوه ، وكان من نتائج هذا اتساع الحوصلة عند أكثر الناس لمداراة الانكليز مع بقاء الصفة الوطنية مع المدارين بل وتصدر كثير منهم في الحركه الوطنية ما داموا ضد الحركة اليهودية ، حتى لقد قلت مرة لرئيس المجلس في أثناء الاستعراض ما طرأ على الحركة الوطنية وصفوف العرب من وهن : ليت المجلس لم يكن ، لانه كان سبباً من أسباب اتجاه المسلمين إلى هذا الكيان وانشغالهم به وبذل قواهم ونشاطهم وتعكيرهم حوله ، كما كان سبباً من اسباب تستر مرضى القلوب بمعارضته بسبيل معارضة الحركة الوطنية ، وانه لو لم يكن لكان الموالون للانكليز واليهود او النفعيون وجدوا وجها اوجه امام الناس بحقائقهم ولما وجدوا ستاراً يتسترون وراءه بعض التستر او كله ولكان في الحركه وطنيون صرفاً وغير وطنيين صرفا ، ولبذل النشيطون من المجلسيين المخلصين جهودهم واموالهم التي بذلوها في المشادات والمكافحات الحزبية في سبيل القضية الكبرى ، ولما اضطرت المعد لهضم اشياء كثيرة لا تهضم مما ادى إلى ضعف الثقة وانكسار النفوس وخفوت صوت الضمير الوطني والاخلاقي وسيادة الاعتبارات الشخصية والسياسة الحزبية المحلية وتحكمها والاصطدام بها والاندحار امامها في كثير من المواقف .

ولقد كانت الحكومة حينما عينت اعضاء المجلس وعدت بتعديل قانونه وقالت ان حالة المجلس الراهنة هي موقتة إلى ان يتم ذلك التعديل ثم عينت لجنة من الحقوقيين الشرعيين والمدنيين المسلمين لذلك برئاسة رئيس المجلس الذي لم يتناوله التعيين لانه لم يتناوله الانتخاب . وقد لبثت اللجنة شهوراً طويلة في مهمتها محاولة ان تجعل القانون اكثر مرونة تطبيقية من جهة واوسع شمولا من حيث العمل من جهة وتخليص انتخاباته من تلك العمومية من جهة ، وكان يعتور اجتماعها فتور وتباعد بسبب ما بدا من رغبات واعتبارات شخصية ، وقد اضطرت اخيراً إلى مسايرة بعض هذه الرغبات والاعتبارات حتى انتهت مهمتها وارسلت مشروعها إلى الحكومة . غير انه نام عند هذه نوما عميقا لم يستفق منه ، مما جعل

الملاحظين يشعرون انها تفضل بقاء الحالة التي انتهى اليها المجلس لانها اكثر تمكينا لها من الهيمنة عليه وعلى اعضائه الذين يدينون لها بفضل التعيين واكثر تقييداً له ، ولم يشتد الالحاح على الحكومة في امره تحاشيا من مزعجات الانتخابات ومكروهاتها .

ومن المقاييس التي تبدلت خلال هذه المنافسات والمهاترات والتفكك ونتيجة لها منذ نجومها مفهوم الصفة الوطنية في فلسطين ، ففي غير فلسطين لا يمكن ان يتسق معنى الوطنية إلا بالوقوف من المستعمر المتسلط موقف النضال والعداء الصريح ، وقد كان الامر كذلك في فلسطين ايضا في السنوات الاربع الاولى اي قبل طروء الوهن والانشقاق على الجبهة الوطنية مع استثناء ضيق النطاق، ثم صار يستساغ بنطاق اوسع ان تبقى تلك الصلة على من يساير الانكليز ويتصل بهم بصلة من الصلات ويتعاون معهم في الوظائف واللجان الرسمية وشبه الرسمية والأجورة والفخرية ويعقد معهم اواصر الصداقة الصحيحة او التظاهرية ويخدم اغراضهم ويروج مطالبهم ، بل وصار يستساغ ان يكون له شأن في الحركة الوطنية إذا ما كان مناوئاً لليهود والحركة اليهودية . وهكذا نشأ في فلسطين ونتيجة لبلواها المزدوجة بالانكليز واليهود من جهة لما حل في حركتها الوطنية من ضعف من جهة اخرى ما يمكن ان يسمى بالوطنية الثنائية او الخنثوية عادت على الحركة الوطنية واحداثها باضرار متنوعة .

ومع ان الحالة تبدلت نوعاً ما منذ سنة ١٩٣٦ وهي سنة الاضراب الطويل والثورة الكبرى واللجنة العربية العليا فقد ظلت آثارها قائمة وكانت دائما مثار تشاد والم بين المشتغلين في الحركة الوطنية .

وكما كان للانكليز اليد الطولى في ما حل في صفوف العرب من وهن وتفكك فقد كان لهم يد في هذه الحالة ايضا . فقد طبقوا في قضية فلسطين سياستهم التقليدية النفاقية من حيث قيام اناس منهم يظهرون عطفا على الحركات والمطالب الوطنية ليظل هناك اعتقاد بان الانكليز ليسوا اردياء وان منهم من يرى الحق حقا والباطل باطلا ولو في سياسة حكومته ويسعى في إحقاق الحق واحباط الباطل ، فيظل هناك امل في إمكان التفاهم والاقناع وتبديل الخطط السياسية ولا تقف الامة المنكوبة بهم صفا واحدا موقف العداء الصريح لهم او يبقى فيها من لا يجنح إلى

هذا الموقف على الأقل . على ان الانكليز الذين اظهروا شيئاً مـن العطف على قضية العرب في فلسطين أو شجعوا على الحركة بسببها انما استهدفوا توجيـه الحركة في وجهة مناهضة اليهود فقط ، وإذا كان منهم من فعل هذا بدافع الكره الطبيعي في البشر لليهود فلا شك ان جمهرة الذين فعلوه من رجالاتهم وموظفيهم قد فعلوه لصالح السياسة البريطانية العليا التي كانت تهدف الى استغلال كل مـن اليهود والعرب وتخويف كل منهم بالآخر . ولقد نجحوا في هذا التوجيه نجاحاً غير يسير وخلال مدة غير قصيرة ، فجعلوا كثيراً من رجال العرب بل ومن زعمائهم وبارزيهم وطيبيهم يسيرون فيه ، منهم من فعل هذا مسايرة وطمعاً في الجـاه والمنصب والمنفعة والرعاية ، ومنهم من فعله لأنه اقل تعريضاً للخطر وأقل عناء ، ومنهم من فعله ظناً بان الأمة لا تطيق أن تحارب عدوين كل منهما قوي خبيث وبأن الخطر اليهودي أسرع وأشد خطورة ، وبأن المصلحة تقضي بتكثيف الجهود ضده ، ومنهم من كون موقفه من هذه المعاني الواردة كلها ، ومنهم من انساق في التيار انسياقاً . . ولم يستبينوا الرشد والحقيقة الناصعة التي تتمثل في التلازم والتساوق التامين بين السياسة البريطانية والسياسة الصهيونية إلى ابعد المدى الا متأخرين .

ولقد دام ذلك المنظر البغيض أمداً غير قصير في افق فلسطين وكان من نتيجته أن وهنت القوى وفترت العزائم وان كان الناس ينسون كفاحهم حتى ضد الحركة اليهودية الذي كان المسلمون والنصارى على اختلاف اهوائهم وميولهم متطابقين فيه . ولو لم يكن اليهود في هذه الفترة يقاسون ازمة اقتصادية خانقة حملت كثيراً من المهاجرين على النزوح من فلسطين واضطرت اليهود الى تعطيل كثير مـن مشاريعهم وترك مساحات غيره يسيرة من اراضيهم بوراً لكانوا جنوا فيها أعظم الثمرات وخطوا خطوات سريعة وواسعة نحو هدفهم منذ ذلك الحين على انهم قد جنوا كثيراً وخاصة باستسناح مرضى القلوب والاخلاق والوطنية والمروءة مـن العرب فرصة الفتور والوهن واندفاعهم في تيار السمسرة وبيع الاراضي لليهود دون ما حرج ولا خوف ولا تجريح ، حتى كاد يستسيغ ذلك بعض المعروفين من الوطنيين النظاف وان يسقطوا هم الآخرون في هوته بل ومنهم من سقط فيهـا بشكل من الاشكال ، وحتى لقد تحسب بعض رجال الانكليز من مغبة ما يمكن ان يحاوله اليهود من استغلال لهذه الحالة بسبيل الاستعلاء والازعاج والخطوات

السريعة نحو غايتهم دون تقيد بالخطة الانكليزية ، وكان المندوب اليهودي قد انتهت مدته وخلفه مندوب انكليزي هو اللورد بلومر ، فحاولوا هزّ العرب وايقاظهم من السبات الذي غرقوا فيه والهوة التي سقطوا فيها ذاهلين محطمين على ما ظهر من اتصالات جرت بين نفر من الوطنيين وموظف انكليزي كبير ، حيث نقل بولس شحاده صاحب جريدة مرآة الشرق وكان من المنسجمين مع الانكليز عن لسان ميلز مساعد السكرتير العام وهو من الشخصيات الانكليزية اللامعة الذين يعملون للاستعمار الانكليزي وحسب، استعداد الحكومة للبحث مع نفر من الوطنيين العرب في صدد تعديل السياسة القائمة ، فتكون هذا النفر منه ومن رفيق التميمي وعزة دروزة وعمر الصالح البرغوتي ومعين الماضي ورشيد الحاج ابراهيم واجتمعوا مع ميلز أربع اجتماعات خلال اسبوع وكان ذلك في اواسط تموز من سنة ١٩٢٦ وقد جرى البحث حول الاسباب التي تمنع العرب مـــن التعاون مع الحكومة وخاصة فيما اخذته على عاتقها من انشاء الوطن القومي وما ينطوي فيه من تعارض لمصالح العرب واخطار لكيانهم وقالوا فيما قالوا ان التعاون المطلوب يتوقف على تعديل الدستور على الاقل بحيث يرفع منه كل نص يتصل بتصريح وعـــد بلفور ويدخل عليه نصوص تيسر قيام حكم وطني برلماني يشترك فيه الفلسطينيون بنسبة عددهم ويمهد لقيام كيان سياسي فلسطيني لم يقم الى الآن كما قام في امثال فلسطين من البلاد العربية وينتهي الى انهاء عهد الانتداب وابداله بمعاهدة على ما جرى في العراق . وكان ميلز اظهر في الجلسة الاولى استعداده للبحث الواسع واملـــه في الوصول الى نتيجة ، ورأى الجماعة هذا تطوراً عجيباً لان الحكومة الانكليزية لم تكن تقبل قط البحث في هذا الامر ، ودوّن ميلز مذكرة في ما دار جاءت غير صحيحة في التعبير فأرسل الجماعة تصحيحاً للوقائع كما ارسلوا مذكرة معدلة لمذكرته بسبيل التعديلات الدستورية وكانت مقترحاتهم متسامحة معتدلة لان الحالة الروحية وفتور الحركة الوطنية كانت تملي الرغبة في الحصول على شيء ما . وبعـــد قليل أرسل ميلز كتاباً اليهم يعطفه على المندوب السامي ويذكر فيه ان هذا نظـــر في المقترحات باهتمام كبير ولو ان بعضها لا يمكن قبوله واعتباره قابلا للأخذ والرد، وانه رأى على كل حال انه يحسن ان تقدم المقترحات المرغوب في تقديمها من قبل هيئة تمثيلية بينما يعرف انه ليس هناك هيئة تمثيلية [1] ، فكان الجواب وسيلة الى

(١) جملنا المذكرات وكتاب ميلز الاخير ملحقة برقم (٣)

الدعوة الى عقد المؤتمر السابع وحافزاً عليه ، حيث اذيع مع المذكرات المتبادلة واهيب بالامة ان تتناسى احقادها وتجدد نشاطها وحركتها ، ثم اخـذ الجماعة وغيرهم يعملون لتقريب وجهات النظر بسبيل ذلك .

المؤتمر السابع ولجنته التنفيذية

●

ولقد عقد هذا المؤتمر في حزيران سنة ١٩٢٧ بعد صعوبات ومتاعب مضنية حيث نجمت الخلافات حول الدعوة وكيف توجه وممن والى مـن توجه الخ . نتيجة ما كان من تفكك واندفاع في العصبية الحزبية ، واشترك فيه ممثلون لمختلف الفئات بقطع النظر عن السابقة والاخلاص بحيث دخله مخلصون مجاهدون كما دخله منافقون بل وسماسرة وباعة أراضي وجواسيس ، وكان اضعف مؤتمرات فلسطين من ناحية الحماس وقوة القرارات وشمولها ، وطابع النضال ، وكاد يسفر عـن المطالبة بحكومة وطنية في نظام الانتداب القائم لولا ان انتبه بعض الوطنيين الى مغبة ذلك فاقترحوا اتخاذ قرار بتأييد مقررات المؤتمرات السابقة وامكن اخذ الموافقة عليه . وقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية كثيرة العدد بلغ ثمانية واربعين لتتسع لتمثيل جميع الفئات والاقضية على اساس عضوين مسلمين عن كل قضاء واحد مجلسي وآخر معارض مع اضافة عدد معين من المسيحيين ، وكانت فعـلا ممثلة للفئات جميعها مجلسية ومعارضة ومخلصة ومنافقة وسماسرة وباعة اراضي وجواسيس ! وانتخب لها ثلاثة امناء سر واحد مجلسي وآخر معارض وثالث مسيحي ، فكان كل هذا مظهراً لمدى الانقسام الذي حل في صفوف المسلمين ومدى ما كسبته المعارضة التي شجع عليها الانكليز في الاصل من خطورة وما اصاب الجبهـة الوطنية من تضعضع وبالتالي ما اصاب الانكليز من نجاح عظيم في توجيهاتهم ودسائسهم وخططهم .

ولقد كان من نتيجة هذا ان غلب التفكك على اللجنة التنفيذية وان برز عليها طابع الشخصية والمحلية ، وان كان التنافس والمهاترات والمداورات تشتد في كثير مما تعقده من اجتماعات وتتناوله من ابحاث وتقرره من مقررات ، وخاصة إذا كان ذلك في صدد انتخابات او تعيينات او سياسات شخصية ومحلية او اتخاذ موقف حازم تجاه السلطات ، وان كانت مقرراتها تجري في نطاق من المرونة لا تتحمله

حوصلة الوطنية النضاليه مع استثناء في ذلك كانت تمليه الظروف العصيبة على اللجنة إملاء وإن لم تجعلها تتفلت من الحزبية المحلية والشخصية في حال . ولقد انحلت في النهاية انحلالا آلياً بدون قرار أو خلف نتيجة لتلك الحالة التي ظلت تتمرغ فيها بضع سنين .

وقبل الانتقال إلى ثورة البراق نريد أن نستطرد إلى مسألتين يرددهما بعض الناس . **أولاهما** ان الخلاف الحسيني النشاشيبي أو الخلاف بين زعماء فلسطين كان سبباً رئيسياً في إخناق الكفاح الوطني ضد الانكليز واليهود ونجاح الحركة اليهودية ومع أنه كان لهذا الخلاف أثر في وهن الحركة الكفاحية الوطنية على ما مر شرحه فإن وصفه بالسبب الرئيسي غير دقيق بل غير صحيح . فالحركة اليهودية إجمالا كانت هي الأخرى ضعيفة في ظروفه . ولم تبرز قوية خطيرة إلا في سنة **١٩٣٢** وبعدها وكان ذلك بتأثير ظروف خارجية وقد اشتد حينئذ كفاح العرب دون تأثر كبير بذلك الخلاف وسجلوا بكفاحهم نتائج إيجابية حاسمة على ما سوف نشرحه بعد . **وثانيتهما** ان عرب فلسطين هم الذين يسروا قيام الوطن القومي اليهودي بما باعوه لهم من أرض وظهر بينهم من سماسرة وخونة ومنحرفين. وفي هذا كذلك غلو كبير . فاليهود لم يكونوا ملكوا إلى سنة ١٩٤٧ أكثر من مليوني دونم أرض زراعية من أصل سبعة ملايين منها نحو (٤٠٠٠٠٠) ملكوها في عهد الدولة العثمانية من ملاك كبار فلسطينيين وغير فلسطينيين في منطقتي يافا وحيفا ونحو (٣٠٠٠٠٠) دونم أعطتهم إياها الحكومة من أملاك الدولة بالاجارة و (٨٠٠٠٠٠) اشتروها من ملاك غير فلسطينيين (١) ولم يبعهم عرب فلسطين طيلة مدة الانتداب الانكليزي (١٩١٧ ـ ١٩٤٧) إلا نحو نصف مليون . والبائعون ملاك وليسوا فلاحين . ولم يتجاوز عددهم الف شخص من مليون وربع ومهما كان من شر السماسرة والخونه فإنهم كانوا قلة تافهة ولم يكن من شأنهم أن يوصفوا بأنهم الذين أقاموا الوطن القومي الذي كان وراءه جهود جبارة وإمكانيات عظمى خارجية . ولقد جنح اليهود وحماتهم بعد قيام الدولة اليهودية إلى تركيز

---

(١) كان بعض القرى يستغرق في دين الاعشار فكانت الدولة العثمانية تبيعها بالمزاد ورفض أهل بعض القرى تسجيل قرام على أنفسهم خوفا من الجندية والضرائب فاعتبرتها الدولة العثمانية محلولة وباعتها بالمزاد . وبهذه الطريقة اشتراها ملاك من سورية ولبنان . وننبه على أن وضع مزارعي العرب في هذه القرى قبل بيعها لليهود لم يتبدل لأنهم ظلوا في بيوتهم وظلت أراضيها في مزارعتهم .

الدعاية ضد عرب فلسطين لاثارة كراهية العرب نحوهم لأنهم ظلوا رغم ما وقع عليهم من شدائد ومحن تلك الجبال وحرمان يفقد الشعور بالانسانية والكرامة وبؤس كافر أشد الأصوات ارتفاعاً وتصميما على الثأر والعودة واسترداد الوطن الشهيد . ونحسب أن هاتين المسألتين من جملة ما ركزت الدعايات الخبيثة فيهما حملاتها .

ثورة البراق ومبعثها وسيرها

●

وفي صيف عام ١٩٢٩ نشبت الثورة المعروفة بثورة البراق . والبراق يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف في القدس فيه باب جرت التقاليد الاسلامية على كونه الباب الذي دخل منه النبي في إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً الدابة المعروفة في هذه التقاليد بالبراق . وقد جرت تقاليد اليهود على اعتبار هذا الجدار بقية من هيكل سليمان وعلى تقديسه وإقامة بعض الشعائر الدينية والبكاء عنده وعرف بحائط المبكى من أجل ذلك.

ولقد أخذ اليهود منذ انتهت الحرب في التفكير والسعي في تثبيت حقوق واسعة لهم في هذا المكان عن طريق تغيير الحالة الراهنة التي كان عليها قبل الاحتلال او امتلاك منطقته كما صار شأنهم بالنسبة لجميع فلسطين ، وبدأوا خطوتهم الأولى منذ عام ١٩١٩ بما قدموه من عرائض رسمية ونشروه من مقالات خطيرة على ما ذكرناه في مناسبة سابقة ، ووصل أمر مطامعهم إلى نشر الصور لهيكل يهودي جديد مكان مسجد الصخرة ونشر هذا المسجد يعلوه العلم الصهيوني والكتابات العبرانية مما أثار هواجس المسلمين وجعلهم يتبينون مدى مطامع اليهود وتفكيرهم في وطنهم ومقدساتهم .

ومع أن الانكليز لم يشجعوهم في هذا الأمر لأنهم يعرفون حساسية المسائل الدينية وما يمكن أن تثيره من هياج لا ينحصر في فلسطين فإن اليهود استمروا في دعايتهم واستفزازهم حتى أنهم أخذوا يساومون على شراء المنطقة الوقفية الواسعة المحيطة بمحل البراق وحائط المبكى والموصلة اليه ويذكرون أرقاماً باهظة للاغراء(١)

---

(١) عرفت هذه المنطقة بوقف أبي مدين الذي هو من صلحاء المغاربة حيث كانت مدرسة فيها تعرف باسمه أيضاً ثم ظهر أنها في أصلها من أوقاف الملك الأفضل الايوبي على ما سوف نذكره بعد .

وقد فعلوا هذا حينما رأوا ما حل في العرب من فتور ووهن وتفكك . ولقد أغرتهم هذه الحال فأخذوا يتداعون كذلك إلى المطالبة بتملك ما زعموه من مكانهم الديني وحريتهم فيه ، حيث كانت هذه الحرية مقيدة بما كانت عليه قبل الاحتلال ولا تعدو اباحة وصولهم إلى الجدار وبكائهم وتلاوتهم الأدعية عنده وقوفاً . وأنشأوا جمعية تتفرغ لهذا الأمر أخذت تثير عواطف اليهود الدينية فكان من نتائج ذلك أن خطا اليهود في عيد غفران عام ١٩٢٨ خطوة جريئة حيث تجاوزوا المباح لهم فنفخوا بالصور ووضعوا المقاعد والستائر وتداعوا من كل أنحاء فلسطين وتدفقوا إلى الزيارة آلافاً مؤلفة بين مظاهر الحماس والزهو . فأثار هذا المسلمين وفي مقدمتهم رئيس المجلس الاسلامي ودعاهم إلى الاحتجاج والتذمر والاستعداد للدفاع عن مكانهو ملكهم الشرعي ومكانهم المقدس . وقد تدخلت السلطات ومنعت اليهود مما صنعوا وتلافت الخطر . وكان مما قام به المسلمون بسبيل الدفاع عن مكانهم وحقوقهم تشكيل جمعية باسم جمعية حراسة المسجد الأقصى أخذت على عاتقها تنبيه المسلمين إلى الخطر الذي يهدد أماكنهم المقدسة وبث الدعوة إلى الدفاع عنها في فلسطين وسائر البلاد الاسلامية . وقد اقتبسوا الفكرة من اليهود الذين كان لهم جمعية باسم « حراس المبكى » تهدف لتحقيق آمالهم في هذا المكان وما حوله . وتشكل للجمعية فروع في مدن فلسطين وعقدت مرة مؤتمراً كبيراً اشترك فيه رجال كثيرون من فلسطين وبلاد الشام الاخرى وتقرر فيه قرارات قوية في صدد عزم المسلمين على الدفاع عن أماكنهم المقدسة .

فلما كانت سنة ١٩٢٩ عاد اليهود يتداعون إلى الحماس ويتهيئون للمظاهرات والتحدي ويكتبون المقالات ويلقون الخطب المثيرة ، وأخذ المسلمون يتهيئون للوقوف مما يمكن أن يبدو من اليهود من جرأة وبغي موقف المقابلة والتأديب . وكان اليهود إذ ذاك يعقدون مؤتمرهم الصهيوني العام في زوريخ وأخذ ينتشر ما كان يجري فيه من أبحاث ويلقى فيه من خطب تدل على مطامع اليهود الواسعة والرهيبة سواء في صدد حائط المبكى أو في صدد فلسطين فكان ذلك مما زاد في الغليان وتوتر الاعصاب عند المسلمين واليهود على السواء .

وقام اليهود في أسبوع عيد الغفران في أواسط شهر اغستوس ١٩٢٩ بمظاهرة صاخبة قابلها المسلمون في الاسبوع التالي بمظاهرة أشد صخباً وحماساً . وأخذ الفريقان يتربصان ببعضهما وما لبثا أن اشتبكا في أحياء القدس وضواحيها ، ثم سرت

النار إلى يافا وما حولها من قرى ومستعمرات ثم إلى الخليل وصفد وغيرهما، واستمر التوتر والغليان نحو اسبوعين كانت الحالة في أولها شديدة الاضطرام . وقد تجاوز عدد الضحايا المئتي قتيل والستمئة جريح أكثرهم من اليهود وكانت أكثر اصابات العرب من البوليس . وقد فتك اليهود ببعض الأطفال والنساء حيث داهموهم في محلات منعزلة قريبة إلى محلاتهم .

وقد هزت الثورة العرب في خارج فلسطين فاحتج عاهلا الاردن والرياض وقامت المظاهرات الاحتجاجية والتضامنية في سوريا والعراق والاردن ، وأخذ عدد كبير من الاردنيين يتهيئون للزحف نحو فلسطين . وهزت عرب فلسطين كذلك هزاً شديداً فقامت المظاهرات الصاخبة وعقدت الاجتماعات في نابلس وغيرها وبدت مظاهر الحيوية والتضامن على اللجنة التنفيذية التي كان يتمثل فيها جميع الأهواء والأحزاب حيث نسيت عصبياتها الحزبية موقتاً ووقفت من السلطات موقفاً صلباً قوياً واستطاعت أن تكثف الجهود والأنظار حولها وأن تفرض نفسها وقراراتها مدة من الزمن عاد فيها شيء من مظاهر قوة الحركة الوطنية ومجدها الأول. وقد ساعدت ظروف الحادث وأثره على جمع تبرعات من فلسطين وبلاد العرب تعد كبيرة نوعاً في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية بالنسبة للسابق خاصة حيث بلغت نحو خمسة عشر الف جنيه فساعد ذلك على حيوية اللجنة التنفيذيه وما كانت تقتضيه ظروف الحركة وأحداث الثورة من شؤون ومطالب.

الكابتن كانغ

●

ومما حدث أن الثورة لم تكد تهدأ وتبدو الحيوية والتضامن على اللجنة التنفيذية والحركة الوطنية حتى هبط على فلسطين شخص انكليزي اسمه الكابتن كانغ ، ثم تقدم الى الهيئات العربية كرجل مناصر للعرب . وقد كان مثل دوراً مثل هذا مع الأمير عبد الكريم الخطابي أثناء ثورة الريف المغربي الكبرى ، ورددت الأنباء ذكره وصدى مناصرته لهذه الحركة . وقد تردد على المفتي وغيره من رجال فلسطين وأخذت الصحف تذكره وتثني عليه وعلى رجال الانكليز الأحرار الشرفاء بمناسبته وتذكر أنه ما زال في الشعب الانكليزي رجال صادقون ذوو ضمائر حية لا يقبلون الظلم يقع من حكومتهم ... وأقيمت له حفلات في القدس ، ثم أبدى رغبته في

زيارة المدن العربية المهمة فهيئت له رحلة الى نابلس وحيفا ويافا كان يقابل فيهـا بالحفاوة والتكريم ، وقد خطب في الحفلات التي أقيمت له خطباً حماسية نعى فيها سياسة حكومته ووصى العرب بالاتحاد والثبات في سبيل قضيتهم العادلة . وقـد لازمه فخري النشاشيبي في حله وترحاله ، مما أوحى للأذهان انه ارسل خصيصاً لخدمة الاسم الانكليزي عن طريق المبالغة في العطف والتظاهر لتظل قناعة الناس قائمة بوجود فريق في الانكليز مضاد للاستعمار ومناصر لقضايا الشعوب المنكوبة به، ويظل حسن الظن في الانكليزي موطداً .. وهذا المشهد من المشاهد التي تظهر من الانكليز في المناسبات المهمة حتى غدت تقليداً من تقاليدهم .

فيلبي ومشروعه

●

كذلك مما حدث من هذا الباب ان جون فيلبي الذي اظهر اسلامه وصار يسمى عبد الله هبط الى فلسطين في هذه الأثناء ايضاً . وجاء متكتما بعكس ذلك او بالأصح متظاهراً بالتكتم . وكان يحمل كتاباً لاحمد حلمي عبد الباقي من فارس الخوري حيث جاء اولا الى دمشق وتحدث مع هذا في قضية فلسطين ، واشعره انه جاء من لندن خصيصاً للتفكير في حل مناسب لها ، ووضع معه نصوصاً لتسوية القضيـة، واتى الى فلسطين في اواخر شهر تشرين الاول ١٩٢٩ يحمل هذه النصوص الـتي كانت مكتوبة باللغة العربية على ورقة مطبوع عليها إكليشة فارس الخوري وربما بخطه . وقد عقدت بضعة اجتماعات في بيت احمد حلمي شهدها الحاج امـين الحسيني وعزة دروزة وامين التميمي وعجاج نويهض لان فيلبي ظل يلح على ان تكون الاجتماعات مكتومة ضيقة النطاق . وقد ذكر انه من حزب العمال الـذي كان يتولى الحكم ، وانه اتصل ببعض اقطاب الحزب الذين لهم صلة بباسفيلد وزير المستعمرات فرأى منهم ميلا لحل قضية فلسطين على وجه مرض وكلفوه وهو في طريقه الى الحجاز ان يمر بفلسطين ويدرس الحالة، وانه قد خطر لباله ان توضـع قواعد لحل القضية لتعرض على الوزارة وتبذل الجهود في تمشيتها ، وكاد يشعرنا انه جاء خصيصاً وانه على صلة وثيقة بباسيفلد نفسه . وهذه النصوص التي جاء بها مكتوبة :

١ ــ تدار فلسطين بواسطة جمهورية دستورية .

٢ ـ يقوم بالتشريع مجلس نيابي منتخب باحدى طرق الانتخاب يمثل فيه العرب واليهود بنسبة عدد الساكنين منهم ولا يدخل الغائبون في تحديد النسبة ولا في التصويت .

٣ ـ القوة الاجرائية تقوم بها حكومة وطنية مسؤولة أمام المجلس النيابي . يمثل فيها العرب واليهود ايضاً .

٤ ـ يشرف المندوب السامي البريطاني على اعمال التشريع والتنفيذ ويكون له حق الاعتراض على كل قرار يناقض تعهد بريطانية في انتدابها على فلسطين من جهة حقوق الاقليات وحقوق الاجانب وعمران البلاد .

٥ ـ يحق للمندوب السامي ان ينصب مراقبين يعاونونه في تنفيذ مهمته .

٦ ـ يمنع الاجانب عن الهجرة الى فلسطين خصوصاً العرب واليهود . وانما يحق لحكومة فلسطين ان تحدد العدد المستطاع قبوله سنوياً بحسب استعداد البلاد الاقتصادي .

٧ ـ لا مانع من بقاء الوكالة اليهودية مرجعاً استشارياً في المصالح التي تعود لليهود ويحق للعرب ان ينشئوا وكالة مساوية لها في الحقوق لاجل مصالح العرب .

٨ ـ يبقى المندوب السامي مسؤولا عن الامن العام الى ان تصبح الحكومة الوطنية صالحة لتحمل المسؤولية ويتخلى عن فروعه تدريجاً .

٩ ـ يعاد النظر في شكل الادارة مرة كل خمس سنوات .

١٠ ـ اذا اصدرت حكومه بريطانية بياناً بهذه الامور فقد يكون صالحاً للتسوية .

وقد تلقينا الامر جداً واخذنا نبحث في القواعد تبديلا وتعديلا . وعلى ضوء الابحاث وضع فيلبي صيغة قال انها نهائية وانه سيبذل جهده لتمشيتها وهذا نصها :

١ ـ تدار فلسطين من الآن على اساس جمهوري دستوري ديموقراطي .

٢ ـ الهجرة الى فلسطين حرة وخصوصاً للعرب واليهود مع اعتبار مصالح البلاد وطاقتها الاقتصادية .

٣ ـ تكون السلطة التشريعية بكاملها في مجلس تمثيلي ينتخبه اشخاص ذوو

تابعية فلسطينية مقيمون في فلسطين ويؤلف هذا المجلس من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود بنسبة كل منهم .

٥ ــ السلطة التنفيذية تكون في مجلس وزراء فلسطيني مؤلف من عرب مسلمين ومسيحيين ويهود بموجب النسبة . ومجلس الوزراء يكون مسؤولا امام المجلس التمثيلي وينص نصاً كافياً على توظيف العرب واليهود في الوظائف العاليــة والثانوية مع اعتبار نسبتهم وكفاءاتهم .

٦ ــ يبقى المندوب السامي مسؤولا عــن الامن العام في البلاد الى ان تغدو حكومة فلسطين برأي عصبة الامم قادرة على القيام بهذا العبء وتكون القوات المسلحة في البلاد تحت إمرته مباشرة على ان يكون لحكومة فلسطين حق تأليف قوات بوليسية لاغراض الادارة المحلية مؤلفة من عرب ويهود بحسب نسبتهم .

٧ ــ يكون للمندوب السامي بالنيابة عن عصبة الامم حق الرد «الفيتو» بشأن أي قانون أو قرار يصدر من المجلس التنفيذي أو مجلس الوزراء ولا يكون متفقاً مع الالتزامات الدولية الموكول للحكومة البريطانية رعايتها ، أو يكون مجحفــاً بحقوق الاقليات والأجانب أو منافياً لمصلحة البلاد وأمنها وازدهارها . على ان يكون لحكومة فلسطين حق رفع الامر الى عصبة الامم للفصل فيه .

٨ ــ تظل الوكالة اليهودية معترفاً بها هيئة عامة لها حق المشورة والمعونــة في جميع الشؤون التي تمس مصالح اليهود في فلسطين . ويكون للطوائف الاسلامية والمسيحية حق تأليف وكالة مماثلة في الصفة والصلاحية .

٩ ــ تأخذ حكومة فلسطين على عاتقها جميع المسؤولية من جهة الديون والمعاهدات الدولية المعقودة باسمها .

١٠ ــ هذه المواد خاضعة للمراجعة والتنقيح من قبل مجلس عصبة الامم في كل خمس سنين ولا يجري عليها تبديل اساسي الا بموافقة ذلك المجلس .

وقد نقلنا الصيغتين بنصيهما لانهما لم تنشرا قبل كما ان الحادث لم يعرف الا في دائرة ضيقة جداً وظل كذلك للآن . والصيغتان تقومان على اساس واحد وإن كانت الصيغة الثانية أحسن من ناحية الحكم الوطني كما هو واضح . وعلى كل حال

فالمواد مستلهمة من روح حالة الوهن التي طرأت على الحركة الوطنية والتي أملت على المؤتمـــر السابع قراره بالاكتفاء بالمطالبة بالحكم الوطني كطلب ايجابي على ما ذكرناه سابقاً ، ولا سيما ان العرب كانوا يعدون قيام حكم وطني خطوة تطورية كبيرة لأن الحكومة الانكليزية كانت قــد سدت هذا الباب في وجههم باعتباره معرقلا لتنفيذ سياسة الوطن القومي على ما جاء في كتاب تشرشل الابيض سنة ١٩٢٢ مما ذكرناه سابقاً . وقد كان الوطن القومي إلى هذا الوقت يجر نفسه جراً وكانت التبرعات التي ترد على الوكالة ضئيلة كما كان عددالمهاجرين بالرغم عن مختلف الحيل والاساليب لا يزيدسنوياًعن معدل سبعة آلاف ، وكان ينزح في بعض السنين عدد اكثر من الواردين ولم يكن عدد اليهود يزيد عن مئة وخمسين الفاً ، حتى لقد قيل ان المنظمات اليهودية إنما اثارت قضية البراق بسبيل تحريك حماس يهود العالم ولفت نظرهم الى فلسطين بسبب ما كان يبدو من جمودهم . فكان قيام حكم وطني ومجلس نيابي الاكثرية الكبرى فيه للعرب كفيـــلا بوقف نمو الوطن القومي وابقائه في حدوده الخيالية أو الرمزية .

وبعد مغادرة فيلبي فلسطين جاء الى المفتي ليفي اليهودي مراسل جريدة نيويورك تايمس يحمل كتاباً منه يذكر فيه ان جعله بينه وبـــين المفتي في الموضوع الذي جرت المداولة فيه ! فرفض المفتي الاجتماع به وأرسل الى فيلبي كتاباً يعتب فيـــه عليه مع ما كان من تظاهره في الحرص على بقاء الحديث في نطاق الكتمان الشديد . ومن تمام القصة ان فيلبي ارسل كتاباً يطلب فيه مبلغاً من المال ليقوم برحلة الى انكلترة لمتابعة القضية .

وقد كان هذا الحادث الذي وقف عند هذا الحد لغزاً لم نجد له تفسيراً الا الذي ذكرناه في صدد زميله الذي سبقه الكابتن كانــغ .

لجنة شو البرلمانية وتقريرها

●

وارسلت الحكومة الانكليزية لجنة برلمانية للتحقيق وهي المعروفة بلجنة شو ؛ نسبة الى اسم رئيسها . فاستمعت في اول الامر الى عدد من كبار موظفي الحكومة وطلبت كثيراً من البيانات عن الموظفين والأراضي والهجرة والقوانين والتشكيلات

اليهودية والعربية ثم اخذت تعقد جلسات لاستماع العرب واليهود ، وقد اعتبرتهما طرفين متخاصمين ، واعتبرت الوكالة ممثلة لليهود واللجنة التنفيذية ممثلة للعرب ، وطبقت تقريباً اصول المحاكمات الانكليزية في البيانات والشهادات والادعاء والدفاع ، وقبلت ان يدير الادعاء والدفاع محامون انكليز عن الطرفين ؛ وهكذا سارت الجلسات والتحقيقات . وقد اثار الطرف العربي القضية العربية من اساسها وبحذافيرها اصولا وفروعاً وتمكن من رسم صور عديدة بما ادلى به من البيانات وابرزه من الوثائق وقدمه من الشهود لما كان من غدر الانكليز وبطلان الاساس الذي يقوم عليه الانتداب والظلم الفادح الذي ينطوي في صك الانتداب والمحاباة التي يعامل بها اليهود في كل مجال ، والاضرار التي حلت بالعرب مـن بيوع الاراضي والهجرة والوظائف والحرمان واهمال تطبيق القوانين التي فيها بعض الشيء من ضمان حقوق العرب وما كان مـن بغي اليهود ومطامعهم ودسائسهم وعنجهيتهم وتحرشهم واستفزازهم الخ . . وقابل اليهود العرب فأثاروا قضيتهم هم الآخرون من اساسها وقرروا انهم يريدون ان تطلق لهم حرية الهجرة وشراء الاراضي دون قيد وشرط حتى تكون لهم الاكثرية في فلسطين وان هذا مـن واجبات الحكومة البريطانية والتزاماتها وفق صك الانتداب ، واتهموا حكومة فلسطين بتقصيرها في ذلك وبتقصيرها كذلك في حمايتهم وتسليحهم للدفاع عـن انفسهم ، وذكروا كتاب فيصل لوايزمن ورضائه بمشروعهم مما حمل سكرتير اللجنة التنفيذية على الابراق لبغداد فجاءرد من رئيس الديوان يقول : « انمولاه لا يذكر انه اعطى اليهود شيئاً مما يدعونه » . ولم يغفل اليهود عن استغلال مـا كانمن ضعف المؤتمر السابع الذي كانقراره الايجابي المطالبةبحكومةوطنيةمحاولين اعتبار ذلك تسليماً من العرب بمشروعهم ايضاً فسجل العرب ان هذا المؤتمر قرر تأييد المؤتمرات السابقة التي فيها الكفاية من انكار السياسة الصهيونية ورفضها وقدموا بهذه المناسبة صوراً عن قرارات المؤتمرات بما فيها قرارات المؤتمرالسوري ولم ينس اليهود كذلك ان يزعموا ان الاضطرابات من صنع المفتي وبعض عناصر الشعب المناصرة له لتدعيم مركزه الذي تزلزل بحملات ودعايات الحزب المعارض له وان المفتي اثار هذه الاضطرابات لتحويل تيار السخط عليه واشغاله الناس عنه ، وان الشعب العربي هادىء راض لو تركه هؤلاء وشأنه بسبب ما عاد عليه من النفع العميم من الهجرة والاستعمار اليهودي !!

وبعد عودة اللجنة بمدة ما صدر تقريرها الذي احتوى حقائق كثيرة من مطامع اليهود وتصرفاتهم ومحاباة السلطات لهم ، واهمال مصالح العرب وحقوقهم مما كان سبباً مباشراً وغير مباشر للثورة ، وسجل فيما سجله ان اعلان اليهود لمطامعهم في مكان البراق وادعاءاتهم فيه ومظاهراتهم وهتافاتهم وابواقهم المثيرة كانت سبباً مباشراً كما ان تظلمات العرب السياسية والاقتصادية يجب ان تعتبر اسباباً مباشرة لها ايضاً ، وان الشعور عند العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود قد نشأ عن خيبة امانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم ، وان سخط العرب المقترن بالخوف اقترانا خطيرا قد يكون سبباً لاضطرابات مقبلة ، وان المطالب التي قدمت من جانب اليهود بشأن الهجرة إلى فلسطين كان من شأنها ان تثير مخاوف العرب بأنهم سيحرمون يوماً من وسائل معيشتهم ويقعون تحت سيطرة اليهود السياسية ، وان المهاجرين الذين قدموا الى البلاد كانوا اكثر مما تستطيع استيعابه ، وان المراجع اليهودية انحرفت فيما يتعلق بالهجرة انحرافاً خطيراً عن المبدأ الذي قبلته سابقاً ، وان مخاوف العرب الناشئة عن الهجرة كانت مع اسباب اخرى عاملا في حدوث الثورة وان اليهود لا يهتمون في الهجرة إلا للعامل السياسي مما يدعو الى اشد الانتقاد ، وانه وقع بين سنتي ١٩٢١ ــ ١٩٢٩ بيوع كثيرة اخرج بسببها عدد كبير من العرب من اراضيهم دون ان تعد لهم ارض اخرى يزرعونها ، وان محاولات الحكومة في حماية المزارعين لم تجد شيئاً ، وان نصوص القانون الموضوع عام ١٩٢١ التي تقضي بوجوب التثبت من عدم حرمان المزارعين من ارض يزرعونها قبل الموافقة على انتقال ارض ما لليهود لم تطبق ولم تراع قط الى سنة ١٩٢٩ ، وانه نشأ بذلك طبقة من العرب بلا أرض وهي مستاءة ساخطة وتشكل خطراً كبيراً على البلاد ، وان مشكلة الاراضي ستبقى مصدراً دائماً للاستياء وسبباً للاضطرابات ، وان الشعب العربي متحد في مطالبته بالحكم النيابي ، وان الاستياء الذي يشعر به من جراء عجزه عن الحصول على درجة من درجات الحكم الذاتي لما يزيد من مشاكل الحكومة.
وقد اوصت اللجنة بتهدئة قلق العرب ومخاوفهم من مستقبلهم بمعالجة مشكلات الاراضي والهجرة خاصة معالجة تزيل اسباب المخاوف وتمنع الهجرة الزائدة وازدياد طبقة المحرومين من الارض وتساعد على حماية المزارعين والعمال العرب . ونفت ان تكون الثورة مدبرة او من صنع المفتي وا كدت انها نتيجة لما قام به اليهود من حركات وتصرفات واظهروه من مطامع ونالوه من محاباة ولما رسخ في العرب من قناعة

بالخطر اليهودي ولمسوه من حرمان ومزاحمة لمختلف طبقاتهم .

الوفد العربي الى لندن

●

وقابل العرب التقرير بشيء من الارتياح مع التحفظ ، وقرروا ايفاد وفد الى لندن لعله يستطيع ان يستفيد من الجو الذي أحدثه التقـرير ، ولا سيما ان وزارة المحافظين التي كان فيها أمثال شرشل وايمري الاستعماريين المحابـين لليهود قـد تخلت عن الحكم وقام مقامها حكومة عمالية برئاسة ماكدونالد . وتولت اللجنة التنفيذية التي برزت وقويت في هذه الفترة بقوة الموقف الذي وقفته بإملاء الظرف العصيب انتخاب الوفد فتألف من زعماء المجلسيين والمعارضين والمسيحيين متطابقاً مع بنيان اللجنة نفسها ، وكان برئاسة موسى كاظم الحسيني وفيه كل من الحـاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني والفرد روك وسافر في أوائل عام ١٩٣٠ ولبث في لندن نحو شهر ونصف بسط خلالها قضيته للحكومة الانكليزية والرأي العام وطالب بوقف الهجرة وبيوع الأراضي وإنشاء حكومة وطنية .

وبعد وصول الوفد للندن وتقديم مذكرته الاولى القى ماكدونالـد في مجلس العموم تصريحاً قال فيه إن الحكومة البريطانية ستستمر في إدارة شؤون فلسطـين بمقتضى صك الانتداب وإنها لا يمكنها أن ترجع عن هذا الالتزام الدولي ،وكل ما عليها أن تلتزم العدل والمساواة في تنفيذ الالتزام المزدوج نحو فريقي السكـان ؛ وإنها عازمة على إعداد القوة اللازمة من البوليس لحفظ النظام . فكان لهذه المقابلة السريعة وقع شديد على الوفد لأن التصريح يعني إخفاق الأمل بقبـول أي طلب من طلباته الثلاثة كما يريد العرب فتوقفت المباحثات بينه وبين الحكومة وأذاع بياناً على الرأي العام الانكليزي أشار فيه إلى ما احتواه تقرير لجنة شوو تقارير لجـان التحقيق السابقة من حقائق وما لحق بالعرب من أضرار وأحدق بهم من أخطار بسبب السياسة التي تسير عليها الحكومة البريطانية ، وما كان من وقع تصريحات رئيس الحكومة عليه حيث جعلته يعتقد بعدم احتمال حل قضية العرب بالعـدل والانصاف من قبل الحكومة لتغلب نفوذ الصهيونيين عليها . وقال فـيما قال في بيانه « ان الاستمرار في هضم حقوق العرب إكراماً للسياسة الصهيونيـة يؤدي

إلى إبادتنا وملاشاتنا وإجلائنا عن بلادنا وإن المسألة عندنا هي مسألة حياة وموت وان الشعب العربي سيكافح هذه السياسة وان كل عربي يؤثر الموت دفاعاً عن حقوقه الطبيعية وكيانه ، وان من واجبه أن يخطر أهل البلاد العربية والاسلامية بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها » . وأذاعت الحكومة بلاغاً مقابلا قالت فيه « إن الوفد الفلسطيني قد بسط قضيته وإن الحكومة ستنظر فيها غير أنها أفهمت الوفد أن التغييرات الدستورية الشاملة التي يطلبها لا يمكن قبولها كلها لأنها تعرقل عمل حكومة جلالته في القيام بالتزاماتها بمقتضى الانتداب وأنه لا سبيل للنظر في أي اقتراح لا ينطبق على ذلك ، وأن الحكومة ستدرس بواسطة الخبراء مسائل الأراضي والهجرة والعمل التي يشكو منها العرب وتقوم بواجبها على ضوء هذا الدرس » وفي ذات الوقت أذاعت حكومة فلسطين بياناً عن مهمة الوفد وطلباته وموقف الحكومة البريطانية منها وما أدلت به من تصريحات وأذاعته من بلاغات واعتزمته من خطوات ، وقالت في البيان في ما قالت « إن المخاوف التي أعربت عنها الدوائر العربية من أن سياسة حكومة جلالته قد تعرض كيان الشعب العربي في فلسطين للخطر لا مسوغ لها ، وأنذرت باتخاذ العقوبات الشديدة على كل من يذيع أخباراً مضللة عن نيات حكومة جلالته ويخل بالقانون والنظام » .

وعاد الوفد مخفقاً في ما أمل مقتنعاً بأن السياسة الانكليزية المرسومة لن تتبدل بتبدل الوزارات وبأن المؤامرة الانكليزية اليهودية ضد العرب محكمة مستمرة إلى أن تبلغ غايتها ..

سمبسون وتقريره

●

وأرسلت الحكومة الانكليزية المستر سمبسون الذي يعد خبيراً عالمياً في مسائل الاسكان والأراضي فدرس أحوال فلسطين ثم عاد وقدم تقريراً قوبل هو الآخر بشيء من الارتياح من الأوساط العربية بينما قوبل بالسخط الشديد من اليهود لما احتواه من الحقائق التي تدل على ما يهدد العرب من أخطار وما كان من تآمر

سلطات فلسطين مع اليهود عليهم . وكان مما سجله ان ثلث الشعب الزراعي العربي أصبح لا يملك أي أرض البتة ، وأنه لو قسمت جميع الأراضي القابلة للزراعة بين العرب المزارعين لما أصاب كل اسرة مساحة تكفي لاعاشتها ، وان ادنى مساحة تحتاج اليها الأسرة العربية الزراعية هي مئة وثلاثون دونماً في حين ان ما في يد المزارعين العرب هو أقل بكثير من هذا المقدار وانه لا توجد في فلسطين أراضي ميسورة يمكن إسكان المزيد من اليهود فيها ، وان المزارعين العرب الذين تباع الاراضي التي يعيشون منها يغدر بهم ولا يلقون حماية وافية ، وان اكثر الاراضي التي في ملك اليهود اصبحت كالوقف ملكاً قومياً لا ينتقل ، وان الذين يشتغلون فيها يشتغلون كمستأجرين ضمن شروط معينة تحرم عليهم تشغيل غير اليهود فيها ، خلافاً لما كان يجري في السابق وكما يفعل الملاكون الآخرون من اليهود لافضلية العامل العربي جهداً وطول ساعات ، وأن الوكالة اليهودية تعمد إلى أساليب إحتيالية لجلب المهاجرين (١) وان كثيراً من العمال الذين يشترط ضمان معيشتهم لا يلبثون ان يفقدوا وسائلها ويصبحوا عبئاً على البلادوسبباً لبطالتهم وبطالة العرب معاً وان العامل السياسي هو الاكثر اعتباراً في جلب المهاجرين،وانهناكمساحات واسعة من اراضي اليهودالمتروكة بوراً لعدم إمكان استغلالها وان هناك كذلك عدداً كبيراً من عمال العرب واليهود عاطلون عن العمل ، وان عمال العرب قد حرموا من اشغال كثيرة بسبب مزاحمة العمال اليهود فزاد ذلك في بؤسهم وضيق رزقهم ... وقد اوصى فيما اوصى به وقف انتقال الاراضي العربية لليهود الى ان يمكن تغيير اساليب الزراعة تغييراً يساعد على توفير الانتاج اذا كانذلكمستطاعاً وان لا يخرج مزارع عربي من ارض ما لم يضمن له ارض اخرى يزرعها، وانلا يسمح بهجرة عمال ما دام يوجد في فلسطينعمال عاطلون من العرب واليهود.وان يراقب تنظيم الهجرة فلا يترك حبلها على غاربها بيد المراجع والنقابات اليهودية ، حيث كانت السلطات تترك لها إملاء جداول العمال دون تدقيق جدي فكانتهذه المراجع والنقابات تكذب فيما تسجله من الاعمال التي تتطلب عمالا كما كان ما تذكره من اعمال صحيحة غير دائم.

(١) كان من قوانين الهجرة أن اليهودي الذي يملك الف جنيه على الاقل يعتبر من اصحاب رؤوس الاموال ويسمح له بالدخول بدون شرط لان معه ضمان معيشته كما ان صاحب المهنة الذي يملك خمسمئة جنيه يعامل بمثل ذلك . وقد ظهر لسمبسون كما جاء في تقريره ان الوكالة كانت تعطي شكوكاً لكثير من اليهود ليدخلوا بهذه الصفة ثم تستردها منهم لتعطيها لغيرهم وهلم جرا ...

واصدرت حكومة العمال على اثر استلامها تقرير سمبسون كتاباً أبيض عطفاً على هذا التقرير وتقرير لجنة شو وتواصيهما استعرضت فيه بعض مواد صك الانتداب وبعض فقرات من الكتاب الابيض لسنة ١٩٢٢ بسبيل شرح مدى الوطن القومي والاستيعاب الاقتصادي ، واعترفت بما لحق الفلاح العربي والعامل العربي من اضرار بسبب سياسة الجمعية الصهيونية في شؤون العمل اليهودي والهجرة اليهودية، وقالت ان هذا متعارض مع ما سجله المؤتمر الصهيوني في عام ١٩٢١ على نفسه حيث قرر ان الشعب اليهودي يرغب في أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وأن يعمل بالاشتراك معه على ترقية البلاد المشتركة بينهما بحيث يضمن رفاه كلا الشعبين وقالت ان الحكومة ملزمة بالقيام بواجباتها المزدوجة نحو العرب واليهود معاً وأن واجبها نحو اليهود ليس اقوى منه نحو العرب وانه لم تبق أرض زراعية ميسورة تنتقل الى اليهود بدون اجحاف بالعرب لان ما بقي في أيدي هؤلاء أقل كثيراً من حاجتهم ما لم تتبدل أساليب الزراعة في حين يوجد في يد اليهود مساحات واسعة لم تعمر بعد ، وأن الفلاح العربي في حاجة شديدة إلى العناية والحماية وتحسين أحوال معيشته وهو محروم مما ناله المزارع اليهودي بفضل المساعدات والمؤسسات اليهودية ، وان من واجبها أن لا تسمح بانتقال أراض عربية جديدة يتعارض انتقالها مع خطط ومشاريع التحسين ومعيشة العرب ، كما أن من الواجب السير في امر الهجرة العمالية في سياسة استيعاب حقيقية يلاحظ فيها البطالة عند العرب واليهود على السواء ، وانها تنوي تشكيل مجلس تشريعي ليشترك أهل البلاد في إدارة شؤون بلادهم في نطاق الدستور القائم ومشابه للمجلس الذي رفضه العرب ، وأنها تأمل هذه المرة معاونة جميع طبقات السكان وتعلن أنها ستتخذ جميع التدابير المستطاعة لقمع كل محاولة قد يقوم بها أي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها الذي ترى أنه ليس من مصلحة أهل البلاد أن يؤجل ويتعطل ثانية (١) .

وهكذا حاولت أن تعالج شكاوي العرب الثلاث معالجة عرجاء وتافهة في نطاق الالتزامات المزعومة المتعارضة . ومع ذلك فقد قابلت الاوساط العربية هذا الكتاب بشيء غير قليل من الارتياح لأنها ظنت أنه قد يكون بادرة لعودة الانكليز الى شيء من الحق وقد يكون فيه ضمان لكيان العرب الذي أخذ تيار الهجرة وبيوع

(١) جعلنا الكتاب الابيض هذا من ملاحق الكتاب رقم (٤)

الأراضي يهدده بالخطر العاجل .

موقف اليهود ونكوص الانكليز أمامه

●

أما اليهود فقد كان سخطهم على الكتاب شديداً بل أشد من سخطهم على تقريري لجنة شو وسمبسون لأنه يرسم سياسة تنفيذية . فاستقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية احتجاجاً واعلاناً لعدم تعاونه مع الحكومة البريطانية وأخذت تقوم المظاهرات ويتدفق سيل البرقيات الاحتجاجية اليهودية في كل مكان على الحكومة البريطانية وعصبة الامم حتى لقد قامت مئات المظاهرات في مئات المدن في يوم واحد كما جاءت بعد من ثمان وأربعين دولة مما أدهش لجنة الانتدابات وجعل « رايس » أحد أعضائها يتساءل عما اذا كانت اللجنة أمام مؤامرة دعائية عالمية ، كما حملت مئات الصحف الانكليزية والاميركية مما يديره أو يوجهه اليهود من حملات شديدة على تلك الحكومة . ولعبت الاغراءات والاساليب اليهودية دورها فلم تلبث الاتصالات ان اخذت تجرى بين مالكولم ابن رئيس الوزارة ووايزمن وغيره من زعماء اليهود استمرت نحو اسبوع وكان من نتائجها رسالة ايضاحية من رئيس الوزارة الى وايزمن فسر ما جاء في الكتاب الابيض تفسيراً كان في الحقيقة نسخاً لاكثر ما جاء فيه من وعود وخطط وتطمينات للعرب وخاصة في صدد الهجرة والاراضي والعمل بسبيل ازالة ما كان من سوء أثر الكتاب الابيض في اليهود وسوء ظنهم في نوايا الحكومة نحوهم ، حيث قيل فيه ان الحكومة لم تقصد ان تجعل ارتباطاً بين هجرة العمال اليهود وبطالة العمال العرب ، ولا أن تطلب من اليهود تعديل ما يسيرون فيه من خطط بشأن حصر العمل في مصانعهم ومزارعهم وأراضيهم في اليد اليهودية ، ولا أن تحول بين اليهود وبين ما يمكن ان يتيسر لهم شراؤه من الارض الخ . . مما جعل العرب يسمون كتاب التفسير هذا بالكتاب الاسود . ونتيجة لذلك ظلت الامور تجري في فلسطين على ما كانت عليه من حيث الهجرة وأساليبها واستمرار انتقال الاراضي العربية لليهود دون اهتمام كبير لما ينشأ عن ذلك من حرمان المزارعين وتشريدهم وبطالة عمال العرب الا بعض محاولات في صدد سن قوانين باسم حماية المزارعين كانت تحتوي من الثغرات ما تنفذ منه الاعيب اليهود وحيلهم ، والا بعض محاولات في صدد تحسين أساليب الزراعة وايجاد أراض للمحرومين مما سمي بالمشروع الانشائي ولم يكن له جدوى في تخفيف

الخطر والضرر ، بل لم تلبث الحالقان ازدادت سوءاً بما كان من توسيع باب الهجرة بعد اشهر قليلة توسيعاً تمثل فيه الخطر قوياً رهيباً على ما نذكره بعد .

وهكذا سيطرت السياسة الانكليزية العليـا على الموقف في النهاية وخابت آمال العرب في ما لحوه من برق كان خلاباً .

أما موضوع المجلس التشريعي الذي ذكر في الكتاب الابيض بأسلوب قوي وقطعي وإنذاري معاً فانه لم يوضع على بساط البحث الجدي الا بعد اكثر مـن أربع سنوات من صدور ذلك الكتاب ؛ وقد عارض اليهود هذه المرة في قيامـه فأهمل بالرغم مما قاله الكتاب الابيض . . .

الحاميات اليهودية وتسليح المستعمرات اليهودية

●

ونستطرد الى القول ان اليهود قد ألفوا في هذه الاثناء ما يسمى بالحاميات التي أخذت تطارد العمال العرب من كل عمل يهودي وتجبر أصحاب الاعمال اليهودية الصناعية والزراعية على استخدام العمال اليهود فقط وقد وقعت اشتباكات عديدة بين عمال العرب والحاميات وبين هذه واصحاب الأعمال ؛ وقد كانت البطالة بين اليهود متفشية والحملات على الحكومة مشتدة في صدد المطالبة بالأعمال للعاطلين منهم . وقد كانت الحكومة مع ذلك تهمل واجبها في التدقيق في أمر المهاجرين فكان هذا مما يضاعف الأزمة والبطالة حدة . وهذا مما لمسه سمبسون وكان مـن أسس تقريره وتواصيه .

ولقد كان من نقائض الانكليز أو بالاصح من دلائل انسجامهم مع السياسة الصهيونية انهم على اهمالهم تواصي لجنة شوو سمبسون ونكثهم بما وعدوا به واكدوه من اصلاح الاخطاء ودفع الحيف عن العرب على الوجه الذي شرحناه قد اهتموا بتوصية اتاحة اسباب الدفاع عن المستعمرات اليهودية المنعزلة ، فقد حمل اليهود أمام لجنة شو وقبل قدومها على حكومة فلسطين حملة شديدة بزعم تقصيرها في حماية ارواحهم ، فكان مما اوصت به لجنة شو الاهتمام لهـذا الامر . ولم يكد الكتاب الابيض يصدر حتى اخذت السلطات في تنفيذ هذه التوصية فسلمت لمخاتير عدد كبير من المستعمرات صناديق فيها بنادق وعتاد ليدافع بها سكان المستعمرات حين

الحاجة عن انفسهم ، وعينت بعض المدربين لتدريب شبابهم ، وتسربت انباء ذلك الى الصحف فأحدثت قلقاً وهياجاً في العرب ، ودعت نابلس الى عقد مؤتمر للنظر في الامر ، وشهد المؤتمر وفود كثيرة من مختلف انحاء فلسطين وساد الحماس والهياج ، وقرر مطالبة الحكومة سحب السلاح والمدربين ، ودعوة كل عربي الى التسلح في حالة عدم استجابة الحكومة للطلب ، واستمرت الصحف اياماً عديدة تكتب حول هذا الموضوع ، فخشيت السلطات العاقبة فأذاعت بلاغاً زعمت فيه ان الأخبار بولغ فيها كثيراً ثم قبضت على ثلاثة من رجال المؤتمر [1] بتهمة التهييج فيه فقامت في نابلس مظاهرات صاخبة ليلة الاعتقال ثم في اليوم التالي واصطدم المتظاهرون مع البوليس في معركة حامية اصيب كثيرون من العرب وضرب البوليس محمد علي دروزه وكان من قواد المظاهرة ضرباً مبرحاً . ثم اعتقله مع نحو ثلاثين شاباً وحوكموا وحكم عليهم بالسجن . وكذلك حوكم الثلاثة الاولون واحيطت محاكمتهم بجو من الارهاب وانتهت بالكفالة .

وقد كانت هذه الحادثة من منبهات الناس الى ما اخذ يشتد من خطر اليهود عليهم وانتقال هذا الخطر من الهجوم السلمي الى الهجوم المسلح ، وكان من نتائج ذلك تشكيل بعض الجمعيات السرية الجهادية التي ابلت بلاءً حسناً قبيل ثورة ١٩٣٦ الكبرى وفيها وفيما بعدها على ما سوف نذكره بعد .

على ان من الجدير بالتنبيه في هذا المقام أن هذا التسلح اليهودي لم يكن الاول، وكل امره انه كان رسمياً حكومياً ! فان اليهود منذ عهد مبكر اهتموا للتسلح والتدريب اهتماماً كبيراً ، وانشأوا منظمات عسكرية انخرط فيها الشبان والشابات على السواء، وكانوا يدأبون على التدرب، واخذوا يبذلون جهودهم في جلب السلاح من الخارج وادخاله بأساليب احتيالية متنوعة وقد اكتشفت بعض وقائع تهريبهم صدفة حيث كشف السلاح بعض المرات في صناديق خلايا النحل وبراميل الاسمنت واذا كان هذا التسلح والتدريب قد هدف في بادىء الامر الى الدفاع فانهما كانا نواة لفكرة الغزو المسلح او مظهراً لها على كل حال . وقد تطور الامر جهرة الى ذلك حينما تطور امر اليهود قبل الحرب العالمية وفي اثنائها وبعد انتهائها .

---

(١) هم الشيخ صبري عابدين من الخليل والدكتور صدقي ملحس وجمال القاسم من نابلس .



الوفود الاسلامية القادمة بمناسبة لجنة البراق مع الزعماء الفلسطينيين

الجالسون من اليمين أمين التميمي فأحمد حامي فالشيخ التفتازاني فأحمد زكي باشا فالحاج امين الحسيني فحمـــد علي علويه فزاحم الباجه جي فهد مشكي فصلاح بيهم فأحد رجالات الأفغان والواقفون من اليمين عبد الرؤوف رزق فزكي التميمي فشاب جـاوي ففخري الحسيني فالشيخ يعقوب البحاري فجمال الحسيني فالشيخ عبد القادر المظفر فصبحي الخضرا فعزة دروزه فعبد القادر الجاوي فاسحق درويش .

لجنة البراق وتقريرها

•

وفي اواخر شهر مايس ١٩٣٠ جاءت لجنة البراق لدرس الخلافات حول هذا المكان بين العرب واليهود .وكان ذلك مما أوصت به لجنة شو حيث كان هذا الخلاف من اسباب الثورة المباشرة . وقد اهتم الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي للامر على اعتبار انه متصل باماكن المسلمين المقدسةوموضع التشاد بين العرب واليهود ، وتضامن معه الوطنيون فامكن إحداث حركة قويــة جاءت رافدة للحركة الوطنية التي خمدت قليلا بعد نسخ الكتاب الابيض بالكتاب الاسود وامكن ان تكون وسيلة دعاية للقضية الفلسطينية بين جميع المسلمين ، وقــدم الى فلسطين للدفاع والشهادة رجال معروفون من مصر والعراق وسورية ولبنان وبلاد إسلامية اخرى مثل محمد علي علوبه وأحمد زكي ومزاحم الباجهجي وفائز الخوري وسليمان الخوجه دار وصلاح بيهمومهدي رفيع مشكي الايراني وعبد القهارمذكر الجاوي ، وغدت القدس تعج بالوافدين من خارج فلسطين ومدنها .

ودارت القضية بالنسبة للمسلمين حول إثبات ماكيتهم للمكان ووقفيته وقدسيته وضيق المنحة التي منحها المسلمون لليهود فيه ومطامع اليهود ومحاولاتهم بالتوسع، وبالنسبة لليهود حول إثبات علاقتهم الدينية والتقليدية والتقديسية بالمكان وحقهم في التردد عليه وإقامة شعائرهم فيه . وكانت حجةالمسلمين هي الناهضة إذ استطاع دفاعهم أن يثبت ان جميع المنطقة التي تحيط بالجدار وقف اسلامي بموجب وثائق وسجلات المحكمة الشرعية القديمة التي اطلع عليها اعضاء اللجنة ، وان نصوص القرآن وتقاليد الاسلام صريحة بقدسية المكان عندهم ، وان زيارة اليهود منحة ضيقة بموجب اوامر محمد علي باشا حين إحتلال الجيش المصري فلسطين في الثلث الاول من القرن التاسع عشروبموجب اوامر الدولة العثمانية من بعده ولم تكن إلا زيارة مجردة لا صوت فيها ولا إزعاج ولا أدوات جلوس وستائر .

وكان لسجلات المحكمة الشرعية القديمة تأثير في نفوس أعضاء اللجنة لانهم اطلعوا فيها اطلعوا عليه على تسجيل حجة شهادة متواترة على وقف أرض حي المغاربة وهي المحيطة بالجدار من قبل الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الايوبي على المدرسة التي أقامها في هذا الحي وسماها الافضلية والتي ما زالت بقاياها قائمة .

ونستطرد بهذه المناسبة الى الاشادة بالاحترام والاجلال ببعد نظر ملوك المسلمين وامرائهمفي دور الحروب الصليبية ومابعده. فقد رأوا فلسطينومافيهامن مقدسات عرضة للغزوات والمطامع فبذلوا ما استطاعوا بذله بعد إنقاذها من الغزاة في سبيل صيانتها في مستقبل الايام . وقد أحاطوا الحرم القدسي مثلا بسلسلة من المدارس الدينية إلى بعد مئة متر او اكثر من سوره وأوقفوها لتصون هذه المنطقة الواسعة من البيع واليد الغريبة . ولقد أوقفوا الاوقاف الكثيرة في القدس وغير القدس ولا سيما كثيراً من القرى على هذه المدارس وعلى المساجد والمنشآت الاسلامية المشهورة لتكون حبساً في ايرادها وأعيانها . ولولا تهاون المسلمين في زمن الدولة العثمانية وتهاون حكامها وقصر نظرهم الى المستقبللما استطاع اليهود انينجحوافي غزوتهم بطريق شراء الاراضي لانثلثاراضيفلسطين تقريباً من هذه الاوقاف ، ولكن الحالة تطورت بسبب قصر النظر فانقلبت وقفيتها من العينية الى العشرية وابيح انتقالها من يد الى يد بالبيع مع بقاء عشرها وقفاً فلم تنجها صفة الوقف المتطورة على هذا الوجه من هذه الغزوة . وقدكان مساحة واسعة مما اشتراه اليهود واقاموا عليه مستعمراتهم وبياراتهم منها ، ولم ينج الا جزء يسير جداً بالنسبة للمجموع يقدر بنحو سبعين الف دونم . .

وبعد مدة من الزمن صدر تقرير لجنة البراق واصدرت الحكومة البريطانية كتاباً ابيض عنه . وقد اعترف هذا وذاك بملكية المسلمين للمكان وتصرفهم فيه واقراهم عليهما ، وقصرا زيارة اليهود على الوجه البسيط الذي كان لهم في بدء الاحتلال بدون ابواق واصوات وأدوات . وقدكان اليهوديضعون عندالاحتلال كما هو مسجل في سجل العادات والتقاليدالدينية الذي حرره المحتلونليكون نبراساً لهم بالنسبة لجميع الطوائف مائدة صغيرة عليها إناء ماء ذي حنفية ومائدة صغيرة اخرى عليها بعض الكتب والسرج فأقر لهم ذلك ايضاً . وقد عد الحكم انتصاراً لوجهة نظر المسلمين في القضية وحمل اليهود على التزام حدوده . ولم يلبث صوت اليهود ان خفت وحماستهم قد فترت بالنسبة للبراق حيث رأوا على ما يبدوانهمقد اثاروا عاطفة المسلمين الدينية ضدهم في فلسطين وخارجها ، وان الثورة وما وقع فيها عليهم بسببه قد اضر بدعايتهم واثار مخاوف اليهود . وقدكانت حركة هتلر آخذة بالنمو والخوف منها يستولي على اليهود في المانيا ويحملهم على النزوح عنها

فكان من ذلك لهم مشغلة إيجابية أجدى فائدة في صدد توطين الوطن القومي من قضية البراق فانصرف همهم اليها على ما سوف نذكره بعد .

المؤتمر الاسلامي العام

●

وفي أواخرسنة **١٩٣١** عقد في القدس مؤتمر اسلامي عام من أجل قضية فلسطين وكان عظيم المظهر عظمة لم تكن متوقعة . وكان أسبوعاه من أعظم أسابيع فلسطين جيشاناً وحفاوة مما يجعل من المناسب الكلام عنه بشيء من التفصيل .

وقد انبثقت فكرته في الأصل من قضية البراق ومطامع اليهود في الأماكن الاسلامية وفي ظروف لجنة البراق وتحقيقاتها وتقريرها . وكان الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ينزل القدس فجرى الحديث بينه وبين الحاج أمين الحسيني وبعض اخوانه في الموضوع ، واتسعت الفكرة بحيث تناولت قضية فلسطين برمتها على اعتبار انها قضية اسلامية من الواجب تنبيه العالم الاسلامي اليها وتبصيره بالأخطار المحدقة بها ودعوته إلى القيام بواجبه نحوها . وقد استمزج بعض الشخصيات الاسلامية البارزة في أنحاء مختلفة في فكرة المؤتمر فشجعوا عليها ، وحينئذ دخلت في مرحلتها التنفيذية وتألفت لجنة تحضيرية برئاسة الحاج أمين وعضوية كل من عبد العزيز الثعالبي وأمين التميمي وعزة دروزة وأحمد حلمي عبد الباقي والشيخ محمود الداوودي والشيخ حسن أبو السعود وعجاج نويهض على ما وعته الذاكرة وعينت ليلة المعراج ٢٧ رجب ١٣٥٠ ـ ١ كانون الأول **١٩٣١** موعداً لانعقاد المؤتمر وأرسلت أوراق الدعوة إلى عدد كبير من رجالات المسلمين وأعيانهم وعلمائهم في مختلف أنحاء الأرض ، وجاءت أجوبة باستعداد عدد غير قليل من المدعوين للقدوم ، وانصرف رئيس المجلس واللجنة التحضيرية لاعداد المناهج والامكنة والمنازل .

المكائد ضد المؤتمر

●

ولما أخذت جدية المؤتمر تبدو بدأت المكائد حوله في داخل فلسطين وخارجها . فظن في مصر أن المؤتمر سيتناول موضوع الخلافة الاسلامية ويبت فيها فكان بسبب ذلك تجهم نحو المؤتمر . وكان باعث هذا الظن حركة قامت في مصر قبل

الوقت بقايل وقيل أن وراءها الملك فؤاد الذي كان يرغب في لقب الخلافة لتقوية مركزه الذي كان يرى أنه مهدد لما بينه وبين الوفد المصري من نزاع . وقد عقد في مصر نتيجة لهذه الحركة مؤتمر رسمي سمي مؤتمر الخلافة ولم ينته إلى شيء . وقد جرت اتصالات بين رئيس المجلس وبعض رجالات مصر الرسميين حول المؤتمر ونفي كل النفي أن يكون من أبحاثه موضوع الخلافة ، ثم سافر إلى مصر بنفسه ليؤكد نفيه ويضمن مشاركة مصر ، وأعطى لاسماعيل صدقي الذي كان يتولى رئاسة الوزارة توكيداً خطياً وأمكن بذلك إزالة ذلك التجهم بعض الشيء : غير أن الريب لم يزل تماماً ، وجاء بعض الشخصيات المصرية التي كان يعرف اتصالهم بالبلاط وهم على أهبة الوقوف في وجه أي بحث أو تيار يتصل بالخلافة أو يمس الملك فؤاد من قريب أو بعيد . وقد فهم مما أثار المخاوف كتب صادرة عن جمعية سرية باطنية إلى بعض رجال الاسلام في مصر والعراق تحمل على إهمال أمر الخلافة وتطلب التفكير في توسيدها إلى أهلها في مؤتمر القدس ، ولم يستبعد الملاحظون أن تكون هذه الحركة دسيسة يهودية بسبيل إحباط المؤتمر وإثارة الشكوك والمخاوف حوله أو أنه كان للدعاية اليهودية أثر إيجابي فيها .

ورأى المعارضون للحاج أمين الحسيني في فلسطين أن من المحتمل أن يكون المؤتمر وقد أخذت تبدو أمارات خطورته واشتغال الصحافة العربية به من أقوى الوسائل للدعاية لخصمهم ونعظيم قدره ، فجن جنونهم وأخذوا يكاتبون جماعة من المشجعين للمؤتمر في مصر ومن الضالعين مع الملك فؤاد والمندمجين في هواجسه كعبد الحميد سعيد والشيخ التفتازاني ويخبرونهم بأن الحاج أمين سوف يستغل المؤتمر استغلالا شخصياً وحزبياً ، ويدللون على ذلك باهمالهم مع أنه يعقد في فلسطين ولاجل قضيتها . وأخذوا في بث مثل هذه الدعاية في صحفهم وبين الناس. وهكذا حاولوا أن يحولوا مجرى المؤتمر الى النزاع والتنافس الشخصي والمحلي بل وأوجدوا في النفوس شيئاً من التوتر . ولقد حاولت اللجنة التحضيرية التي يرأسها الحاج أمين تلافي الأمر فعرضت على المعارضين الاشتراك في اللجنة فلم يقبلوا، ومع أن الدعوة إلى حضور المؤتمر قد وجهت إلى عدد من أركانهم فانهم لم يكفوا عن محاولاتهم وإثارة التوتر والتجهم حول المؤتمر ، فنشروا مناشير متعددة موقعة من رجالاتهم

البارزين حملوا فيها على الحاج أمين وجماعته واستئثارهم في أمر المؤتمر واستغلاله شخصياً وحزبياً . وقد بذل بعض رجال المؤتمر البارزين مثل عبد الحميد سعيد والشيخ التفتازاني وشوكة علي الهندي جهودهم في سبيل مرضاتهم فذهبت سدى.
وقد خصصوا جريدة مرآة الشرق طيلة أيام المؤتمر لانتقاد الحاج أمين وأعمال المجلس وما قيل وما يقال عنها وفرغوا بعض رجالهم للاتصال بجماعات المؤتمر والدعاية ضد الحاج أمين ومقاصده ، وعقدوا أثناء انعقاد المؤتمر اجتماعاً سموه مؤتمر الامة الاسلامية في فندق الملك داود حشدوا اليه عدداً كبيراً من مختلف أنحاء فلسطين وشهده جميع المعارضين والمناوئين واشياعهم في المدن والقرى وقرروا فيه قرارات في انتقاد المجلس الاسلامي والحاج امين . وقد كان عملهم هذا خاصة بشعاً جداً إذ اظهروا به بشكل بارز انقسام مسلمي فلسطين وتنازعهم على مسائل شخصية ومحلية في وقت يأتي فيه وفود ورجالات العالم الاسلامي إلى فلسطين استجابة لدعوتها وإظهاراً للتضامن في قضيتها وإيذاناً باهتمام المسلمين لأمرها .
وقد لمس كثير من الوفود الغرض الذي استهدفته المعارضة من حركتها وادركوا ما فيها من عدم مبالاة اصحابها بما تحدثه من اضرار في قضية فلسطين وما يمكن ان يكون وراءها من اصابع قذرة وعدوة فثار اشمئزازهم واثار في نفوسهم عكس ما اراده المعارضون منها واسبغ على المؤتمر خطورة إلى خطورته .

ولقد قيل ان اليهود قد بذلوا اموالا طائلة في سبيل التشويش والتهويش على المؤتمر والحاج امين . وليس من شك في ان اليهود كانوا حانقين اشد الحنق من حركة المؤتمر وما ينطوي فيها من دعاية واسعة ضدهم في العالم الاسلامي فلم يستبعد المراقبون قط هذا الذي قيل . ولقد كلف اجتماع فندق الملك داود مالا كثيراً حيث شهده اكثر من الف شخص اتي بالقسم الاعظم منهم اتياناً اي دفع لهم نفقات سفرهم كما قال ذلك كثير من الذين حشدوا إلى هذا الاجتماع ولا يبعد بل يكاد يكون من المحقق ان تكون دفعت مبالغ اكثر من نفقات السفر لبعض المتحركين للتأليب وجمع الحشود وتسفيرها . وقد قيل ان زعماء المعارضة جمعوا من بينهم بعض المبالغ لسد النفقات ، غير ان النفقات كانت اكبر مما يمكن ان يجمع وإن كان من المحتمل ان يكون جمع شيءٌ على سبيل التعمية . ولقد كان فخري النشاشيبي اولب هذه الحركة الذي لم يعرف مللا ولا كللا ولم يقف عن اللف والدوران لحظة في الليل

والنهار وكان ينفق نفقات طائلة مما يجعل الاحتمال المذكور قوياً ولا سيما ان لـــه تصرفات ومواقف كثيرة قبل هذا الموقف وبعده متصلة بهذا الاحتمال . هذا مع التنبيه على ان من المرجح انه لم يكن لكثير من زعماء المعارضة بل ولأكثرهم علم بيد اليهود وما لهم ، حيث كان فخري يستطيع بذكائه ان يقوم بدوره باتقـــان وبراعة ، ومع التنبيه كذلك على ان من المرجح ان يكون كثير ممن حشدوا واحتشدوا قد فعلوا ذلك ارتجالا او عصبية محلية . ولقد اصدرت الوكالة اليهودية بياناً مطبوعاً إبان الاستعداد للمؤتمر والدعاية لمقاصده جاء فيه فيما جاء ان المفتي عمد إلى دعوة المؤتمر لتحويل تيار المعارضة ضد سلطته واعماله مما ينطوي فيه تأييد بشكل ما للاصبع اليهودية فيما كان .

ولم يكن ما اثير بسبيل التهويش والتشويش ليحبط الخطة المرسومة للمؤتمر والغاية المتوخاة منه او ليقلل الخطورة التي اخذت تبدو عليه وإن كان عكر بعض التعكير . وقد حفزت هذه المحاولات الحاج امين ورفاقه وانصاره واكثر رجال المؤتمر إلى مضاعفة الجهد وإنجاح المؤتمر .

روعة المؤتمر وعاقبته

●

ولقد جعلت حفلة افتتاح المؤتمر في المسجد الأقصى ليلة المعراج وعقب تلاوة قصة المعراج التقليدية، واعدت إعداداً فخماً وحشد لها الناس من جميع انحاء فلسطين فكانت من الليالي المشهورة في تاريخ فلسطين . وخطب فيها الحاج امين خطبة الافتتاح وذكر فلسطين وخطورتها من ناحية الاسلام والمسلمين والبواعث على عقد المؤتمر والآمال المرجوة فيه وخطب ضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران سابقاً ومن رجال الانقلاب فيها ، والسيد كاشف الغطاء من كبار مجتهدي الشيعة العراقيين ، والزعيم التونسي الثعالبي والسيد رشيد رضا والسيد عبد الرحمن عزام وكان يمثل الوفد المصري . وقد حدث حادث غريب إذ ان السيد عزام اخذ يذكر عطف مصر على فلسطين ويهدي اليها تحيات النحاس مغضياً عن ذكر الملك حيث كان التوتر مشتداً بين الوفد والحكومة والملك وحيث كان اسماعيل صدقي جاداً في ترصد حركات الوفد ، فلم نشعر إلا وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول يصرخ



من مشاهد المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس

الوفد البشناقي اليوغوسلافي مع بعض مندوبي شرق الاردن والعراق وفلسطين

هاتفاً للملك فؤاد فكانت مقاطعة مفاجئة احدثت هرجاً ومرجاً في المسجد وكاد بعض الناس يبطشون بسليمان لولا أنه استجار بالحاج أمين الذي أخذه ووضعه على درجات المنبر ووقف في بابه .

وفي صباح ليلة المعراج عقد المؤتمر جلسته الأولى في بناية مدرسة روضة المعارف ثم استمر يعقد جلساته فيها حيث كانت أعدت لذلك . وقد سير بالمؤتمر على نظام قوي من حيث الجلسات والمستمعين ونشر الأخبار وتشكيل اللجان وتدوين المحاضر ، وتألف مكتب من الحاج أمين رئيساً ومن كل من محمد علي علوبة المصري وضياء الدين الطباطبائي الايراني والدكتور إقبال شاعر الهند الكبير ومحمد زبارة مندوب الامام يحيى وكلاء ، ومن ابراهيم الواعظ العراقي وعزة دروزة الفلسطيني ورؤوف السيلاني سكرتيرين ، وأحمد حلمي عبدالباقي أميناً للمال ، وشكري القوتلي ورياض الصلح مراقبين . والأسماء تدل على نوع الشخصيات التي شهدت المؤتمر ولقد جاء من مختلف أنحاء بلاد الشام وفود من عيون مسلميها مثل عمر الداعوق ومحمد علي بيهم ومحمد الفاخوري وسليم علي سلام وصلاح بيهم ورياض الصلح ومحمد علي العابد وشكري القوتلي والشيخ عبد القادر الكيلاني والأمير سعيد الجزائرلي وسعد الله الجابري ونبيه العظمة وعادل العظمة وخير الدين الزركلي وسامي سراج والشيخ سليمان الضاهر والشيخ أحمد رضا وأكثر باشاوات الأردن ومشايخ قبائلها كما جاء وفد كبير من العراق فيه نواب وعلماء وأدباء معروفون مثل المجتهد الكبير كاشف الغطاء وسعيد ثابت والشيخ بهجة الأثري وابراهيم الواعظ وماجد القرغولي وحسن رضا ومن مصر محمد علي علوبة والسيد التفتازاني وعبدالحميد سعيد والدكتور الدرديري وعبد الرحمن عزام والأساتذة طفيش ورشيد علي وعبدالوهاب النجار وعبد اللطيف دراز ومحمد علي الطاهر ، ووفد من مسلمي البوشناق اليوغوسلافيين فيهم وزير وفيهم المفتي الأكبر ، ومن مسلمي الهند الدكتور إقبال الشاعر والزعيم مولانا شوكة علي وستة آخرون من الزعماء والكتاب ، ومن المغرب العربي محمد الناصر المكي وبشير السعداوي ومحمد بنونة ، وشهد المؤتمر كذلك الأمير سعيد شامل القفقاسي واسحق عياض القازاني وموسى جار الله التركستاني وبعض رجال من جاوه الخ ومثل فلسطين نحو ثلاثين شخصاً من العلماء والقضاة والسياسيين ممن كانوا وفوداً ونواباً ورؤوساء بلديات وقضاة ومفتين وأعضاء لجنة تحضيرية ، ولم يحضر أحد من مدعوّي

المعارضين الذين كانوا سبعة . وقد وردت على المؤتمر برقيات وكتب تأييد ورسائل واقتراحات متنوعة من جميع أنحاء العالم الاسلامي والشخصيات الاسلامية كالسيل مما جعل المؤتمر في حاضره وما ورد عليه من التأييدات والمقترحات والرسائل يسمو ويظهر ما كان من حاجة المسلمين إلى مثل هذه المؤتمرات العامة في سياق كفاحهم مع المستعمرين وما أصابهم من قطيعة وما تحفزهم اليه النهضة العالمية الحديثة من أسباب التواصل والتعاون وما تلقى به هذا المؤتمر خاصة وعلق عليه من الآمال الواسعة في قضية فلسطين وغيرها من القضايا الاسلامية السياسية وغير السياسية .

وقد وضع للمؤتمر استجابة لوحي هذا المظهر دستور يشمل فكرة بقائه وانعقاده دورياً وفكرة إيجاد تشكيلات قوية له في جميع أنحاء العالم الاسلامي ويتضمن أهدافاً عليا تتناسب مع عظمة المبادىء الاسلامية وتاريخ الاسلام وعدد المسلمين وانتشارهم في الأرض ، ووضع من جملة ذلك مبدأ إنشاء جامعة إسلامية كبرى في القدس باسم جامعة المسجد الأقصى ، وتقرر فيما تقرر تأليف دائرة معارف إسلامية واعلان قدسية البراق واستنكار أي مطمع فيه وعزم المسلمين جميعاً على الدفاع عنه ، وإعلان خطورة فلسطين في نظر العالم الاسلامي واستنكار السياسة الانكليزية الاستعمارية واليهودية فيها ، وتشكيل شركة اسلامية كبرى لانقاذ أراضيها والمطالبة بالسكة الحديدية الحجازية التي هي ملك المسلمين ووقفهم وتسليمها إلى هيئة إسلامية واستنكار الظلم والسياسة الاستعمارية الروسية في بلاد تركستان والتتر والطليانية في ليبيا والافرنسية في سورية ولبنان والمغرب العربي والانكليزية في مصر والسودان وجزيرة العرب ..

ومما حدث ان عبد الرحمن عزام خطب في صدد السياسة الاستعمارية خطبة نارية ضد الطليان وسياستهم في ليبيا وما كان من وحشيتهم مع الشهيد عمر المختار وإرهاقهم العرب وتشريدهم واغتصاب أراضيهم، وطلب من المؤتمر ان يقرر اعلان المقاطعة العامة عليهم اذ لم يكفوا عن مظالمهم خلال مدة معينة ، فاحتج القنصل الطلياني لدى الانكليز وأجاب هؤلاء على الاحتجاج بإنذار عزام بمغادرة فلسطين حالا ونفذ الأمر قبل يوم واحد من ختام المؤتمر . وقد بدا الانكليز حياديين نحو

المؤتمر الى ان اخذ يبحث في ظلم الاستعمار والمستعمرين ويستنكره فاخذوا يتجهمون وقد قدر النبهاء من المؤتمرين ذلك فأجلوا هذا البحث الى نهاية جلسات المؤتمر .

ولقد كان اسبوعا المؤتمر كما قلنا اسبوعين مشهودين في حياة فلسطين وتاريخها حيث كانت مغمورة بروح المؤتمر السامية . وقد احيط أعضاء المؤتمر الوافدين من الخارج بعناية وعطف فائقين ، فأولمت لهم الولائم الحافلة الكبرى في القدس وأريحا ووادي حنين ويافا ونابلس وادب لهم عاهل الاردن كذلك ، وكانوا يستقبلون في كل مكان يأتون اليه باستقبالات شعبية رائعة .

وفي غمرة من الزهو ظن القائمون بالمؤتمر انهم حقيقة قد اقاموا هيئة اسلامية كبرى منه ، فاهتموا للتشكيلات التي ستنتج عنه ؛ وقد انتخبت له لجنة تنفيذية مؤلفة من (٢٥) عضواً واهتم لأن تضم شخصيات بارزة من مختلف البلاد الاسلامية فكان من اعضائه على ما وعته الذاكرة الحاج امين الحسيني ومحمد علي علوبه وضياء الدين الطباطبائي وعبد العزيز الثعالبي ورشيد رضا وكاشف الغطاء وشكري القوتلي ورياض الصلح وسعيد شامل وشوكة علي واسحاق عياضي ومحمد المكي الناصري وصلاح بيهم وبشير السعداوي وسعيد ثابت والحاج توفيق حماد وعوني عبد الهادي وتأليف مكتب اللجنة الدائم من الحاج امين رئيساً ومحمد علي علوبة امين مال والطباطبائي سكرتيراً عاماً ونبيه العظمه مساعداً للسكرتير العام والثعالبي ورياض الصلح وسعيد شامل اعضاء .

واخذ العمل يسير بنشاط كبير أياماً عديدة تأثراً بالروح القوية التي ظلت ترف على فلسطين، ووضع الطباطبائي ونبيه العظمة الانظمة والتعليمات لتشكيلات اللجان الفرعية وأخذت مدن فلسطين تقوم بتشكيل لجانها وتجمع بعض الاكتتابات ، وخطا المكتب خطوة إيجابية في تنظيم وتعميم الجباية بمشروع بطاقات الخمسين ملا وأخذ في تنفيذه في فلسطين بحيث أمكن بيع ما قيمته ألفا جنيه في برهة وجيزة . على ان هذه الروح لم تدم رفاقة ، وأخذت الطبيعة الشرقية تعمل عملها بالاهمال وعدم التقيد بالنظام والاستئثار والمداورات والانانية فأخذ النشاط يفتر والمعنى العظيم الذي تلألأ في المؤتمر يضؤل واصبح تقريباً لقباً من الالقاب التي تفوق مدلولاتها . .

وفي اثناء ذلك انبثقت في ذهن الحاج امين والطباطبائي فكرة إيفاد وفود إلى البلاد الاسلامية لجمع التبرعات بسبيل تنفيذ مشروع جامعة المسجد الاقصى من جهة ومشروع إنقاذ الاراضي التي أخذ الخطر يشتد عليها باشتداد الغزوة اليهودية من جراء حركة هتلر من جهة ، ولاجل تخفيف صدمة الفتور والضآلة التي مني بهـا المؤتمر وما احدثته من قيل وقال وانتقاد من جهة . ونفذت الفكرة حيث رتبت رحلة إلى بلاد العراق والهند والأفغان وايران قام بها الحاج امين ومحمد علي علوبه ومعهما بعض المساعدين ، واستغرقت نحو ثلاثة اشهر ونصف . ولم تكن موفقة حيث لم يشجع الانكليز الامراء المسلمين على التبرع وهم اصحاب الأمر فيهم بل عرقلوها بقدر ما يسمح لهم تظاهرهم النفاقي في الحياد في المسائل الدينية كما لمست أصابع تشويشية يهودية ومعارضة على ما اخبر به الحاج امين . وكل ما كان من أمر أن نظام حيدر أباد وعد بمئة الف ربية تنفق باشراف الحكومة على شراء ارض ووقفها ولم تصل الا بعد مدة طويلة ، وان مبالغ أخرى جمعت ليس فيها غناء كما أن بعضها ظل في أيدي حفظته ولم يرسل ، فكان ذلك صدمة أخرى اثرت في كيان المؤتمر وعملت على ازدياد ضآلته .

وخدمت الظروف إسم المؤتمر بعض الشيء في الخلاف الذي نشب بين ابن السعود والامام يحيى على الحدود وعسير وشؤون الحاج والذي تطور إلى حرب حيث هز الحادث أفكار العالم العربي والاسلامي فاقترح على الحاج امين تأليف وفد للصلح باسم المؤتمر ، ونفذ الاقتراح حيث تألف وفد من الحاج امين ومحمد علي علوبه وهاشم الأتاسي والامير شكيب ارسلان فسافر إلى الحجاز واليمن وكان له بعض الفضل في مـــا تم بين العاهلين من صلح وتحالف عهدي . على ان هذه الحادثة لم تعد الى المؤتمر حيويته حيث ظل يفتر ويضؤل في ظل تلك الطبيعة التي ذكرنا صفاتها ومظاهرها بالرغم من محاولات الحاج امين والطباطبائي والثعالبي في الابقاء عليه واهتمامهم لبعث مشروع الجامعة رغم مخططاتها ومناهجها والتأثير على المجلس الاسلامي لرصد ربع بعض املاك الوقف لها الى ان غدا مع القابه نسياً منسياً ..،

المؤتمر العربي القومي والميثاق الجديد للحركة العربية

●

وفي اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي انعقد مؤتمـــر عربي قومي في سبيل الحركة

العربية وأهدافها . وقد كان مؤتمراً مهما يتحمل أن يشار اليه هنا أيضاً وبشيء من التفصيل أسوة بذلك .

ولقد اجتمع في المؤتمر الاسلامي عدد غير يسير من اخوان الفتاة والعهد الفيصلي فكانت فرصة طيبة لهم حيث افترق بعضهم عن بعض نحو عشر سنين . وقد رأوا أن يغتنموا هذه الفرصة لمدارسة أحوال بلادهم وتجديد عهد الحركة العربية وأهدافها بعد ما مر من المدة الطويلة التي شغل رجالات العرب فيها عما كان من مشاغل وسياسيات محلية ، فاتفقوا على عقد مؤتمر يجتمعون فيه ويدعون اليه من كان على فكرتهم وروحهم من رجالات العرب الذين أتوا لشهود المؤتمر الاسلامي وقد تم الاجتماع في أواسط كانون الاول من سنة ١٩٣١ في بيت عوني عبد الهادي وشهده نحو خمسين شخصاً . وبعد المداولات تم الإتفاق على وضع ميثاق قومي يكون بدء مرحلة نشاط جديدة في سبيل الحركة العربية وأهدافها ، وعلى الدعوة إلى مؤتمر عربي عام للنظر في الخطط التي يحسن السير عليها لتحقيق الميثاق وتأليف لجنة تحضيرية لهذا المؤتمر ، وعلى نشر بيان على العالم العربي بما قرروه وقد وقع الميثاق جميع الحاضرين فجاء وثيقة جديدة من وثائق الحركة العربية الحديثة . (١)

في سبيل المؤتمر العربي العام والاخفاق في عقده

●

ولقد نشطت اللجنة التحضيرية في مهمتها فأرسلت استفتاء للشخصيات العربية البارزة في الاقطار العربية في المؤتمر وموعده ومكانه ومناهجه ، وأخذت تردعليها الاجوبة المشجعة والمحبذة وفي بعضها خطط ومقترحات متنوعة ، وكان العراق في ملكية فيصل قد أخذ يشغل مركزاً مرموقاً بالنسبة لاقطار العرب الاخرى ، وفهمت اللجنة من ياسين الهاشمي القطب العراقي أن الملك محبذ للمؤتمر ومستعد لتعضيده وفي هذه الاثناء قدم فيصل إلى عمان فأرسلت اللجنة وفداً للبحث معه في الامر مباشرة فأبدى استعداده ورحب بعقد المؤتمر في بغداد ووعد بترك مطلق الحرية له وعدم صبغه بأي صبغة شخصية أو حكومية . وقد نشرت التصريحات في الصحف فكانت عاملا في

(١) ألحقنا البيان الذي احتوى اسماء الموقعين واللجنة التحضيرية بالكتاب تحت رقم ملحق (٤) للخطورة التي انطوت فيه وللذكرى .

تقوية الاتجاه وأيد كثير من الشخصيات في جواباتها عقد المؤتمر في بغداد . وفيما اللجنة في هذا بدت مشكلة ما بين السعوديين والهاشميين من نزاع خفي ، وأخذت تصدر تصريحات عن الدوائر السعودية تدل على اهتمام العاهل السعودي للمؤتمر وحسبانه حساب استغلاله من الهاشميين ، فرأت اللجنة أن توفدوفداً اليه لشرح الامر وإزالة ما يكون قد علق في ذهنه . وسافر الشيخ كامل القصاب لهذه المهمة ولمارجع عقدت اللجنة اجتماعاً في حيفا وشهد الاجتماع من غير أعضائها شكري القوتلي ورياض الصلح ومعين الماضي ونبيه العظمة ورفيق التميمي فشرح الشيخ رحلته وأخبر بموافقة ابن السعود على عقد المؤتمر في بغداد بعد أن تأكد أن فكرة المؤتمر ليست فكرة فيصل وان القائمين به سيبتعدون به عن كل تأثير واستغلال .

وفي هذا الاجتماع وضعت اسس الخطوات العملية لعقد المؤتمر حيث تم الاتفاق أولا على أسماء الاشخاص الذين سيدعون مراعى فيها اخلاص الشخص ومركزه في وسطه وتاريخه في القضية وتمثيل مختلف الميول والافكار والاحزاب الرسمية والعرفية بقدر ما يمكن ، وثانياً على عقد المؤتمر في ربيع سنة ١٩٣٣ واتصلت اللجنه بالعراق فوافقوا على الموعد وتألفت لجنة تحضيرية من ياسين الهاشمي ونوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودة وسعيد ثابت ومولود مخلص وكتبت اللجنة كذلك إلى شخصيات علمية وسياسية لوضع اللوائح والتقارير في مختلف المواضيع لتكون أساساً للأبحاث.

وبينما كانت اللجنة تتأهب لطبع أوراق الدعوة تلقت من ياسين الهاشمي ، وكان هو واسطة المكاتبة كتاباً يعلن فيه انسحابه ويعلله يعلل فيها شيء من المفارقة ومكتوب على ثلاث نسخ واحدة إلى لجنة القدس واخرى إلى لجنة بغداد وثالثة إلى البلاط . وقد استغربت اللجنة هذه المفاجأة وأرسلت تفند العلل لان كل ما جاء فيها كان بعلمه وعلم لجنة بغداد . ومع ان بقية اعضاء لجنة بغداد لم ترتح لانسحاب ياسين وكتبت للجنة القدس بضرورة مواصلة المسعى لعقد المؤتمر فان الربيع كان قد ولى ولم يعد في الامكان عقده في الصيف فأجل إلى الخريف ؛ وفي الخريف ، اخترمت المنية فيصل ، وذهب بعض أعضاء اللجنة وكنت بينهم إلى بغداد للاشتراك في الجنازة وتباحثنا مع ياسين ورفاقه فعلمنا فيما علمنا أن المندوب السامي الانكليزي القى كلمة لفيصل عن المؤتمر واحتمال فتح مشاكل للعراق من ورائه في حين انه يحسن بالعراق في حياته الجديدة الاستقلالية — وكان العراق قد دخل عصبة الامم حديثاً — ان لا يتصدى لحمل مشاكل واعباء ينوء بها مما جعل فيصل يتراخى وياسين

ينسحب ويصطنع لانسحابه اسباباً اخرى . وقد كان من رأي ياسين تأجيل البحث إلى وقت آخر لان الحكومة العراقية مشغولة بتركيز امر العراق بعد الفراغ الذي خلفه فيصل ، وكان من رأي جميل المدفعي انه من الإحراج ان يطلب من حكومة العراق ان تزج العراق في مشكلات القضايا العربية وان من الواجب تركه بضع سنين يعمل لتقوية نفسه وتحسين مرافقه . وقد حاولنا إقناع رجال العراق بأن ما يطلب منهم ليس زج العراق في مشكلات القضايا العربية وانما عدم قطع العـراق صلته بهذه القضايا ولا سيما ان على رأسه رجالا اشتغلوا ونشأوا وسموا بهذه القضايا ولكن الامر لم يعد المجاملات والاقوال .

ولقد فكرت اللجنة في عقد المؤتمر في غير بغداد ولكنها لم تجد ما يشجع على المضي في مهمتها لان مشروع المؤتمر خطير فاذا لم يتيسر له تعضيد قوي وضمانـة حياة واستمرار كان انعقاده عملية مراسمية جوفاء ، وكان مما تصورته اللجنة ان يكون للمؤتمر مكتب دائم يقوم عليه بعض البارزين وان يكون له فروع في العواصم ، وكل هذا يحتاج إلى مال وفير مدرار ولم يكن امل في ذلك إلا في فيصل والعراق إذ ذاك .

وهكذا وقف الانكليز من تجديد نشاط رجال العرب بسبيل الحركة العربية موقف التعطيل ، ولا سيما ان العمل كان ينحو نحو العمل الشعبي الحر الذي لا يتقيد بقيود الرسميات والسياسة الرسمية وبالتالي لا يكون فيه منفذ لاصابعهم وايحاءاتهم. وقد استجاب لهم فيصل ورجال العراق القوميون مع انه كان يحسن ان يقفوا موقفاً اشد صلابة وإباء !

ومن عجيب الاحداث التي يحسن ان تسجل في هذا المقام ان الانكليز ورجال العراق وقفوا نفس الموقف من حركة المؤتمر القومي العربي الذي اراد القوميون المصريون وغير المصريين ان يعقدوه سنة ١٩٤٧ بسبيل تجديد نشاط الحركة العربية والدفاع عن فلسطين . فقد راى هؤلاء القوميون ان من المفيد ان يقوم إلى جانب جامعة الدول العربية الرسمية حركة او جامعة شعبية حرة تدعمها لما يقيد الحكومات من قيود ويحد نشاطها من حدود وساروا بسبيل ذلك شوطاً غير يسير حتى اوشكوا على إرسال اوراق الدعوة إلى المؤتمر فوقفت الوزارة العراقيه السعيدية ورئيسهـا معروف بانسجامه التام مع السياسة الانكليزية موقف المتجهم المعطل وطلبت مـن الحكومات العربية التضامن معها فيه فاستجابت هذه الحكومات اليها وتعطل المشروع !

الدور الثاني

١٩٣٢ — ١٩٣٩

حالة الحركة في فلسطين

●

كانت سنة ١٩٣٢ بداية دور جديد وخطير من ادوار القضية الفلسطينية والمؤامرة الانكليزية ضد الحركة العربية عن طريقها .

ولم يكن المؤتمر الاسلامي على ما كان من سموه وخطورة وفود العالم الاسلامي الذين اشتركوا فيه واعلانهم تضامن المسلمين مع اهل فلسطين ليؤثر تاثيراً عملياً ؛ وخاصة إنه لم يلبث ان ادركته الطبيعة الشرقية كما ذكرنا قبل .

وكان التشاد والتهاتر اللذان وقعا بين المجلسيين والمعارضين في ظروف انعقاده عاملا جديداً في عدم الانسجام بين اعضاء اللجنة التنفيذية وفتور الحركة الوطنية التي نشطت وقتاً ما بعد ثورة البراق ، وهو ما كان توخاه الذين اثاروها من وراء الستار .

ولقد كان من جراء هذا الفتور انجرؤ بعض كبار مرضى القلوب والوطنية على تشكيل شركة المتاجرة في الاراضي التي اخذت حركة الطلب عليها تشتد واسعارها ترتفع بسبب هجرة اليهود الالمان على ما سوف نذكره بعد ، بل وحتى تجاوز الامر المعروفين من مرضى القلوب والاخلاق والمروءة الى اشخاص لم يكن ليخطر على البال انهم يتورطون في ذلك ، وحتى ان جريدة فلسطين لم تر بأساً في كتابه بضع مقالات متسلسلة عن آراء بعض زعماء اليهود في امر اراضي فلسطين وتحديد مناطق للبيع والشراء فيها وفي الترويج لهذه الآراء ، وكانت هذه المقالات نتيجة تفاهم بين صاحب الجريدة وخانكين اليهودي الذي كان يدير حركة شراء الاراضي للشركة اليهودية القومية !

●

وفي هذه الاثناء جاء مندوب انكليزى جديد هو ارثر واكهوب فسلك سياسة خبيثة بسبيل التمويه والتخدير واستغلال الظروف ، ونجح فيها إلى حد غير يسير فازداد الموقف ميوعة بسببها .

فقد أخذ يظهر عطفه على الفلاح بتخفيض في الاعشار مرة بعد مرة ثم بالغائها واستبدالها بضريبة الارض الموحدة ، وبتشجيعه الاعمال والمختبرات الزراعية ، وباقامته الولائم للاعيان والفلاحين والبدو ، وبزياراته للقرى ومحادثاته مع الفلاحين إلى غير ذلك من الاعمال الثانوية الجوفاء او بالاحرى البهلوانية . وكان المجلس الاسلامي في أزمة مالية شديدة بسبب الرغبة التوسعية التي أشرنا اليها سابقاً وعدم انتظام جباية الاعشار الوقفية وعدم كفايتها فساعد على حل هذه الازمة حيث وافق على دفع مبلغ مقطوع عن هذه الاعشار فاكتسب بذلك حمد المجلس وانصاره وهم أكثرية الجبهة الوطنية وزعماؤها . وقد توسع في خطة تعيين أبناء الاسر الاسلامية المعروفة من مجلسية ومعارضة حيث عين عدداً غير قليل منهم في وظائف عالية ، وكان محسوساً ان هذه التعيينات نتيجة لالتماس زعماء هذه الاسر الذي وافق هوى في نفس المندوب على اعتبار أن الموظفين بمثابة رهائن تجعل الاباء والاسر مضطرين إلى الرضاء والحمد . وقد كان فيما انتهجه ونجح فيه كذلك بتأثير سياسته الناعمة المنافقة اشراك بعض رجالات العرب في لجان استشارية مختلفة من موظفين وعرب ويهود . وكان من تظاهره بالعطف على المصالح العربية ما خدر المكلفين بعضويات هذه اللجان وجعلهم يندمجون في خطته ويرون فيه صديقاً للعرب من الواجب مماشاته في ما يرمي اليه من مشاريع . ولقد لمس هو ذلك فضمن خطواته هذه في تقريره الذي قدمه لحكومته وللجنة الانتدابات حيث أشار إلى ما ظهر من العرب نحو السياسة الجديدة من انسجام وارتياح ، وأبدى أمله في ان تكون وسيلة الى ازدياد التعاون بينهم وبين الحكومة أولا وبينهم وبين اليهود ثانياً .

ومع الاسف الشديد أن بعض العاملين في الحركة الوطنية ومنهم أعضاء بارزون في اللجنة التنفيذية على اختلاف صفاتهم الحزبية استسلموا لهذه السياسة

أيضاً فلبوا دعوات المندوب الى ولائمه وحفلاته وجلسوا احياناً فيها مع اليهود في صعيد واحد كما قبلوا تكليفه واشتركوا في اللجان الاستشارية المختلطة كلجان العمال والطرق والتجارة والزراعة وبور حيفا الخ ، بل ومنهم من كان يدافع عن اشتراكه ويعده عملا مفيداً للعرب حتى بعد ان ادلى المندوب ببيانه أمام لجنة الانتدابات واشار الى ما في هذا الاشتراك من خطوات تمهيدية للتعاون بين العرب والحكومة واليهود ، بل وصل في بعضهم العناد حينما تحمست اللجنة التنفيذية في اوائل سنة ١٩٣٣ وقررت وجوب عدم التعاون مع الحكومة ووجوب انسحاب اعضائها من اللجان الحكومية بسبب فتح السلطات ابواب فلسطين لتيار دافق من الهجرة اليهودية ان اعلن انه يفضل التعاون مع الحكومة على البقاء في اللجنة التنفيذية ! كل هذا بالرغم من ما كان من تفاهة الفوائد التي عادت على العرب من الانسجام في سياسة المندوب ، وما كان ملموساً فيها من رغبة التخدير والتنويم التي يرجح انها انبثقت عند الانكليز من جديد حينما رأوا فورة العرب في ثورة البراق ونشاطهم في سبيل الدعاية لقضيتهم بين جميع العرب والمسلمين وما كان من سرعة استجابة هؤلاء لهم في توافد عظمائهم الى القدس في ظروف تحقيقات لجنة البراق اولا والمؤتمر الاسلامي ثانياً .

حظ اليهود في عهد واكهوب

●

ومقابل هذه الابتسامات والولائم والوظائف وعضويات اللجان وحل ازمة المجلس والغاء ضريبة العشر وغير ذلك من الفوائد الثانوية التي نالها العرب في عهد هذا المندوب والتي لم تكن لتتصل بجوهر قضيتهم الكبرى كان حظ اليهود فيه عظيما ومتناسباً مع الاتساق الموطد بين المطامع والرغبات اليهودية والسياسة الانكليزية ومع الدأب والحرص الشديد اللذين اتصف بهما اليهود .

ففي عهده تدفق سيل الهجرة اليهودية تدفقاً رهيباً بحيث بلغ عدد المهاجرين القانونيين أي الذين يدخلون بعلم واذن السلطات ووفقاً لقانون الهجرة – في سنة ١٩٣٢ عشرين الفاً وفي سنة ١٩٣٣ ثلاثين الفا وفي سنة ١٩٣٤ اربعين الفا وفي سنة ١٩٣٥ ستين الفا عدا غير القانونيين الذين قال المندوب السامي نفسه انهم يفوقون

احياناً عدد القانونيين وان الذي يثير خشيته هو هذه الهجرة غير القانونية ! وقد ارتفع عدد اليهود بهاتين الهجرتين في عهده من مئة وسبعين الفاً في آخر سنة ١٩٣١ الى نحو اربعمئة الف في اواخر سنة ١٩٣٦ ! هذا مع ان معدل الهجرة السنوي بين سنتي ١٩١٨ ـ ١٩٣١ ـ لم يزد عن سبعة آلاف ، حيث كان عدد اليهود في سنة ١٩١٨ نحو ستين الفاً فأصبح في آخر سنة١٩٣١ مئةوسبعين الفاً وبعبارة اخرى ان الهجرة اليهودية بلغت في السنوات الخمس المذكورة ٩٣٢ـ٩٣٦ ضعفاونصف ضعف لمجموع هجرة السنين الاربع عشرة ، ومع ان العرب كانوا يصخبون كل الصخب ويشتد قلقهم كل الاشتداد من الهجرة الاولى التي كانت تنذر بالخطر انذاراً وحسب .

وقد كانت هذه الحركة كأثر من آثار اعتلاء هتلر كرسي الحكم في المانيـا واخذه في وضع التشريعات والاجراءات المتنوعة التي تقي الشعب الالماني من شر اليهود واستغلالهم ، حيث كانوا متغلغلين في الحياة الالمانية وكانوا متحكمين وبارزين في المهن الحرة من محاماة وطب وصحافة وصرافة وتعليم الخ . كما كان لهم يد طولى في سياستها العليا بينما لم تكن نسبتهم الى نحو واحد في المئة او اقـل بالنسبة للشعب الالماني الجبار .

ولقد استغلت المنظمات الصهيونية حركة هتلر أشد الاستغلال واقامت الدنيا وأقعدتها بضجتها حتى جعلت الدول تهتم لامر اليهود وعصبة الامم تعين مندوباً للنظر فيما سمته لاجئي اليهودالالمان،وبادر الانكليز الى فتح ابواب فلسطين أمامهم فتدفق عليها في السنوات الخمس خمسون الفاً من ارقى يهود العالمفناوصناعة وتجارة ونشاطاً ، منهم تسعة عشر الفاًمن اصحاب رؤوس الاموال الذين يسمح لهم القانون بالدخول بدون كفالة والذين يملك الواحد منهم الف جنيه على الاقل اذا لم يكن صاحب مهنة وخمسمئة إذا كان صاحب مهنة على ما ذكرناه قبل واستغلت الوكالة اليهودية هذه الهجرة فأخذت تطالب السلطات بالسماح بجلب عمال يهود ليشتغلوا في الاعمال الزراعية والصناعية والانشائية التي سيمولها الممولون الالمان المذكورون فبادرت إلى إجابة الطلب فتدفق سيل مهاجرين من العمال من بولونيا وغيرها بلغ عددهم في السنوات الخمس نحو اربعة اضعاف الواردين من المانيامع انه كان يوجد في فلسطين بطالة عمال كبيرة بين العرب واليهود بشهادة سمبسون ، ومع انه قد

وصى بعدم السماح بهجرة عمالية ما لم تزل هذه البطالة ، ومع ان الحكومة البريطانية قد وعدت في كتابها الابيض بالسير وفق هذه التوصية ، ومع ان العرب كانوا يصخبون اشد الصخب ويقلقون أشد القلق من الهجرة السابقة التي كانت تمشي عرجاء بالنسبة لهذه الهجرة المتدفقة التي اصبح الوطن القومي بها حقيقة قائمة كما قررت ذلك اللجنة الملكية في تقريرها عام ١٩٣٧ وبررت بها قيام دولة يهودية في فلسطين ! فقد رأت هذه الحكومة الفرصة سانحة والظروف مواتية لتوسيع الخطوات في سبيل ما ترسمته من كيد فلم تبال بأي شيء . .

ولقد كان الخطر اليهودي قبل هذه الهجرة نظرياً والوطن القومي يتأرجح في يد القدر لما كان يحدق به من ازمات ومصاعب . فالاغنياء الذين كان اكثرهم في أميركا وبريطانيا وفرنسا والمانيا – قبل حركة هتلر – كانوا مطمئنين حيث هم مغتبطين بما لهم من افق استغلالي واسع ليس من المعقول ان يستبدلوا به افقاً ضيقاً تبدو عليه علائم الاضطرابات وتحيط به الاخطار ، بل كان هذا شأن غير الاغنياء من اليهود في هذه البلاد أيضاً حيث كانوا يجدون العمل ويحيون حياة الطمأنينة . ولذلك كان عدد المهاجرين الى فلسطين منها هو اقل المهاجرين عدداً وهذا ماثل الى اليوم بالرغم مما اصابته الصهيونية من نجاح عظيم . . واكثر المهاجرين الذين كانت المنظمات الصهيونية تستطيع اقناعهم بالهجرة الى فلسطين كانوا من فقراء بلاد متجهمة لليهود كبولونيا ورومانيا ، وكان على هذه المنظمات ان تنقلهم على حسابها وان تدبر لهم المسكن والعمل[1] وكان يقدر لانتقال الاسرة الواحدة وكفالة معيشتها الف جنيه على الاقل ، وكانت الجباية اليهودية تسير سيراً أعرج

---

(١) وهذه الظاهرة مستمرة الى اليوم ايضا ونحن في اواسط سنة ١٩٥٩ . فمعظم الذين هاجروا الى فلسطين في اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ثم بعد قيام الدولة اليهودية هم من يهود آسيا وشمال افريقيا وشرق اوروبا . اما انسبل الرزق ضاقت في وجوههم واما انهم تعرضوا للاضطهاد او فروا منه او خوفوا وغرر بهم ولم يأت من يهود اوروبا الغربية واميركا الا اعداد قليلة برغم ما يظهرونه من حماس للصهيونية . وبرغم النداءات التي توجه اليهم . وفي هذا برهان على ان الفكرة العقيدية الصهيونية ظلت في نطاق القول دون الفعل ثم جمدت ولم تغذ حركة الهجرة الى فلسطين التي هي المظهر الاقوى والاعظم من الحركة الصهيونية واذا كانت الحركة الصهيونية مع ذلك مستمرة على نشاطها وحيويتها فمرد ذلك الى انها اصبحت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين صار عملهم فيها مهنة واحترافا فضلا عن الدول الاستعمارية التي تحركها وتتخذها وسيلة لمآربها في الشرق العربي .

لما كان يحيط بمشروع الوطن القومي من الازمات والمصاعب ، ولما كان من دعاية خصومه الاقوياء من اليهود انفسهم وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية لما كانوا يرونه من خطر اشتداد السخط على اليهود الذين يفضلون البقاء حيث هم والتبرم بهم (١) ، وقصارى ما كانت تبلغه ميزانية الوكالة اليهودية في السنين الاولى بضعة ملايين من الجنيهات . ولم تكن هذه لتتسع لنفقات دوائر ومؤسسات هذه الوكالة في داخل فلسطين وخارجها ثم لجلب مهاجرين كثيرين و كفالة العمل الدائم لهم ومشاريع الوطن القومي المتنوعة العديدة ، ومن هنا كانت البطالة اليهودية وكانت مساحات الاراضي اليهودية البور التي لاحظها سمبسون .

ولقد كانت الهيئات الوطنية العربية تنذر الناس بالخطر اليهودي فلا يدركه الا الاقلون في فلسطين ، وكان الانذار به يقابل بالابتسام من البلاد العربية والاسلامية التي كانت ترى يهود بلادها وترى من السخرية التخويف من امثالهم فغدا سواد الناس في فلسطين يلمسونه لمسا ، وكانت الاضطرابات التي تقع في فلسطين في السنين الاولى محلية وعاطفية وضئيلة النتائج وقصيرة الامد فغدت عامة مديدة عظيمة النتائج على ما سوف نذكره بعد بسبب هذا التطور الذي تطور اليه المشروع اليهودي بهذه الهجرة الغنية الدافقة .

وفي عهد هذا المندوب وبمساعدته انتقل امتياز الحولة من العرب إلى اليهود فتمكن هؤلاء من أكثر من خمسين الف دونم من اخصب اراضي فلسطين واعظمها وتوطدت بذلك قدمهم فيما يسمى الجليل الشرقي . وقصة هذا الامتياز قديمة ترجع إلى عهد الحركة الاصلاحية البيروتية بعد اعلان الدستور ، فقد تقدم في هذا الظرف الذي كانت الحكومة فيه بيد الائتلافيين الذين كانوا يجنحون الى مراضاة العرب بعض رجال هذه الحركة مثل سليم على سلام ومختار بيهم ورفاق لهم وسعوا فنالوا امتياز تجفيف مستنقعات الحولة واستغلال الاراضي المجففة مدة معينة وتوزيعها ببدل معقول على المزارعين . وقد وضعت في صيغة الامتياز شروط بتشكيل شركة لهذا

(١) ان هذه الخصومة القومية ما تزال عند كثير من هؤلاء . وكل ما في الامر أن التنظيم الصهيوني قد احكم احكاماً قوياً بحيث ضيق من مجال خصوم المشروع ، وان ما أخذ يلقاه هذا المشروع من نجاح منذ سنة ١٩٣٦ وما بعد قد ساعد على ذلك كما ساعد عليه ايضاً غرض الانكليز في نجاح المشروع .

الغرض يحمل اسهامها عثمانيون ولا تنتقل لغيرهم . ومع انهم شكلوا الشركة إلا ان مداهمة الحرب العالمية الاولى حالت دون بذل الجهد المثمر في سبيل القيام بالامر. فلما وضعت الحرب اوزارها أخذ سليم علي سلام تفويضا من الشركاء وقام بمساع طويلة حتى تمكن من تثبيت حقوقه وحقوق شركائه في الامتياز ثم نشط في عمليات التجفيف والاستغلال . غير ان اليهود الذين كانوا يقدرون قيمة الارض اخذوا يسعون معه تارة لحمله على التنازل لهم عن الامتياز وتارة من الحكومة لحملها على الوقوف منه موقف المعرقل لنشاطه والمشجع على التنازل . وأخيراً نجحوا فاتفق معهم على التنازل عن الامتياز مقابل مبلغ جسيم متذرعا بكثرة النفقات التي يتطلبها المشروع وبقرب انتهاء مدة الامتياز والخوف من فقدانه ، ووافقت الحكومة على هذا التنازل فانتقلت هذه الاراضي الغنية المهمة الى الايدي اليهودية . ولو كان المندوب البهلوان صادقا في ما كان يتظاهر به من العطف على الفلاح العربي لما وافق على التنازل ولكان قام بالمشروع على حساب الخزينة ووزع الاراضي المستصلحة على مزارعي العرب المحرومين الذين كانت مشكلتهم مما تتظاهر السلطات الانكليزية بالاهتمام لها والنشاط بسبيل حلها ، وقد كانت إذ ذاك تقوم بناء على توصية خبيرها سمبسون بما سمته المشروع الانشائي الذي كانت تهدف به إلى اصلاح الاراضي وحل مشكلة المزارعين المحرومين والذي رصدت له مبالغ غير يسيرة ..

وطبيعي ان المندوب إنما سار في هذا الامر بروح سلطاته العليا وتعليماته المنسقة مع الغاية الكيدية المرسومة . وقد كان لهذه العملية اثر سيء في نفوس العرب ظهر على الالسنة والصحف ، وكان للسياسات المحلية والشخصية الحزبية بعض الاثر في ما جرى حول ذلك من قيل وقال . ومن عجيب ما جرى انه نشر بسبيل ذلك نشرات ذكرت فيها اسماء الاسر والاشخاص الذين باعوا وسمسروا في معرض الدفاع والاعتذار وقيل فيها ان الحملات أولى أن توجه إلى هؤلاء ..

ومما كان من مساعدات واكهوب لليهود وانسجامه معهم طي مشروع المجلس التشريعي الذي وعد به الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٠ الصادر نتيجة لتقارير لجنة

شو وسمبسون والذي قالت الحكومة البريطانية في صدده إنها مصممة تصميماً قاطعاً على تحقيق هذا المشروع وعلى قمع كل حركة تقوم ضده وتحاول عرقلته على ما جاء في ذلك الكتاب . فقد أخذ وا كهوب يقوم ببعض التمهيدات لاجل تنفيذه وأجرى إحصاء بسبيله ، ثم جرت مباحثات ومراسلات حوله ظهر فيها جنوح من غالب الأحزاب العربية التي اشتركت فيها إلى الترحيب بالمشروع المعدل والرغبة في تنفيذه ولكن اليهود الذين رأوا تباشير الازدهار وعلامات الحيوية والقوة على مشروعهم وقفوا هذه المرة موقفاً سلبياً من المشروع لئلا يقف الازدهار والنمو اليهودي عند حد لا يرضي مطامعهم فما كان من المندوب وسلطاته العليا الا مجاراتهم .

ونقول استطراداًإن بعض ملوك وزعماء ورجالات العرب اعتادوا ان يوجهوا اللوم إلى عرب فلسطين على عنادهم وتمسكهم بالسلبية المطلقة . فهذا الجنوح آولا وما ذكرناه سابقاً من مواقف ومشاهد عديدة أظهر فيها العرب إستعداداً للاندماج في مشاريع ايجابية نصفية وتافهة احياناً دليل على ان هذا اللوم في غير محله وان زعم السلبية المطلقة كان اثراً من آثار الدعاية الانكليزية بسبيل الاعتذار والتوهين ، بينما كان الانكليز يصرون على حرمان العرب من أي مركز دستوري قد يؤثر في سير سياستهم المرسومة الرامية الى تمكين اليهود في فلسطين وكانت تلك الاستعدادات المتعددة التي اظهرها العرب بسبب ذلك تظل مخفقة خائبة .

وفي عهد هذا المندوب سارت عمليات تسوية الأراضي التي بدأت قبله اشواطاً كبيرة . وكان القصد من هذا المشروع في الظاهر تنظيمياً حيث تحل به مشاكل ملكيات الأراضي ونزاعاتها وتمهد لكل مالك مهما كانت حصته ان يحصل على خريطة وسند لحصته مفروزة او مشاعة . وكان مرد ذلك الى محاكم الاراضي التي كانت القضايا تطول فيها كثيراً وقد لا تنتهي ، وكانت هذه المشاكل والنزاعات من العثرات المهمة في سبيل تحقيق مطامع اليهود في الأراضي العربية ، فمهد هذا النشاط في عمليات التسوية الطريق الى تحقيق المطامع بمقياس واسع ، حيث بدا انها تنحصر او تكاد في منطقة معينة وهي منطقة السهول الخصبة والاراضي المروية او القابلة للارواء ، وهي المنطقة التي ظهر فيما بعد ان السياسة البريطانية ترمي الى تخصيصها للدولة اليهودية ، وكانت تهدف إلى إستخلاص اكبر مساحة

ضمن هذه المنطقة من ملاكيها العرب بحجة انها معطلة أو لا تدخل ضمن سندات أو بحسب الاصطلاح كواشين الملاكين العرب ، وتسجيلها باسم املاك الدولة ومنع انتفاع العرب بها ثم تسهيل إنتقالها الى اليهود عاجلا او آجلا . ومما يستحق الذكر ان مأموري التسوية لم يأخذوا شبراً واحداً مما كان يملكه لليهود باسم املاك الدولة مع أن منه ما كان بكواشين عثمانية مثل كواشين العرب وفي اطلاقهـا واحتمالاتها ، فكان الكوشان محل اعتراض وإدعاء وتمحل في مدى شموله للأراضي التي يحدها إذا كان مالك الأرض وصاحب الكوشان عربياً . أما الكوشان الذي في يـد اليهود فكان يقبل بـه كل ما يدعيه اصحابه ويعتبر شاملا لكـل شبر من الأرض المسماة سهلها وجبلها وصالحها ورديئها ومعمورها وبورها . وكان مأمورو التسوية الذين يمارسون صلاحيات قضائية عظيمة ينتخبون من غير السلك القضائي واغلب الذين كانوا يعينون في المناطق التي تشتبك فيها المصالح العربية واليهودية او يرمي اليهود إلى استخلاصها من العرب كانوا يعملون بانسجام تام مع المصالح اليهودية ، ووكلاء الشركات اليهودية الذين كانوا في اثناء عمليات التسوية يعمدون إلى شراء حصص مـن اصحاب الكواشين الميتين والوارثين الذين لا يتصرفون بالارض بأبخس الاثمان ويتقدمون الى هؤلاء المأمورين فيحكم لهم ، في حين كانوا يدققون أشد التدقيق مع العرب الذين يحاولون ما يحاوله اليهود أو الذين لهم حقوق قديمة في الأرض والكواشين ويضعون امامهم مختلف العراقيل .

وفي عهد هذا المندوب أجلي بدو وادي الحوارث عن أرضهم بالقوة إجـلاء اجماعياً بحجة تنفيذ حكم قضائي . ومساحة هذا الوادي نحو أربعين الف دونم من الأراضي الجيدة . وكان مسجلا على بعض امراء القبيلة دون افرادها فباعوه لأسرة التيان اللبنانية ورهنته هذه لبعض الافرنسيين وهؤلاء رهنوا رهنهم لبعض اليهود الافرنسيين ايضاً . وكان ذلك في زمن الدولة العثمانية . فجاء ورثة المرتهنين الآخرين تطالب بدينها فحكمت المحكمة بالدفع ووضع الرهن في المزاد فرسا على اليهود ، ونفذت السلطات الحكم فقوضت بيوت البدو المزارعين وجلتهم عن ارض عرفوا بها وعرفت بهم بالقوة فكان مشهداً أليما حيث غدا نحو خمسمئة عربي حيارى دامعي العين لا يدرون ما يفعلون ولا يملكون ما به يقتاتون . وكان من واجب السلطات ان تتدخل باسم حماية المزارعين وتفعل شيئا بل وتشتري الوادي او تستملكه

لمزارعيه من مرصودات المشروع الانشائي لو كان عندها نية حسنة وكان المندوب صادقاً في ما تظاهر به من عطف بهلواني ..

ونقول استطراداً ان الحادث ليس فذاً في تاريخ فلسطين الانتدابي ، فكثير من القرى والمزارع التي اشتراها اليهود من الأسر السورية واللبنانية قد مرت بهذا الدور حتى ان بعض مزارعيها قتلوا في ارضهم برصاص الانكليز وهم يدافعون عنها . ولكن ظروف الحادث جعلته خطيراً حيث جاء بعد الشكايات الشديدة من عدم حماية مزارعي العرب وحرمانهم من اراضيهم وبعدوعود الحكومة الانكليزية بعمل ما يقتضي بهذا الصدد ، وحيث جاء كذلك في وقت أخذ جو فلسطين فيه يتجهم وينذر بالشر بسبب سيل الهجرة وشعور العرب بالخطر الداهم شعوراً واسعاً .

وقد جرى حول هذا الحادث وبسبب ظروف خطورته قيل وقال تدخلت فيه السياسات المحلية والحزبية الشخصية فزادت من خطورته وشدة وقعه .

خطوات اليهود في صدد شرق الاردن وصداها

●

والسياق يتحمل الاشارة الى حادث خطير وقع في عهدهذاالمندوب وهوظهور مطامع اليهود عملياً في استعمار شرق الاردن والهجرة اليها . ولقد شمل الانتداب الانكليزي لفلسطين بصورة ضمنية شرق الاردن حتى كانهما اعتبرتا بلاداًواحدة ولم يوضع لشرق الاردن صلك انتداب خاص . وقد جاء في صلك انتداب فلسطين مادة وهي المادة الخامسة والعشرون تنص على حق الدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الأمم ان تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من مواد الصلك التي لا تكون ملائمة للأحوال المحلية الحاضرة في الاقسام الواقعة شرق نهر الاردن وان تضع لادارة هذه الاقسام ما تراه ملائماً لتلك الأحوال من تدابير . وكان اليهود منذ الأصل يضعون في برنامجهم الاستعماري القومي شرق الاردن في الدرجة الاولى . وقد قوت هذه المادة مطامعهم هذه حيث أملتهم بالنفوذ من ثغرة نص التأجيل وشمول الصلك لشرق الأردن وفلسطين على السواء مع ما احتوته ديباجته من تصريح بلفور وقيام الصلك والانتداب عليه .

فحينما أخذت الحركة الهتلرية تقوى ويفر من أمكنه الفرار من يهود المانيا الاثرياء ويهاجرون الى فلسطين أخذت هذه المطامع تشتد ، ولا سيما ان الاراضي الفلسطينية الصالحة التي لا يمكن ان تتيسر لليهود والتي تقع في مناطق استعمارهم قد قلت كثيراً وارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً ، وان الضجة العربية من جراء ذلك قد أخذت تحدث أثراً ما في الحكومة الانكليزية ، هذا بينما يرون في شرق الاردن مساحات شاسعة صالحة للاستغلال والاستعمار تكاد تكون بدون ثمن رخصاً وخالية من السكان ، من حيث ان مساحة شرق الاردن تبلغ تسعين الف كيلومتر وسكانها لم يكونوا ليبلغوا الاربعمئة الف إذ ذاك ونصفهم بدو رحل ، واكثر اراضيها الزراعية مملوكة واكثر المملوك منهـا مسجل على الرؤساء والامراء والمشايخ ، ومن شأن هذا كله ان يسيل لعاب اليهود وان يحملهم على بذل الجهود والتوسل بكل وسيلة الى التسرب الى شرق الاردن حالما اخذوا يرون مدد المال والرجال يصل اليهم من الحركة الهتلرية فينعش آمالهم وحركتهم .

ولقد حسّنَ لعاهل الأردن ان تكون له مزارع ؛ وكان هناك ارض واسعة تبلغ مساحتها مئة الف دونم وفيها قبر ابي عبيدة فاتـح الشام العظيم ، ورضي الانكليز بأن تكون للعـاهل هذه الأرض ووافق المجلس التشريعي الاردني على قانون بهبتها له على ان تسجل وقفاً وسجلت وقفية الارض في المحكمة الشرعية . غير ان الناس لم يلبثوا ان رأوا خـبراء اليهود يزورون الارض وان اخذوا يسمعون اخبار المفاوضات على تأجيرها لليهود لمدة تسع وتسعين سنة ، وان قيل ان عقد الاجار قد كتب فعلا وان سلفة دفعت على حساب هذه الاجرة ، فقـد استغل اليهود الفرصة وطمعوا في حيازة الأرض واعمارها بشكل ما فسعوا سعيهم الذي كاد ينجح وتنتقل قدمهم بنجاحه الى الضفة الشرقية من الاردن لولا الضجة التي ثارت حول هذا الحادث لما انطوى عليه من مدى خطير وبعيد ، والتي ادت الى انكفاف اليد اليهودية .

ولقد وقع اثر ذلك او في ظروفه حادثان آخران يمتان الى مـا نحن في صدده من خطوات اليهود العملية بسبيل مطامعهم في شرق الاردن . فقد اخذت ترد على عاهل الأردن عرائض وبرقيات من بعض شيوخ البلاد يطلبون فيها منه تيسير دخول رؤوس الأموال الأجنبية الى شرق الأردن للقيام بالمشاريع العمرانيـة

وتفريج ازمة البلاد ، واخذت توجه الحملات في مجالس عمان على اهل فلسطين الذين يحاولون حرمان شرق الاردن من الازدهار والعمران ويحملون على اصحاب الشأن فيه بسبب اجارة ارض معطاة بينما هم يسمنون ويغنمون من اموال اليهود ، مما كان الناس يلمسون فيه اثر عاهل الاردن ونقمته .

اما الحادث الثاني فكان اجتماعاً انعقد بين نفر من شيوخ شرق الاردن ونفر من زعماء اليهود في القدس وقع فيه الشيوخ على عريضة يعلنون فيها موافقتهم على هجرة اليهود الى شرق الاردن واعمارهم اراضيه لما في ذلك من فوائد للسكان وحمل اليهود العريضة مع صور البرقيات والعرائض التي وقعت للعاهل بطلب تيسير دخول الأموال الأجنبية كما حملوا عقد اجارة الأرض الى لندن حيث طالبوا برفع القيود عن تطبيق تصريح بلفور على شرق الاردن ما دام اهله يطلبون ويرحبون . ولم تر الحكومة البريطانية مجاراتهم لأن خطتها ان يكونوا شوكة في جنب فلسطين لا قوة مرهوبة في الشرق العربي فلجأوا الى لجنة الانتدابات ، وكان من آثار ذلك ان سأل احد اعضاء هذه اللجنة مندوب الحكومة المذكورة اثناء تقديمه التقرير السنوي ومناقشته عن سبب امتناع حكومته عن تيسير الهجرة اليهودية الى شرق الاردن ما دام انه لم يبق أرض ميسورة في فلسطين وما دام أمير وزعماء شرق الاردن يرحبون بذلك ويرون فيه خيراً لبلادهم ؛ فلم ينف المندوب القول، وكان جوابه ان الحكومة البريطانية لا ترى ذلك ملائماً الآن لأسباب تتصل بالأمن العام ونشرت الصحف العربية هذا وانتظر الناس من عمان وشرق الأردن اعتراضاً أو تفسيراً او نفياً لماقيل فذهب انتظارهم سدى ... على أن الخطوات والتحريكات اليهودية لم تلبث ان وقفت لأن الحالة في فلسطين قد اخذت تتحرج وتتفاقم على ما سوف نذكره بعد .

حالة اللجنة التنفيذية واشتداد الحاجة الى حركة قوية

●

ولقد كان عدم الانسجام في اللجنة التنفيذية العربية وما زاده التهاتر والتشاد اللذان وقعا في ظروف انعقاد المؤتمر الاسلامي من توتر وتفكك فيها ومن فتور في الحركة الوطنية بالتبعية موئساً للكثير من اعضائها من امكان فائدة هذه التشكيلة المؤلفة من مختلف الأهواء والأحزاب والصفات للحركة الوطنية وحافزاً الى التفكير

في انشاء احزاب منفردة متمازجة حيث تكون املك للحرية واقوى على تكثيف الجهود وفي نجوة من التشاد المنغص المعطل. وقد كانت الحاجة ماسة قبل ذلك بأمد طويل في الحقيقة الى صرخة ايمانية حينما دخلت الحركة الوطنية في دور فتورهـا وميوعتها وخاصة حينما غلب عليها طابع نضال الصهيونية دون الانكليز الذين هم اصل الداء ورأس البلاء حتى لقد كان هذا مما لفت نظر لجنة شو والمعت اليه او بالأحرى غمزت العرب به في تقريرها ، واشتدت هذه الحاجة بما كان من سياسة واكهوب التي ذكرنا صورها والتي جعلت جل الزعماء ان لم نقل كلهم يندمجون في مداراة الانكليز وجعلت بالتالي فكرة مكافحة الانكليز مباشرة وبصورة حازمة بعيدة ؛ وجعلت اكبر همّ من يستشعر الاخلاص للوطن وقضيته منهم ان يناوىء الصهيونية ويستعدي عليها ويعرقل اعمالها ومشاريعها مع ان هذا لم يكن ليجدي الجدوى الصحيحة لان الانكليز مستمرون في تمكين الصهيونية والانسجام التام معها ، فصار من الواجب اللازم توجيه الكفاح نحوهم لأنهم بيدهم وحدهم التعديل والتبديل والنقض والابرام ؛ وقد كانوا اصل البلاء وظلوا كذلك بما كان منهم من استجابة وتعضيد لكل مطلب يهودي واضاعة واهمال لكل حق عـربي ونكث بكل وعد للعرب في جزئيات الامور وكلياتها الا ما كان تافهاً لا يرضي غير الأطفال والأنانيين ، ثم جاءت الهجرة اليهودية الواسعة المنذرة بالخطر العاجل والمستقبل الحالك منبهاً جديداً على وجوب القيام بمثل تلك الحركة .

ولقد اخذ بعض الوطنيين المتألمين في التوجيه نحو الدعوة النضالية ضد الانكليز والتنبيه على ما غلب على الحركة الوطنية من فتور وميوعة واكتفاء بالصهيونية منذ سنة ١٩٣١ حيث انتهزوا فرصة ذكرى واقعة حطين الشهيرة التي سحق فيها صلاح الدين جيوش الصليبيين وزلزل ملكهم في فلسطين فدعوا الى اقامة حفلات عامة، واقيمت فعلا هذه الحفلات في جميع مدن فلسطين تقريباً شهدهـا عشرات الوف الناس ، وخطبت فيها الخطب التي ذكرت الانكليز بصفتهم واثرهم ودعت الى النضال ضدهم مباشرة ، وكانت لاسعاف النشاشيبي خطبة قوية في هذا البـاب القيت في حفلة حيفا التي كانت اعظم الحفلات واقواها ؛ وحيث كتب صبحي الخضراء الذي كان مديراً لمكتب اللجنة التنفيذية مقالا شديداً في جريدة الجامعة العربيـة بعنوان « بريطانيا اصل الداء وراس البلاء » اثارت الانكليز وحملتهم على محاكمته ونفيه من القدس ، وحيث كتبت انا بضع مقالات في الجريدة المذكورة بعنـوان

« اين نحن من ايماننا الوطني واهدافنا الاستقلالية » نعيتما طرأعلى الحركة الوطنية من فتور وميوعة واكتفاء وتضاؤل هدف كان لها تأثير في نفوس المخلصين وصدى في خارج فلسطين حتى ان صحف دمشق تناقلتها وعلقت عليها لأن حركة الشام كانت تمر اذ ذاك بمثل المحنة التي كانت تمر بها حركة فلسطين، واخذت الصرخات تتابع والافكار تتجه مع التوجيه الجديد .

نشوء حزب الاستقلال

●

وجاءت الهجرة اليهودية المتدفقة المنذرة بالخطر العاجل منبهاً جديداً على وجوب القيام بحركة قوية منظمة ومنسجمة . وكان جماعة الاستقلاليين اول من خطا الخطوة الاولى . والتسمية من اسم الحزب الذي انشأوه من جهة ومن انتساب اكثرهم الى حزب الفتاة والاستقلال القديم من جهة اخرى .

ولقد سبق انشاء الحزب اجتماعات عديدة بين بعض اركانه وبينهم وبين الحاج امين الحسيني وبعض الزعماء المجلسيين من رفاقه جرت فيها الاحاديث في صدد تجديد شباب الحركة الوطنية وتصحيح سيرها ، بحيث يدخل في منهجها النضال ضد الانكليز ومصارحتهم العداء واعتبار مداراتهم منافية للاخلاص والصبغة الوطنية وكان من نتيجة هذه الاجتماعات ان اقتنع جماعة الاستقلاليين الذين كانوا يشتركون فيها بانشاء حزب مستقل عن المجلسيين الذين كانت لديهم اعتبارات تحملهم على السير على اسلوب آخر يتسق معها .

وكان الرأي المفضل ان لا يكون الحزب قائماً على عمليات انتخابية حيث يكون الحزب وهيئته المركزية وهيئات فروعه تكويناً اختيارياً وتعيينا لأن التجارب أثبتت ان هذه العمليات كثيراً ما تكون اللغم الذي ينسف الهيئات التي تقوم عليها ووسيلة للفساد والتشاد حتى ولو كان اعضاء هذه الهيئات من ميول متقاربة، وان لا يكون قائماً كذلك على فكرة تكثير المسجلين فيه انسياقاً وراء الاعتبارات الشخصية والسياسات الحزبية المحلية ، وان لا يهتم لان يكون من هذه الناحية قلة او كثرة وانما يهتم لأن يمثل مبادىء وان يكون قوياً فيها وأن يكون اعضاؤه مختارين اختياراً من العاملين المخلصين اصحاب المبادىء والغيرة ، وان يبتعد عن اخذ من عرف عنه لوثة وطنية او اخلاقية ، وان يكون قائماً بصراحة على كفاح الاستعمار ومعالنة

الانكليز بالعداء في جانب كفاح الصهيونية ، وان يبتعد اعضاؤه عن زج انفسهم وزج الحزب في تيار السياسة المحلية والشخصية .

وتطابق على هذه الأسس كل من معين الماضي وعزة دروزة وعوني عبدالهادي وصبحي الخضراء ورشيد الحاج ابراهيم واكرم زعيتر وفهمي العبوشي والدكتور سليم سلامة وعجاج نويهض واتفقوا على نصوص منهج الحزب(١) بحيث جاءت متسقة مع مبادىء الاستقلال والفتاة والميثاق الذي وضعه المؤتمر العربي في القدس في كانون الأول ١٩٣١ من وحدة عربية وانكار للتجزئة وكون فلسطين جزءاً من سورية والعمل على الغاء الانتداب وتصريح بلفور وقيام حكم عربي مستقل ووضعوا في المنهج نص يمين بعدم استغلال الحزب لمأرب او منصب او نفوذ شخصي او عائلي والتعاون على ما فيه الخير والكرامة مع الاخلاص لغايات الحزب ، كما استغنوا عن رئاسة للحزب اكتفاء بسكرتير عام ، واذاعوا بياناً بتشكيل الحزب وبواعثه في شهر تموز من سنة ١٩٥٢ ننقله في ما يلي لأنه يصور الحالة التي وصلت اليها الحركة الوطنية وما كان لها من تأثير في قضية فلسطين .

« لم يبق احد لم يشعر بما طرأ على الحركة الوطنية الاستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور وما وقعت فيه من اضطراب وانحلال وفوضى ، وما تسلط عليها من اهواء ونزعات زعزعت اساسها وبدلت اغراضها ومراميها ، فبعد ان كانت قضية استقلالية تحمل خواص القضية العربية الكبرى وتحتفظ بمزاياها الشريفة وتكافح الاستعمار وجهاً لوجه اصبحت قضية محلية تتأثر بالنزعات الشخصية والأهواء العائلية والقوى الانتخابية الى حد كبير . واذا كانت الحركة الوطنية وقفت في ادوارها الاخيرة موقف الكفاح فلم يكن ذلك منها في الأعم الأغلب موقفاً صريحاً لا مواربة فيه وانما كان موقف عجز ومسكنة محصوراً بمقاومة القضية المصطنعة التي نكبنا بها الاستعمار ليلهينا عن اغراضنا المقدسة العليا ، بل لقد اصبحنا وليس لنا في هذه البلاد قضية استقلالية نكافح دونها ونرد الأطماع الاستعمارية عنها ، وصرنا الى حالة نستسيغ معها وطأة المستعمر ونستمرىء اساليبه ونتهافت على نيل رضاه بالتقرب والزلفى ونتبادل الاستنصار به ليغلب فريق منا فريقاً سعياً وراء قضايا الأشخاص والاهواء .

(١) جعلنا قانون الحزب ملحقا برقم ٦

ولما كان من الجريمة الوطنية ان تصبح قضيتنا الاستقلالية التي أسس بنيانها على هامات شهداء العرب في جميع الاقطار العربية ورفعت قواعدها على مناكب المجاهدين الابرار رهن القضايا الشخصية وفريسة تلك النزعات والحزبيات المحلية وان لا يكون لفريق الاستقلاليين الذي عمل مع الجماعات العربية في ميدان القضية العربية الاستقلالية الكبرى ولمن يجري على مبادئهم وينحو نحو غايتهم كيان مستقل ينضوون تحت لوائه لاستئناف الجهاد الوطني وفقاً للمبادىء التي اعتنقت وبشر بها تبشيراً خالصاً لوجه الله والامة والوطن فإن موقعي هذا البيان اعتقدوا أنه آن الأوان لاقامة مثل هذا الكيان والقيام بحركة وطنية خالصة على يد حزب سياسي استقلالي يكافح الاستعمار وما جره من نكبات كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا مواربة ويعمل على نيل حقوق الامة الاستقلالية وانهاضها حاذياً حذو الاحزاب الوطنية التي تعتز بالمبادىء الشريفة وتستمد منها الرشد والهدى . وسيكون الاساس الذي يبنى عليه هذا الكيان الحزبي الاستقلالي التجانس في المبادىء الصحيحة والاخلاص الشريف وحب العمل النزيه والابتعاد كل الابتعاد عن الجري في طريق السياسات المحلية والشخصية والعائلية ، وجعل المصلحة العامة فوق كل مصلحة ، وعدم الاهتمام بتة لفكرة اكثرية او أقلية وما يتبعها من سياسات انتخابية لا يراد بها وجه الله والوطن وعدم الموالاة او المعاداة لاي كان الا بما يكون له من موقف او عمل يتسق او يتعارض مع مباديء الحزب وغاياته وخططه . وقد أجمع القائمون أمرهم ووضعوا قانون حزبهم الذي ينشرونه في الناس مع هذا البيان واثقين كل الثقة ان في البلاد فريقاً كبيراً من الاحرار المخلصين يشعرون بالحاجة التي شعر بها القائمون بهذا الحزب ويألمون مثل ألمهم فيمدون اليهم يد المؤازرة والتأييد في هذه الحركة التي يرجون من ورائها الخير والخدمة الخالصة المنزهة عن كل شائبة وشين سائلين الله عز وجل ان يثبت أقدامهم ويهديهم السبيل الاقوم لخدمة القضية الوطنية الاستقلالية وللخروج بها من هذه الدائرة الضيقة التي حصرت فيها وتخليصها من تلك الاهواء والنزعات التي ذهبت بنضارتها وقللت من كرامتها والله ولي التوفيق » .

وقد انضم للتسعة المذكورين حمدي الحسيني وحربي الايوبي فصارت هيئة الحزب المركزية مؤلفة من الاحد عشر وأخذوا في تنظيم أنفسهم وإعداد منهج لنشاطهم . وكان مما قرروه عقد إجتماعات عامة في المناسبات الملائمة والتحدث إلى الناس وتنبيه

اذهانهم وإيقاظ روح الكفاح ضد الانكليز الذين هم مصدر البلاء والشر لكل ما حل في بلادهم من خطر وضرر وحرمان وبيدهم وحدهم إزالة ذلك، وقدعقدوا اجتماعات في يافا ونابلس والقدس وعكا وحيفا القوا فيها الخطب القوية الصريحة وكانوا ينشرون بين يدي كل اجتماع بياناً بالمناسبة فيهتنبيه واعداد وحملات شديدة على الانكليز وسياستهم الاستعمارية والصهيونية الرهيبة، ألحقنا بالكتاب منها بيان ٢ نوفمبر ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع عقدوه في نابلس لذكراه المشؤومة (١) وبيان ٩ كانون الاول ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع عقدوه في القدس لذكرى فتح القدس التي اعتاد الانكليز احياءها سنوياً (٢) كأنموذج لهذه البيانات القويةالتي كانوا يذيعونها والخطة الهجومية المباشرة التي انتهجوها وللذكرى بسبيل تسجيل ما كانوا يدركونه هم وغيرهم من مستقبل رهيب ومصير مظلم لفلسطين من جراء المؤامرة الانكليزية اليهودية.

وكان اجتماع حيفا في اول ايلول عام ١٩٣٣ آخر اجتماعات الحزب العامة ، وكانت حركة الهجرة اليهودية قد اشتدت وزادت في قلق الناس وخوفهم فكان من اشد الاجتماعات تأثيراً وقوة في الحملة على الانكليز وسياستهم.

ولقد كانت القاعات التي تنعقد فيها اجتماعات الحزب تكتظ بالناس من مختلف الطبقات والميول ، وكانت الصحف تهتم لها اهتماماًشديداً وتنشر وصفها وجوها وما يقال فيها . ولقد كان اهتمام السلطات الانكليزية للحزب ونشاطهوحركته التوجيهية الجديدة النضالية واجتماعاته العامة شديداً ، وكانت تحيط هذهالاجتماعات بجو من الارهاب وتبعث بعض ضباط الامن لمراقبتها واختص المندوب السامي الحزب بالذكر في تقريره السنوي فوصفه بأنه يدعو الى اللاتعاون . ولقد دعت جمعية الشبان المسيحيين المارشال اللنبي الى حفلات تدشين بناياتها في القدس فاغتنم الحزب الفرصة واذاع بياناً استنكارياً لهذه الدعوة لما تحمله من معاني الاستعمار والصليبية العسكرية معاً ونشر جواً من الاستنكار لهذه الحفلات ومقاطعتها حتى وفق الى ما قصد توفيقا كبيراً فلم يحضرها من العرب المسلمين الا اربعة وقاطعها كثير من العرب المسيحيين ايضاً ، وحمل جمعيات الشبان المسلمين على اثارة حملة قوية كذلك مما هز اعصاب الانكليز هزاً عنيفاً وجعل اللنبي بنوع خاص يحاول التنصل مما نسب الى حملته من المعاني الصليبية حيث كان احد وزراء بريطانيا قال

«١» ملحق رقم ٦ «٢» ملحق رقم ٧

يوم فتح القدس « ان هذه الحملة هي آخر الحروب الصليبية » وحيث ذكر احد المؤلفين الانكليز ذلك بصراحة في كتاب مدرسي يدرس في بلاد الانكليز اسمه نيوايج ريدر . وقد فعل شيئاً من هذا غورو في وقفته امام قبر صلاح الدين حينما غزا دمشق على ما ذكرناه في الجزء الثاني من الكتاب . ولقد اذاع الحزب فيما اذاع بتاريخ تشرين الاول ١٩٣٢ نداء وجهه الى ضمير كل عربي في فلسطين بصدد سياسة الحفلات والمجاملات التي اتخذها واكهوب وانغمر فيها جل الزعماء والوجوه على ما ذكرناه قبل ننقله هنا للذكرى ايضاً .

« ان السلطة الانكليزية قد اخذت تهتم منذ سنة لسياسة المآدب والحفلات وجمع العرب واليهود على موائد واحدة وتبتكر المناسبات والاساليب لذلك . وحزب الاستقلال العربي يعتقد ان مسايرة هذه السياسة من جانب رجال العرب ستحمل المستعمر على الاعتقاد بضعف روح المقاومة الوطنية فينا وتطمعه في الاستمرار على الاساليب الاستعمارية والصهيونية التي اشتدت اخطارها وهددت كيان العرب القومي والاقتصادي والاجتماعي كما هو مشاهد كل يوم بالفعل والواقع . ولما كان الحزب يعتقد انه ليس هناك عربي واحد يرضى حقيقة عن الاساليب الاستعمارية والصهيونية وان تكون امته معرضة للانهدام والفناء ولما كانت مسايرة تلك السياسة اخذت في الوقت نفسه تسجل باطلا على العرب هذا الرضاء والقبول فان الحزب يوجه هذا النداء الى ضمير كل عربي في فلسطين ويهيب به ان يذكر دائماً ما يقاسيه وطنه البائس من حرمان وشقاء وان لا يعرض كرامة امته وعزة قومه للمهانة والاحتقار بارتكابه اثم التهافت على هذه المآدب والحفلات وان يثبت للملأ صدق الكفاح الذي تكافحه هذه البلاد العربية ضد الاستعمار والصهيونية في سبيل الاستقلال والحرية . »

كذلك اذاع الحزب فيما اذاع منشوراً وجهه الى رجال العرب وهيئاتهم وصحفهم في مختلف الاقطار العربية شرح فيه حالة فلسطين السيئة ومرامي المؤامرة الانكليزية الصهيونية ومظاهرها الرهيبة القائمة والآتية ، واهاب بالعرب الى ان ينظروا الى هذه القضية نظرة الجد ويعملوا على انقاذ فلسطين وحماية بلادهم معاً من تلك المؤامرة الكبرى الحقناه بالكتاب للذكرى ايضاً (١)

ولقد امتد نشاط الحزب واجتماعاته ونداءاته وتوجيهاته نحو ستة عشر شهراً

---

(١) ملحق رقم ٨

(تموز ١٩٣٢ ـ كانون الأول ١٩٣٣) واستطاع ان ينال توجهاً وعطفاً قويين وخاصة من غير الحزبيين او الذين سئموا ومقتوا الحزبية الشخصية مـــن الحزبيين، وكان يحضر اجتماعات الحزب كثير مـــن هؤلاء فضلا عن اولئك حتى لقد شهد موسى كاظم الحسيني اجتماع القدس الكبير ، وكان الناس يتلقفون بياناته وندا آته بشوق واهتمام ، وكان لنشاطه تأثير كبير في الانكماش عما سميناه سياسة الولائم والمجاملات والتعاون الاجتماعي مع الانكليز حتى لم ير المندوب بدأ من الاقتصاد فيها كثيراً لفتور الاقبال عليها ، ولم يكن يوم ذكري فتح القدس يدخل في عداد الأيام المستنكرة فكان الجو الذي نشره عنه والبيان الذي اذاعه والاجتماع الذي عقده سنة ١٩٣٢ منبهاً قوياً حتى لقـــد اصدرت بعض الصحف اعداداً ممتازة بسبب هذه الذكرى وحتى ان السلطات التي اعتادت ان تقيم حفلة دينية شكرية وتدعو اليها وجوه البلاد عدلت في هذه السنة عن المراسيم والدعوة .

ويعترف كثير من رجال فلسطين وشبابها حزبيين وغير حزبيين اذ كان لظهور الحزب ونشاطه ومنهجه تأثير كبير في تنبيه الناس وتوجيههم ، وفي ما كان خاصة من حركات إيجابية ونضالية موجهة للانكليز مباشرة منـــذ اواخر عام ١٩٣٣ وما بعد .

مصاعب الحزب وفتوره

●

على ان الحزب لم يستطع مع الأسف ان يستمر في نشاطه لما واجهه من مصاعب مالية ، حيث كانت حالة اكثر اعضائه المالية غير حسنة ولا تتحمل البذل الكثير الذي لا بد منه لاستمرار النشاط والتوسع فيه . وكانت للصفات التي فرضها على الانتساب وفكرة عدم الاهتمام للتكثر عن طريق المنتسبين قد ابقت الحزب مـــن الوجهة الشكلية في نطاق ضيق كان له اثر في المصاعب المالية المذكورة . هذا مع الاعتراف انه على رغم تلك الصفات المفروضة وعلى الرغم من عزيمة مؤسسي الحزب على عدم الاندماج في السياسات المحلية ومهاتراتها لم يخل الحزب من اعضاء ظهرت فيهم نقائض تلك الصفات ولم يستطيعوا ان يكونوا في نجوة من تلك السياسات فكان كل ذلك من اسباب فتور نشاطه بعد ذلك اللمعان القوي الذي كان وظل بعيد المدى والاثر على كل حال . ولقد ظل اسم الحزب مذكوراً مع ذلك بين

الأحزاب والناس واحتفظ بمركزه وطابعه في مختلف المناسبات كما ظل التوائق قائماً مستمراً بين اكثر اركانه واعضائه . وقــد تمثل الحزب في الحركات النضالية التي حدثت واللجان العليا التي تألفت منذ سنة ١٩٣٣ وما بعد باستثناء لجنــة الاحزاب الــتي كانت تتفاوض مــع المندوب بشأن المجلس التشريعي عامي ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ حيث انه رأى ذلك متناقضاً مع المنهج الذي انتهجه .

موقف الاحزاب الاخرى من الحزب واثره

●

ومن الجدير بالتسجيل ان ظهور الحزب قد قوبل من المجلسيين والمعارضين معاً بدهشة وتجهم ، ورافقها من الاولين خاصة همسات واحياناً حملات دعائية مضادة كانت سبباً من اسباب ما وقع فيه بعض اعضاء الحزب من مناقضة لما اخذ الحزب على نفسه من خطة البعد عن المارات والسياسات الشخصية كما كانت سبباً في بقاء الحزب في نطاقه الضيق . ولقد كان بين كثيرمن اعضاء الحزب وبين كثير مــن المجلسيين توائق كان يمكن ان يؤدي الى تعاون تحت لواء الحزب ونهجه ، ولا سيما ان هؤلاء كانوا يشعرون بما كان يشعر به اركان الحزب من الميوعة التي وصلت اليها الحركة العربية الوطنية والانحراف الذي ظلت مرتكسة فيه ومبتعدة به عــن الاتجاه الصحيح ، وكانوا قلقين لما اخذ يشتد من اخطار الغزوة الصهيونية وعدم مبالاة الانكليز ، ومحبذين لظهور حركة او حزب يأخذ على عاتقه تجديد النشاط وتصحيح الاتجاه ، وقد جرى بينهم وبين اركان الحزب محادثات في هذا الشأن لم تصل الى نتيجة على ما ذكرناه في مناسبة سابقة ، بل ان من المجلسيين من حبذ حركة الحزب عند ظهوره واغتبط بما بدا منه من نشاط وحيوية ، ثم ما لبث ان انكمش نتيجة لتلك الهمسات والحملات .

ولقد كان سبب مقابلة المعارضين لظهور الحزب بالتجهم والارتياب انهم لمسوا فيه اتجاها محرجاً بالنسبة لما بين بعضهم وبين السلطات وبين بعضهم وبين اليهود من صلات وتوائق ومصالح ، وظنوا أنه لا بد من ان يكون للمفتي اصبعاً فيه ، وانه ظهر كجبهة جديدة عليها طابع الاستقلال للتمويه بيــنما هي في حقيقتها جبهة مجلسية ، لأنهم يعرفون ان نصف أركان الحزب على الأقل من المفتي والمتعاونين معه فلم يهضموا ان تكون الصداقة والعمل الوطني شيئاً آخر .

أما سبب موقف المجلسيين فانهم رأوا ان البيان الذي اذاعـــه الحزب يتناولهم كما يتناول المعارضين ويسوي بينهم حيث ينسب التقصير والعائلية والحزبية الشخصية والمصالح الخاصة وفتور روح النضال القومي للجميع على السواء ، مع ان البيان لم يستثن احداً وشمل واضعيه بطبيعة الحال ، وكان استعراضاً للحالة الاليمة التي وصلت اليها القضية الوطنية والتي كان واضعو البيان من المندمجين في اسبابها وتيارها والتي كان الحديث يجري عنها بأسف وحزن واعتراف بين فريق من واضعيه وبين المفتي وفريق من انصاره الخلصاء . ولقد كان بين اركان الحزب وبين المفتي شيء من التشاد وعدم الانسجام، ومن هذا البعض من كان ينتقد تصرفات المفتي فكان وجوده في الحزب سبباً آخر من أسباب ذلك التجهم والهمسات والحملات التي تبعته مع أن بقية اركان الحزب وهم كثرته حرصوا كل الحرص على جعل عزيمة الحزب ونهجه هما المسيطران على اعماله وكادوا ينجحون في ذلك إلى حد كبير لولا اشتداد تلك الهمسات والحملات ورد فعلها الذي لا تستطيع الطبيعة البشرية ان لا تتأثر به .
كذلك فقد كان من هذه الأسباب اعتبارهم انفراد رجال من رجال الحركة العربية المعروفين في أقطار العرب بسابقتهم القومية والمتواثقين مع العاملين في هـــذه الأقطار منذ العهد الفيصلي في حزب خاص ولا سيما أنهم من رجال حركة فلسطين ومؤتمراتها ولجانها واكثرهم ممن كان متواثقاً ومتعاوناً مع المفتي بمثابة انشقاق عليه واعلان بانفصالهم عنه قد يكون من موهنات قوته واسمه ومثيراً للتساؤل والتفسيرات، وخاصة ان بيانهم يحمل على ما صارت اليه الحركة من وهن وميوعة بينما المعروف انه قائد هذه الحركة او مديرها . وهذا السبب وان ظل مضمراً وكان ما يبديه المفتي وانصاره من اسباب التجهم منحصراً في السببين الأولين فإنه على مـــا كان ملموساً لمساً قوياً من البواعث القوية او الباعث الأقوى على تلك الدهشة والتجهم.
ولقد ظل التجهم والهمسات والحملات الدعائية طيلة نشاط الحزب بحيث كان يفسر اكثر ما يصدر عن الحزب من نشاط وخطب ونداآت وبيانات ومواقف تفسير يتسق مع هذه الأسباب بالرغم مما حاوله اصدقاء المفتي من اعضاء الحزب مـــن تصفية للموقف واقناع بالقصد الخالص من كل فكرة شخصية الى خدمة قضية الوطن وتوجيهها في الاتجاه الصحيح الذي انحرفت عنه ، ونفي لكل ما علق في الذهن من المعاني التي جفزته وانصاره الى الوقوف من الحزب موقفهم المذكور، كما ظلت الآثار المتقابلة لهذا الموقف مستمرة بعد فتور نشاط الحزب .

الغليان من جراء اشتداد تيار الهجرة

●

ومما حدث في اوائل عام ١٩٣٣ ان ازدياد الهجرة اليهودية وعـدم مبالاة الانكليز باحتجاجات العرب وتواصي اللجان والخبراء ، وما اخذ يسود فلسطين من جو جديد من جراء نشاط حزب الاستقلال وتوجيهاته قد احدث أثراً ايجابياً في اللجنة التنفيذية فاجتمعت وقررت دعوة بعض الزعماء العاملين من غير اعضائها الى الحضور لبحث الموقف . وفي الاجتماع الذي انعقد بنـاء على ذلك وشهده الحاج امين الحسيني وراغب النشاشيبي وغيرهما ارتفعت الاصوات بعدم التعاون مع الانكليز وتقرر ارسال وفد الى المندوب يطلب ايقاف الهجرة ومنع بيـع الاراضي خلال شهر ويعلنه بعزم العرب على عـدم التعاون مع الحكومة إذا لم يستجب لهذا الطلب . وكان للاستقلاليين اثر قوي في هذه النتيجة حتى انـه سمي ثلاثة منهم في الوفد الذي يذهب مع موسى كاظم الحسيني الى مقابلة المندوب .

الدعوة الى اللاتعاون

●

ولم تجد المقابلة شيئاً وظل الانكليز على موقفهم ، فلما أوشك الشهر على الانتهاء عادت اللجنة فقررت الدعوة إلى اجتماع عام في يافا لبحث الموقف ، وعقد الاجتماع فعلا في أواخر شهر مارس لسنة ١٩٣٣ وكان حافلا ، وقد شهده عدد غير قليل من زعماء المجلسيين والمعارضين ، واثير فيه موضوع عدم التعاون مع الحكومـة تنفيذاً لما كان تقرر في اجتماع اللجنة . وتقدم حزب الاستقلال باقتراح السير في عدم التعاون سيراً متدرجاً يبدأ بمقاطعة الحفلات واللجان ويتدرج حسب تطور الحالة الى ان يصل الى انسحاب موظفي العرب من الحكومة وعـدم دفع الضرائب مستملياً اقتراحه هذا من روح الحالة التي لم تكن تتحمل خطـوة ايجابيه واسعة وجريئة حالا . وقد حدث ما عكر الاجتماع وكاد يعطله . فقد اقترح احد الشباب السير بخطوة اوسع فاعلن عاصم السعيد رئيس بلدية يافا واحد زعماء المعارضة باساوب حماسي استعداده واستعداد زميله راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس للاستقالة من منصبيهما ، فارتفعت الاصوات تطالب الحاج امين بالاستقالة كذلك من المجلس الاسلامي ، فلم تلبث النعرة الحزبية المجلسية والمعارضة ان ثارت فكانت

لحظة توترت فيها الأعصاب واشتد اللجاج ثم السباب وكادت الأيدي تشتبك بين انصار الحزبين . وقد اعتبر المجلسيون موقف عاصم السعيد تحدياً واحراجاً لزعيمهم ليس الا وقد امكن تهدئة التوتر ووافق المجتمعون على البدء بالمقاطعة الاجتماعية وترك الخطوات التالية لدرس اللجنة التنفيذية . .

ومن الجدير بالقيد ان قرار المقاطعة الاجتماعية الذي لم يكن يتطلب اي تضحية لم يستمر تنفيذه إلا أمداً قصيراً .وكان المعارضون الذين اظهر زعماؤهم ما اظهروه من حماس في اجتماع يافا اول واسرع من نقضه حيث انهم لم يلبثوا الا قليلا حتى اخذوا يقيمون الحفلات في بيوتهم للانكليز ويشهدون الحفلات الرسمية وغير الرسمية التي يدعو اليها هؤلاء وأخذت جريدتهم فلسطين تعرض بالقرار وتهزأ به في مختلف المناسبات . وقد كان المجلسيون اكثر ضبطاً للنفس وتمسكاً بالقرار ، ولم ينقضه من نقضه منهم إلا بعد مدة طويلة وبعد أن نقضه المعارضون مراراً وتكراراً . . .

حماس اللجنة التنفيذية ومظاهرة القدس الكبرى

●

وعاد سيل الهجرة اليهودية العلنية والسرية يثير القلق . وفي اجتماع اللجنة التنفيذية في اوائل شهر أيلول ١٩٣٣ جرى الحديث حول وجوب عمل ايجابي ما، وخروج اللجنة مما هي فيه من فتور وميوعة أو فضها . وذكر أحد الأعضاء حزب الاستقلال وما يقوم به من دعاية توجيهية ويبديه من حيوية فاقترح جمال الحسيني الدعوة الى مظاهرات عامة قائلا ان نشاط الحزب المذكور قاصراً على الكلام فعلينا أن نخطو خطوة اقوى ، وتحمس الموجودون فوافقوا على الاقتراح وعينوا يوم الجمعة الموافق لتاريخ ١٣ أيلول موعداً لأول مظاهرة عامة تقام في القدس ويشهدها أعضاء اللجنة وغيرهم من زعماء البلاد والعاملين على اختلاف ميولهم وقد كان أعضاء اللجنة الاستقلاليون وهم عوني عبد الهادي وعزة دروزه ومعين الماضي ورشيد الحاج ابراهيم وفهمي العبوشي قد بدأوا يتغيبون عن اجتماعات اللجنة ويفكرون في نفض اليد منها لما هي عليه من تفكك ولما كان يكثر من التشاد والتهاتر بسبيل السياسة المحلية والشخصية ، وكانوا أثناء انعقاد هذه الجلسة خاصة في حيفا يعقدون اجتماعهم الخطابي العام على ما ذكرناه في مناسبة سابقة ، فلم يكادوا

يعلمون بقرار المظاهرات حتى بادروا إلى اذاعة بيان يعلنون فيه تضامنهم مع اللجنة في تنفيذه ، حيث كان متسقاً مع النهج الذي انتهجوه . ولاسيما انهم كانوا يفكرون بحركة مماثلة وكانوا يتحسبون من معاكستها بسبب موقف التهجم الذي وقفه الحزبان من حزبهم .

وبثت الدعاية القوية لانجاح المظاهرة وتوترت الاعصاب واخذت الحكومة تحسب حسابها وأرسلت وسائطها لحمل اللجنة على طلب إذن بها على الأقل فأبت اللجنة رغبة في أن تكون المظاهرة تحدياً صريحاً للسلطات على تصرفاتها ، وحينئذ أخذت تعمل من جهة على رسم الطريق لها وحصرها داخل السور بحيث لا تخرج من المدينة القديمة لئلا يقع اصطدام ما ، وتستعد من جهة للطوارىء فتسير الدوريات وتضع المفارز البوليسية على ابواب السور . وتهيج الناس وتحمسوا للمظاهرة نتيجة للدعاية ولما أخذوا يلمسونه من تفاقم الخطر بعد ان كان نظرياً . وخرجت المظاهرة من الحرم بعد صلاة الجمعة في اليوم المعين يتقدمها عدد كبير من اعضاء اللجنة أتوا من مختلف المدن وعلى رأسهم موسى كاظم الحسيني واشترك فيها عدد كبير من شيوخ القدس وأعيانها ووفود عديدة جاءت خصيصاً فضلا عن جمهور كبير من العرب المقيمين . وكانت في الجملة مظاهرة مهيبة قوية بروحها وبمن اشترك فيها من العناصر التي كانت بعيدة عن اساغة السير فيها وكانت أولى خطوة جدية في الصخب على الحكومة وسياستها والتحدي لها والتمرد على قوانينها بعد عشر سنين وبعد أن يئست البلاد من مثل هذا الجدّ في حركتها الوطنية . وقد كان لاشتراك الشيوخ والزعماء معنى قوي أكسب المظاهرة مهابة وقوة وحماساً، إذ لم تعتد الجماهير أن تراهم في مثل هذه المواقف وإنما اعتادت ان تراهم في المفاوضات والحفلات والاجتماعات والانتخابات ، واعتادت ان تراهم منقسمين يكره بعضهم بعضاً ويدس بعضهم على بعض ، فرأوهم هنا وهم في صف واحد مجلسيوهم ومعارضوهم واستقلاليوهم وحياديوهم يسيرون في مظاهرة غير قانونية فيها تحد واحتجاج موجهان إلى الانكليز مباشرة، معرضين لعنف البوليس وقسوته على غير ما تقتضيه اعتبارات الوقار والاتزان ، مما يعد بحق فتحاً جديداً مبيناً ومما أقضّ مضاجع الانكليز كثيراً ...

ولما وصلت المظاهرة الى باب الحديد من أبواب السور طلب ضباط البوليس

من المتظاهرين أن يعودوا إلى داخل المدينة او يتفرقوا ، ولكن الحماس والهياج كانا شديدين فتدفق السيل من الباب ومعه كثيرون من أعضاء اللجنة فاستعمل البوليس عندئذ القوة حتى فرق المظاهرة ، واصيب جمال الحسيني وآخرون ببعض الضربات . ثم تلاقى أعضاء اللجنة في بيت رئيسهم وتداولوا في الاستمرار في المظاهرات حيث رأوها قد عبرت عما في النفوس من تحد واحتجاج عملي وأثارت حماس الجماهير وأفكارهم وكان هذا وذاك هما المقصودان منها ، فقرروا إقامة المظاهرة الثانية يوم الجمعة الموافق لتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣ في يافا . وقد أرادت السلطات أن تقوم بعملية تخويفية فأحالت جمال الحسيني وادمون روك والشيخ عبد القادر المظفر وكانوا في طليعة المظاهرة على المحاكمة . ولكن هذه الحركة لم تؤثر شيئاً في تنفيذ القرار .

مظاهرة يافا الكبرى ووقائعها الدامية ومحاكماتها

●

وقبيل اليوم المعين للمظاهرة الثانية المقررة أخذت الحكومة تستعد إستعداداً كبيراً فأعلنت انها ستفرق المظاهرة بالقوة إذا لم يكن مأذوناً بها وحشدت قوى كبيرة في يافا ، وحاولت من جهة اخرى إقناع اللجنة المحلية بالاكتفاء باجتماع المسجد وإيفاد وفد للحاكم بالمطالب ، ولكل كل هذا لم يجد حيث ظل التصميم قائماً على المظاهرة بدون إذن .

وفي صباح يوم الجمعة كانت يافا تغلي كالمرجل هياجاً وحماساً وتوتراً وكثرة وفود وجاء في من جاء وفد من الشام وآخر من شرق الاردن للتضامن مع اهل فلسطين في حيويتهم الجديدة ، وكانت ساحة السراي كأنها ساحة حرب بما كان فيها من أسلاك شائكة وعدد كبير من أفراد البوليس على رأسهم الخوذات وبأيديهم العصي ومن ورائهم صفوف من الخيالة المسلحين بالبنادق . وعقب صلاة الجمعة انتظم الموكب وسار بحماس وزحام شديدين وفي وسطه رئيس اللجنة التنفيذية وأعضاؤها والهيئات والأندية والوجوه والوفود وظل كذلك إلى ساحة السراي فلم تلبث قوى البوليس ان تصدت للجماهير فوقع الاشتباك بين الفريقين وتدخلت الخيالة فأخذت تطلق النار وأخذ الجمهور حينئذ يكر ويفر في الأزقة ويرجم البوليس منها ومن فوق الأسطحة وتحرج الموقف واشتد البوليس في إطلاق النار وأخذ القتلى

والجرحى يقعون على الأرض مضرجين بدمائهم ، وكانت ساعة رهيبة حقاً . ومع ان الجمهور تفرق الى الجوادّ والأزقة فالخيالـــة الانكليز ظلوا يطاردون الناس ويضربونهم ذات اليمين والشمال بالعصي الغليظة ، واصابنا بالذات ضربة قوية جرحتنا في يافوخنا جرحاً عميقاً ، واستطاع فريق من اعضاء اللجنة ان يخترقوا الزحام ويعودوا الى النادي ليبحثوا في الموقف ، ووقعوا قراراً باقامة مظاهرة ثالثة في نابلس تاريخ ١٣ تشرين الثاني وبينا هم في المكتب ينتظرون بقية رفاقهم لتوقيع القرار جاء بعض ضباط البوليس الانكليز والعرب فأخرجوا من في النادي وأقفلوه وصادروا القرار الموقع .

ولقد بلغ عدد القتلى نحو ثلاثين والجرحى الشديدي الجراح نحو ستين عدا عدد كبير خفيفي الجراح ، وقتل أحد افراد البوليس وجرح عدد منهم جراحاً شديدة وخفيفة . وفي المساء قبض على جمال الحسيني وعزة دروزة وعوني عبد الهادي وسليم عبد الرحمن والشيخ عبد القادر المظفر من اعضاء اللجنة كما قبض على يعقوب الغصين وبعض رفاقه من اعضاء مؤتمر الشبان . وسُجنت انا وعوني في سجن القدس وارسل الباقون إلى سجن عكا ، وضرب يعقوب ورفاقه ضرباً مبرحاً . وفي صباح السبت قامت مظاهرة صاخبة في حيفا والقدس وغزة ونابلس كرد فعل لمجزرة يافا وقع فيها بعض الاشتباكات وقتل فيها وجرح بعض المواطنين والبوليس ، واستمرت البلاد مضربة بوحي نفسها سبعة ايام كاملة والأعصاب متوترة والجو متلبد . وسعت السلطات في حل الاضراب فأبى الناس الا اذا اطلق سراح الموقوفين فتم هذا وذاك بيوم واحد بالاتفاق .

وقد غمر الناس المسرحين بالتهاني والبرقيات وصاروا ينعتونهم بالاحرار مما دل على ان الحركة على ما كان فيها من مشقة وضحايا صادفت هوى في نفوس الجمهور وان هذا الجمهور مستعد دائماً للسير وراء كل دعوة تحد وتمـــرد ضد الغاصبين والمستعمرين إذا ما لباها الزعماء والبارزون ايضاً .

وقد كان اطلاق سراح الموقوفين بالكفالة حيث احيلوا إلى المحاكمة امام حاكم انكليزي في يافا . وكانت المحاكمة في جلساتها الاولى حارة حيث كان الوفود يأتون وتزدحم القاعة بهم ، وحيث تقدم عدد كبير من المحامين للدفاع . وقد عمد الحاكم الى التمطيط والمداورة وبدر من بعض المتهمين اقوال مبعثها الرغبة في تبرئة النفس

فأخذت الصحف وخاصة صحيفة المعارضين تغمزهم فخف الحماس وفترت الحرارة ثم صدر الحكم بالسجن مدداً متنوعة مع الأشغال كان أطولها عشرة أشهر لأعضاء اللجنة التنفيذية ، واستؤنف لمحكمة القدس . وهنا مُطّ فيها كذلك ثم عرضت المحكمة على المتهمين توقيع تعهد بحسن السلوك مع الموافقة على حقهم في النشاط السياسي فوقعوها باستثناء الشيخ عبد القادر المظفر الذي أبى فحكم بالسجن ستة أشهر . وقد كان قبول توقيع التعهد مثار خلاف وموضوع غمز وتجريح على اعتبار ان الحركة التي نتجت عنها المحاكمة كانت حركة تمرد وتحد للسلطات وكانت الظروف تمليها والشعب متحمساً لها وان قبول الرضوخ والتعهد لهذه السلطات بحسن السلوك مما يذهب بقيمتها ويضعف حماس الشعب ويتناقض مع باعثها، وفي هذا من الوجاهة ما فيه ، هذا مع التنبيه على أن جريدة المعارضين كانت تحمل حملات لاذعة أكثر مما تتحمله طبيعة العمل الذي كان سائغاً أيضاً في وقائع النضال في الاقطار العربية الاخرى هادفة إلى تهوين أمر الاحرار مما جعل الناس يرون في هذا قصداً ويظنون ان للانكليز وأعوانهم يداً فيه .

ولقد كانت اللجنة التنفيذية عقدت اجتماعاً بعد إطلاق سراح الموقوفين للبحث في الاستمرار في منهج التحدي المقرر وكان كثير من حاضريه يتكلفون الجرأة تكلفاً . وبعد البحث والاستشارة أمكن أخذ قرار باقامة مظاهرات عامة في جميع المدن في يوم واحد هو يوم عيد الفطر الذي كان بعيداً نحو شهرين حيث لم تكن نفسية اللجنة تتحمل أكثر من ذلك. وفي يوم العيد أقامت جميع المدن فعلا مظاهراتها وقد كان تساهل من جانبي اللجنة والحكومة معاً ، حيث سعت هذه لحمل اللجنة على طلب الاذن وأعلنت إستعدادها للاذن ولم تر اللجنة والبارزون من العاملين من غير أعضائها بأساً . وكانت مظاهرة القدس أروع المظاهرات بالرغم من أن الطقس كان بارداً جداً حيث سبق يوم المظاهرة مطر وثلج . وقد جاء المسيحيون الى الحرم واشتركوا بالموكب فيه . وقد اشترك في المظاهرة فريق من علماء الدين كما اشترك فيها فريق كبير من الوجهاء والشيوخ فضلا عن جمهور عظيم من أهل المدينة والقرى ، وسارت المظاهرة بمواكبها الحافلة المهيبة إلى مقام النبي داود حيث ألقيت الخطب وتفرق الناس .

مكيدة الانتخابات البلدية وأثرها

●

ولم تكن حركة المظاهرات القوية التي كانت هي الحركة الوحيدة المنبثقة عن اللجنة التنفيذية لتدعم تصدع بنيان هذه اللجنة وتبث فيها روح القوة والانسجام .

وطرأ حادث جديد زاد في ذلك التصدع وعدم الانسجام ، وهو انتخابات البلديات التي قررت الحكومة تجديدها بسبيل تقوية ما كانت تسميه دون ما خجل بمؤسسات الحكم الذاتي في الظاهر ووسيلة من وسائل توهين الحركة الوطنية التي بدت عليها علائم الحيوية والتضامن في حقيقة الأمر . فقد هال الانكليز ما كان من حركة التمرد والتحدي والنضال الموجه مباشرة اليهم بصراحة وقوة فعمدوا إلى هذه الوسيلة كما فعلوا في موضوع المجلس الاسلامي وإنتخابه بسبيل ضرب الحركة الوطنية والتضامن فيها على ما ذكرناه قبل . وقد حققوا مأربهم هذه المرة كما حققوه في السابق حيث كانت الانتخابات فعلا مثار توتر وتهاتر بين الأحزاب المحلية . وكانت انتخابات بلدية القدس خاصة من أشدها حيث كان قوادمعركتها هم زعماء المجلسية والمعارضة . وقد اعتزم المجلسيون زحزحة راغب النشاشيبي عن كرسي البلدية مهما كلف الأمر ، وتفاهموا على هذا مع الدكتور حسين الخالدي وجماعته الذين كانوا إلى ذلك الوقت مع المعارضين بل من أشدهم في المعارضة لرئيس المجلس وأكثرهم انتقاداً لتصرفاته ، فتألفت جبهة انتخابية قوية انتصرت على جبهة راغب وعين الدكتور رئيساً للبلدية مكانه بالنتيجة ، وقد بذل المفتي وأنصاره جهوداً كبيرة في هذه المعركة كان النجاح من نتائجها .

نشوء الأحزاب العربية الأخرى

●

وقد اشتد اليقين أكثر من ذي قبل بعدم إمكان استمرار العمل الوطني في نطاق اللجنة التنفيذية ، وانبثق عن هذا اليقين خطوات في سبيل تشكيل الأحزاب المتمازجة ونفض اليد من اللجنة . وتشكلت خلال سنة ١٩٢٣ أربعة أحزاب وهي الحزب العربي وحزب الدفاع وحزب الاصلاح وحزب الكتلة .

وكان جماعة المجلسيين هم الذين خطوا الخطوة الأولى في سبيل ذلك . وكانت قناعتهم كقناعة الاستقلاليين بوجوب العمل في نطاق حزب متمازج على ماذكرناه قبل . وقدكان موسى كاظم قد انتقل إلى رحمة الله فكان البارز الداعي إلىالحزب جمال الحسيني مؤيداً تأييداً وثيقاً من المفتي ، وسموه الحزب العــربي ، وجعلــوا منهجه قومياً استقلالياً . وقد نحوا فيه منحى التكثــير والشمول ، وعقـــدوا في القدس اجتماعاً عاماً شهده وفود من مختلف المــدن والقــرى حيث صودق على المنهج واختير جمال رئيساً وانتخبت هيئة مركزية ؛ ثم أخذت الجهود تبذل لانشاء فروع له على نفس المنحى في المدن وسير في سبيل ذلك أشواط غير قليلة فــبرز حزباً كثير العدد والفروع على اعتبار أنه يمثل أكثرية فلسطين الــتي كانت تعــد مجلسية ووطنية معاً .

بعد ذلك بقليل أنشأ المعارضون حزب الدفاع برئــاسة راغب النشاشيبــي وانتسب اليه اكثر المعارضين ومن يدخل فينطاقهم ونفوذهــم . وكانت لــه في نابلس ويافا والرملة وغزة فروع قوية بأشخاصهــا دون أعدادهــا . وانشأ كذلك آل الخالدي والبديري وجماعتهم حزب الاصلاح برئاسة الدكتــور حسين الخالدي وكان له أنصار أو فروع في بعض المدن ، وأنشأ عبد اللطيف صــلاح ومن تواثق معه حزب الكتلة برئاسته في نابلس وكان له كذلك أنصار أو فروع في بعض المدن .

وكانت مناهج الاحزاب الثلاثة أيضاً وطنية استقلالية مع بعض الفوارق في الاسلوب والفروع . وكان حزب الاصلاح متحد الميول في السياسة المحليــة مع الحزب العربي نتيجة لانتخابات بلدية القدس . وكانحزب الكتلة حيادياً نوعاًما في السياسة المحلية المجلسية والمعارضة ، وإن لم يخل تشكيله من باعث أو سيــاسة شخصية محلية ، شأن الاحزاب الاخرى بل شأن الاحزاب في البلادالعربية .

وكان هناك تشكيلة كانت في أصلها رديفةللحركةالوطنية بطبيعةبنيتها ومختلفة الميول بطبيعة عواطف ونشأة أعضائها ثم صارت تبرز كحزب ذي كيان خــاص وهي لجنة مؤتمر الشباب برئاسة يعقوب الغصين ولم يخل بروزها على هذاالوجههي الاخرى من باعث أو سياسة شخصية .

وهكذا أصبح في فلسطين ستة أحزاب وطنية كل منها أخذ ينشط ضمن نطاق تشكيلاته وإن لم يسجل أحدها لنفسه حركة قوية جديدة . ولم يلبث أعضاءاللجنة

التنفيذية الذين ينتسبون إلى هذه الاحزاب ان نفضوا يدهم منها فانحلت انحلالا طبيعياً بعد أن عاشت نحو سبع سنين .

لجنة الأحزاب

●

على أن الناس لم يلبثوا أن شعروا بضرورة قيام كيان قومي يتضامن أو يقول كلمة العرب في المواقف التي تقتضيها ظروف المصلحة والحركة القومية فتشكلت لجنة سميت لجنة الاحزاب ولم ير حزب الاستقلال ان يشترك فيها .

وكانت تعقد بعض الاجتماعات من حين لآخر لبحث الشؤون الطارئة .وكان مما قامت به هذه اللجنة الاتصال بالحكومة حينما عادت هذه إلى طرح موضوع المجلس التشريعي للبحث ثانية على العرب واليهود . ولم تسر إلى آخر الشوط متضامنة في الاتصال والبحث حيث أخذ كل من الحزب العربي وحزب الدفاع ينفرد في اجتهاده في نطاق المشروع الذي لم تلبث الحكومة أن سحبته لوقوف اليهود منه موقف الرافض المعطل على ما ذكرناه قبل .

استمرار الانكليز في مؤامرتهم

●

وظل الانكليز على عدم مبالاتهم بما كان من احتجاجات العرب ومظاهراتهم وضحاياهم فاتحين بابي الهجرة وبيوع الاراضي على مصراعيهما . وكانت الهجرة تزداد سنة بعد سنة حيث دانت سنة ١٩٤٣ أكثر بعشرة آلاف من هجرة سنة ١٩٣٣ وهجرة سنة ١٩٣٥ أكثر بعشرين الفاً من سنة ١٩٣٤ عدا الهجرة السرية التي كانت تتدفق تدفقاً والتي كان الانكليز يتظاهرون بالسخط عليها وتقوم سلطاتهم ببعض المحاولات ضدها في السواحل دون ما جد وجدوى . وقد أرادت لجنة مؤتمر الشباب أن تساعد هذه السلطات في حراسة السواحل فأبت عليها واعتبرت عملها غير قانوني وأنذرتها بالعقاب ! . . . كذلك فقد كانت عمليات التسوية تسير بهمة ونشاط فيزداد بيع الارض وانتقالها لليهود سهولة وتيسيراً .

الحلقات الجهادية وحركة الشهيد القسام

●

ولقد غدا خطر الغزوة وانسجام الانكليز في السياسة الصهيونية ملموسين من

جميع الطبقات ، وخاصة طبقة العمال الذين يجيء المهاجرون الجديدون ليخطفوا اللقمة من أفواههم ، وكانت حيفا مركزاً هاما من مراكز العمال العرب الذين كان كثير منهم من مشردي مزارعي القرى التي بيعت لليهود وأجلوا عنها بمختلف الوسائل دون أن يلقوا من السلطات حماية مجدية ، وكان لهؤلاء العمال حي خاص مساكنه من التنك والخشب فأخذ يظهر من هذه الطبقة رجال جهاد منذ سنة ١٩٣٠ حيث أخذ يقع غزوات جهادية على اليهود ومستعمراتهم في قضاء حيفا فهم فيما بعد أنها من جمعيات أو حلقات جهادية متدينة وسرية ضيقة النطاق محكمة التشكيل كل فرد منها يجهز نفسه بنفسه ويقومون بأعمالهم بإسم الجهاد . ولم تستطع السلطات أن تكتشف أسرار هذه الجمعيات أو تحول دون غزواتها بالرغم مما بذلته من جهد وبالرغم من إعتقال بعض أفرادها .

فلما أخذ الخطر يتفاقم بإتساع الهجرة والبيوع دون ان يبدو من السلطات الانكليزية أي اهتمام لتوقيفه ، وأخذ القلق يزداد في أوساط العرب ويثير سخطهم وخوفهم أخذت رغبة تلك الحلقات الجهادية تشتد وتوسع نطاق حركاتها فتعلن الجهاد على الانكليز واليهود معا فكانت عصبة الشهيد الشيخ عز الدين القسام اول من خطا الخطوة الجديدة وقد كان من رجال الدين المتدينين ومن الذين انتسبوا الى فرع حزب الاستقلال في حيفا ، كما كان على صلة وثيقة ببعض أركانه ، وكان متصلا بأوساط العمال في حيفا وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد ووجوبه وكان بارعاً في الوعظ نافذاً به إلى أعماق النفوس ، فتحلق حوله حلقة جهادية متدينة من هذه الطبقة ربما بلغ عددها الخمسين . وقد اتفق هو ورهط منهم على فتح الباب فتجهزوا وخرجوا إلى أحراش قرية يعبد في قضاء جنين وعلى طريق حيفا وكان عددهم عشرة وهم يوسف الزيباوي من قرية الزيب وحنيفة المصري ونمر السعدي من غابة شفا عمرو وأسعد المفلح من أم الفحم وحسن البايرمن برقين وأحمد عبد الرحمن جابر من عنبتا وعربي البدوي من قبلان ومحمد يوسف من سبسطية ومحمد الحلحولي من حلحول ومعروف الحاج جابر من يعبد، وأخذوا يركزون أنفسهم ويدعون إخوانهم للانضمام اليهم ، وشعرت السلطات بهذه الحركة الخطيرة فسارعت إلى قمعها قبل تفاقمها وأرسلت قوة مختلطة من انكليز وعرب الى الاحراش فطوقت العصبة ، فلم يكن لهذه بد من الدخول في المعركة ، ولو لم يكن أي تكافؤ في القوة واستعداد للمعركة المفاجئة ، وتبادلت القوتان النار ، واستشهد الشيخ

واثنان من رفاقه هما يوسف الزيباري وحنيفة المصري وجرح اثنان هما نمر السعدي وأسعد المفلح ، واعتقل الاحياء بما فيهم المجروحون ، وكان ذلك يوم الاربعاء المصادف لتاريخ ١١/١٠/١٩٣٥ . (١)

ولقد كان للحادث أثر بليغ في نفوس العرب أثارت عواطفهم وأهاجت أعصابهم بحدتها وما انطوى فيها من خطورة وإقدام فقابلوه بمظاهر جياشة من الإكبار حتى لقد خشيت السلطات من هذه المظاهر وانزعجت أيما انزعاج وبعد أن وصفت العصبة بالاشقياء عادت إلى التهدئة ولم تذكرها بسوء وسلمت جثث الشهداء لذويها وأغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم فكان مشهد مهيب اشترك فيه وفود كبيرة ، وكان الحادث نموذجاً جديداً للجهاد ومثلا عالياً على التضحية والاقدام مجردين من كل غرض أو شهوة أو غرض دنيوي ، وغدا اسم القسام وعصبته لا يذكر إلا مع الفاظ التكريم والاجلال ، وهو ما أشعرنا بواجب ذكرهم ، وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للأحداث التي تلته بعد أشهر قليلة حيث أعلن الاضراب العام الذي امتد ستة أشهر وانفجرت في أثنائه الثورة الكبرى .

الاضراب الطويل وميثاقه

●

والسبب المباشر لهذا الاضراب الطويل سلسلة حوادث دموية وقعت بين العرب واليهود في الاسبوع الثالث من نيسان ١٩٣٦ . فقد وقع حادث تشليح عادي في طريق نابلس ـ طولكرم كان من ضحاياه بعض العرب واليهود . ولكن عصابة من اليهود المنتسبين إلى المنظمات السرية جنحت الى أخذ الثأر من العرب اطلاقاً فهاجمت عربيين يعملان في بيارة في طريق يافا وقتلتهما ؛ ثم تتابعت الحوادث بين اليهود والعرب في يافا وتل ابيب حيث تطور الامر الى عصبية جنسية فتجمهر اليهود وهاجموا حوانيت الخضار العربية واعتدوا على بعض العرب من باعة وحوذية وعمال في تل ابيب وقاموا بمظاهرة كبيرة حاولوا ان يتجهوا فيها نحو يافا فحال البوليس دونهم بالقوة . وقام العرب في يافا بالمثل بمظاهرات واعتدوا على بعض اليهود فيها.

---

(١) محمد الحلحولي استشهد قبل وقعة يعبد بيومين ومعروف الحاج جابر لم يشهد المعركة ولكنه اعتقل وحوكم مع بقية افراد العصبة باعتباره احد افرادها .

وبلغ عدد القتلى من اليهود والعرب في هذه الحوادث تسعة والجرحى نحو أربعين وبلغ عدد البيوت التي احرقت نحو اربعين جلها عربية ، واشتد التوتر فأعلنت يافا الاضراب وتألفت فيها لجنة من مختلف الاحزاب لتنظيمه ، وسرى الخبر إلى انحاء فلسطين فأخذ الجو يتكهرب وعقد العاملون في نابلس اجتماعاً قرروا فيه الاضراب والاستمرار فيه ، وتألفت لجنة سميت باللجنة القومية من مختلف الاحزاب كذلك، وأبرقت للمدن بالامر طالبة منها ان تحذو حذوها ، وقوبلت الفكرة بالارتياح واخذت المدن تحذو حذو نابلس وتعلن الاضراب والاستمرار فيه وتؤلف اللجان القومية حتى لم يمض بضعة ايام حتى عم الاضراب جميع مدن فلسطين وقامت اللجان القومية فيها بسبيل دعم الحركة الجديدة وتنظيمها .

وهكذا دخلت قضية الكفاح القومي مرحلة جديدة منبثقة كذلك من صميم الشعب ، وبدت حوادث الاسبوع الثالث من نيسان التي قلنا انها السبب المباشر للاضراب كالنقطة الاخيرة التي طفح بها الكأس . وقد اعلن بحارة يافا الاضراب ، وكانت ميناء يافا مشتركة بين العرب واليهود ، كما أعلنه سائقو السيارات فتعطلت حركة البحر وحركة السير والنقل فكان هذا وذاك مما زاد في خطورة الاضراب ومداه .

وفزعت السلطات لتطور الموقف واخذ اليهود يضجون بالشكوى من تعطيل الميناء وارتفاع الاسعار فاستدعى المندوب زعماء الاحزاب طالباً منهم وقف الاضراب وتهدئة الخواطر فأجابوه بما أجمعت عليه الامة من التصميم والمطلب حيث لم يعد في طاقتها الصبر وهي ترى الهجرة اليهودية تتدفق كالسيل والوطن العربي ينقلب الى وطن يهودي والسلطات الانكليزية مستمرة في موقفها المتآمر مع اليهود ضدهم في جميع الظروف والمراحل .

نشوء اللجنة العربية العليا

●

وفي أواخر نيسان تألفت اللجنة العربية العليا . فقد تبادر لبعض العاملين ان تأليف لجنة عليا تتمثل فيها الاحزاب جميعها ضرورة لا بد منها لتكون ناظمة لجهود اللجان القومية ولانجاح الاضراب والاستمرار فيه ، وقد جاء من حيفا الى القدس وفد مؤلف من محمد علي التميمي ورشيد الحاج ابراهيم ومعين الماضي وتركز الحديث



اللجنة العربية العليا

الجالسون من الشمال الحاج امـين الحسيني فأحمد حلمي عبـد الباقي فعبد اللطيف صلاح فالفردروك والواقفون من الشمال جمال الحسيني فالدكتور حسين الخالدي فيعقوب الغصين ففؤاد سابا



البطل الشهيد الشيخ عز الدين القسام

بينهم وبين العاملين في القدس حول ذلك ، وعقدت عدة اجتماعات ، ورؤي ان الغاية لا تتحقق إلا باشتراك رؤساء الاحزاب جميعهم ومعهم الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الذي كان في الحقيقة يشغل مركز الزعيم الوطني المؤيد من اكثرية المسلمين ، وجرت المساعي في هذا الشأن ، وقد تردد الحاج امين ازاءاقتراح ظهوره جهرة في قيادة الحركة وأبدى تحسبه من عدم التضامن معه الى النهاية فشجعه الاستقلاليون ووعدوه بما ازال تردده ، وقابل راغب النشاشيبي الاقتراح بتردد ايضاً لانه تضمن ان يكون الحاج امين رئيساً للجنة فأمكن اقناعه وساعد على ذلك قوة روح الامة فتألفت اللجنة برئاسة الحاج امين واشترك فيها احمد حلمي عبد الباقي الذي اخذ يبرز كزعيم للنهضة الاقتصادية وسمي أميناً لمالها وعوني عبد الهادي سكرتير عام حزب الاستقلال وسمي سكرتيراً لها وكل من جمال الحسيني رئيس الحزب العربي وراغب النشاشيبي رئيس حزب الدفاع والدكتور حسين الخالدي رئيس حزب الاصلاح وعبد اللطيف صلاح رئيس حزب الكتلة ويعقوب الغصين رئيس لجنة مؤتمر الشباب ويعقوب فراج وجيه المسيحيين الارثوذكس والفردروك وجيه المسيحيين الكاثوليك ؛ واعلن تأليفها في اجتماع حماسي حافل اذيع فيه كميثاق « استمرار الاضراب الى ان تغير الحكومة الانكليزية سياستها فتوقف الهجرة اليهودية وبيوع الاراضي لليهود وتقوم حكومة وطنية نيابية على ان يكون وقف الهجرة هو البادرة العاجلة لذلك التغيير . وقد اعتبرت اللجنة كما اريد لها مركزاً ترتبط به اللجان القومية وناطقاً باسم الامة في مرحلتها الكفاحية الجديدة .

أثر اندماج جميع الاحزاب في اللجنة

●

ومع ان التنافس والتشاد والتجاذب والروح الحزبية الشخصية لم تكن من جهة لتنقطع في اللجنه بين الفئات المجلسية والمعارضة ، وكان كل منها يتربص بالآخر ويرصده ، ومع ان اللجنة كانت من جهة اخرى أقل اندفاعاً وحماساً من الشعب بحيث يصح ان يقال انها كانت مسوقة بحماس الشعب واندفاعه اكثر منها سائقة له فان اندماج رؤساء الاحزاب والزعماء فيها جعل لها مركزاً قوياً معتبراً في نظر الشعب والسلطات ، وكان ذلك من اقوى العوامل في نجاح الاضراب واستمراره

بل وفي ما انبثق عنه من حركات جهادية ذلك النجاح الباهر الذي ذهب مثلا خالداً في تاريخ حركات الشعوب الوطنية بطول الاضراب الذي استمر ستة اشهر وبشموله الذي عم جميع مظاهر العمل والنشاط التجاري والصناعي والنقلي والزراعي والمدرسي في جميع المدن والقرى ، وتايدت بذلك نظرية القوة في الاتحاد تايبداً رائعا ، لان جمهور الشعب لم يكن ليشعر او ليهتم كثيراً لما كان يدور من تشاد وتجاذب خفيين فتحمل التضحية العظمى التي امتحن بها بعزيمة صادقة الى النهاية . وكان من اثر ذلك ان الشذوذ من اي نوع سواء في الاضراب أو المقاطعة او التعاون مع السلطات او المماحكات الحزبية او الجاسوسية او السمسرة وبيوع الاراضي بل واللصوصية العادية كان قليلا ، وكان يقابل بالتاديب العاجل القوي المناسب دون ما تاثر بالحزبية المحلية لانه لم يكن ينحصر في نطاقها ويؤدي إلى اثارتها ، ولم يكد يقع عدوان من احد على احد بدافع هذه الحزبية وهوسها ، وتجلت قوة روح الامة على اختلاف طبقاتها ودرجاتها وميولها ؛ واندماجها في حركة الكفاح ، وقدرتها على احتمال التضحيات الجسام بل واقدامها عليها بنفس مطمئنة راضية .

وقد تكون فكرة الاضراب الطويل قد الهمت لفلسطين من سوريا وعاصمتها الخالدة دمشق التي اضربت قبلها بقليل نحو شهرين مستمرين ورافق اضرابها حركات كفاحية تكللت بالنجاح على ما ذكرناه في الجزء الثاني . غير ان فلسطين رددت الدرس بنفس اطول وحركات كفاحية اشد واعم .

الامتناع عن الضرائب

●

ولم يمض اسبوعان على الاضراب في فلسطين حتى اخذت الاصوات ترتفع بوجوب عدم دفع الضرائب واضراب الموظفين العرب عن التعاون مع السلطات الانكليزية . وفي الاسبوع الاول من شهر مايس انعقد بناء على دعوة اللجنة العليا وبدافع الرأي العام المتحمس مؤتمر اللجان القومية حيث تقرر الميثاق المعلن للمرحلة الكفاحية بقرار إجماعي شعبي ، ثم تقرر دعوة الامة الى عدم دفع الضرائب اعتباراً من منتصف الشهر اذا لم تبدر بوادر مطمئنة للعرب على اساس ان لا ضرائب بلا تمثيل .

وكان انعقاد المؤتمر وقراراته مما زاد في قوة حماس الشعب وتضامنه واندفاعه

في الطريق التي سار فيها كما دل على تجاوب تام بينه في صدد حمل الحكومة البريطانية على تغيير سياستها قبل ان يبتلع اليهود فلسطين ويفوت الوقت . وقد ازداد بـه تحسب الانكليز واليهود من عواقب التصميم والاندفاع .

وفي يوم ١٤ مايس أذاعت اللجنة العليا نداء على الشعب طلبت منه تنفيذ قرار المؤتمر بعدم دفع الضرائب لعدم بدو بادرة ما من الانكليز تدل على التغيير . وقد كان الاضراب وما انتجه من العطالة والبطالة وشلل الحركة الاقتصادية والحركات الثورية مما اضطر السلطات الى عدم التحرش والاستفزاز فنفـذ القرار آلياً دون سائل ولا مسؤول الى ان انتهى الاضراب والثورة معاً .

طواف اللجنـــة

●

وقامت اللجنة العليا في هذه الأثناء بتطوافات في مختلف المناطق كانت تستقبل فيها استقبالات رائعة تدل على ما ذكرناه من قوة وحماس الشعب واقدامه وتصميمه وما صار للجنة بفضل اندماج الزعماء والرؤساء من قوة واثر واعتبار ولقد اعتقدنا منذ الأصل ونعتقد ان ايمان الزعماء والرؤساء وحماسهم وتضامنهم لو كان اقوى وأصدق لوقع من العجائب اضعاف ما كان . ولقد كان حادث البلديات مصداقاً آخر لما نقول ، فقد اراد رؤساء البلديات العرب عقد مؤتمر يقولون فيه كلمتهم فأبت السلطات السماح لهم وتوقع الناس ان يكون الجواب قوياً متناسباً مع موقف الشعب وحماسه ولكن نصف البلديات فقط قرر الاضراب وتخاذل النصف الثاني ومنهم من كان عضواً في اللجنة العليا ومنهم من كانت ميوله مع المعارضة ومنهم من كانت ميوله مع المجلسية ، ووجد هناك من يعتذر عن الذين لم يضربوا ويحاول ان يبررهم !

موقف الموظفين العرب

●

أما اضراب الموظفين فقد بدا صعوبات في تنفيذه واحتمال تنفيده منذ الأصل . ولذلك لم تر اللجنة العليا احراج نفسها في الدعوة اليه . وكل ما كان من امر أن أضرب موظفو دوائر الأوقاف وموظفوا بعض البلديات .

على أن حماس الشعب وقوة روحه جعل عقلاء الموظفين الكبار الذين كان كثير منهم من أهل البلاد ولا يسعهم إلا التأثر بالموقف يجدون حلا وسطاً فوقعوا على مذكرة قوية اللهجة بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٣٦ أي بعد مرور شهرين ونصف تقريباً على بدء الاضراب ذكروا فيها أن من واجبهم توضيح موقف الشعب العربي الذي يتصلون به والذي هم منه ، وقالوا أن جميع طبقات هذا الشعب يشعر شعوراً عميقاً بانه مظلوم وبأنه لم يلتفت إلى شكاويه بالرغم من التحقيقات التي جرت وأثبتت صحة هذه الشكاوى وانه فقد ثقته بالوعود والتوكيدات الرسمية التي قطعت له ، وانه وصل الى اليأس فكان إضرابه الشديد وثورته الجامحة التي يتحمل فيها جسيم التضحيات نتيجة لذلك ، وإن قتل الشعور بالقوة غير ممكن ، وانه بالرغم عن احتمال إخماد الحكومة لحركة تمرده بما عندها من الوسائل العظيمة فان هذا الشعور سيظل قائماً وسيظل مصدر اضطرابات وإقلاق وان السبيل الوحيد إلى زواله هو ازالة العوامل التي ولّدته ... وتابعهم موظفو العرب الصغار وقضاة المحاكم الشرعية بمذكرات مماثلة . وكان هذا العمل في حد ذاته ذا تأثير ومعنى بليغين وقد استغله اليهود في الحملة على الانكليز الذين رضوا (بخيانة) موظفيهم لحكومتهم وانتدابهم . أما سكوت الانكليز عن ما فعله الموظفون فهو يتسق مع مرونتهم النفاقية حينما تشتد العاصفة في ظرف ما . وقد قال مندوبهم امام لجنة الانتدابات حينما اثير هذا الأمر نتيجة لسعي اليهود وحملتهم انه كان أهون الشرين حيث كان الموظفون بين الاضراب وتقديم المذكرة التي يرضى بها الرأي العام بعض الرضا ، وهذا الجواب يتضمن على ما يبدو أن للانكليز تلقيناً في صدد الخروج من المأزق بالمذكرة !

موقف البوليس العربي

●

ولقد كان للبوليس العربي وبعض ضباطه وخاصة صغارهم موقف محمود حيث بدأوا يتذمرون من غطرسة البوليس الانكليزي وشراسته ، ثم انتقل تذمرهم إلى التلكؤ في تنفيذ اوامر مكافحة الحركة العربية والمظاهرات العربية حتى لقد وصل أمر بعضهم إلى التكتل تكتلا ينذر بشر وإلى فرار بعضهم ، ولو كانوا عدداً قليلا ــ بسلاحهم والالتحاق بالثوار ، مما جعل السلطات تداري المواقف بعض

الشيء فتأمر البوليس الانكليزي بالتخفيف من غلوائه واستفزازاته وعدم الالحاح في أمر اشتراك البوليس العربي في عمليات القمع والمطاردة ضد العرب ، ثم جردت العناصر التي ظهر حماسها اكثر من غيرها من السلاح واكتفت بحملهم العصي واشغالهم بالاشغال التي ليس فيها إحراج واحتكاك .

وقد شارك المحامون في الاضراب من وقت مبكر فاضربوا عن المرافعات في القضايا العادية ، وألفوا لجنة منهم لتوزيع قضايا الاضراب والثوره التي نتجت عنه مما لم يكن بد من الدفاع فيها .

ولم يمض أيام حتي قامت إلى جانب اللجنة العليا لجنة اعانة مركزية برئاسة الحاج أمين وعضوية بعض أعضاء اللجنة العليا وغيرهم على وجه تمثلت فيها كتلك مختلف الميول والاحزاب .

واخذت تجمع الاعانات من الموسرين في فلسطين وتتلقى ماترسله الاقطار العربية والمهاجرون العرب من إعانات وقد ساعدت هذه الاعانات بعض الشيء على تفريج ضيق الطبقات العاملة والفقيرة كان للاضرب تأثير شديد في معايشهم ثم الجرحى والأرامل والمتهمين والمحكومين والنفقات الادارية والدعائية الضرورية . وظلت مستمرة النشاط إلى ما بعد الاضراب بل وطيلة الدورة الثانية من الثورة على مـــا سوف نذكره بعد .

المظاهرات والطلاب

●

ورافق الاضراب منذ البدء مظاهرات في المدن أخذت تتكرر طيلة مدته لأقل مناسبة ، وكان اكثرها دامياً حيث كان البوليس يعترضها فيقع الاشتباك بينه وبين المتظاهرين ، وكثيراً ما كان النساء يقمن بمظاهرات احتجاجية في مختلف المناسبات ايضاً . وقد كانت المظاهرات مما غذى حركة الاضراب والحركة الثورية معـــاً حيث كانت تثير في الناس غريزة الكفاح والحماس .

وكان لطلاب المدارس المضربين ولغيرهم من الأولاد يد طولى في المظاهرات واستمرار الاضراب حيث كانوا في كثير من الأوقات نواة المظاهرات الارتجالية والاندفاعية التي تقوم على الاستفزاز ، كما كانوا ينثرون المسامير في الطرق لتعطيل

حركة السير وتنقلات قوى السلطات بقدر ما يمكن . وكانوا كذلك يتربصون بمن تحدثه نفسه بالشذوذ فيتسلطون عليه ويمعنون فيه رجماً وتعزيزاً . وقد اندمج مراهقون في الحركات الثورية وأبلوا بلاء حسناًومنهم من كان جريئاً جرأة عجيبة غير متناسبة مع سنه ، وكانت لهمبل ولأطفالأصغر من سن المراهقة نوادر طريفة في هذا الباب .

الثورة وتطوراتها ومظاهرها

●

ولم يمض على بدء الاضراب الا أيام حتى أخذت تبدر بوادر الثورة ثم تتسع وتستمر إلى ليلة إنتهائه . وقد بدأت بالقاء المفرقعاتالتي كان لدويها تأثير تنبيهي قوي وخاصة في سكون الليل ، وبتقطيع الأسلاك وتعطيل الطرق والمعابر ورجم البوليس في المظاهرات ثمتطورتفأخذتتظهر العصابات المسلحةفي الطرقوالجبال وضواحي القرى والمدن فتهاجم الدوريات والمخافر وقوى السلطات ومستعمرات اليهود وبيادرهم وبياراتهم . وكانت في بدئها ضيقة النطاق ثم اتسعت حتى غدت شاملة جميع فلسطين مدناً وقرى وبدواً ومختلف الميول والاحزاب ؛ واستمر هذا الطابع قوياً بارزاً حتى ليلة نهاية الاضراب ، بل كانت هذه الليلة من اللياليالرائعة في حوادثها كأنما كان العرب يقيمون حفلة وداعية حاشدة .

اتساع الثورة

●

والحق إن جو فلسطين بعد ان أخذت حركات الثورة تتسع صار جواً حربياً بما كان من كثرة تنقلات القوى الأنكليزية ودورياتها ودباباتها ومصفحاتها ودوي المفرقعات والقنابل وأزيز الرصاص الذي لم يكن ينقطع ليلا ونهاراً ، والحرائق ونسف القطارات والجسور والمعابر ومـا كان يرافق مطاردة السلطات للعرب وتفتيشها بيوتهم وقمعها لمظاهراتهم من عنف وقسوةمما كانيزيدالنارضراماًولهيباً. وكان مما يزيد النار لهيباً كذلك ما كان يبدو من السلطات مـن محاباة سافرة لليهود ضد العرب في ما كان يقع بين الفريقين من احتكاك واصطدام ، وصار الخطر محدقاً بكل عربي في أنحاء مساكن اليهود وكل يهوديفيانحاءمساكنالعرب في المدن الاربع الكبرى يافا وحيفا والقدس وتل أبيب . وقد اتفق اليهود مـع

السلطات على تسيير سياراتهم في قوافل مخفورة لان اكثر الطرق كان تحت سيطرة العرب ، وظل ذلك جارياً إلى آخر يوم ، وقد سارت السلطات على طريقة منع التجول منذ الغروب حتى الشروق في المدن والقرى حتى أصبح هذا من الامور العادية ، وكان المنع يمتد أحياناً على أثر المظاهرات الصاخبة والحوادث الدموية الكبيرة إلى أن يكون ٢٢ ساعة في اليوم حيث يسمح للناس بالتجول ساعتين لقضاء حاجاتهم .

ولقد كانت الحوادث المتنوعة المذكورة تقع بمعدل عشر حوادث في اليوم فما زالت تتسع وتشتد حتى صار معدلها اليومي خمسين فضلا عن تطورها من حيث الكيفية وصيرورتها حوادث ثورة مسلحة عامة شاملة للمدن والقرى . ولعلنا نكون أدنى إلى الاقتصاد إذا قدرنا هذه الحوادث بخمسة أو ستة آلاف حادثة خلال أشهر الاضراب الستة . وإذا لوحظ صغر رقعة فلسطين وعدم تجاوز سكانها المليون والنصف الا قليلا بدت خطورة هذا العدد واضحة كما هو المتبادر .

وقد نشر بعض الصحف اليهودية إحصاء لنتائج هذه الحوادث لغاية ٢|٩|١٩٣٦ اي لمدة اربعة اشهر ونصف حيث ذكرت ان عدد إصابات الانكليز ١٧٨ منهم ٣٤ قتيلا وعدد قتلى العرب ٧٠٠ وعدد قتلى اليهود ٨١ وعدد الاشجار المقلوعة من بساتين اليهود (٢٠٠٠٠٠) وعدد الحرائق في مستعمرات اليهود وأحيائهم ٢٨٠ وعدد الجسور المنسوفة ٤٨ وعدد المرات التي قطع فيها الاسلاك ٣٠٠ وعدد المرات التي عطبت فيها قطارات السكة ٢٢ وعدد المرات التي قلعت فيها خطوط السكة ١٣٠ وعدد القنابل المصادرة من العرب ٤٠٠ وزنة السلاح المصادر منهم ٣٥ طناً .
وقد نشر قلم المطبوعات بياناً عن الاصابات لغاية ٣٠|٩|٣٦ جاء فيه ان إصابات المسلمين (٩٣٦) منهم ١٨٤ قتيلا واصابة المسيحيين (٦٠) منهم ٩ قتلى وإصابات اليهود ٣٦٨ منهم ٨٠ قتيلا وإصابات الجيش ١٥١ منهم ٢٨ قتيلا وإصابات البوليس الانكليزي ٤٨ منهم ٧ قتلى واصابات البوليس الفلسطيني ٦٠ منهم ٧ قتلى . وقدم وزير المستعمرات الى مجلس العموم قائمة بعدد الاصابات لغاية صباح ١٥|١٠|٣٦ جاء فيها ان اصابات المسلمين ٩٥٥ منهم ١٨٧ قتيلا والمسيحيين ٦٥ منهم عشرة قتلى والجيش ١٢٥ منهم ٢١ قتيلا والبوليس الانكليزي ٤٧ منهم ٧ قتلى والبوليس الفلسطيني ١٢٤ منهم (٩) قتلى .

ويلفت النظر الى ان بعض الارقام في القائمة الرسمية الثانية اقل منها في الاولى فضلا عن ان معارك الثورة الكبرى قد وقعت بعد ٣٠|٩|٣٦ وهذا وذلك يدلان دلالة قاطعة على عدم صحة أرقام القائمتين بالنسبة لقوى السلطات ولا بالنسبة لاصابات العرب ، لان هؤلاء كانوا أحياناً كثيرة يسحبون جرحاهم وقتلاهم ولم يكن للسلطات امكان لاحصائهم . ولقد كانت ترى دلائل على اصابات عديدة في قوى السلطات لم تكن البلاغات تذكر عنها شيئاً . ولقد رسا في ميناء الاسكندرية ثلاث بواخر مستشفيات انكليزية قادمة من فلسطين خلال النصف الاول من تشرين الاول عليها ٤١٠ جندياً انكليزياً بين جريح وناقه. ولذلك نعتقد ان إصابات القوى الانكليزية اكثر بكثير مما جاء في القائمة الرسمية كما ان إصابات العرب تزيد كثيراً عما ذكرته .

هذا ، ومما تنبه له الثوار خط أنابيب البترول الممتدة في اراضي شرق الاردن وفلسطين فأخذوا يعملون يد التخريب فيه ويشعلون المتدفق منه مرة بعد مرة حتى لقد كان يتوالى هذا في مكان واحد أياماً عديدة دون أن تستطيع السلطات دفعه مما أقض ولا شك مضاجع الانكليز وشركات البترول .

ولما أعيا السلطات إقناع العرب بالكف عن الاضراب أصدرت قانوناً يخول الحكام الاداريين إجبار الناس على فتح حوانيتهم فلم يعبأوا به وسارعوا فنقلوا سلعهم وتقدم كثير منهم بمفاتيحهم إلى اللجان القومية دلالة على التصميم مما جعل الحكومة لا تقدم على تنفيذ القانون لما في ذلك من عبث وتحرش ، وكان هذا في أوائل حزيران .

قوانين الطوارىء

●

وحينما رأت السلطات تصميم الامة على الاستمرار وتطور حركات الثورة أعلنت تعديلات جوهرية على قوانين الطوارىء بحيث جعلت حكم الاعدام والتأبيد على جرائم اطلاق الرصاص والقاء القنابل والمفرقعات والتخريب ولو لم ينته العمل الى نتيجة وظل في نطاق المحاولة . ثم أخذت تنذر باعلان الادارة العرفية وتسليم البلاد للجيش وطال التهديد بذلك وتكرر في فلسطين ولندن ، ثم اعلنت هذه

الخطوة ومنح الجنرال ديل الذي أرسل خصيصاً لقيادة الحركة والذي غدا بعد قليل رئيساً لهيئة أركان الحرب البريطانية تأليف محاكم عسكرية ومراقبة الموانيء وطرق المواصلات وفرض الغرامات المشتركة واعتقال وابعاد من يرى الخ ، وتواردت النجدات على نطاق غير ضيق ، فلم يكن لكل ذلك أثر في سير الحركة الثورية واشتدادها واتساعها وتصميم الامة وحماسها ؛ واستبسال المجاهدين وصبرهم وجلدهم واقدامهم دون اي مبالاة . وربما كان عدد قوات البوليس قد بلغ خمسين الفاً نصفهم من الجيش النظامي ونصفهم من البوليس الذي كان عدد كبير منه انكليزياً .

حماس الشعب واندماجه في الحركة

●

ولقد كاد يكون كل عربي في فلسطين مشتركا في الحركة رجالا ونساء وشبانا وشيوخا وأطفالا بشكل من الاشكال ، فمن استطاع حمل السلاح حمله واستعمله حيث هو أو خرج به منضما الى فئة مجاهدة ، ومن لم يستطع ساعد الثوار بمختلف المساعدات من تحضير العتاد ونقله وتقديم المؤونة والمال واحضار الماء والاسعاف والتحميس والتحريض والترصد وتأديب الشاذين الخ . وقد رويت عن كل طبقة روايات ونوادر كثيرة في هذا الباب تثير الدهشة والاعتزاز في جرأتها ودلالتها . ولقد أثر عن القاوقجي دهشته العظيمة لما كان يبدو من مجاهدي فلسطين من إقدام وبسالة وكرم وتفان حتى لقد كان ينتدب عشرة لمهمة فيتسابق اليها العشرات كأنما كان يدعوهم الى وليمة أو عرس لا إلى خطر الموت . وقد تحمل أهل البلاد جل نفقات الثورة من سلاحها الى عتادها الى مؤونتها الى وسائلها المتنوعة بما في ذلك جل نفقات من أسرع إلى نجدتهم من الاقطار الشقيقة كافراد وحملات ، وذلك فضلا عما تحملوه من شدائد الاضراب وجهده وبطالته حتى ليمكن ان يقدر قيمة ما تحملته بمليونين من الجنيهات . ولم تكن المساعدات التي وردت الى فلسطين من الاقطار العربية إلا جزءاً يسيراً جداً قيمته الرمزية اعظم بكثير من قيمته المادية .

ومن المحتمل ان يكون عدد حملة السلاح قد تراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ مع التنبيه على فقدان اي نسبة تكافؤ وتماثل بين سلاحهم وسلاح السلطات كيفية وكمية وسهولة حيازة . وقد كان اكثر سلاح العرب الى هذا قديما ومختلف الطراز معضا له

العتاد وفساد كثيره وصعوبة الحصول عليه وغلاء ثمنه وكان هذا مما يثير دهشة الضباط الانكليز . وقد كان اكثر الذين حملوا السلاح يحملونه ويستعملونه لأول مرة ولم يحصلوا على اي نوع من التدريب. وكل هذا مما يساعد على فهم قوة الروح التي تجلت في الأمة وقوة الاندفاع والاقدام على التضحية . وفي هذه المرحلة برز قواد محليون أكثرهم من اهل القرى تولوا امر الثورة في مرحلتها الثانية التي كانت بعد بضعة اشهر وظهر منهم من قوة الشكيمة والاقدام والبسالة وفرض الشخصية ما ادهش الملاحظين على ما نذكره بعد .

الاعتقالات ومعتقل صرفند

●

وبعد نحو شهر من بدء الاضراب رأت السلطات ان تعتقل من كان له اسم في قوائمها السوداء من المؤثرين والمحركين والاقوياء في خصومتها من العرب على متنوع الأحزاب والأسنان أو ان تجبرهم على الاقامة في بلد ما تحت رقابة البوليس كتدبير لتقليل مؤثرات الاضراب والمظاهرات والحركة الثورية . واختارت في اول الأمر عوجه الحفير للمعتقلين وأخذت ترسل اليها من تراه اشد نشاطاً وتأثيراً وعداء كما أخذت تفرض الاقامة الاجبارية على اناس آخرين من هذا الصنف . وكلما اتسعت دائرة المظاهرات والحركات واشتد امر الاضراب اتسعت دائرة الاعتقال حتى ضاقت الحفير فأنشأت معتقلا في صر فند وأتبعته بثان فيها . وكان الاعتقال يتم بقرار من الحاكم الاداري الانكليزي وشهادة البوليس على ان بقاء الشخص حراً يزيد في توتر الموقف . وكان يعين للاعتقال أمد قابل للتجديد .

وكانت السلطات تفرج عن المعتقلين الأخف تأثيراً ليحل محلهم آخرون وهكذا دواليك إلى آخر الاضراب بحيث يمكن أن يقدر عدد المعتقلين بنحو الف ومئتين من مدنيين وقرويين وزعماء رئيسيين وثانويين وشبان وأعضاء لجان قومية ومسلمين ومسيحيين ومشايخ وخوارنة ومجلسيين ومعارضين واستقلاليين وغير حزبيين فكان المعتقل يمثل مرحلة الكفاح القائمة التي شملت عرب فلسطين على اختلاف ميولهم وطبقاتهم على ما ذكرناه قبل . وكان أكثر اركان حزب الاستقلال واعضاء فروعه من أوائل المعتقلين الذين ظل اعتقالهم يتجدد إلى نهايه الاضراب ومن جملتهم سكرتيره العام عوني عبد الهادي الذي كان يشغل سكرتيرية اللجنة العربية العليا



من مشاهد المعتقلين في صرفند



من مشاهدالمعتقلين في صرفند



من مشاهد المعتقلين في صرفند



المجاهد الشيخ محمد الأشمر مع فريق من رفاقه المجاهدين السوريين



القائد الشهيد سعيد العاص

فلما اعتقل حل محله في سكرتيرية اللجنة عزة دروزه فلم يمض يومان عليه حتى اعتقل هو الآخر وكان قبل ذلك تابعاً لمراقبة البوليس . وشمل الاعتقال اخوين سوريين لهم من حزب الاستقلال القديم كانا يقيمان في فلسطين وهمـا نبيه العظمه وسامي السراج . هذا فضلا عن عدد كبير كان يجبر على الاقامة في بلده تحت رقابـة البوليس . وهذا بطبيعة الحال غير الذين كانوا يوقفون بتهم معينة ويسلمون للقضاء المدني والعسكري ويسجنون في السجون العادية والذين يمكن تقدير عددهم بنحو ثلاثة آلاف . وقد كان امر الاعتقال يقابل بالتحمس ولا يثير في النفس ذلك الضيق أو الفزع الذي كان يثيره قبل هذه الحركة مما فيه دليل على ما كان من قوة الروح والتحدي للسلطات .

الغرامات المشتركة

●

وقد عمدت السلطات كتدبير انتقامي وزجري كذلك إلى فرض العقوبات والغرامات المشتركة على القرى والمدن التي كانت قوية الحيوية في حركتها الثورية وإلى نسف البيوت فيها .

نسف يافا

●

وقد اقدمت على نسف منطقة عربية واسعة من أشد مراكز العرب إزدحاماً وحركة في مدينه يافا بحجة توسيع الشوارع . وكان لهذا الحادث خاصة ذيول، لان السلطات ألقت مناشير انذارية بالتخلية وسارعت إلى تنفيذ الانذار والنسف فاقام العرب الدعوى عليها أمام محكمة العدل العليا التي يرأسها قاضي القضاة الانكليزي، وثبت ان السلطات أساءت التصرف في عملها وخدعت الاهالي ، وصدر عـن المحكمه قرار فيه تنديد بالحكومة ! وقد أسفّت الحكومة الانكليزية اسفافاً بشعاً حيث أحالت القاضي على المعاش بعد اسابيع قليلة .

ومن الطريف ان السلطات فرضت غرامة خمسة آلاف جنيه على مدينة نابلس فامتنع الناس عن الدفع فعمدت السلطات إلى مصادرة متاع البيوت حسب قائمة التوزيع ولم تستطع ان تعرضها للبيع فحجزتها بعض الوقت ثم اخذت تعيدها الى

أصحابها ! وقد فرضت على الخليل غرامة الف جنيه ظلت حبراً على ورق. وقررت نسف بعض بيوتها فاهتاج الناس فكانت مفاوضات انتهت بالتراضي على نسف بيت من حجر مرصوف (غير مشيد) في أحد الكروم كرمز لتنفيذ القرار . على ان السلطات اشتدت في اماكن اخرى ونسفت كثيراً مـــن البيوت في القرى والمدن وجبت كثيراً من الغرامات بالعنف والاكراه ايضاً ؛ مما يدل على أن ما كان منها من تساهل لم تمله روح الاناة والرأفة وإنما أملته روح الابتعاد عن اثارة سخط البلدين اللذين كانا شديدي الحيوية والحماس والنشاط في الحركة الثورية .

المجاهدون السوريون والعراقيون والاردنيون

●

وبعد نحو شهر ونصف من بدء الحركات الثورية اخذ يتسرب الى فلسطين من شرق الاردن وسورية ولبنان والعراق مسلحون ويقاتلون الى جانب اخوانهم ؛ ثم صار التسرب يقوى حتى غدا في فلسطين مئات منهم وكان اليهود والانكليز يقدرونهم بالألوف . وجاء على رأس فرق منهم ثلاثة من ابطال الثورة السورية وهم الشيخ محمد الاشمر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص . وكانت منطقة سعيد العاص الخليل ــ بيت لحم ــ القدس حيث التف حوله ثوار أشاوس من فلسطين وغيرها تجاوز عددهم المئة وكان مساعده البطل الفلسطيني الشهيد عبد القادر موسى كاظم الحسيني وقد أبلوا بلاء عظيما وكانت تقع بينهم وبين الانكليز معارك طاحنة تمتد ساحتها احياناً بضعة كيلو مترت ويسرع إلى نجدتهم فيها مئات الثوار من ابنـــاء المنطقة الذين يعماون في فصائل مستقلة حسب ما تقتضيه ظروف الحركة وطبيعتها وإمكانياتها . وقد استشهد فيها القائد العاص في معركة عظيمة وقعت في الاسبوع الأول من تشرين الأول كما جرح مساعده الحسيني .

وكانت منطقة نشاط الشيخ الأشمر وفرقته مثلث نابلس وخاصة منطقة طولكرم وقد كان يتضامن مع المئات من ثوار هذه المنطقة الذين كانوا كذلك في فصائـــل مستقلة وبقيادة قوادهم المحليين. وقد ذهب من الثوار السوريين ضحايا وكان منهم البلاء الحسن في المعارك .

حملة القاوقجي ومداها واثرها

●

وفي الاسبوع الأخير من شهر آب وصلت حملة القاوقجي من العراق وكانت حسنة التجهيز والتنظيم ، وكان فيها فريق من العراقيين وآخرمن الدروز ؛واتخذت مثلث نابلس وخاصة منطقة جنين ساحة لنشاطها . ويوم وصولها وزع بتوقيع « فوز الدين القاوقجي قائد الثورة العام » منشور يدعو الناس فيه إلى الالتفاف حوله والانضمام اليه ويقرر ميثاقاً له « الاستمرار في النضال إلى ان تتحررفلسطين وتستقل وتلتحق بقافلة البلاد العربية المحررة » ولم يلبث القاووقجي ان اصبح قطب رحى الثورة . وكان لقدوم حملته تأثير عظيم على عرب فلسطين فازداد حماسهم واندفاعهم وانتعشت آمالهم ؛ حيث أدركوا أن ثورتهم قد اتسمت بطابع الشمول العربي والنظام العسكالفري ني ؛ وكان لها تأثير عظيم كذلك على الانكليز واليهود الذين رأوا ان الخطب اخذ يتفاقم وان الثورة قد انتقلت الى مرحلة ثورية قوية شاملة ومنظمة ؛ وأرسل الانكليز الجنرال دبل ليقود الحركات العسكرية كنتيجة لذلك التأثير وهذا التطور اللذين شعروا بهما . وقد كانت حملة القاوقجي خاصة من العمليات الموفقة التي تمت بمساعي الحاج أمين الحسيني ومعين الماضي وعادل العظمة ومساعدة ياسين الهاشمي الذي كان يرأس الحكومة العراقية .

ولقد وقعت معارك عديدة بين قيادة الثورة العامـة والجيش الانكليزى في مناطق بلغا وبيت امرين ودير شرف وجبع وعزون . كانت السلطات تحشد لكل منها الآلاف مرفقة بالدبابات والمصفحات والطيارات وكثيراً ما كانت ساحـة العمليات تمتد عشرة كيلومترات وخمسة عشر . وكانت المعارك تبدأ بعملية تطويق واسعة ثم تنشب بين الفريقين ؛ وفي كل معركة كان يحتشد تحت إمرة قيادة الثورة المئات وأحياناً الألوف مسلحين وغير مسلحين ومساعدين وممونين ومحمسين ثم تنتهي بانسحاب القوات الانكليزية حالما يخيم الظلام بعدما يكون الثوار أوقعوا فيهم الخسائر وغنموا منهم الغنائم . وكان قائد الثورة العام يذيع بيانه عقب كل معركة مفصلا سيرها وعدد الاصابات التي وقعت في العدو والغنائم التي غنمت منه . وقد تكرر اسقاط الثوار للطيارات حتى بلغ عددهـا سبعاً . وطبيعي ان القيـادة الانكليزية كانت تذيع هي الاخرى بياناً فلا تذكر شيئاً من خسائرها او تذكر

الشيء الطفيف بينما تذكر ارقاماً مبالغاً فيها عن خسائر الثوار باسلوب الظن والتخمين.

موقف الأقطار العربية

●

ولقد كان موقف الأقطار العربية وخاصة العراق والشام بما فيها الاردن ولبنان قوياً كريماً في ازمة فلسطين ، فاهتمت اوساطها الوطنية وصحافتها اهتماماً كبيراً وتألفت لجان سميت بلجان الدفاع عن فلسطين واخذت تجمع التبرعات وترسلها الى فلسطين كما ان مدنها اضربت اكثر من مرة وقامت فيها المظاهرات المتعددة تضامناً معها ، ووصل الامر كما قلنا ان اخذ ابناء هذه الاقطار يتسربون الى فلسطين ليجاهدوا الى جانب اخوانهم ويمزجوا دماءهم معاً في سبيل عروبة فلسطين وحريتها واستقلالها . وقد ساعد ابناء هذه الاقطار في تغذية الكفاح بما كانوا يرسلونه من وسائله الضرورية بقدر ما كانت تسمح به احوالهم . ولقد كان حماس العراق الابي الذي كان ينعم اكثر من غيره بالاستقرار وقوة النفس والحركة عظيما سواء في ما اقامه من مظاهرات او تبرع به من مال او ساعد عليه من وسائل الكفاح وتجهيز حملة القاوقجي وتيسير رحلتها ثم بما كان من اهتمام حكومته ومبادرتها الى الخطوات التي اتخذتها في صدد التدخل والوساطة على ما سوف نذكره بعد . اما سورية فان قضيتها السياسية كانت اذ ذاك في ابان ازمتها ولم توقع المعاهدة التي نشأ عنها العهد الوطني الاول الا في ايلول ١٩٣٦ كما ان الحكومة الوطنية لم تقم الا في تشرين الثاني اي بعد حل الاضراب . على ان الكتلة الوطنية التي كانت تحمل لواء الحركة الوطنية كانت مندمجة بل ومغذية لما كان يبدو من سورية من عواطف ويبدو عنها من مساعدات مالية وكفاحية . واما مصر فقد عقدت معاهدتها مع الانكليز اثناء الاضراب . ومع ان حالة مصر الجديدة الحليفة مماثلة لحالة العراق بالنسبة للانكليز فقد رأت حكومة الوفد أن تقف موقفاً آخر واختارت الموقف السلبي حيث حرصت كل الحرص على ان لا يأتي من ناحية مصر ما كانت تظنه ازعاجاً لحليفتها الجديدة . ولذلك فان عواطف مصر في هذه المرحلة اقتصرت على بعض المقالات التي كان ينشرها من آن لآخر كرام الكتاب المصريين الذين كانوا يشيدون فيها ببطولة فلسطين وعظم تضحياتها ، وينتقدون أحياناً الموقف السلبي الجامد الذي تقفه حكومة الوفد والذي كان تأثيره قوياً على الشعب المصري فوقف هو الآخر موقف الجمود والسلبية نتيجة له . ولم تشترك الحكومة المصرية في هذه المرحلة بحركة



فوزي القاوقجي

التدخل العربي التي قدر لها ان تشترك فيها بعد ثلاث سنين في عهد وزارة محمد محمود التي خلفت الوزارة الوفدية .

وقد كانت المناطق الآهلة بالطوائف الاسلامية في لبنان هي الاكثر اهتماماً وعطفاً ، فتكررت المظاهرات والاضرابات في طرابلس وصيدا وصور بنوع خاص وتسرب مسلحون عديدون من اهل هذه المناطق وجمعت بعض التبرعات واشترك فيها بعض الطوائف المسيحية .

وأما شرق الاردن فيمكن ان يقال انها اجمالا عاشت طيلة اشهر الاضراب والثورة في جو الثورة الفلسطينية ،حيث تكررت المظاهرات والاضرابات فيها ، وحيث كانت معابرها وطرقها مجالات مستمرة لغدو المسلحين المنضمين إلى الثورة من أهلها ومن العراق وسورية ورواحهم ولنقل وسائل الثورة إلى فلسطين ، بل وأخذت تبدر بوادر حركة ثورية فيها ، وخربت الأنابيب الممتدة في أرضها أكثر من مرة . وكانت الجسر الذي عبر عليه بسلام حملتا الاشمر والقاوقجي بكل وسائلهما في الدخول والخروج وحظيت الحملتان منها بالمساعدات والمدد إبان دخولها وخروجهما وإقامتهما .

ومما يحسن ذكره ان قضية فلسطين أثارت اهتمام مسلمي الهند إثارة غير يسيرة فارتفعت أصوات هيئاتهم ونوابهم بالعطف والتأييد والاحتجاج ومطالبتهم بمنح العرب حقوقهم المشروعة في بلادهم التي يقدسها جميع المسلمين. وقد عقدوا مؤتمراً عظيما برئاسة مولانا السيد سليمان الندوي في نيودلهي شهده (٢٥٠٠٠) مدعو بينهم ٢٠٠ مندوب يمثل كل واحد منهم إقليما من أقاليم الهند . وكان بين شاهديه زعيم الهند جواهر لال نهرو واستمر ثلاثة أيام واتخذ فيه قرارات مهمة من جملتها مقاطعة حفلات التتويج والدعوة إلى مقاطعة البضائع الانكليزية وعدم التجنيد في الجيش إذا لم تغير بريطانيا سياستها تغييراً أساسياً في فلسطين وتمنح العرب حقوقهم الشرعية في بلادهم .

مساعي الانكليز بسبيل إيقاف الثورة والاضراب وقلقهم من تفاقمها

●

ولقد كان الاضراب وتطوراته المتفاقمة مما أهم الانكليز كثيراً ، ولا سيما أنها كانت متصلة بالتحول الذي طرأ على اتجاه النضال الجديد منذ سنة ١٩٣٠ وهو اتجاه

الكفاح نحوهم مباشرة باعتبارهم اصل الشر والبلاء والمتآمرين الاصليين والدائميين على العرب وعروبة فلسطين ، فأخذت سلطاتهم في لندن وفلسطين تحاول محاولات متنوعة بسبيل معالجة الموقف والحيلولة دون تفاقم الخطب دون ان يكلفها ذلك التحول عن خطة المراوغة والخداع والتخدير . ففي بدء الامر استدعى المندوب اللجنة العليا وبذل جهده في إقناعها بفك الاضراب والدعوة إلى الهدوء وإيفاد وفد إلى لندن مطمئناً إياها باستعداد حكومته للاصغاء ومهدداً باستحالة رضوخها للعنف وقدرتها على قمعه بصرامة ، فكان جوابها ان بريطانية هي المسؤولة اولا وآخراً وان العرب قد تيقنوا من التجارب السابقة الخائبة والمحاباة المستمرة لليهود ما جعلهم يقفون موقفهم البائس الذي يتوقف العدول عنه على بادرة صادقة تأتي من طرفها وبعد قليل عرض عليها اقتراح إيفاد لجنة تحقيق ملكيـــة بشرط وقف الاضراب والهدوء قبل ذلك واخذ يعظم من امر هذه اللاجة في التقاليد الانكليزية ، فكان الجواب مثل السابق وزائداً عليه ان العرب لم يعودوا يثقون بأي لجــان تحقيق وإنما هم ينتظرون بادرة عملية كوقف الهجرة فوراً . وبعـــد قليـــل اذاع وزير المستعمرات ان الحكومة ستقترح على الملك إيفاد لجنة تحقيق ملكية لدرس اسباب القلق ومعالجتها في نطاق التزامات الانتداب . واستدعى المندوب رئيس اللجنة لاقناعه بهذا التصريح فلم يفلح ، واتصل بعاهل عمان لدعم الاقتراح ، وحاول العاهل ذلك بأسلوب يبدو فيه الحرص على المصلحة العربية والتضامن مع اللجنة فيها فلم يكن لهذا نتيجة إيجابية .

ومما يذكر بهذه المناسبة ان العاهل المشار اليه صرح لوفد من اللجنة انه اخذ وعداً من المندوب بوقف الهجرة إذا ووفق على وقف الاضراب ولجنة التحقيـــق فبادر المندوب الى نفي ذلك نفياً باتـــاً دون ان يراعي موقف الوساطـــة التي كلف بها العاهل مع ان المتبـــادر ان العاهل لا بد من ان يكـــون قد استـــأنس بالذي صرح به استئناساً على الاقل فأراد بتصريحه للوفد تحقيق وانجاح الوساطة التي التمست منه .

وبعد قليل اعترف وزير المستعمرات بخطورة الموقف وشدته والاعتزام على كل حال على ارسال لجنة التحقيق حالما تهدأ الحالة والاستعداد لاتخاذ الوسائـــل الوافية برضاء جميع سكان فلسطين في نطاق الالتزامات المزدوجة . وعاد المندوب إلى سعيه ووسط الأمير (الملك) عبد الله متغافلا عمـــا بدر منه من سوء تصرفـــه

معه ، وقام المشار اليه بالوساطة بسبيل إقناع اللجنة بقوة التصريح وقبوله ،ولكن اللجنة ظلت عند رأيها الذي ازداد صلابة باصرار الحكومة الانكليزية على ترديد نغمة الالتزامات المزدوجة الملعونة دون أن تشعر بشيء من واجب المحاسنة ولو في القول . ومع ذلك فانها لم تر بأساً في توسيط بغداد والرياض ، حيث أخذت الصحف تردد ذلك ببعض الأساليب ، ثم هبط نوري السعيد وزير الخارجية العراقية فلسطين .

زيارة نوري السعيد ونشاطه

●

وكان قد مر على الاضراب نحو أربعة أشهر وأخذت الحركة الثورية تتسع وتتفاقم – وحل ضيفاً على المندوب السامي ، وأخذ يجتمع به وباللجنة العليا بصدد معالجة الموقف . وكان النطاق المرسوم له على ما بدا أن تقبل اللجنة العليا الوساطة فتدعو إلى وقف الاضراب والثورة مقابل وعود وأماني وثقة مطلقة ودون أي شرط بأمر معين . وكل ما كان من أمر تطمينات شخصية منه بتحقيق مطالب العرب أو كثير منها ووقف الهجرة والكف عن المطاردات وجباية الغرامات وإطلاق سراح الموقوفين الخ . وطالت المداولات وتشعبت الاراء في اللجنة بسبب ذلك . وقد حاولت السلطات الانكليزية أن تلعب لعبة فأمرت حكامها بالاتصال باللجان القومية والسعي في إقناعهم ، فكان موقف هذه اللجان قوياً رائعاً حيث رفضت الموافقة على حل الاضراب ما لم تثبت الحكومة الانكليزية حسن نيتها وتعلن تغيير سياستها وتوقف الهجرة حالا كبادرة عملية وقالت ان الامة لم تضح بما ضحت وتتحمل ما حملت لتخرج صفر اليدين ، ثم أعلنت تفويضها الامر الى اللجنة العليا . على انه قد تم الاتفاق نهائياً بين اللجنة ونوري السعيد على قبول الوساطة ضمن النطاق المرسوم الذي اقنعهم بأنه نطاق دبلوماسي لا مندوحة عنه، ولا سيما قد أخذت تيارات تجري في اللجنة مما كان نذيراً بانشقاق رؤي من الخير تفاديه .

وقد وجه نوري إلى اللجنة الكتاب التالي:

« ان الحكومة العراقية التي تشعر شعوراً قوياً بالرابطة القومية التي تربط الشعب العراقي والشعب العربي في فلسطين ترى انه لمن المحتم عليها ان تتقدم بالوساطة الناجعة

ما بين هذا الشعب والحكومة البريطانية التي تربطها بها روابط صداقـة وحلف قوية في سبيل إنهاء الحالة الراهنة في فلسطين . والحكومة العراقية تشعر تمـاماً اذ تتقدم بمثل هذا بالمسؤليات العظيمة التي تلقيها هذه الوساطة على عاتقها تجاهالعرب عامة وعرب فلسطين خاصة وترغب للأسباب المذكورة آنفاً ان تتقدم الى لجنتكم الموقرة بالاقتراح الآتي :

اولا - ان تقوم اللجنة العربيةالعليا باتخاذجميع الوسائل الفعالة لانهاء الاضراب والاضطرابات الحاضرة .

ثانياً - ان تتوسط الحكومة العراقية لدى الحكومة البريطانية لانجاز جميـع مطاليب عرب فلسطين المشروعة .

وانها ستتخذ لذلك جميع الوسائل الممكنة في سبيل تحقيق المطـاليب المذكورة سواءكانت هذه المطاليب ناشئة عن الحركة الحاضرة في فلسطين او عما يتعلـق بالسياسة العامة فيها .

وبناء على هذا الكتاب اتخذت اللجنة العربية العليا قراراً باذاعة البيان التالي:

« استمرت المفاوضات بين اللجنة العربية العليا وبين فخامة نوريباشا السعيد وزير خارجية العراق بضعة ايام بحثت خلالها جميع النقاط التيتتعلقبالقضية العربية الفلسطينية في جو تسوده الثقة والصراحة فنتج عن ذلك التفاهم التام والموافقة على وساطة الحكومة العراقيـةواصحاب الجلالة والسمو ملوك العرب وامرائهم بكل ارتياح واطمئنان . وبناء على ذلك فإن فخامة الوزير سيقوم بالمخابرات الرسميـة اللازمة في هذا الشأن كما ان اللجنة العربية العليا ستعرض الأمر على الأمة بواسطة لجانها القومية في مؤتمر عام لأخذ رايها والحصول على موافقتها . وستستمر الامة على اضرابها الشامل بنفس الثبات واليقين اللذين عرفت بهما رافعة الراس راسخة الايمان متريثة رزينة الى ان تصل هذه المفاوضات الى النتيجة المرغوبة الـتيتحفظ لهذه الامة الباسلة كيانها وتنيلهاحقوقهاوتوصلها إلى امانيها ان شاءالله ٣٠|٨|٩٣٦

وقدكان نوري السعيد المح في احاديثه الى ان الوساطة ستكون بالتضامن مع صنعاء والرياض وعمان فكان هذا سبب الاشارة الى الملوك والامراءولم يردهذا في كتاب نوري السعيد الرسمي .

واخذ نوري صورة عن القرار موقعة بتواقيع اعضاء اللجنة وغادرفلسطـين لاتمام مساعيه . وانتعشت آمال العرب اعتقاداً منهم ان ملوكهموامراءهم لا بد

من ان يكونوا مطمئنين بنجاح وساطتهم ، وان نوري لم ينزل ضيفاً على المندوب وتجري المداولات التي جرت بينهما ثم بينه وبين اللجنة عبثا ، وخاصة لأنهم رأوا في تدخل ملوك العرب وامرائهم وحكوماتهم وموافقة الانكليز عليه تطوراً عظيم الخطورة في قضيتهم حيث يعيدها الى نطاق الحركة العربية العامة بعد ان كادت تنسلخ عنها وتصبح قضية فلسطينية يهودية انكليزية فحسب .

نقائض ومخاتلات انكليزية

●

ورأى الانكليز ما كان من انتعاش آمال العرب وشعروا بما يمكن ان يكونله من أثر في زيادة قوة روح العرب وصلابتهم فسارعوا إلى التعكير باسلوبهم اللئيم المعتاد ، واغتنموا فرصة كتاب أرسله وايزمن الى وزير المستعمرات مع قصاصة من جريدة يهودية توسعت عن قصد على ما يظهر في صددالوساطة وشروطالعرب وموافقة الانكليز عليها ، فأرسل الوزير جواباً ينفي معرفة حكومته بشيء أو موافقة المندوب على اي شرط وتفويض لنوري السعيد بوعد العرب بشيءويؤكد أن نوري السعيد قد أبلغ زعماء العرب بوضوح أنه لا يمكنه إعطاء أي وعد وأن المندوب والحكومة الانكليزية لم يفوضاه بالوساطة الخ ...

وكان وقع هذا النفي على العرب سيئاً جداً وهو ما أراده كيد الانكليز الذين لم يخجلوا من إنكار الحقائق وأهمها ان مداولات نوري السعيد مع اللجنة العربية والكتاب الذي أرسله اليها قد كان باطلاع المندوب وموافقته حتما ! وقد أذاعت اللجنة العربية بياناً قوياً كردعلىالجواب شددت فيه من عزيمةالامةوأشارت فيه بايمانها في حقها وأكدت فيه أنها قبلت الوساطة بكل ارتياح واطمئنان بمقام الوسطاء الكرام ..

ثم ظلت أحداث الثورة من جهة والحديث عن الوساطة من جهة يتتابع . وقد بدا في هذه الأثناء ان الانكليز قد تهيأوا لقمع الثورة بالقوة حتى لا يكون للوساطة الدائرة كبير فضل في وقفها ، حيث وصل في هذه الأثناء الجنرال ديل ووصلت إمدادات جديدة ، ومنح الجنرال صلاحيات كادت البلاد تصبح بها تحت الحكم العسكري على ما ذكرنا ذلك في مناسبة سابقة . ولم يجد كل هذا لأن الحركات الثورية ظلت تشتد وتتسع وخاصة بعد قدوم حملة القاوقجي التي أخذت

تشتبك مع القوى الانكليزية في معارك مهمة دون أن يكتب لهذه القوى نجاح في ما حاولته من تطويقات وحشدته من عدد وأعداد وتفوقت فيه من أساليب وفنون عسكرية ووسائل حربية متنوعة .

وبعد قليل وردت من الملك ابن السعود برقية جاءفيها ان الحكومة الانكليزية وافقت على ان يوجه ملوك العرب وامراؤهم نداء بوقف الاضراب والسكـون مبدية إستعدادها للنظر في مقترحاتهم في صالح العرب بالنظر اللائق بها مع قولها انها لا تستطيع ان تعد بأي وعد قبل وقف الاضراب والثورة . وقـد ارسلت اللجنة اليه برقية شكر اعلنته فيها استعداد الامة لتلقي النداء الكـريم بالترحيب والثقة إذا كان الملوك والامراء مطمئنين بحسن العاقبة وقد كان هذا الجواب نتيجة لاستشارات اجرتها اللجنة مع وفود اللجان القومية وتفويضهم الأمر اليها بعمل ما تراه لأن السلطات رفضت السماح بعقد المؤتمر الذي كانت مزمعة عليه لهـذه الاستشارات .

نداء الملوك بوقف الحركة

●

واخيراً وردت النداءات متفرقة من الملك عبد العزيز والملك غازي والامام يحيى والأمير (الملك) عبد الله بنص واحد تقريباً . وهذا نص نداء الأول :

حضرة رئيس اللجنة العربية العليا . إلى ابنائنا عرب فلسطين .

لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين . فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقناً للدماء معتمـدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم ، عن عنيزة نجد ١٩٣٦/١٠/٨ .

وقد قررت اللجنة القرار التالي :

« قررت اللجنة العربية العليا بالاجماع وبعد استشارة مندوبي اللجان القوميـة والحصول على موافقتهم باتفاق الآراء ان تلبي نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الأمير بالبيان المنشور اعلاه وان تدعو الأمة العربية الكريمـة في فلسطـين للاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ابتداء من صبـاح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦ رجب ١٣٥٥ وفق ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ وان يبكر افراد

الامة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ورفع الشكر له تعالى على ما الهمهم به من صبر وجلد ثم يخرجون من المعابد لفتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة . »

واذاعت مع هذا ومع نداءات الملوك بياناً فيه تنويه بفائدة توسط الملوك وشكر للشعب على ما بذله من جهد . وحل الاضراب صباح الاثنين الذي صادف ليلة ليلة الاسراء وفق المنهج المقرر بعد ان دام ستة اشهر عربية كاملة ؛ وكان منقطع النظير في تاريخ البشر بشموله وامتداده وصبر العرب فيه صبراً كاد يتجاوز حدود الطاقة . وقد وقفت مع حل الاضراب حركات الثورة في كل مكان تقريباً فكان في هذا الوقوف كذلك معنى قوي من معاني النظام والتضامن .

الاغتباط بالخروج القوي الكريم

●

وقد اغتبط العرب بالنهاية التي خرجوا بها من الموقف خروجاً كريماً قوياً ، خاصة وقد انطوى فيه دخول قضيتهم في نطاق القضية العربية العامة بعد ان كاد ينعدم املهم في ذلك ، وكان شعورهم ان وقف الاضراب والثورة هو بمثابة هدنة وانهم فيها الطرف المنتصر الشاعر بقوته وحيويته وجهاده واستعلائه وكان هـذا الشعور من اهم عوامل امتداد ونجاح الثورة في مرحلتها الثانية التي استؤنفت بعد بضعة اشهر . وقد ارسلت اللجنة جوابات شكر للملوك اعلمتهم فيها بامتثال اوامرهم وجاءها ردود بالشكر والتطمين .

وبقي القاووقجي نحو عشرة ايام في منطقة جنين متوقفاً عن الحركات يتلقى الوفود الكثيرة التي زحفت لتبارك جهاده وتقوم بتكريمه ، واذاع بيانه الأخير موجهاً شكره لأهل فلسطين على ما رآه منهم من بسالة نادرة وكرم حاتمي وتضامن وثيق ، ومنبهاً السلطات الانكليزية بأنه انما توقف عن حركاته نزولا على نداء الملوك وانه هو والمجاهدون الأبرار من فلسطينيين وغير فلسطينيين مستعدون لاستئنافها بعزم اقوى اذا لم تتحقق مطالب العرب وتضمن عروبتها واستقلالها وحريتها .

وقد خشيت السلطات ان يبقى فوزي في فلسطين ويظل المجاهدون ملتفين حوله فحاولت « كشه » عن فلسطين بحركة تطويقية ، فكان ذلك سبباً لتجدد الحماس وزحف الناس من كل صوب مسلحين وغير مسلحين الى المنطقة التي كان فيها حتى امتلأت بهم وتوترت الأعصاب توتراً ينذر بالشر ، واتصلت اللجنة العليا

بالسلطات ، وتمكن فوزي ومن معه من الضيوف من الانسحاب الى شرق الاردن بسلام وهو ما ارادته السلطات من حركتها كما قلنا . وقد كان الشيخ الأشمر قـــد تمكن قبله مع من معه من المجاهدين السوريين من عبور النهـــر الى الشرق ايضـــاً وهنا استقبل المجاهدون وقوادهم بالترحيب والتكريم من مختلف الوفـــود وكان صاحب عمان قد سافر الى مصر فكان الأمير طلال نائبه ممن رحب بهـــم .وخشي الانكليز هنا ما خشوه في فلسطين والحوا على طلال بضرورة خروجهم بسلام من المنطقة . وعاد الأمير (الملك) فوقف موقفاً وسطاً واستطاع ان يرضي المجـــاهدين وان يجعلهم يتركون منطقته بسلام . وصدر الاذن من ابن السعود لمن يريد منهم بالنزول في القريّات كما جاء الخبر من بغداد بالترحيب بهم منها . فاختار فوزي ومن معه من غير العراقيين العودة الى بغداد حيث استقبلوا كغزاة فاتحين من الرطبة فالرمادي فبغداد وحظوا بتكريم الملك غازي والحكومة الهاشمية (نسبة لياسين الهاشمي) والشعب العراقي معاً ، حتى لقد اثار هذا الانكليز وعبرت التايمس عن غضبهم من الحفاوة التي قوبل بها القاووقجي من حلفائهم في العراق ، ناسين ان العصبة المجاهدة امس بالعراق رحماً وهدفاً .

اما المجاهدون السوريون وقائدهم الشيخ الأشمـــر فقـــد عادوا الى سوريا بســـلام .

وقد كانت هذه الأحداث ايضاً بالرغم مما كان فيها من تحقيق لما اراده الانكليز من كش المجاهدين عن فلسطين مما زاد في شعور الاعتزاز والانتصار في الشعب العربي في فلسطين وجعلته يقف موقف المترقب المتحفز لاستئناف الكفاح اذا ما بدا من الانكليز ماتعوده منهم من غدر ونكث .

ومن الجدير بالذكر ان الانقلاب العراقي الذي احدثه بكر صدقي في اواخر تشرين الاول وغادر بنتيجته ياسين الهاشمي ونوري السعيد العراق وقتل جعفر العسكري لم يكن من شأنه ان يشغل العراق عن قضيـــة فلسطـــين او ان يؤثر في موقف هذا القطر الشقيق الابي وعطفه وحماسه نحوهـــا ونحو مجاهديها في هـــذه المرحلة فاستمر التكريم الذي ظل يلقاه القاوقجي ورفاقه . ولم تلبث حكومـــة الانقلاب التي كان يراسها حكمة سليمان ان اندمجت في ذلك كله ، ثم اخذ حماسها يشتد يوما بعد يوم .

اغتباط الانكليز بوقف الاضراب والثورة

٥

وبدا الاغتباط ظاهراً قوياً كذلك على الانكليز في فلسطين ولندن حتى استخف الفرح بعض جنودهم في فلسطين وجعلهم يظهرون عواطفهم الودية نحو العرب والعدائية نحو اليهود بصور متنوعة . وخطب المندوب بالاذاعة مبدياً سروره معلناً يوم الحادي عشر من تشرين الثاني موعداً لوصول لجنة التحقيق ، واذاع القائد العام أن حملات الجيش ستقف بعد الآن ما لم يستفز إستفزازاً ، وسارعت السلطات الى تحديد ساعات التجول والغاء القوافل المخفورة ثاني يوم حل الاضراب كما أمرت بالتساهل مع اصحاب السيارات والسواقين والكف عن التفتيش في القرى ومصادرة السلاح ومطاردة المطلوبين واطلاق سراح الموقوفين والمعتقلين لتبديل الجو وتخفيف حدة التوتر ، وأخذت تعيد بعض فرق النجدات التي جاءت من انكلترا وغيرها الى مراكزها .

واحتلت أزمة فلسطين حيزاً في خطاب العرش الانكليزي الذي القي في اواخر تشرين الاول فيه شيء من الاعتراف بخطورة الأزمة وشيء من الرغبة في التطمين حيث جاء فيه هذه الفقرة : « إني آسف أسفاً عميقاً للاضطرابات الخطيرة التي حدثت في فلسطين أثناء الشهور الستة الأخيرة والتي أدت الى ضرورة إيفاد قوات إضافية ، وأرحب بالتحسن الأخير في الحالة ، وان اللجنة الملكية التي عينتها ستبرح إنكلترا هذا الأسبوع للقيام بمهمتها ، وإني أرجو باخلاص أن يؤدي بحثها للمشاكل الصعبة التي ستعرض عليها إلى تسوية عادلة ودائمة . » ونالت نصيباً من العناية في خطاب رئيس الوزارة حيث استعرض الموقف السياسي وأعرب عن ارتياحه لتسوية اضراب فلسطين وما نتج عنه من تحسين يسمح بارسال اللجنة الملكية ، والح بوجوب اجتناب المعالجات الجدلية للموضوع حتى لا تذكو نار الشعور في هذا الفريق او ذاك ، وقال ان الحكومة ترجو بكل حرارة أن يتعاون الفريقان في فلسطين إلى أبعد مدى مع اللجنة وان يؤدي ذلك الى افتتاح عهد جديد من الرخاء والسلام في بلاد تكررت فيها الحوادث المحزنة ، وقد اكد ان اللجنة قوية وغير متحيزة ومستقلة استقلالا تاماً لا سيطرة للحكومة البريطانية عليها ولها الحرية الكاملة في وضع تقريرها على أي صورة تراها ملائمة .

وانصرفت الأذهان إلى اللجنة الملكية ومهمتها وترقب قدومها وأخذت اللجنة العربية تهيء نفسها لعرض القضية عرضاً واسعاً واختصاصياً .

اثر الاضراب والثورة في اليهود

●

ولقد كانت وطأة الاضراب وتطوراته شديدة الاثر على اليهود منذ الأيام الأولى بما كان من مقاطعة وارتفاع أسعار ولجوء كثير من أهل المستعمرات إلى المدن وانقطاع المواصلات وانسحاب البواخر المحملة بالسلع اليهودية والمهاجرين اليهود من ميناء يافا بدون تفريغ بعد طول الانتظار ثم بما كان من حركة نزوح عن فلسطين حتى بلغ عدد النازحين في بعض الاشهر ستة آلاف . ومع ذلك فانهم لم يفتهم ما قد يكون لذلك من اثر في قضيتهم وكيانهم فبذلوا جهودهم في الدفاع ولم يقصروا في الانتقام كلما سنحت لهم الفرصة ، وحاولوا ان يحتفظوا بقوة أعصابهم وعنجهيتهم ونشاطهم داخل فلسطين وخارجها ، واخذوا من جهة يطالبون السلطات بالعمل على وقف الاضراب ويحتجون على تهاونها ويحرضونها على العرب ويشيرون إلى ما مسهم من اضرار ، ومن جهة يعينون الخفراء لمستعمراتهم ويحيطونها بالاسلاك لوقايتها من التخريب ، ومن جهة يقدمون المذكرات التي يقررون فيها ان العلاج الوحيد هو توسيع نطاق الهجرة ، واضطلاع اليهود بالنصيب الاكبر من اعمال الحكومة وانشاء جيش يهودي لمواجهة الموقف ويطالبون الانكليز بتنفيذ ذلك ويبرقون ويرعدون لاي احتمال في تعديل السياسة الصهيونية قد يعوق مطامعهم وسير مشروعهم ، وقد حركوا أنصارهم في البرلمان والصحافة بسبيل حملة شديدة متنوعة الاساليب في هذا الصدد . وقد كان قدوم نوري السعيد وحديث وساطة ملوك العرب وتدخلهم وموافقة الحكومة الانكليزية عليها مما أثار اعصابهم كثيراً فكان هذا الامر مما تناولته الحملة الشديدة فيما. تناولته وقد كانت آثار الحملة تظهر المرة بعد المرة في الصحف الموالية لهم ، وفي الاسئلة الكثيرة والمتكررة التي كانت توجه في البرلمان بأساليب متنوعة كان يغتنم الوزراء فرصتها ويجدون فيها وسيلة لاعلان استمرار سياستهم المرسومة في شكل تنفيذ التزاماتهم المزدوجة وواجباتهم الانتدابية .

ومما عمد اليه اليهود الدعوة بواسطة أنصارهم وصحافتهم الى عقد مؤتمر

دائرة مستديرة بينهم وبين عرب فلسطين مباشرة بقصد تحويل تيار التدخل العربي الخارجي الذي يخرج قضية فلسطين من نطاقها المحلي الضيق وأعادوا في ذلك وأبدوا كثيراً .

ولما انتهت الوساطة الى النتيجة الايجابية الاولى بحل الاضراب ووقف الثورة أخذوا يستمدون من قلقهم وفزعهم شدةقوة فيصفون الاضراب بالمهزلة ويهونون من شأن نداءات الملوك ويقولون ان طنطنة العرب إنما هي لستر ما منوا به من خيبة . ولكنهم هنا فضحوا أنفسهم حيث لم يستطيعوا التغلب على ذلك القلق والفزع فأخذوا يستعدون لحركة عكسية يقومون بها عند أقل بادرة جدية تبدو في الأفق مهددة لمشروعهم وحادة من اطماعهم ؛ حتى انهم فكروا في اعلان الاضراب الذي هزأوا به وألفوا لجنة تحضيرية له ؛ بل وحتى إنهم أخذوا يدبرون إعتداءات جديدة على العرب بقصد إثارتهم ثانية واستئناف الاشتباك لاحباط ماتم من تدخل ملوك العرب ونتائجه المرتقبة ، وكادوا ينجحون في كيدهم هذا ويثيرون العرب فعلا ويخلقون جواً شديد التجهم لتعدد إعتداآتهم على افراد عزل غافلين من العرب سنحت لهم الفرصة فيهم.مما جعل السلطات تقلق أشد القلق ،وتبدو شديدة الوطأة على اليهود في المطاردة والقمع، ومما جعل اللجنة العربية تصدر نداء للشعب مهدئة منبهة إلى القصد الخبيث الماكر الذي يقصد اليه اليهود بحركاتهم العدوانية ، وتبرق للملوك بما يقع من اعتداءات يهودية . على ان الفتنة التي حاولوا إيقاظها لم تلبث ان خمدت بما كان من العرب من ضبط نفس ومن السلطات من اهتمام وشدة .

ولقد حاول اليهود أن يستغلوا ما كان من مقاطعة العرب وحركاتهم . فاهتموا في اثناء الاضراب لانشاء ميناء في تل ابيب تغنيهم عن ميناء يافا العربي واخذوا يبذلون جهوداً عظيمة في هذا الصدد. وقد الفوا لجاناً باسم العمل اليهودي لتواصل ما بدىء قبل الاضراب وتستغل ما كان بمناسبته في صدد تحظير تشغيل عمال العرب في الأعمال والبساتين اليهودية . وكانت هذه اللجان تعمد إلى العنف احياناً مع أصحاب الأعمال والبساتين اليهودية بسبيل تحقيق غايتها . والفوا كذلك لجاناً اخرى باسم المقاطعة لسد اسواق اليهود عن خضروات العرب ومنتجاتهم التي كانت تموّن اليهود والتي بذل هؤلاء جهدهم في تعويضها بمنتجاتهم اثناء الاضراب .

بوادر نكوص من الانكليز في استمرار الهجرة

●

ولقد كان الانكليز الأم من ان يدعوا العرب يغتبطون بنشوتهم بالنتيجة الايجابية التي خرجوا بها من الاضراب وأملهم بحل قضيتهم حلا عربياً ؛ فانهم لم يلبثوا ان سمعوا وزير المستعمرات يلقي بياناً كجواب على سؤال برلماني فيقول ان الحكومة البريطانية نظرت بامعان في مـا إذا كان من المقتضى وقف الهجرة موقتاً ام لا اثناء تحقيق اللجنة الملكية فرأت انه ليس هنالك اسباب تبرر هـذا التوقف وان الانحراف عن السياسة المتبعة في الهجرة قبل ان تضع هذه اللجنة استنتاجاتها ينطوي على تغيير في الحالة ويمكن ان يجحف بالتحقيق ، ولذلك وبناء على ما وصى به المندوب السامي حدد جدول الهجرة للعمال للستة اشهر التي تبتدىء بأول تشرين الأول بألف وثمانمائة شهادة وذلك غير اصناف الهجرة الأخرى التي تستمر وفقاً للقانون .

غضبة العرب

●

وقد جاء البيان صرخة منبهة للعرب بأنهم ما يزالون في واد والانكليز في واد وان المؤامرة الانكليزية اليهودية ما زالت تسير في طريقها المرسوم ؛ وقد كانوا فهموا من نوري السعيد ان الهجرة ستقف ولو موقتاً وان كل مـا في الامر ان الانكليز لم يروا ان يرتبطوا بوعد يذهب بكرامتهم وهيبتهم ، وقد كان مرور نحو خمسة وثلاثين يوماً على حلول موعد تجديد جدول هجرة العمال دون تجديد حيث كان هذا الموعد اول تشرين الأول والبيان في الخامس من تشرين الثاني قد جعل العرب يظنون ان الانكليز قد اوقفوا الهجرة من دون اعلان ، فكان هذا مما زاد في شدة الصرخة والصدمة .

وقد كانت اللجنة العربية تبحث قبل ذلك في امر الهجرة وترى ضرورة اعلان وقفها رسمياً ومقاطعة اللجنة الملكية إذا لم يتم ذلك ، ثم قررت مقابلة المندوب للبحث معه في هذه النقطة ، وعين موعد للمقابلة قبيل صدور البيان ، فقطع البيان كل قول ، وكان حافزاً سريعاً الى تقرير تلك المقاطعة ، ولا سيما ان الرأي العام قد

تكهرب كهربة شديدة من البيان وعده بادرة نكث من الانكليز تعوده منهم المرة بعد المرة . وارسلت اللجنة تلغي المقابلة المعينة مع المندوب . وقد كان لهذا الموقف على المندوب وقع الصاعقة وعده اهانة جارحة ، واخذ يلح بضرورة تأجيل اعلان القرار وتنفيذ المقابلة للاصغاء لما يقوله وهو الذي يكن للعرب كل خير واسدى اليهم ما امكنه من معروف ، وطلب من عاهل عمان تدعيمه .

وقد كان موقف عصيب بسبب طبيعة بنيان اللجنة وما يشتد جريانه فيها من تيارات منذ احاديث الوساطة . ومع ان المندوب مشترك في المؤامـــرة لأن وزير المستعمرات اتخذ قراره بعد مشاورته على ما جاء في بيانه صراحة ، ومع ان العرب قد نكبوا في عهده بأشد ما نكبوا به على ما شرحناه سابقــاً فان تلك الطبيعــة رجحت كفة تأجيل نشر القرار ومقابلة المندوب ، وتمت المقابلة وكان موقف وفد اللجنة قوياً حيث ذكر المندوب بما في هذا الحادث من تحد لشعور العرب وكرامة ملوكهم والرغبة في افهامهم ان كل ما بذلوه من دماء وتضحيات غير كاف ، مما يؤدي الى استفزازهم وحملهم على استئناف جهادهم ، وانتهت المقابلة بدون نتيجة فأعلنت اللجنة قرارها وهذا نصه :

مقاطعة اللجنة الملكية

●

اجتمعت اللجنة العربية العليا ودرست بيان وزير المستعمرات الذي القــاه في مجلس النواب بتاريخ ١٩٣٦/١١/٥ حول قرار الحكومة البريطانية بعــدم توقيف الهجرة اليهودية من الآن وبالموافقة على اصدار الف وثمانمائة شهادة هجرة عمال جديدة واستمرار أنواع الهجرة الاخرى خلافاً لما كان ينتظره العرب من وقف الهجرة بجميع أصنافها . وقد رأت في الأسباب التي ذكرها وزير المستعمــرات مغالطة صريحة . وبما ان اضراب العرب الذي استمر ستة أشهر انما كان استنكاراً لسياسة الحكومة البريطانية بحرمانهم من حقوقهم السياسية وطلباً لتغييرها تغيـيراً أساسياً تظهر بوادره بوقف تلك الهجرة ، ولما كان هذا القرار الذي أعلنه وزير المستعمرات تحدياً شديداً لعواطف العرب وعدواناً على حقوقهم ودليلاً على فقدان حسن النية في حل القضية العربية في فلسطين حلا صحيحاً قائماً على تحقيق مطالبهم وحفظ كيانهم القومي فان اللجنة تستنكر بكل شدة هذا الموقف وتقرر عدم التعاون مع اللجنة الملكية وتدعو الأمة الكريمة التي برهنت للعالم أجمع على نضوجها السياسي

وقوة ايمانها الوطني ان تعمل بهذا القرار والله ولي التوفيق .

في ٢١ شعبان ١٣٥٥ _ ٦ تشرين الثاني ١٩٣٦

وقد كتبت اللجنة لملوك العرب بما وقع ، وكان موعد وصول اللجنة قد عرف فدعت الحكومة الهيئات والشخصيات العربية واليهودية لحفلة استقبالها ، وقد قررت اللجنة مقاطعة الحفلة كلازمة من لوازم مقاطعتها .

ومع ان صاحب عمان ارسل مذكرة شديدة للمندوب بين فيها خطأ القرار وطالب تلافيه وارسل الى ملوك العرب بما فعل وطالب القيام بما يقتضي فانه لم يستحسن قرار اللجنة بالمقاطعة واخذ يعمل ويحمل ملوك العرب على العمل لاقناعها بالعدول عنه .

وفي هذه الاثناء وجهت الحكومة الانكليزية لطمة ثانية الى ملوك العرب وشعورهم حيث قال وزير المستعمرات جواباً على سؤال وجه اليه ثاني يوم بيان الهجرة : ان السلطة المنتدبة لم تكلف ملوك العرب ولا سواهم للتدخل في المسألة غير ان بعضهم دعوا من تلقاء انفسهم ابناء دينهم الى السكون ولم تعارض الحكومة البريطانية . وهكذا لم يستشعر الانكليز باي خجل تجاه ملوك العرب ولم يحسبوا لهم اي حساب وهم يواصلون هذه التصريحات . ومما لا ريب فيه ان هذا يدل على يقينهم بشدة اندماج ملوك العرب في سياستهم وباستعدادهم لقبول المعاذير منهم مهما كان في مواقفهم من غدر وختل ومغالطة .

ولقد نفذت اللجنة العربية ما قررته وايدها الشعب فيه على اختلاف طبقاته وميوله فلم يشهد حفلة استقبال اللجنة الملكية من العرب احد تقريباً الا موظفان ووجيه ذكرت الصحف اليهودية خبر حضورهم . ولقد ادهش قرار المقاطعة اليهود حتى عدته صحفهم قنبلة غير منتظرة . وكذلك أثار الصحافة والأوساط الانكليزية واربكها ارباكاً شديداً ، واخذ الانكليز في فلسطين يرسلون بعض اوليائهم من العرب الى اللجنة لاقناعها واخذت الصحف تنشر ما يقال انه يدور من مراسلات بين الحكومة البريطانية وملوك العرب من اجل الضغط عليها ومن حلول للخروج من المأزق ، كما اخذت الصحافة اليهودية والانكليزية تدس فتقول ان قرار المقاطعة كان بتأثير المتطرفين واكثريتهم مما جعل راغب النشاشيبي يفعل حسناً في ذلك ويقول ان القرار كان بالاجماع .

ولقد ايدت الصحف العربية واللجان القومية ومختلف الهيئات والشخصيات

اللجنة العليا حتى أن بعضها اقترح الاضراب يوم قدوم اللجنة مما يدل على أن قرار المقاطعة كان صادق التعبير عن الشعب الذي رأى في تصريحات وزير المستعمرات استهتاراً بعواطفه ودمائه وتضحياته وبجميع العرب وملوكهم في آن واحد .

ولقد أثار القرار اللجنة الملكية نفسها حتى جعل رئيسها يقول في خطبته الافتتاحية ان اللجنة مستقلة وانها خالية الذهن من أي رأي وانه يعلم بأسف أن فريقاً كبيراً من الأهالي قرر عدم التعاون معها بسبب ما وقع ويقع من اجراءات وقرارات سياسية ليست لجنته مسؤولة عنها .

سير اللجنة الملكية وبيانات اليهود امامها

●

وأخذت اللجنة ، التي عرفت بلجنة بيل نسبة لرئيسها ، تستمع إلى شهادات رؤساء دوائر الحكومة على مختلف شؤون فلسطين وسلخت في ذلك نحو ثلاثة أسابيع ، ثم أخذت تستمع إلى زعماء اليهود وممثليهم ، وكانوا من قبل قد هيئوا دعاية واسعة وطبعوا في جملة ذلك أوراقاً جعلوها شعارهم وهو إنشاء مملكة يهودية في وطنهم التاريخي ، ووزعوها بقياس واسع . ولم يكن كل ما فعله الانكليز لهم مرضياً فانتقدوهم بزعم أنهم لم ينفذوا جميع الواجبات المعينة عليهم في صك الانتداب ثم كانوا صريحين جداً في أجوبتهم ومطالبهم حتى لقد قال شرتوك فيما قال أن الوكالة اليهودية لا يمكنها ان تساعد الحكومة على منع الهجرة المسماة غير شرعية لأن كل هجرة هي شرعية في نظر اليهود ، وقال جابوتنسكي وهو رئيس حزب الاصلاح ان شرق الاردن من متممات فلسطين وان اليهود يطالبون بها كما يطالبون بفلسطين لتكون مملكتهم وان اليهود مستعدون للدفاع عن أنفسهم بواسطة قوة يهودية وان من المستحيل ان يكون هناك حل وسط في تقسيم البلاد إلى اقليمين أو المساواة بين الشعبين وأنه لا يهتم لارضاء العرب وإقناعهم ولا يرى ذلك ضرورياً وإن هؤلاء سيرضخون أمام الأمر الواقع ، وقال وايزمان فيما قال انه ليس لليهود غير فلسطين ولا يرضيهم غيرها في حين أن للعرب أقطاراً شاسعة ودولا عديدة ، وأن المقصد من وعد بلفور هو إحياء أرض يهوذا وإعادتها لليهود بحيث تكون يهودية كما أن انكلترا انكليزية ولا يقبل اليهود أن يكونوا أقلية وأن يعيشوا حياة الغيتو (الحي اليهودي) ، وانهم سيقاتلون حتى يسقط آخر فرد منهم في سبيل الحصول على

ملاذهم الوحيد وهو فلسطين ، وتواضع فذكر أنه لا يريد أن يتشدد بشأن شرق الاردن مع أنها من الوطن القومي التاريخي ومع أنه لا يوجد في صلك الانتداب ما يحول دون أن تكون داخلة في وعد بلفور .

وفي أثناء ذلك كان اليهود يعبرون عن آرائهم بوسائل اخرى وبصراحة تامة فنشر زعيم لهم اسمه كلاوزر مقالا يعارض فيه معارضة شديدة في منح العرب حقوقاً سياسية لأن في ذلك خروجاً عن مبدأ الصهيونية ويطلب أن تكون فلسطين تحت سيطرة اليهود التامة وعقد كل من الحزب الاصلاحي والحزب المزراحي مؤتمرين قررا عدم التساهل في مطالب اليهود ووجوب عرضها على حقيقتها وهي حصر الحقوق السياسية باليهود وعدم قبول أي تحديد للهجرة وأصر المؤتمر الاصلاحي على طلب إنشاء مملكة يهودية على ضفتي الاردن وإنشاء جيش يهودي حالا . وعقدت الجمعية الجبوتنسكية في فينا مؤتمراً قرر مشروعاً باسم مشروع العشر سنوات يقضي باحتلال فلسطين جميعها بالقوة وإعلان المملكة اليهودية فيها واعتبار كل متساهل في ذلك وكل موافق على منح العرب حقوقاً سياسية خائناً . وهكذا بـدا اليهود في الظرف القائم على حقيقتهم ونياتهم دون ما مواربة ولا تستر وسواء أكانوا من المسؤولين أو من غيرهم .

مساعي الانكليز في الضغط على اللجنة

●

ومنذ أبحرت اللجنة الملكية والضغط يتوالى على اللجنة العربية العليا من عمان والرياض وبغداد وبنوع خاص من عمان والرياض وكان الحاح الانكليز ظاهراً في هذا الضغط الذي بدأ به عاهل الاردن على ما ذكرناه سابقاً حيث أرسل يخطيء اللجنة العربية في قرار المقاطعة ويبعث ببرقيات بهذا المعنى إلى بغـداد والرياض وأخذ يوالي رسائله ورسله وهواتفه ملحاً تارة بضرورة الترحيب باللجنة الملكيـة واخرى بضرورة الاتصال بها والعدول عن مقاطعتها ، وقد جاء إلى القدس عقب وصول اللجنة ونزل في فندق الملك داود حيث كانت نازلة واجتمع بها مرحباً ودعاها إلى عمان ، وحاول وهو في القدس ان يقنع اللجنة العربية بالاتصال بها او تفويضه كتابة ليتكلم معها باسم فلسطين . واخذت برقيات الرياض تتوالى كذلك ملحة بالاتصال ومنذرة بالعواقب ومهددة بقطع الصلات واعتبار قرار المقاطعة



وفد اللجنة العربية العليا لبغداد والرياض -.

من اليمين للشمال عزت دروزه والشيخ كامل القصاب وعوني عبد الهادي
ومعين الماضي

مبطلا لمفعول النداء والوساطة الاولى . وظلت هذه البرقيات والالحــاحات من الرياض وعمان مستمرة نحو شهر ونصف لا تخف لهجتها إلا لتشتد . وقدلاحظت اللجنة العربية من برقيات صاحب الرياض انه غير محيط بقضيةفلسطين وجوهرها وانه كان يرسل برقياته وكأنما هي تنفيذ رغبةواعذارحيث كانينصح مرةبوجوب عدم تجاوز المعقول والاعتدال بالمطالب ، ومرة بقبول ما يعطى والمطالبة بالباقي بالتدريج ويقول مرة انمن واجبناان ندلي ببياناتنا ومطالبنا فان نتج عنها ايجاب فهو خير والا فنكون قد ادينا واجبنا الخ . . وقــد كتبت له اللجنــة اكثر من برقية ورسالة مفصلة له الحالة وطالبة منه بذل جهده والحاحه في لندن ، وكتبت مثل ذلك لصاحب عمان ، وجاءت أجوبة بأنهما كتبا . غير ان لندنلمتبدلموقفها قيد شعرة وظلت تلح عليهما ليضغطا على اللجنة دون ان ترى حاجة الى ملاحظة انها هي التي عقدت الموقف او الى الحياء مما كان منهــا من استهتــار بعواطف الملوك ! وقال صاحب الرياض في هذا الصدد مرة ان المقاطعة قطعت عليه طريق التشبث ! وأن العدول عنها هو الذي يطلق لسانه . وفي النهاية انضمت حكومة بغداد الى قافلة الملحين المنذرين فأحدث كل ذلك بلبلة في اللجنة العربية . واخذ بعضهم يطلب اعادة النظر في القرار خشيةاغضاب الملوكوانعزال فلسطين وضياع فرصة سانحة للكلام . .

وفد اللجنة الى بغداد والرياض

●

وقد رات اللجنة تفادياً من آثار البلبلةوالتذمرأن ترسلوفداًالىبغدادوالرياض لشرح الموقف ومعرفة ما هناك من آمال واحتمالات مطمئنة سابقة ولاحقة، وكان الوفد مؤلفاً من الشيخ كامل القصاب الذي كان واسطة المراسلة بينهماوبين عاهل الرياض ومن عوني عبد الهادي وعزة دروزة ومعين الماضي . وسافر الأربعة الى بغداد حيث اجتمعوا بالملك غازي واعضاء حكومته ولم يكن عندهم شيء يعول عليه من الانكليز كوعود او تطمينات ايجابية الا الاستعداد لتنفيذ تواصي اللجنة الملكية وخطورتها في التقاليد الانكليزية ولم يبد من الملك وحكومته الحاح شديد وكل ما كان من امرهم النصح بالتجربة والاستعداد لمواصلة المساعي وكتابة نداء جديد يحفظ للجنة العليا هيبتها . وذهب الوفد الى الرياض وشرح لصاحبهاالموقف

ولم يجد عنده ايضا شيئاً ذا بال ولكنه لمح ان هناك إركاناً قوياً على الانكليز واعتقاداً بوجوب مسايرتهم وعدم إحراجهم واغضابهم، وان هذه هي خطة جوهرية عنده لا يمكن ان يحيد عنها في حال . ولم تجد بيانات الوفد ومخاوفه شيئاً واصر على رأيه والحاحه بل وانذاره بوجوب الاتصال باللجنة الملكية مع وعدم متابعة المساعي مع الانكليز . وتم الاتفاق هذا على ان يكتب للجنة بذلك كتاباً وعلى ان يؤخذ مثله من الملك غازي، وعاد الوفد الى بغداد فأخذ الكتاب ومر بالشام حيث اجتمع مع اركان الحكومة الوطنية التي كانت قامت نتيجة المعاهدة الجديدة (١٩٣٦) فكان من رايهم كذلك الاتصال وعدم اضاعة الفرصة، وعاد الى فلسطين فنقل ما جرى معه الى الهيئة التي قررت النزول على امر الملكين واذاعت بقرارها بياناً بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٣٧ جاء فيه . « ان اللجنة استمعت الى بيانات الوفد الذي عاد من رحلته واطلعت على كتابي صاحبي الجلالة ملك العراق وملك المملكة السعودية فلم يسعها الا ان تستجيب للطلب السامي» فقررت الاتصال باللجنة الملكية وبسط القضية العربية لها .

الاتصال باللجنة الملكية نتيجة لرغبة الملوك

●

وقد نشر مع البيان نص الكتاب الملكي الموجه الى رئيس اللجنة العربية العليا وقد جاء فيه :

« وبعد فقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد راينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم . وقد ابدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الآراء في ذلك ونحب ان تكونوا على ثقة بأننا لا نألو جهداً في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال بقدر امكاننا وانا لنرجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب . . .

١٨ شوال ــ ١ كانون الثاني ١٩٣٧

بيانات العرب أمام اللجنة

●

وبعد ذلك قدمت اللجنة العربية للجنة الملكية مذكرة مفصلة عن قضية فلسطين وصلتها الوثقى بالقضية العربية العامة وعهود بريطانيا وشمولها فلسطين واشتراك أهل فلسطين في الثورة تحت لواء الحسين وفيصل ، وما كان من نكث للعهد وحرمان فلسطين من حقها الشرعي وما كان من مؤامرة تصريح بلفور وصك الانتداب ومحاباة الانكليز وتصرفاتهم ، واحتجاجات العرب وثوراتهم ، وما ألمّ بكيان العرب من اضرار واحدق به من اخطار ، وختمتها بالمطالبة بالعدول عن تجربة الوطن القومي الفاشلة واعادة النظر في جميع ما نتج عنها وايقاف الهجرة وبيع الاراضي وقفاً تاماً وحل قضية فلسطين على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان وذلك بانهاء عهد الانتداب وعقد معاهدة تقوم بموجبها حكومة مستقلة دستورية تمثل فيها جميع العناصر ويضمن فيها للجميع العدل والحرية.

وعينت اللجنة الملكية جلسات خاصة لاستماع البيانات الشفوية لدعم ماجاء في المذكرة وهي الطريقة التي جرت عليها ، وقد أدلى كل من رئيس اللجنة الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني وعوني عبد الهادي والدكتور حسين الخالدي وعزة دروزة وعبد اللطيف صلاح وفؤاد سابا من اعضاء اللجنة ببيانات في ناحية من نواحي القضية ونوقش في أقواله ، وقد استمعت اللجنة إلى المطران حجار في اتحاد العرب المسلمين والمسيحيين معاً في الشكوى والمطلب وفي الأخطار الأخلاقية والاجتماعية التي تعرضت لها البلاد المقدسة من جراء الحركة الصهيونية وفي الأخطار المحدقة بالاماكن المقدسة وقدسيتها ، وإلى جورج منصور في العمل والعمال العرب ، وعيسى البندك في المهاجرين العرب والدكتور طوطح في المعارف العربية وانطونيوس في محاباة الانكليز لليهود . وقدم لها مذكرات وتقارير من اعضاء اللجنة الآخرين والمحامين وغيرهم بحيث سجل العرب أمامها وفي محاضرها واقع الامر من محاباة الانكليز وتلاعبهم وتآمرهم واهمال تواصي الخبراء وتكذيبهم لاقوالهم بالأفعال ، وما وقع على العرب من اجحاف وتشريد واضرار وما يتكبدونه من نفقات ميزانية ضخمة لحماية الصهيونية وتمكينها وما يشغله اليهود من وظائف تفوق نسبتهم اضعافاً ، وما يُسن من قوانين لحماية الصناعة اليهودية ، وما كان من اهمال مزارعي

العرب وتشريدهم ، واختلال النسبة بين العرب واليهود اختلالا شديداً بحيث نزلت نسبة العرب من ٩٣٪ الى ٧٠٪ وتحكم الانكليز بالتعليم العربي بينما يتمتع التعليم اليهودي بحريته ، مع التقتير الشديد فيه بحيث لا يزيد ما ينفق عليه على ٥ ٪ من الميزانية يذهب منها مبالغ طائلة للتعليم اليهودي والموظفين الانكليز واليهود في دائرة المعارف ، وبحيث لا يجد من الذين هم في سن التعليم من أطفال العرب مقاعد في المدارس الانحو ربعهم ، وما كان من ادارة البلاد إدارة انكليزية استعمارية بحت بحيث لا يوجد حكومة منتدبة وحكومة منتدب عليها الخ الخ . وقد طافت اللجنة بالبلاد وزارت مدناً وقرى عربية ويهودية ولبت دعوة عاهل عمان حيث استمعت لآرائه وتلقت مذكرة منه ثم عادت إلى بلادها لتضع تقريرها ..

الاشاعات عن الحلول المرتقبة ورحلة الملك عبد الله الى لندن

●

وفي غضون ذلك كانت الشائعات تدور حول الحلول المنتظرة . وكانت اكثرها قوة احتمال تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وضم القسم العربي الى شرق الاردن . وفي شهر نيسان دعي عاهل عمان إلى لندن لشهود حفلات التتويج ، وبدا الاهتمام قوياً لوداعه وداعاً حافلا وكان المعارضون في فلسطين هم الذين تولوا ذلك تقريباً حيث هيأوا له استقبالات في القدس ونابلس وحيفا ، وكان ذلك من أسباب ترسيخ ذلك الاحتمال في الأذهان أو اعدادها له . ولم يشترك المجلسيون في هذه الاستقبالات مما لمس فيه بادرة جفاء كان خفياً بين عاهل عمان والمفتي يرجع إلى ما كان من محاولات الأول التأثير في اللجنة وتسييرها في ازمتي الاضراب واللجنة الملكية ومقاومة الثاني لهذه المحاولات ثم الى اختصاص بغداد والرياض بالمشورة الأخيرة وعدم ادخال يده واسمه في ما كان من عدول عن مقاطعة اللجنة الملكية ، حتى لقد صار يبدو جلياً ان المعارضين أصبحوا جبهة واحدة معه ضد المجلسيين والمتضامنين معهم .

وفي أثناء وجود العاهل المشار اليه في لندن ظلت الاشاعات تدور بل وتقوى في نطاق حل القضية على أساس تقسيمي مع يد العاهل فيه ، حتى لقد حمل هذا خطيباً من خطباء الحرم الابراهيمي على الدعاء له كملك فلسطين . وعاد إلى فلسطين بطريق تركيا حيث قيل انه وصى بذلك لتكون تركيا مؤيدة وراضية لما سوف

يكون ، وحشدت حكومة عمان ومعارضو فلسطين حشودهم ثانية للاستقبال كما فعلوا في الوداع ، ولم يشترك المجلسيون والمتضامنون معهم فيه ايضاً .

وقد كان عدم اشتراك هؤلاء في حفلات الوداع والاستقبال مما رسخ الجفاء الذي أشرنا اليه ، حتى لقد وصل الامر بعد اسابيع الى اتهام عمان للمفتي بتدبير حركات شغب وثورة في شرق الاردن ، وإلى ارسال رئيس الوزارة الاردنية ابراهيم هاشم الى المفتي كتاباً في هذا الصدد بأسلوب جاف فيه تنديد ووعيد ، والى ان قيل ان صاحب عمان قد ارسل للانكليز مذكرة بذلك ايضاً . وذلك بمناسبة ما بدا من نشاط وطني في شرق الاردن ضد الوضع القائم وبعد عودة الأمير (الملك) من لندن .

وفي ٢٣ حزيران ١٩٣٧ قدمت اللجنة الملكية تقريرها للملك وطار المندوب إلى لندن بدعوة منها ، وملأت الشائعات الجو وكان اقواها شائعة التقسيم حتى لقد قيل ان المندوب قد فاتح رجالات فلسطين المعتدلين بـه ، وأخذ التوتر والتشاؤم يسودان البلد .

انسحاب ممثلي حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا

●

وفي ٣ تموز ١٩٣٧ وقبل نشر التقرير المذكور واعلانـه قرر حزب الدفاع (المعارض) انسحاب رئيسه راغب النشاشيبي مع يعقوب فراج أحد اعضائه من اللجنة العربية العليا مع ان الاخير لم يكن ممثلا للحزب رسمياً . ونشر القرار معللا ذلك بعدم انتظام اجتماعات اللجنة وبجريان مفاوضات واجراءات باسمها بدون قرارات وبسفر رئيسها إلى سوريا بدون علمها الخ .وقد ذكر في القرار أن الحزب سيسير مستقلا في الجهاد المشروع في سبيل آمال البلاد وقضيتها . وقد كان واضحاً للناس أن الأسباب واهيـة وظاهريـة ، وأن قصد الحزب الرئيسي أن يكون حراً حين نشر تقرير اللجنة الملكية حتى لا يكون مندمجاً في اللجنة ليسري عليه قرار اكثريتها . وقد ذكرت هذا بصراحة جريدة (فلسطين) التي تعد جريدة معارضة وخاصة في هذه الظروف كما أن النبهاء لم يستبعدوا ان يكون لعمان اصبع فيه . وقد كان ابراهيم هاشم رئيس وزراء الاردن ومحمد الانسي رئيس الديوان يكثران في هذه الآونة من التردد على فلسطين والاجتماع بأركان

المعارضة فكان من دعائم ذلك الذهاب .

ومع ذلك وإزاء ما تنتظره البلاد من أحداث جسيمة قررت اللجنة باقتراح مني نشر كلمة رصينة جاء فيها : « ان الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد لا تتحمل الجدل ولا تسيغ الفرقة والخلاف . ولذلك فان اللجنة مع عزمها على الاستمرار في القيام بواجباتها توجه نداءها الى ضمير كل فرد من الامة الكريمة باجتناب كل شقاق وتصدع في الجبهة القومية وبالبقاء صفاً واحداً وشملا مجتمعاً لتتمكن البلاد من مواجهة الأحداث المقبلة بما تقتضيه المصلحة العامة من الاتحاد والتضامن » . وقد قوبلت الكلمة بالاستحسان العام .

تقرير اللجنة الملكية

●

وفي مساء ٧ تموز وزع في القدس تقرير اللجنة وخلاصة عنه وبيان بسياسة الحكومة البريطانية بناء عليه .

وقد تناولت اللجنة في تقريرها الضخم تاريخ القضية وعلاقة العرب واليهود بفلسطين والاضطرابات ومسؤوليات الحكومة المنتدبة والتناقض الواقع في التزامات الانتداب ، وما قام به اليهود من أعمال وصفتها بالعظيمة إعتماداً على الانتداب وعدم جواز تركهم لحكم الاكثرية العربية لتعذر التفاهم والانسجام بين الفريقين بسبب اختلاف أمانيهما ؛ ولم تتورع اللجنة من جعل قضيتي العرب واليهود وصلاتهما بفلسطين في مستوى واحد بل ومن جعل القضية اليهودية الطارئة والدخيلة هي المحور الذي تدور عليه قضية فلسطين ، وكان هذا منها متساوقاً مع ما فعلته الحكومه الانكليزية في صك الانتداب واساليب تنفيذه .

ثم قسمت تواصيها إلى قسمين قسم سمته بالمسكنات انطوى على اقتراحات بتحديد الهجرة من كافة الانواع باثني عشر الفاً في السنة لمدة خمس سنين ومنع انتقال الاراضي العربية لليهود في بعض المناطق والاهتمام لتحسين تعليم العرب واقتصادهم ومعايشهم وإنشاء مجلس تشريعي ؛ ثم قالت إن هذه التواصي ليس من شأنها حل المشكلة لأن العواطف القومية عند العرب واليهود متناقضة ومشتدة ولا يمكن أن يسكنها شيء . وسمت القسم الآخر من تواصيها بالعملية الجراحية وهو تقسيم فلسطين الى ثلاثة اقسام عربي يضم الى شرق الاردن ويتكون به مملكة

عربية ذات سيادة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانية على غرار العراق وسورية ، ويشمل مناطق غزة والسبع وصحراء النقب والخليل ونابلس والقسم الشرقي من منـاطق طولكرم وجنين وبيسان ومدينة يافا ، ويهودي يشمل جميع الساحل من حدود لبنان إلى المجدل وسهول سارون ومرج ابن عامر وبيسان ومنطقتي الجليل الشرقية والغربية وتقوم فيه دولة يهودية ذات سيادة مرتبطة كتلك بمعاهدة مع بريطانية ، وانتدابي انكليزي يشمل مناطق مدن القدس وبيت لحم والناصرة وممراً من القدس إلى يافا يشمل قرى هذه الطريق ومدينتي اللد والرملة على ان تبقى كذلك مدن حيفا وطبريا وصفد وعكا تحت إدارة الدولة المنتدبة مدة من الزمن وعلى ان يكون النقب او بعضه تحت إدارة هذه الدولة ايضا . وقد بلغ عدد العرب في القسم اليهودي نحو نصف سكانه ومساحة اراضيهم نحو ثلاثة اضعاف الأراضي اليهودية اي نحو (٣٠٠,٠٠٠) عربي وثلاثة ملايين وربع دونم مقابل نحو (٣٠٠٠٠٠) يهودي ومليون وربـع دونم بينما بلغ عدد اليهود في القسم العربي نحو (١٢٥٠) واراضيهم نحو مئـة الف دونم .. وقد وصت اللجنة بتبادل السكان مع ما بين املاك واراضي وعدد الفريقين من بون شاسع لا يحتمل اي معنى من معاني التبادل كما وصت بالزام حكومة كل قسم بشراء املاك واراضي الجنس الآخر ! وقد لحظت اللجنة ان الدولة العربيـة ستكون فقيرة ضعيفة الموارد والحيوية فأوجبت على الدولة اليهوديـة دفع إعانة سنوية لها كما اوجبت مثل ذلك على الدولة البريطانية بالاضافة إلى مليوني جنيـه تدفعها هذه الدولة تعويضا عما يخسره العرب . وقالت ان هذه الأموال تساعـد العرب مساعدة كبيرة على النشاط والعمران في دولتهم الجديدة .

وواضح أن خطوط التقسيم والتواصي كانت في صالح اليهود على طول الخط حيث تهيء المجال الواسع للنمو اليهودي وتخضع العرب لليهود والانكليز معـاً وبصورة دائمة بل وتطرد العرب من القسم المخصص لليهـود وهم نصف سكانه وأراضيهم الزراعية فيه ثلاثة أضعاف أراضي اليهود !

أما بيان الحكومة البريطانية فقد احتوى موافقة مبدئية على الاسس والاستنتاجات التي توصلت اليها اللجنة والتناقض البادي في التزاماتها المزدوجة وصعوبة التوفيق بين أماني العرب واليهود والأخذ بفكرة التقسيم لأنه أفضل الحلول . وقد تركت تحديد الأقسام العربية واليهودية والانتدابية إلى اللجنة الفنية التي اقترحت اللجنة

الملكية ايفادها لتركيز الحدود تركيزاً فنياً (١) .

وهكذا كشفت بريطانيا عن وجهها المنافق الغادر ، ورأت ان ما وصل اليه اليهود يكفي مبدئياً لتحقيق السياسة التي ترسمتها منذ البدء ضد الحركة العربيـة واهدافها وغرز الخنجر المسموم في جنب الامة العربية وقطع عقدة من اهم العقد بين اقطارها وجعل ربيبتها الدولـة اليهودية عاملا فوق ذلك في إشغال العرب وارهاقهم وانهاكهم ، وقد ضمنت خطة التقسيم الى هذا بقاء السيطرة الانكليزية العسكرية والاقتصادية سافرة ومحجبة في جميع اقسام فلسطين وشرق الاردن ،لأن هذا من تمام تلك السياسة المرسومة .

واستدعى المندوب السامي المفتي وبعض اعضاء اللجنة ونصحهم بالتروي قبل قولهم كلمتهم والدعوة الى الهدوء والرزانة . وكانت الشائعات تتردد عـن عزم السلطات على اتخاذ تدابير شديدة للحيلولة دون الهياج وماينشأعنه ، فعدت نصيحة المندوب كإنذار ، واجتمعت اللجنة فقررت كتابة نداء لملوك العرب وامرائهـم وزعمائهم ورؤساء حكوماتهم تلفت نظرهم إلى الكارثة الجديـدة ، وكتابـة رد واستنكار لتقرير اللجنة وتواصيها وبيان الحكومة.

سخط العرب الشديد من التقرير والتقسيم

●

وقد كان السخط والاستياء عامين وشديدين في فلسطين وخاصة في المنطقـة الشمالية حتى كان الشيخ اسعد الشقيري في عكا وعمر البيطار في يافا وهما من اركان المعارضة من اول من صدر منهم صوت الاستنكار والرفض ، مما جعل اللجنة العربية العليا تقرر الاتصال براغب النشاشيبي وتقترح عليه العودة إلى اللجنة لتبدو الامة متضامنة امام الكارثة ما دام الجميع براي واحد . ولكن راغبا اجاب بان الحزب لم يقبل بالعوده ولكنه مستعد لمجاراة اللجنة في المواقف والأمور الهامة .

موقف صاحب عمان من التقرير

●

وقد سارعت عمان إلى الاتصال بأركان المعارضة في فلسطين على ما رواه الثقاة وذكره فيما بعد بعض هؤلاء الأركان تطلب منهم مقابلة التقرير بالموافقة والتحبيذ

(١) جعلنا بيان الحكومة وتواصي التقسيم ملحقاً تحت رقم (٩)

لقطع الطريق على معارضته ، فكان الجواب الغالب تعــذر ذلك لأن الاستيــاء شديد من التقسيم وبشاعته ولم يُجدِ ما قيل لهم من امكان التعديل فيــه إذا ووفق عليه مبدئياً .

ولقد رجح ولمس كثير من الملاحظين انه قد جرى بين صاحب عمان وبــين اللجنة الملكية بحث حول التقسيم ، وانه كان موافقاً عليه اجتهاداً منــه بأنــه هو الممكن والعملي بسبيل حل القضية المعقدة . كما رجحوا ان بعض أركان المعارضة كانوا على علم به بدليل ما كان وذكرناه سابقاً من الأحداث والمشاهد. ولقد صرح وزير المستعمرات في المناقشة التي جرت في مجلس العموم في الاسبوع الثالث من شهر تموز ان حكومة شرق الاردن وكثيراً من العرب يؤيدون تقرير اللجنة الملكية فجاء هذا التصريح دليلا رسمياً حاسماً .

ومع أن رئاسة الوزارة الاردنية أذاعت بلاغاً بتاريخ ٢٤ تموز جاء فيه : « إن حكومة شرق الاردن بالنسبة للخبر المتعلق بها ترى من واجبهــا ان تبــادر إلى التصريح بأنها لم تتلق من أي جهة رسمية اي تكليف بابداء رأيها في مشروع التقسيم ، وان القول بأنها تؤيده غير مطابق للحقيقة والواقع . » فان البلاغ لم يكن ذا جدوى فيما قصد اليه ، لأن الناس يعرفون ان الأمير (الملك) هو الذي يتولى هذه الامور وهو رأس الدولة ورئيس الحكومة فعلا ؛ ولم يكن وزير المستعمــرات يصرح تصريحه أمام مجلس العموم لو لم يكن مطابقا للحقيقة من هذه الناحية ، هذا فضلا عن توافر الدلائل والقرائن على تحبيذ المشار اليه للتقسيم والدعوة اليه والتجهم من رفضه بناء على اجتهاده الذي أشرنا اليه آنفاً .

ومما وقع انه نشر كراس باسم الحزب الاردني الوطني حبذ فيه التقسيم لأنه ينقذ بعض البلاد من الصهيونية ويلحقها بالوحدة العربية وذلك خير من بقائها جميعــاً مهددة بها . وقد سارع الحزب إلى إعلان براءته من الكراس واستنكار ما جاء فيه واستنكار التقسيم استنكاراً شديداً . وقد قيل ان مصطفى وهبة التل هو الذي نشر الكراس تزلفا للأمير (الملك) أو بايحائه . ولم يستبعد الناس ذلك لأن ما جاء فيه متسق مع اجتهاده .

موقف حزب الدفاع من التقرير

●

ومع ان راغب النشاشيبي كذب في حديث له نشرته جريدة فلســطين في ٢٢

١٩٣٧/٧/ ما يشاع عن اتفاق حزبه مع الأمير (الملك)عبد الله او مع غيره بقبول التقسيم وقال ان في حزب الدفاع شخصيات كثيرة ترتبط مع الأمير بروابط الصداقة ولكن الحزب لا ينطق باسمه ولا يتأثر بسياسته ، وان حزبه يرفض فكرة التقسيم رفضاً باتاً ولا يقبل بشأنها مفاوضة ولا بحثاً وانه أول هيئة رفضتها ،فان ما جرى قبل صدور تقرير اللجنة وما قيل عن انسحاب الحزب من اللجنة العليا وما كان من مشاهد وأحداث وأقوال إبان رحلة الأمير مؤيدات قوية على ان أركان المعارضة لم يفاجأوا بالتقسيم وان ما فوجئوا به هو نصيب اليهود الواسع فيه. وكل ما يمكن ان يكون هو ان الحزب لم يقرر رسمياً الاتفاق مع الأمير (الملك) على التقسيم والتكذيب مصبوب على هذا فحسب . وواضح ان هذا شيء والقول ان أركان المعارضة كانوا على علم بالفكرة ووفاق مع الأمير (الملك) فيها شيء آخر. وفي هذا التكذيب قرينة بل دليل على كل حال على ماقلناه من اجتهاد الأمير الملك في تحبيذ التقسيم والدعوة اليه . ولقد كتبت جريدة فلسطين على اثر نشر التقرير معقبة ولم يكن الاستياء قد سرى واشتد مقالا اطرت فيه اللجة الملكية وما في تقريرها من بروز انصاف العرب ودعت الى السعي الديبلوماسي في تعديل الحدود مما فيه تأييد لما ذكرناه . ولقد نشرت الجريدة نبذة فكاهية في نفس العدد عنوانها «ديك الحبش سجن ومات » كان قصد الشماتة بالمفتي والارتياح للتقسيم الذي فيه القضاء على مركزه ومطامحه ظاهراً فيها . . مما فيه تأييد آخر ايضاً.

ونقول استطراداً ان فكرة التقسيم قد سبقت قدوم اللجنة الملكية . فلقد كان نوري السعيد يتحدث إبان زيارته فلسطين اثناء الاضراب عن بعض الحلول الممكنة لقضية فلسطين فيها ضمانة عروبتها وفيها في ذات الوقت مسايرة مالمطامح اليهود القومية ليكون تحقيقها ممكناً ، وكان مما تحدث عنه المثلث اليهودي الذي يتكثف فيه اليهود والذي يتكون احد اضلاعه من خط ساحلي يبتدىء من جنوب حيفا إلى تل ابيب ويلتقي ضلعاه الآخران فى العفولة ويضم سهل سارون وقسما من مرج ابن عامر عدا الرقعة الساحلية التي يمتد فيها الضلع الاول ، وامكان منح اليهود فيه حكماً ذاتياً ضمن دولة عربية تتألف من فلسطين وشرق الاردن والعراق او من فلسطين وشرق الاردن او من فلسطين . وقد سمعنا هذا الحديث من نوري السعيد بالذات في فلسطين حيث جاء لزيارتنا وزيارة رفاقنا في معتقل صرفند في

شهر آب ١٩٣٦ . ولا نرتاب في ان الانكليز اشتركوا في احاديث هذه الحلـول إذا لم يكونوا هم الذين اثاروها . فقد كان الاضراب الطويل والثورة التي كانت آخذة بالاتساع والشدة اثناءه مما اقلق الانكليز وافزع اليهود على ما ذكرناه قبل فلم ير الانكليز بأساً من الحديث في حل محدود مثل هذا يضمن على كل حـــال تحقيق جوهر الخطة المرسومة برضاء العرب وهو قيام كيان يهودي قومي وسط بلاد العرب ، ويكون مرحلة لقفزة ثانية عند سنوح الفرصة او بخلقها تتحقق بها الخطة كاملة . ولا نستبعد ان يكون اليهود هم الذين رفضوا الحل المحدود وخشوا عواقبه فتطور على يد اللجنة الملكية بالشكل الرهيب الذي جاءعليه .

الدور الثالث

١٩٣٧ - ١٩٣٩

استمرار الغليان ضد التقسيم

●

كان تقرير اللجنة الملكية وتوصية التقسيم مما هز العرب كما قلنا هزاً شديداً. ولقد أخذت البرقيات والمضابط تنهال على اللجنة العليا بالاستنكار والرفض والاستعداد لاستئناف الكفاح والتضحية من جميع أنحاء فلسطين ومن مختلف الفئات حتى صارت كالسيل، وكان أشد الانحاء فزعاً وسخطاً الجليلان الشرقي والغربي ولما أدركه أهلهما من المصير المظلم الذي ينتظرهم بالتشرد والنزوح أو البقاء تحت ذل سيطرة اليهود وإرهاقهم وكيدهم. ومن العجيب أنهم كوفئوا بهذا المصير لان اللجنة الملكية زعمت كذباً وباطلا فقالت إنهم كانوا أقل من غيرهم انقياداً للتحريض السياسي واكثر قابلية للتعاون مع اليهود بقصد تبرير جعل الجليلين من ضمن الدولة اليهودية في حين أن اليهود فيهما لم يكادوا يبلغون خمس سكانها وان أراضيهم الزراعية لم تكد تبلغ عشر أراضيها الزراعية، مما يدل على أن الحكومة الانكليزية ذات ضلع بارز في رسم خطة التقسيم فضلا عما هناك من دلائل كثيرة اخرى.

وارسلت اللجنة العربية العليا مذكرة مسهبة بالاحتجاج والتفنيد والاستنكار والاصرار على وجوب تحقيق الميثاق العربي الذي فيه الحل الوحيد العادل.

وقرر حزب الدفاع وإستنكار التقسيم نشر قراره ثم أتبعه بمذكرة طويلة إلى المندوب احتوت تفنيدات لتواصي اللجنة الملكية وتوكيداً بأن السلام متعذر التحقيق إلا بإجابة مطالب العرب والتسليم بحقوقهم كاملة وذلك بالغاء الانتداب وتشكيل حكومة ذات سيادة ترتبط مع بريطانية بمعاهدة ويمثل فيها جميع السكان ويضمن للأقليات حقوقهم على ان تحفظ النسبة الموجودة بين العرب واليهود. وأخذت جريدة فلسطين تتراجع بدون نظام وتنضم إلى المفندين المستنكرين، وأرسل الشيخ أسعد الشقيري إلى عاهل عمان كتاباً قال في مستهله إن الله ورسوله والمؤمنين يأبون أن يوافقوا على التقسيم وإنشاء دولة يهودية ما أنزل الله بها من سلطان.

استنكار الاقطار العربية الاخرى وسخطها

●

كذلك أخذت ترد على اللجنة العربية العليا اجوبة من الخارج . وقد استنكر حكمة سليمان رئيس الوزارة العراقية في برقيته مشروع التقسيم واعلن إستعداد العراق لمناصرة القضية للنهاية وقال إنه قدم للحكومة الانكليزية احتجاج حكومته ولقد أردف برقيته بتصريح صحفي اشد واروع كان فيه ثائراً اكثر منه رئيس وزارة حيث دعا العرب الى الوقوف صفاً واحداً في الدفاع عن فلسطين وصيانة عروبتها وندد بتواصي اللجنة وحشد الانكليز قواهم في خدمة اليهود ؛ وحمل حملة منكرة على التقسيم وإنشاء دولة يهودية وقال إن هذا ضار بمصالح العرب جميعاً وإن الدول العربية لن ترضى به ولا إعتبار بمن يرضى به ، وان الحاكم الذي يقبل ان يتوج على شرق الاردن مع ما بقي من اقسام فلسطين لا يقابل إلا بالمقت والنبذ وإنه سيكافحه بكل قوة كرئيس حكومة وكفرد من الامة ، مما اثار حنق الانكليز وجعلهم يبدون عتبهم . وقامت مظاهرات صاخبة في بغداد استنكاراً للتقسيم منددة بكل من يرضى به واصفة إياه بالمروق من العروبة والدين ، واذاع علماء الدين في العراق سنيون وشيعيون نداءات بوجوب مؤازرة فلسطين ديناً لحفظها للعروبة والاسلام واستهجان خطة التقسيم وإنشاء دولة يهودية فيها ، وادلى بكر صدقي الذي قام بالانقلاب العسكري بحديث جاء فيه إنه جندي وليس سياسياً وان من اول واجباته الطاعة ، فاذا صدر اليه الامر من ولي امره بالدفاع عن حقوق امته التي هي الامة العربية فهو مستعد لسفك آخر نقطة من دمه ، وان الراي السياسي قد اعلنه رئيس الوزارة بصراحة لا صراحة بعدها . وانهالت على الحكومة العراقية من مختلف انحاء العراق برقيات الاستنكار والعطف بحيث يمكن ان يقال ان التصريحات التي ادلى بها حكمة سليمان وبكر صدقي كانت منبهة للشعب من جهة ومعبرة عن عواطفه اصدق تعبير من جهة اخرى . وقد كان للعطف والحماس العظيمين اللذين اظهرهما العراق حكومة وشعباً اثر قوي في فلسطين وانتعاش آمال اهلها .

وجاءت برقية من محمد محمود رئيس الدستوريين وتبعتها برقيات عديدة من بعض الشخصيات والهيئات المصرية الاخرى ـ عدا الوفد وحكومته بالاستنكار واخذت

حركة الاستنكار والابراق المصرية للجنة العربية تتسع حتى شملت كثيراً من المنظمات والهيئات والشخصيات حتى الأزهر . ومن جملتها برقية من محمود البسيوني أحد اعلام الوفد بصفته رئيس الرابطة العربية . وعقد شباب الحزب الوطني إجتماعاً كبيراً للاحتجاج والاستنكار وأهابوا بالشعب المصري والحكومة المصرية ان يقفوا من قضية فلسطين موقف العراق حكومة وشعباً . وكتب الكتاب مقالات عديدة وقوية ووجه سؤال للنحاس عن موقف حكومته فألقى بياناً فيه تحفظ ولكن فيه كذلك شيء من ترديد ما ظهر من إهتمام المصريين للقضية، واجتمع بالسفير البريطاني وحدثه في الامر ايضاً ، ونشر حديث له مع سياسي عربي جاء فيه إياك ان تظن انك اكثر اهتماماً مني أو اكثر عطفاً واني ما ازال اواصل البحث مع ممثلي الحكومة البريطانية مدافعاً عن وجهة نظر العرب ومؤيداً لها ومتى انتهت المباحثات فلن اتأخر عن اعلان نتيجتها وأرجو أن يكون ذلك قريباً وحينئذ يدرك الجميع اننا لم نقصر في تأييد الشعب الشقيق . وقد ذكرنا كل هذا لنؤرخ به اهتمام مصر لقضية فلسطين لأول مرة اهتماماً واسعاً تعدى الافراد .

وجاء جواب من الامام يحيى يستنكر فيه التقسيم ويطلب من اللجنة الثبات والمثابرة ، وجاء جواب من ابن السعود قال فيه انه لم يدخر وان يدخر جهداً في مساعدة أهل فلسطين وحفظ حقوقهم ! وقد استقبل الناس الجواب بفتور وحيرة لأنهم كانوا ينتظرون ان يكون جوابه اكثر قوة وحيوية ولا سيما انه كان اكثر الحاحاً وتوكيداً لصداقة الانكليز ووفائهم والاركان اليهم . ولقد سئل ابنه الامير سعود في لندن عن رأيه في الموقف فأجاب أحد حاشيته ان الامير لا يرى من المجاملة أن يقول شيئاً في سياسة حكومة هو في ضيافتها . غير ان هذا الفتور لم يلبث ان تبدل فأدلى الأمير بتصريح في باريس استنكر فيه التقسيم وقال ان انشاء دولة يهودية ضار بمصالح العرب جميعهم ؛ وأخذت تقوم في مدن الحجاز الطائف ومكة والمدينة وجده وينبع المظاهرات والاضراب وترد البرقيات بالاستنكار ثم سرى ذلك إلى المدن النجدية ايضاً ، وكتب علماء نجد رسالة الى الملك بمثابة فتوى دينية جاء فيها : ان جعل ولاية لليهود في بلاد الاسلام أمر باطل ومحرم لأنه يعود على الاسلام واهله والحرمين الشريفين والبلاد المقدسة بأكبر الخطر واعظم

الضرر ، وكل من لديه غيرة دينية وحمية وطنية عربية يأنف من ذلك ويأباه وطلبوا من الملك باعتباره إمام المسلمين أن يقوم بصد هذا الخطر وهم بصفتهم علماء الشريعة لا يجيزون التقسيم ولا يقرونه .

وأدلى جميل مردم رئيس الوزارة السورية بحديث قوي قال فيه إن موقف سوريا لا يختلف عن بقية البلدان العربية وإنها لا ترضى بالتقسيم ولا باخراج أي جزء مهما صغر من حظيرة العروبة ولن تتوانى عن القيام بما يجب للحيلولة دون المشروع وإن على الشعب الفلسطيني أن لا ييأس ووراءه سبعون مليون عربي وأربعة اضعافهم مسلمون . وقد قدم باسم حكومته مذكرة وافية باستنكار التقسيم وتنفيذه ووجوب استقلال فلسطين وسيادتها العربية . وكتبت الصحف اللبنانية والسورية المقالات الاستنكارية المفندة وأرسلت هيئات سوريا ولبنان وشخصياتها البارزة برقيات الاحتجاج والتأييد للجنة العربية ، واعلن اضراب عام في جميع المدن السورية وشاركت بعض المدن اللبنانية في الاضراب في اليوم المعين ودعا المجلس الاسلامي القومي في بيروت الى اجتماع عام قرر فيه استنكار التقسيم ورفضه وتأييد اللجنة العربية العليا في موقفها .

وقد اضربت عمان وتظاهرت وارسلت من شرق الاردن برقيات استنكارية عديدة إلى اللجنة العربية العليا ومؤيدة لها ، وأذاعت لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان بياناً قوياً حملت فيه على الاستعمار واذنابه وأساليبه واستنكار له وللتقسيم وما فيه من اخطار واضرار . وذيل بميثاق نص على وجوب مكافحة الصهيونية واعتبار كل شخص او هيئة او دولة او حكومة تقبل بالتقسيم او تحبذه عدواً للأمة العربية .

ووردت برقيات كثيرة من المغرب العربي بالاستنكار كما ان مسلمي الهند عقدوا الاجتماعات العديدة وارسلوا برقيات الاستنكار وقالوا إن التقسيم مؤامرة انكليزية للسيطرة على فلسطين والاماكن المقدسة وتهويدها وبعثوا بوفودهم الى حاكم الهند العام لينقل شعور السخط والغضب عنهم الى حكومة لندن .

وهكذا فان تقرير التقسيم وإنشاء دولة يهودية في فلسطين قد هز العالم العربي هزة شديدة فجمعه حكومات وشعوباً على الاستنكار والاحتجاج وأشعره بخطورة قضية فلسطين كما انه أثر تأثيراً سيئاً في مسلمي الهند الذين يزيدون على العرب عدداً.

والحق إن ما كان من اضراب فلسطين الطويل وما رافقه من حركات ثورية قوية وعجيبة امتزجت فيها دماء العرب على اختلاف اقطارهم ، وما كان من تدخل ملوك العرب كان بمثابة مرحلة جديدة في الحركة العربية العامة من حيث أنه أظهر وحدة الشعور والتجاوب بين أقطار العرب المختلفة واتساع الوعي القومي فيها . وجاء قرار التقسيم وانشاء دولة يهودية بين الأقطار العربية كخنجر مسدد اليها وجميعها وسيلة جديدة لظهور تلك الوحدة وتقويتها ، حتى لقد صار بعضنا يشبه فلسطين اذ ذاك بالمحرك الكهربائي للأقطار العربية والمكثف لكهربائها ويرى ان قضيتها ستكون جامعة للعرب كما كانت في الحروب الصليبية .

وقد كانت هذه الاستنكارات والتأييدات من فلسطين ومختلف الأقطار العربية باعثاً لتفكير بعض الوطنيين في اعادة البحث في دعوة حزب الدفاع إلى الاتحاد ثانية مع اللجنة العليا ورحبت اللجنة بذلك وجرت مساع واتصالات جديدة في هذا الشأن ولكنها مع الأسف لم تنته الى نتيجة إيجابية .

موقف اليهود من التقرير

●

أما اليهود فكان أمرهم عجيباً . فاللجنة الملكية أعطتهم بالتآمر مع الحكومة الانكليزية ما لم يكونوا يحلمون بالحصول عليه في المدة القصيرة التي مرت بهم ، ولا سيما إن مشروعهم إلى عام ١٩٣١ كان يجر نفسه جراً وكان أقرب إلى الاخفاق لولا حركة هتلر التي انعشته ولكنها مع ذلك لم توصله إلى مرحلة تخولهم أن ينالوا نصف ما نالوه أو ربعه ، لأن نسبة عددهم لم ترتفع عن ٣٠ ٪ ونسبة اراضيهم الزراعية لم ترتفع عن ١٦ ٪ في جميع فلسطين ، وكانت ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية في الدولة اليهودية ملكاً للعرب ونصف عدد سكانها من العرب ، ومع ذلك فلم يبد من الوكالة اليهودية رضاء بل احتجت لأن التقسيم حرمها مما لا بد منه كالقدس والنقب ، وأخذت صحافتهم وهيئاتهم تصخب اشد الصخب وتستنكر أشد الاستنكار في فلسطين وخارج فلسطين لأن رقعة دولتهم لا تكفي للهجرة والنمو ، واعتبرت الأحزاب المتطرفة ما كان نتيجة للتآمر والخيانة بين

وايزمن والوكالة والانكليز وأخذت تنذر بالثورة ضدهم وضد العرب معاً للحيلولة دون أي سيادة عربية أو انكليزية على أي قسم من فلسطين ...

على ان هربرت صموئيل المندوب السامي الأول لفلسطين وبتنويش النائب العام الأول والدكتور ماغنيس رئيس الجامعة العبرية وقفوا موقفاً آخر ، فالأول حمل على التقسيم ورأى فيه خطراً على اليهود وألح بقبول مشروع يقوم على تحديد الهجرة الى فلسطين وارضاء العرب باشتراك اليهود معهم في الحكم والاستيطان في شرق الاردن ، وانتقد الثاني توصيات اللجنة وقال ان التقسيم لن يضمن الهدوء وانه سيؤدي الى احتكاكات ومنازعات خطيرة في الشرق الأوسط وأن رضاء عرب فلسطين والأقطار العربية أهم لليهود من وعود الانكليز حيث يستطيع هؤلاء بفضل رضاء أولئك جلب مئات الالوف من مضطديهم ، وطالب بعقد مؤتمر مختلط يبحث في حل مرضٍ آخر ، وقال الثالث ان التقسيم خطر واقترح عقد اتفاق عربي يهودي يقوم على اساس اعتراف العرب بالوطن القومي اليهودي وباعتراف اليهود بحق العرب في الاستقلال والحكم . والراجح أن مرد هذه الأصوات شك أصحابها بقدرة اليهود على الثبات في وجه الغضب العربي في هذه الآونة وخوفهم من انهيار ما تم بناؤه ، فأرادوا ان يضمنوا قيام كيان الوطن القومي وانفتاح باب شرق الاردن وغيره امام اليهود برضاء العرب إلى ان يشتد ساعدهم ويقوى بنيانهم .

ومهما يكن من أمر فان هذه الأصوات لم تكن لتؤثر في موقف اليهود العام بعد ان رأوا أن آمالهم ومطامعهم بنشوء الدولة قد كادت تتحقق مهما كان اعتراضهم على الرقعة .

ولقد نشرت الصحف تصريحات مهمة لوايزمن يفهم منها ان اللجنة الملكية فاتحته في حل التقسيم وانه ذهب إلى لندن ثم عاد واجتمع بعضو من اعضاء اللجنة في مستعمرة نهلال وتحدثا في التقسيم ، وان العضو قال له إن التوصية التي سيضعونها لا تستوي مع المطالب الحقة التي يطلبها الشعب اليهودي ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود ، وانما هي بمثابة نقطة تحول وانتقال من دور الى دور وفيها من الاسباب ما يتمكن بها اليهود من التوسع العظيم في المستقبل ، وانه لم يقيد نفسه سلباً ولا ايجاباً ، وكل ما كان منه ان اعرب عن موقفه من هذه الخطة الى

اللجنة التنفيذية الصهيونية فتلقيت منه بالقبول . وهذه التصريحات تدل على ان اللجنة الملكية كانت تعمل بروح ملؤها التحيز ولم تكن تتوخى إلا ارضاء اليهود وتحقيق احلامهم ؛ وتعتبر التقسيم مرحلة من مراحلهم . وسفر وايزمان إلى لندن وعودته في اثناء ذلك يدل على ان الحكومة الانكليزية كانت على صلة بمشروع التقسيم مع اللجنة الملكية ومع وايزمان قبل ان تضع هذه اللجنة تقريرها ، وكل هذا متساوق مع روح الخطة الانكليزية واساليب تنفيذها كل التساوق . وقدلمست اللجنة العربية هذا فأبرقت محتجة إلى لندن وإلى لجنة الانتدابات التي كانت في حالة الانعقاد حينما نشرت هذه التصريحات .

مكيدة بيان مكماهون

●

ولقد كانت الاحتجاجات والاستنكارات والتفنيدات العربية تستند في جملة ما تستند اليه إلى عهود الملك حسين وتتهم الانكليز بالنكث فيها . فأراد الانكليز ان يردوا على هذا في هذه المرحلة رداً حاسماً فاستكتبوا مكماهون الذي كان المكلف بمراسلة الملك حسين كتابا نشرته التايمس جاء فيه : « إني اشعر بوجوب التصريح واصرح نهائيا وبكل شدة بأنه لم يكن في النية عند تادية ذلك التعهد للملك حسين إدخال فلسطين في منطقة الاستقلال الذي وعد به العرب وكنت مقتنعا كل الاقتناع وقتئذ بان الملك حسين كان فاهما تماما بان فلسطين غير داخلة في ذلك التعهد » ولم يكن لهذا من جدوى فيما قصد اليه الانكليز إلا ابراز صورة من صور كيدهم وغدرهم إبرازاً قويا . وفيه كذلك صورة قوية لما يصل اليه الاسفاف الانكليزي من المكابرة والتحكم . فإنه لم يكن هناك اذ ذاك منطقة تامة تعرف في الجغرافية الحديثة بفلسطين ، وكانت ثلاثة الوية او متصرفات ، وهي القدس ونابلس وعكا . واللواءان الاخيران كانا ضمن ولاية بيروت التي كانت تضم ايضا مناطق صور وصيدا ومرجعيون وطرابلس الشام واللاذقية . ولواء القدس كان بمثابة ولاية تابعا للاستانة كالولايات . وهذا هو الذي كان يعرفه الملك حسين وحسب . ونصوص المراسلات لم تستثن فلسطين ولم تشر اليها لا تلميحا ولا تصريحا . ولم تكن الاستثناءات الجغرافية التي جرى حولها الاخذ والرد

إلا للمنطقة الواقعة غربي أقضية الشام وحماه وحمص وحلب وهي المنطقة اللبنانية الساحلية التي كان لفرنسا فيها بعض المزاعم والمطامع وحسب .

ولقد كانت بغداد والبصرة والعراق موضوع أخذ ورد في تلك المراسلات ولو كانت فلسطين كذلك لما اغفلت الاشارة اليها من قريب أو بعيد ولأثيرت كما اثيرت مسألة العراق . ولقد ظل الملك حسين يطالب بحق فلسطين بعد أن وضعت الحرب أوزارها ويؤكد شمول العهد لها ويأبى التسليم بالانتداب الانكليزي ووعد بلفور بما كان نتيجته تخلي بريطانية عنه وفقده عرشه وتشرده ، فلو كان فاهماً ان فلسطين خارجة عن العهود كما قال مكماهون لما وقف هذا الموقف الصلب الذي أطاح به . ولا يمكن أن يتصور عاقل ان الملك حسين كان يمكن أن يرضى بأن يكون ثالث الحرمين وقبلة المسلمين الاولى ومسرى النبي والبقاع المباركة حوله بنص القرآن خارجة عن الاستقلال المطالب به بينما كان متشدداً بالساحل الذي كان يقطنه كثرة مسيحية . وقد تكون نية الطمع والغدر في أمر فلسطين متوافرة في الانكليز عند المراسلات وقبلها وبعدها ولكنهم ما كانوا ليجرأوا على مفاتحة الحسين باستثنائها أو تهويدها ومركزها هذا المركز المقدس في نظره ونظر كافة المسلمين .

ولقد أثارت رسالة مكماهون عبد الله بن الحسين وارث قضية أبيه وشاهد مراسلاته حيث رأى فيها مغالطة جريئة فأخذ يصرح مفنداً ما احتوته الرسالة استناداً إلى ما لديه من وثائق ولافتاً نظر الحكومة البريطانية إلى ذلك ، ثم أرسل اليها مذكرة قوية مبرهنة على أن فلسطين لم تستثن قط ولم يكن هذا الاستثناء مما يرد على بال وأن جلالة والده كان فاهماً منذ الاصل فهما يقيناً بأن العهود تشمل فلسطين ، ثم طلب تصحيح الموقف ، غير أن الحكومة المذكورة لم تبال لانها هي التي ظلت تحرص دائماً على إنكار شمول العهد على ما ذكرناه في مناسبات سابقة . ولقد أوسل الامير (الملك) إلى اللجنة العربية العليا صورة عن المذكرة فرجته أن ينشر الوثائق التي لديه ، ولكنه اكتفى بنشر المذكرة . على أنه سمح لمندوب شركة الاخبار الالمانية على ما ذكرته جريدة فلسطين بالاطلاع على مراسلات الحسين ـ مكماهون وأن المندوب أورد خلاصة وجيزة عنها وقال أنه يظهر من المستندات ان تصريحات مكماهون الاخيرة داحضة (١) .

---

(١) في أثناء مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ اثير هذا الامر وعرض على لجنة تحكيم قانونية فكان تقريرها مؤيداً لوجهة نظر العرب . وقد أوردنا النص في مناسبته الاتية .

الحكومة الانكليزية وتنفيذ التقسيم

●

ولقد حاولت الحكومة الانكليزية أن تأخذ موافقة البرلمان على سياستها ودارت مناقشات حول ذلك في المجلسين بين مفند وعاطف على اليهود وعاطف على العرب وداع إلى إيجاد طريقة حل اخرى غير التقسيم الذي ينطوي فيه تهديد السلام باستمرار ثم انتهت المناقشة بقرار اقترحه شرشل مفاده ان المجلس لا يتقيد الآن بشيء وان على الحكومة ان تذهب إلى جنيف (جمعية الامم) فاذا حصلت على موافقتها درست متنوع الامكانيات والوجوه الفنية وقدمت للبرلمان مشروعاً كاملا .

التقسيم أمام عصبة الامم في جنيف

●

وكان موعد انعقاد لجنة الانتدابات في جنيف قد أزف فذهب وفد الحكومة برئاسة وزير المستعمرات حيث طال جدل عنيف ونقاش حاد دام نحو اربعة أسابيع — من اواخر تموز إلى اواخر آب ١٩٣٧ — . وقد شرح الوفد القضية والاسباب التي اضطرت حكومته إلى تبني التقسيم وطلب الموافقة على الفكرة حتى تعد الحكومة مشروعاً كاملا . وقد ضيق كثير من اعضاء اللجنة الخناق على الوفد الانكليزي ، منهم من كان يرى التقسيم شذوذاً عن ميثاق العصبة وروح الانتداب وخطراً على السلم ومنهم من ايد العرب ومنهم من ايد اليهود ومنهم من اخذ يطلب ايضاحات وافية عن الاضطرابات واسبابها المباشرة وغير المباشرة ، ولم توافق اللجنة على درس تقرير اللجنة الملكية بما عد إخفاقاً للوفد . ولقد سألت لجنة الانتدابات عما إذا كانت الحكومة الانكليزية مستعدة لقبول حل تراه هي او مجلس العصبة بدلا من التقسيم فأجاب وزير المستعمرات بأن اللجنة الملكية مقتنعة بعدم إمكان حل غير التقسيم لانها درست كل الحلول وانتهت إلى الاعتقاد بأن كل حل سيصطدم بمعارضة العرب لتصلبهم الشديد ثم قال وعلى كل حال ان انكلترة ترى نهائياً ان لا ينبغي لها ان تحتفظ بالانتداب لانه اصبح غير ممكن ولا بوسائل الشدة والعنف وان التقسيم هو الحل الوحيد الذي يمكن ان يوطد السلام لانه يفصل بين العنصرين اللذين إذا بقيا في امتزاج واختلاط استمر بينهما النزاع والقتال ، ولا سيا ان الخطة احتوت مبادلة السكان

والاراضي وشراء اليهود ما يبقى للعرب النازحين عن دولتهم . ثم عاد فقـــال في جلسة اخرى ان عصبة الامم اذا اصرت على بقاء الانتداب فان انكلترة ترفض تنفيذه إلا اذا عدل تعديلا جوهريا وهذا يثير مشاكل لا شك في ان العصبة تتجنب مواجهتها مما حمل على قصد احراج اللجنة واضطرارها الى تبني التقسيم ، ومما يـــدل على ان الانكليز بعد ان راوا ان سياستهم قد وصلت الى غايتها قرروا التمسك بهذه الغاية وانتهت المناقشة بوضع تقرير الى مجلس العصبة اشير فيه إلى نمو روح القومية العربية في فلسطين ولا سيما بعد استقلال البلاد العربية الاخرى والى ان العرب يفضـــلون الاستقلال ويرونه اجل واغلى من الثروة على رغم فوائد استعمار اليهود ، واشير فيه الى ذلك الى تعذر بقاء الانتداب وممارسته بشكله الحاضر والى وجـــوب ادخال تعديلات جوهرية عليه إذا تعذر التقسيم . ولم تقل اللجنة كلمـــة حاسمـــة في التقسيم ولكنها ذكرت ان العرب قد يجنون منه فوائد كثيرة ، وابديت ملاحظة بعـــدم ملاءمة إنشاء دولتين مستقلتين حالا إذا رجح التقسيم كما قيل ان المشروع ليس حلا نهائياً ولكنه يصح ان يكون صالحاً للتجربة على ان تسبقه مدة انتقال طويـلة ... وهكذا فعلت لجنة الانتداب كما فعل البرلمـــان الانكليزي فـلم تقيد نفسها بشيء وتركت الامر الى مجلس العصبة ، وبعبارة اخرى ظل مشروع التقسيم معلقاً .

موقف الحكومة العراقية وممثلها في جنيف

●

وقد كان للعراق موقف باهر امام لجنة الانتدابات ، حيث ارسلت الحكومة برقيتين للجنة أكدت فيهما مصلحة العراق الحيوية في الاهتمام لمسألة فلسطين لما يربطها بها من روابط عديدة فضلا عن صلتها بمصالحها الاقتصادية والدفاعية ، وكررت احتجاجها بلهجة حاسمة على التقسيم وقالت ان العراق الذي يعد نفسه مسؤولا نحو الشعب العربي الفلسطيني لا يمكنه ان يقف بدون اكتراث إزاء اي حيف وجـور يحل به وان مشروع التقسيم ظلم صارخ لاهل فلسطين العرب الذين هم اصحابهـــا وسكانها منذ اكثر من عشرة قرون وانه في الوقت نفسه لا ينطبق على ميثاق العصبة ولا على روح الانتداب اللذين يعترفان بوحدة البلاد العربية وسلامة حدودها وان التقسيم لا يمكن ان يكون حلا صحيحا . وقبول اليهود بان يكونوا اقلية دائمة هو الذي يمكن ان يؤدي الى استقرار السلام وان تصريح بلفور قد نفذ بروحه ونصه

فلم تعد الهجرة اليهودية شرطاً اساسياً لانشاء المؤسسات اليهودية في فلسطين ...
وقد القى توفيق السويدي مندوب العراق خطاباً قوياً ومستفيضاً أكد فيه ما جاء في برقيات حكومته ، وقال فيما قال انه لا يمكن امربي ان يوافق على التقسيم لما ينطوي عليه من الأخطار للامة العربية جميعها ، مما كان له اثر عظيم في نفوس عرب فلسطين حيث اشعرهم بالاعتزاز والكرامة كما كان له وقع سيء على اليهود وخاصة من ناحية الاشارة الى ان اهتمام العراق متصل ايضاً بمصلحة الدفاع العراقية .

وقد صرح رئيس لجنة الانتدابات تأثراً بموقف العراق قائلا : ان للرأي العام العربي اهمية عظيمة في معالجة قضية فلسطين وان الحكومة الانكليزية التي لم تبد أي اعتراض على توسط ملوك العرب في وقف الاضراب والثورة لا يحق لها ان تحتج على تدخل العراق أو مصر في مشكلة اخوانهم . وتساءل عما إذا كانت بريطانيا تستطيع الوقوف في وجه التيار العربي الجارف الذي يطالب باستقلال فلسطين ..

حول اتهام الانكليز العرب بالعناد والتصلب في جنيف

●

ومما اثير في لجنة الانتدابات تقصير الحكومة الانكليزية في ايجاد تفاهم بين العرب واليهود ينبثق عنه حل يرضون به ويقوم على روح الميثاق والانتداب؛ وقد أجاب الوفد الانكليزي ان حكومته بذلت كل جهودها فلم تصل الى نتيجة بسبب عناد العرب وتصلبهم . وكان في جنيف وفد عربي قوامه الأمير عادل ارسلان وعوني عبد الهادي وجمال الحسيني وعزة طنوس فأرسل بياناً الى لجنة الانتدابات كذب فيه اقوال الوفد الانكليزي وتحداه لاثبات عرض اي حل معقول على العرب ، واكد كل التأكيد بأن الحكومة الانكليزية لو بذلت جهداً صادقاً وعرضت على العرب اقتراحاً معقولا لما صادف رفضاً من جانبهم ولوقى البلاد شر الخراب والدماء ؛ وانه إذا كان بعض اليهود يظلون من آن لآخر يبدون رغبتهم في الوصول إلى تفاهم مع العرب فان هذه الرغبة كانت دائماً مصحوبة باقتراحات وشروط يتعذر على العرب قبولها إلا إذا تخلوا عن حقوقهم الوطنية بالمرة ، وان اسطع البراهين على ذلك القرارات المتخذة في كل مؤتمر عقده الصهيونيون حيث كانوا يؤكدون مطامعهم السياسية في السيطرة على فلسطين سياسياً وعسكرياً وانه

إذا كان للشرف اعتبار فانه يقضي على اليهود والانكليز معاً ان يعترفوا بهذه الحقيقة، وحتى ان ما يصدر عن بعض اليهود المعتدلين لم يحتو أي دليل على تزحزحهم قيد انملة عن مطامعهم وقصارى ما كانوا يقدمونه كان يقوم على طلب اعتراف العرب بتصريح بلفور وحرية الهجرة الى فلسطين والمساواة التامة في الحقوق والمركز بين العرب واليهود على تفاوت النسبة العددية بينهم مما لا يسع اكثر الناس اعتدالا من العرب قبوله . ودعوى الوفد الانكليزي التي فندها الوفد العربي من ناحية عامة بالغة في القحة من ناحية اخرى إذ تجاهل مواقف العرب الايجابية منذ سنة ١٩٢٦ على الأقل الى سنة ١٩٣٥ واظهارهم الاستعداد للترحيب بأي خطوة نحو تحسين الحال وارتياحهم للكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠ مع انه ليس فيه إلا وعود ثانوية واستعدادهم للتعاون فيها ، وترحيبهم بالمجلس التشريعي عام ١٩٣٦ بسبيل ذلك. ولكن هذه الحكومة كانت تعد وتقول للتخدير الموقت حتى إذا مرت الأزمة التي اضطرتها إلى القول والوعد أو خفت حدتها نكصت على عقبيها غير مبالية بعار النكث والكذب والإخلاف واستمرت في السياسه التي ترسمتها .

حول اثارة الاموال الاجنبية في الثورة الفلسطينية في جنيف

●

كذلك مما أثير امام لجنة الانتدابات مسألة الأموال الأجنبية واثرها في اضراب العرب وثورتهم . وقد اعيد وابدىء كثيراً في هذا الموضوع حتى تجهم جو اللجنة وقتاً ما ضد العرب . وكانت اصابع اليهود بارزة في إثارتها ولم يصعب عليهم ان يجدوا انصاراً سخفاء ولؤماء لاثارتها دون ان يدركوا ان إضراب فلسطين وثورتها كلفت أهلها ثلاثة ملايين جنيه على الأقل بينما كان الرقم المزعوم خمسين الفاً . والتهمة متصلة بما قيل ان بعض زعماء سوريا في اوروبا تلقوا بعض المال من الطليان للاستعانة به على الحركات الوطنية في مختلف انحاء بلاد الشام . ومما قالته المندوبة الضالعة مع اليهود والتي اثارت المسألة كيف يمكن لشعب فقير ان يقوم باضراب طويل وحركات حربية ضد انكلترة دون ان يعتمد على اموال اجنبية ، وان الذي تريد ان تعرفه هو الدور الذي لعبته الاموال الأجنبية خلال السنتين اللتين سبقتا الاضطرابات حتى يمكن الحكم على ما إذا كانت هذه الاضطرابات نتيجة لدعاية وأموال أجنبية ام انفجار وطني ، وان سر المأساة الفلسطينية هو في معرفة هذه الحقيقة ، ونسيت هذه

المندوبة ان فلسطين منذ سنة ١٩١٧ وهي تقاوم السياسة الانكليزية الصهيونية بالاحتجاج والاستنكار والثورات .

ومع ان الوفد الانكليزي قرر حقيقة الواقع وهي ان الاضطرابات اعتمدت على الأموال المجموعة من فلسطين وذكر ان اعانات كبيرة وردت الى فلسطين من البلاد العربية فانه لم يقل كلمة حاسمة في التهمة وا كتفى بالقول ان الالسنة لاكتها كثيراً ولكن من المتعذر التحقيق فيها للوصول الى نتيجة صحيحة [1] . وقد كتبت اللجنة العربية العليا إلى لجنة الانتدابات تستنكر هذه التهمة التي يثيرها خصوم العرب وتعلن احتقارها لها وتتحدى الخصوم وغير الخصوم معاً في اثبات أي شيء من ذلك بكل وسيلة تستطيع . وقد لفتت اللجنة نظر لجنة الانتدابات الى ما في التهمة من تشويه لقدسية حركة عرب فلسطين الوطنية وما تحملوه في سبيلها من جسيم التضحيات وما بدا منهم في سبيل ذلك من روح قومية وصبر وجلـــد لم يسجل التاريخ له مثيلا ، والى اتصال ذلك بعشرات السنين التي قبلها مرت بالكفاح الدائم ضد الظلم والعدوان الصارخين اللذين يراد انزالها بالعرب واللذين هما الباعث الصادق على حركتهم الأخيرة . وقد كان لهذه البرقية أثر حاسم في اللجنة ردت اكثر اعضائها الى الصواب حينما اطلع الأعضاء عليها . وقد قال الرئيس انها تقرر ان الحركة الوطنية العربية بريئة من كل ارتباط بالأموال الأجنبيـــة وان هذا التصريح متفق مع تصريح مندوب الحكومة الانكليزية بان هذه الحركة قد قام بها العرب من تلقاء انفسهم وبدافع الخوف من الخطر والروح القوميـــة المتقدة ، وانه لذلك يرجو من زملائه ان يحذفوا من موضوعات البحث والنقاش

---

(١) من جملة ما كان مما يتصل بهذا الامر وقد يعد من مقدماته ووسائله من ناحية ما حادثة كتاب الأمير شكيب أرسلان المزور . فقد نشرت جريدة الجامعة الاسلامية عام ١٩٣٤ صورة فوتوغرافية للكتاب بخط مماثل لخط الامير موجهاً الى الحاج امين الحسيني ذكر فيه جهود الوفد السوري وبعض الشؤون التي يشم منها صلاته بالطليان ومساعدتهم له . وقد اثيرت ضجة شديدة ودعاية واسعة حول هذا الكتاب تولى كبرها فخري النشاشيبي وثبت فيما بعد ان الكتاب مزور بقلم شخص مقدسي . ولم يستبعد الناس ان تزوير الكتاب والضجة التي اثيرت حوله من تشجيع الانكليز او اليهود او الفريقين معاً بشكل ما يقصد اتهام الحركة الوطنية الجديدة التي بدأت بمظاهرات عام ١٩٣٣ وبقصد تسويء سمعة الحاج امين والعناصر الوطنية بل ان هذا كان في نظر كثيرين من المخلصين والمراقبين كاليقين .

مسألة تدخل المال الاجنبي في فلسطين وان يعدوا هذه المسألة منتهية وخارجة عن دائرة مناقشات اللجنة ، فقابل الاعضاء كلام الرئيس بالسكوت والموافقة .

حول ما كان في المؤتمر اليهودي في زوريخ

●

وفي اثناء انعقاد لجنة الانتدابات عقد اليهود مؤتمرهم في زوريخ وكان من اهم مؤتمراتهم لأن عليه ان يضع برنامج المرحلة الجديدة التي وصلت اليها حركتهم والتي فيها تحقيق حلمهم ؛ ومن اول يوم بدا المؤتمرون ثلاث فرق: فرقة متوسطة يرأسها وايزمان واخرى متشددة يرأسها أوسيشكن الذي اختير لرئاسة المؤتمر. وقد القى الاول خطاباً دعا فيه الى التزام الحكمة وعدم التسرع في رفض التقسيم الذي فيه تحقيق حلم الصهيونية العظيم . اما الثاني فقد اعلن رفض التقسيم رفضاً باتاً لأنه لا يحقق آمال اليهود في جميع وطنهم التاريخي وقد حمل وايزمن على هربرت صموئيل لمعارضته للتقسيم واقتراحه تحديد الهجرة لأن اليهود لا يمكنهم في حال ان يرضوا بالبقاء اقلية في فلسطين وتحت سيطرة الاكثرية العربية . وقال فيما قال ان المفتي والقاوقجي لا يمثلان جميع العرب وانه يمد يده الى الامة العربية ذات التقاليد المجيدة وإذا هي مدت يدها فلا يستطيع المفتي ولا القاوقجي ان يمنعا السلام بين العرب واليهود وانه كما يعترف بأماني العرب الوطنية الاستقلالية فانــه يترتب عليهم الاعتراف بحق اليهود في العودة الى فلسطين كوطن قومي لهم وانهم إذا اعترفوا بذلك وجدنا اللغة التي نتفاهم بها معهم ونحن على تمام الاهبة لمفاوضة زعمائهم على هذا الأساس ، وان التقسيم في شكله المعروض غير مقبول وانما يصبح صالحاً إذا وسع بحيث يستوعب مليون يهودي . وانضم بن غوريون رئيس منظمة العمال الى وايزمن من حيث قبول التقسيم وفائدته على شرط توسيع الحدود. وصار الرجحان واضحاً لفريق وايزمن واصبح فريق اوسيشكن والمتطرفين مرجوحين. أما الفريق الثالث فقد كان يقوده الدكتور ماغنيس ويندمج فيه بعض يهود امريكا غير الصهيونيين ، وكان يرى في الدولة اليهودية خطراً على يهود فلسطين والعالم ويدعو إلى حل آخر يقوم على التفاهم مع العرب والمشاركة معهم في الحكم على اساس المساواة العددية والسياسية . وقد كان هذا الفريق اقلية ضئيلة بالنسبة للفريقين الآخرين . ومع ان المتطرفين كانوا اقلية تجاه فريق وايزمن فقد كانوا أقوياء عنيفين حتى صار اليهود يتشاءمون من الانقسام ، وقد اقسم رئيسهم امــام المؤتمر ان يقاوم بكل قواه

فكرة السماح للجنة الصهيونية الجديدة بمفاوضة الحكومة الانكليزية على تقسيم فلسطين وانه لن يتنازل عن شبر واحد من الاراضي التي هي ملك اليهود بشهادة التاريخ ! وخطب زعيم الحزب المزراحي وهو من المتطرفين خطبة عنيفة ضد التقسيم ومما قاله : اننا لا نستطيع التخلي عن أي جزء من فلسطين لان ذلك يقضي على آمال الشعب المضطهد والمهدد بالطرد في كل مكان ، وناشد اليهود بأن يستعدوا للكفاح ولم يكن جابوتنسكي في المؤتمر ، ولكنه نشط نشاطاً كبيراً في زوريخ حتى قوي الحزب المتطرف في المؤتمر وكان يخطب في آلاف اليهود ويحمل على مشروع التقسيم ويصم بالخيانة كل من يقبله ويقول ان القوة وحدها هي التي تحل القضية الفلسطينية وان على اليهود ان ينشئوا هذه القوة فوراً ويستولوا بها على فلسطين وشرق الاردن ويقيموا فيها مملكتهم ، ولقد اشتد النضال بين الفريقين حتى تبادلا العبارات القارصة ، وكان في بعضها طرافة حيث اطلق وايزمن على اوسيشكن لقب المفتي فما كان من هذا إلا ان اطلق على وايزمن اقب الامير ثم بذلت المساعي للتوفيق وانتهى المؤتمر الى قرار وسط في التقسيم وهو رفض المشروع المعروض وتخويل اللجنة التنفيذية المفاوضة في توسيعه وعرض النتيجة على مؤتمر خاص وقد سجل المؤتمر فيما سجل من قرارات اعتراف اللجنة الملكية بأن اولى غايات الانتداب المساعدة على إنشاء الوطن القومي اليهودي وبأن وعد بلفور لا يمنع من ضم جميع الاماكن التي لها علاقة تاريخية باليهود بما فيها شرق الاردن الى هذا الوطن القومي، بما ينطوي فيه مقدار ما ذهبت اليه هذه اللجنة من محاباة ومجاراة لمطامع اليهود استناداً على ما قيدت الحكومة الانكليزية نفسها به منذ الاصل . واستنكر في أحد قراراته ادعاء اللجنة عدم التوافق بين الاماني الوطنية للشعب اليهودي والشعب العربي وقال ان الصعوبة الكبرى التي تقوم في سبيل ذلك هي الارتياب من المقاصد النهائية للحكومة المنتدبة وما سارت عليه من خطة التردد والتذبذب ، وان المؤتمر يؤكد تصريحات المؤتمرات السابقة في رغبة الشعب اليهودي في الوصول الى اتفاق سلمي مع العرب يقوم على أساس حرية النمو والتقدم للعنصرين والاعتراف المتبادل بحقوقها . ومما يجدر تسجيله ان وايزمان زار جنيف واجتمع بوزير المستعمرات وقال له إذا لم يدخل في حدود الدولة اليهودية القسم اليهودي من مدينة القدس وقسم كبير من أراضي بيسان وقسم كبير آخر من النقب فان من المتعذر

أن يوافق المؤتمر القادم على مشروع التقسيم .

ويلاحظ بصورة واضحة ان ما دار في المؤتمر حول التفاهم والاتفاق مع العرب كان بمثابة اللغو والزخرف الخداع ؛ وأتى مصدقاً لما ظل العرب يقولونه وهو ان اليهود الذين يسمون أنفسهم بمعتدلين إذ يعرضون على العرب التفاهم ويعلنون مد اليد اليهم انما يفعلون ذلك من قبيل الدعايه الزائفة التي يقصد بها التضليل وكسب الوقت وضمن نطاق وشروط لا يتزحزحون عنها قيد انملة وهي اعتراف العرب بالوطن القومي اليهودي وحرية الهجرة اليهودية دون قيد وشرط ، ومقابل ذلك يرضى اليهود بالمساواة السياسية في الحقوق السياسية ولو صاروا أكثرية ! . ومنهم من يرضى بان يكون مساواة عددية بين العرب واليهود وهم فريق الدكتور مغنس ... ولقد جاء قرار المؤتمر الذي ضم جميع الفرقاء بتسجيل اعتراف اللجنة الملكية بعدم امتناع شمول الوطن القومي اليهودي جميع الاراضي المتصلة بتاريخ اليهود بما فيها شرق الاردن حاسماً بشأن مطامعهم وما يكررونه من هذه الالفاظ الجوفاء التي لا تخدع ابله الناس !

ولقد انتقل النضال بين من يسمون معتدلين ومتطرفين إلى مجلس الوكالة بعد المؤتمر . وقد طالب مغنس ورفقاؤه بانشاء لجنة من الصهيونيين وغير الصهيونيين لمفاوضة العرب والانكليز والاميركان وعصبة الامم ووضع سياسة تؤدي إلى انشاء مملكة مشتركة في فلسطين والاستغناء بها عن التقسيم . وقال واربورغ أحد زعماء اليهود غير الصهيونيين باسم اربعة واربعين مندوباً غير صهيوني انمجلس الوكالة إذا لم يرفض مبدأ التقسيم فان الاميركيين غير الصهيونيين يتركون الوكالة وقال وايزمن ان العرب لا يمكن ان يوافقوا على سياسة تفاهمية إلا على اساس بقاء اليهود اقلية دائمة ؛ وانه ليس في الامكان العمل المشترك بين الصهيونيين وغير الصهيونيين إذا اراد هؤلاء قبول ذلك الاساس ، ثم عرض على المجلس قرار المؤتمر بقبول التقسيم بشرط توسيعه لنيل الاكثرية . وحينئذ انسحب مغنس وعشرة آخرون من الجلسة .

وقد خشي الصهيونيون من سريان المقاطعة الى جميع غير الصهيونيين وكثير منهم اميركيون ، وحرمان الحركة الصهيونية من مورد مالي غزير فرأوا أن يترضوهم فوافقوا على قرار بتأييد التصريحات السابقة بالتفاهم مع العرب لبقاء فلسطين موحدة

على أساس وعد بلفور والانتداب ، فهدأ هذا القرار ــ على عدم جده وتناقضه مع قرار الموافقة على التقسيم ــ التوتر وأدى إلى بقاء جماعة كبيرة من غير الصهيونيين في مجلس الوكالة وتأليف اللجنة التنفيذية من سبعة من الصهيونيين وخمسة من غير الصهيونيين .

ونستطرد إلى القول ان غير الصهيونيين الذين كانوا يعارضون قيام دولة يهودية في فلسطين ويطالبون ببقائها موحدة على أساس حكم ثنائي عربي يهودي انما كانوا يفعلون هذا لسبب ما كانوا يلمحونه من خطر قيام دولة يهودية مستقلة على يهود العالم ، حيث يزيد هذا في نزعة عدم اخلاص اليهود للأمم والدول التي هم فيها وعدم إندماجهم معها مما قد يثير حنق العالم على اليهود وكرههم واضطهادهم لهم ، ويكون سبباً جديداً لاشتداد ضغط الامم والدول عليهم وحملهم على الرحيل عنها الى دولتهم ووطنهم .

الحملة على المفتي والمتطرفين في الصحف اليهودية والانكليزية ومداها

●

وبعد نشر تقرير اللجنة الملكية باسبوعين ــ وكان قد قوبل بتلك المقابلة الاستنكارية الاجماعية في فلسطين وسائر البلاد العربية والاسلامية بدأت التيمس حملتها على المفتي قائلة إنه العقبة الكؤود في سبيل كل تفاهم وحل ، وإنه لولا الخوف منه لظهر كثير من المعتدلين الذين يمكن التفاهم معهم وطلب من الحكومة عدم تركه وشأنه ، وأخذت تحرض عليه وعلى الفريق المتصلب العنيد معه ، وتطالب عزله ، وتابعها في حملتها الصحف اليهودية وبعض الصحف الانكليزية . وقد اغتنم بعض يهود فلسطين هذه الحملات فأخذوا يتصلون ببعض رجال فلسطين ولا سيما الذين يعرف عنهم الاعتدال او مناوأة المفتي ، وينعون على زعماء العرب صلابتهم وعدم مرونتهم ، ويبدون استعدادهم للتفاهم على حل مناسب حتى أثر هذا في اولئك الرجال بالرغم مما كان يتردد من اصداء قرار مؤتمر زوريخ الصريحة الحاسمة عن مطامع اليهود وعنجهيتهم وشروطهم فصاروا يقولون ان السلبية قد اضرت بنا أبلغ الضرر ، ناسين المواقف الايجابية العديدة التي وقفها الوطنيون بسبيل الوصول الى شيء ما ، وكتبت جريدة فلسطين مقالا دعت العرب فيه الى التقدم بحل جديد

للقضيه لأن ما جاء في المذكرات شيء عام ومعتاد ، وقال إنه قد حان للزعماء أن ينهجوا منهجاً جديداً في السياسة يصلح للأخذ والرد مع معرفة هذه الجريدة اكثر من غيرها مطامع اليهود وقصارى ما يمكن أن يذهب اليه معتدلوهم . ولقد عقدت بعض الاجتماعات مع المفتي وغيره تأثراً بهذا التوجيه وجرى الحديث فيما يمكن عمله في هذا الباب لتفادي كارثة التقسيم، ولدى التمحيص ظهر ان بعض اليهود الذين اتصلوا ببعض العرب لا يمثلون قوة ما وان البعض الآخر يرون اعتراف العرب بالوطن القومي ورضاهم عن استمرار الهجرة يجب أن يكونا من اسس المفاوضات . وهكذا ظهر أن اليهود سواء جميعهم ، وان اتصالات من اتصل منهم بالعرب كانت بقصد إيقاع البلبلة في صفوف العرب أو أخذ موافقتهم على الوطن القومي وحرية الهجرة .

بوادر العنف الانكليزي ضد اللجنة والمتطرفين واثرها في تحريك العرب

ولم تكن حملة التايمس والصحف الأخرى على المفتي وما يسمونه بالمتطرفين ومطالبتها بتخلية الجو للمعتدلين عبثاً . ففي اليوم التالي لنشر التايمس مقالها الاول أي في ١٧ تموز ١٩٣٧ وبينما كان المفتي وبعض اعضاء اللجنة العليا وبعض الوطنيين في دار اللجنة جاءت قوة كبيرة من البوليس الانكليز بقيادة ضابطين ، وأحدقت بالدار ، ودخل الضابطان ومعهما بعض الانفار فقطعا الاتصال الهاتفي وأخذا بتحري الموجودين وتفتيش الغرف كأنما يبحثون عن أشخاص معينين ، حتى فعلوا ذلك في الطابق العلوي الذي يكنه صاحب الدار ، وسألوا عن المفتي الذي غاب عن الانظار ، ثم اعتقلوا صبحي الخضراء واخذوه معهم وانصرفوا ، وقد لمس الحاضرون ان المفتي كان المقصود فلما لم يجدوه اعتقلوا صبحي الذي هو من الفريق المتطرف ولقد شعر المفتي على ما فهم بعد بحركة التطويق فخرج من باب خلفي واستقل سيارة غير سيارته وذهب الى الحرم ، ولم يلاحق البوليس المسألة فوقفت عند هذا الحد، غير أنه اقيم منذئذ حرس انكليزي على جميع ابواب المدينة وكان حرس الباب المعروف بباب الاسباط والذي هو قرب الحرم والمدخل للسيارات يتحرى الداخلين والخارجين وخاصة المعممين مما دل على ان السلطة ما زالت تضمر نية اعتقال المفتي وان كل ما في الامر انها لا تريد أن تقتحم عليه الحرم وتود اعتقاله خارجه . وقد

بقي المفتي معتصماً بالحرم بعد ذلك نحو شهرين ونيف الى ان خرج من فلسطين .

وقد كان لهذه الحركة رد فعل شديد في فلسطين ، ولا سيما انها جاءت عقب نشر تقرير اللجنة الملكية واعلان الحكومة الانكليزية تبنيها التقسيم ، وانطوى فيها قصد التضييق على الزعماء الاقوياء وتنفيذ التقسيم بالقوة وتخلية الجو للمعتدلين للبروز للميدان ومسايرة الانكليز فيما يقصدونه ، وبعبارة اخرى انها كانت إمارة من إمارات الغدر الانكليزي بعد أن انتعشت آمال العرب بما كان من انتصارهم في اضرابهم وثورتهم وتدخل الملوك تدخلا خرجت به قضيتهم من نطاقها المحلي الضيق ، فأخذت أصوات الاستنكار ترتفع والنفوس تضطرب والافكار تتجه الى استئناف الجهاد الذي كان توقفه بمثابة هدنة موقوتة ، وأخذ جو فلسطين يتجهم ويربدّ وأعصاب اهلها تتوتر ، وازداد ذلك بما صدر في مؤتمر زوريخ من تصريحات خطيرة وانكشف من مطامع يهودية رهيبة وبما كان من اصرار الانكليز على خطة التقسيم في جنيف .

ولقد كانت تقع حوادث دموية منذ وقف الاضراب والثورة بحيث لم يكن يمر اسبوع بدون حادث كأثر من آثار الثورة وما تركته في النفوس من تحفز وعدم طمأنينة ، فاستمرت بعد حادث العدوان على دار اللجنة العربية الذي أحدث ذلك الاستياء الشديد بل زادها هذا الحادث شدة حتى لم تعد نشرة البوليس اليومية تخلو من حادث دموي ما ، وقد أخذ العرب واليهود في أواخر شهر آب يتبادلون النار جهرة بحيث بلغ عدد القتلى والجرحى من الطرفين خلال الاسبوعين الأخيرين منه نحو عشرين ، وكان اليهود يشتدون في المقابلة غيلة ، بحيث كان عدد قتلى وجرحى العرب ضعف قتلاهم وجرحاهم ، وعادت السلطات إلى حركة الاعتقال والمطاردة والقمع حتى بلغ عدد المعتقلين في معتقل المزرعة قرب عكا نحو اربعمئة من مختلف الفئات بسبب الحوادث المتوالية التي لم تستطع السلطات كشف فاعليها فكانت تعمد الى المشتبه فيهم فتعتقلهم بقانون الطوارىء مدة ثم تطلق سراجهم او سراح بعضهم وتعتقل غيرهم وهلم جرا .. وكانت تشتد مع العرب اكثر فزاد كل ذلك الجو توتراً وتجهماً حتى أخذت الحالة تنذر بالعاصفة مما كان يلفت نظر المراقبين حتى أخذ بعض المراسلين الأجانب يكتبون ان العرب يستعدون للثورة وان قوادهم يتجمعون في الشام .



من مشاهد مؤتمر بلودان



ناجي السويدي



نبيه العظمه

وفي هذا الظرف عين الجنرال ويفل الذي غدا هو الآخر مـــن مشاهير قواد الانكليز قائداً للقوات الانكليزية في فلسطين وأخذمنذ قدومه يطوف البلاد ويدرس مواقع الثورة السابقة المهمة فكان هذا كله ارهاصاً بالانفجار القريب .

مؤتمر بلودان وقراراته واثره

●

ولقد طلبت اللجنة العربية إذناً من السلطات بعقد مؤتمر عربي عام يقول كلمة العرب جهرة ومجتمعة كما فعل اليهود فأبته عليها بحجة خوف التهييج فاتفقت مع لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية على عقد هذا المؤتمر في بلودان ـ سورية وأرسلت الدعوات الى مختلف الهيئات والشخصيات العربية ، وقد توافدت الوفود من مصر والعراق ولبنان وسورية وشرق الاردن وفلسطين حتى بلغ عدد الوافدين اربعمئة وخمسين وجميعهم من المعروفين ، وبذل نبيه العظمة رئيس لجنة الدفاع نشاطاً عظيما حتى كان المؤتمر رائعاً بمظهره وسيره، وافتتح في ٨ ايلول ١٩٣٧ واختير لرئاسته ناجي السويدي احد رؤساء العراق فجاء الاختيار متناسباً مع الموقف القوي الذي وقفه العراق حكومة وشعباً من قضية فلسطين كما اختير لنيابة الرئاسة محمد علي علوبه والامير شكيب أوسلان والمطران حريكه ولامانـــة السر العام عزة دروزه ، وكانت خطابات الافتتاح براعة إستهلال موفقة ، فرئيس لجنة الدفاع عن سورية يقول : « ان فلسطين للعرب جميعهم وليست لاهلها فقط وهي صلة الوصل بين العرب في آسية وافريقية وليس على أهل فلسطين ان ينفردوا بالدفاع عنها او تقرير مصيرها واذا انقطعت او انقطع جزء منها انفرط عقد العرب وباؤوا بالهوان فلا يعقل ان يسلم العرب لأي شعب من الشعوب بالاستيلاء عليها او على جزء منها وعليهم جميعاً ان يكونوا صفاً واحداً في مقاومة نشوء دولة يهودية وتنفيذ فكرة التقسيم وعليهم بذل كل جهد والتوسل بكل وسيلة لدرء الخطر المحدق بالعرب اجمعين . » ورئيس المؤتمر يقول : « اننا لم نجتمع للاتيان بالحجج والبراهين ففيما قدمناه الى الآن ما يفي بذلك ولكن شيئاً واحداً يجب ان نعيره اهتمامنا ونضعه نصب اعيننا وهو ان السياسة الدولية لا تعنى الا بالماديات ولا تحترم الا القوة وانه ليس في وسع اى امة ان تصل الى حقها اذا لم يكن مؤيداً بالقوة ، وان ما ظهر من الامة العربية مـــن

حيوية كفيل باحباط ما يراد تنفيذه في فلسطين من مؤامرات وان من واجبها ان تستأصل هذا الخراج الموجود في جزء من الجسم العــربي وإلا فانه سيهـــددنا بالاستئصال وان مصالحنا في الماضي جعلتنا مرتبطين ببريطانية غير أن الوقت قد حان لنفهم العالم عامة والشعب البريطاني خاصة إننا قد وصلنا مع الامبراطوريــة البريطانية إلى مفترق الطرق وان على هذه أن تختار إما نحن واما اليهود لأن الجمع بين الاثنين مستحيل ، وإذا اختارتنا فعليها أن تعدل عن هذه المؤامرة السياسيــة في فلسطين . . » ومحمد علي علاوبة يقول : « انالامةالعربيةإذا وجب عليها الدفاع عن فلسطين فأولى أقطارها بهذا الواجب مصرالتي يجب أن تكون حكومة وشعباً صفاً واحداً في حماية فلسطين وان وجود شعب غريب عنا في هذهالبقعة منبلادنا يعتبر « غرغرينا » في جسم وطننا العربي الكبير يجب ان تزال بحيث تبقى فلسطين بيد العرب أبد الآبدين وان على الذين ينظرون إلى الأمام أن يفكروا في ان امــة طامعة جديدة ستجاورهم في لبنان وسورية والعراق ومصروالجـــزيرة العربيــة وسيكون عددها سبعة عشر مليوناً لا مليوناً واحداً بعددهم وأسلحتهم وأموالهــم وسط هذه الامة الناشئة واني كمصري أقول ان وجود أمة غريبة في فلسطين يهدد كيان مصر الخاص كما يهدد كيان العرب أجمعين » ، واللجنة العربية العليا تقــول في كلمتها التي القاها عزة دروزة : ان العروبة والاسلام يواجهان في فلسطــين اليهودية العالمية وان قضية فلسطين هي قضية العالمين العربي والاسلامي وانه أصبح من الواجب على كل عربي ومسلم ان يضطلع بنصيب من أعبائها وان القضيــة لا يعوزها من جانب العرب منطق ولا مستندات وإنما يعوزها العدل والانصاف فاذا لم ينلها العرب فعليهم أن يقاوموا الظلم والباطل بكل ما اوتوا من قوة ، ولقــد وصلوا إلى مفترق الطرق فاما إستعمار وتهويد وتمزيق واما نجاة وكرامة واستقلال وان اهل فلسطين قد قاموا بشيء من نصيبهم وعلى سائر العرب والمسلمــين ان يؤازروهم بكل ما يستطيعون من قوة . . » والدكتور عبد الحميد سعيد يقــول : « إن ما يرمي الانكليز اليه هو أن تصبح الدولة اليهوديةمركزاً إستعمارياً يهددكيان البلاد العربية والاسلامية ليظلوا مسيطرين عليها ، وقدفضحهمالله برغمما حاولوا أن يخفوه من هذه الغاية ، وان على العرب ان يشعروا اعداءهمان وقت القول قد انقضىوان العرب والمسلمين جادون وانهم بعد هذا اليوم لن يناموا علىالضيموالا

حق عليهم قول القوي العزيز « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا عن الآخرة فما متاع الحياة الدنيا عن الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير .. » والمطران حريكة يحمل حملة نكراء على الدول المسيحية وخاصة على انكلترة التي تدعو اللصوق بها اكثر من غيرها حيث ترضى بأن تسلم مهد المسيح لأعدائه ويقول : ان من الكذب الفاضح على الحقيقة والتاريخ ان تكون الحروب الصليبية حروباً جهادية في سبيل المسيحية واماكنها المقدسة وإنما هي حروب استعمارية ، وان العرب مسلميهم ومسيحييهم سواء امام هذه المؤامرة الاستعمارية التي تحيكها دولة مسيحية اشتركت في تلك الحروب وان عليهم ان يتضامنوا ويقفوا صفاً واحداً في دفع الكارثة وحماية هذه البقعة المباركة .

وقد اتخذ المؤتمر قرارات عديدة منها : ان فلسطين جزء لا ينفصل عن الوطن العربي وان العرب يرفضون تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيهاويقاومون ذلك بكل قواهم وانهم يصرون على طلب إلغاء الانتداب ووعد بلفور وسيادة الشعب العربي الفلسطيني في بلاده ووقف الهجرة وبيوع الأراضي العربية فوراً ، وإعلان بريطانية ان استمرار الصداقة بينها وبين الامة العربيةمتوقفعلىاستجابتهالذلك؛ وان إصرارها على سياستها الحاضرة يحمل العرب اجمعين على اتخاذ اتجاهات جديدة كما ان الائتلاف بين العرب واليهود لا يمكن ان يتم الا على هذهالاسسمع حفظ حقوقهم في الدولة وفقاً للمبادىء الدستورية العامة ... ثم توجتالقرارات بميثاق أقسم عليه المؤتمرون وقوفاً في مظاهرة حماسية رائعة وهذا نصه « يعاهد المؤتمرون أنفسهم أمام الله والتاريخ والامة العربية والشعوب الاسلامية أن يستمروا في الكفاح والنضال في سبيل فلسطين إلى أن يتم إنقاذها وتتحقق السيادة العربية عليها » .

ولقد تلقى المؤتمر سيلا من البرقيات التأييدية من مختلف أنحاء البلاد العربية بما فيها المغرب العربي حتى ليصح أن يقال إنه كان ممثلا للعرب أقوى تمثيل . وقد انفرط بنجاح باهر وكان له دوي في مختلف الأوساط الشرقية والغربية كما كان له تأثير قوي منعش في فلسطين بنوع خاص وهم في ما هم فيه من اضطراب وتوتر وتحفز .

●

وعقب مؤتمر بلودان بأيام اجتمع مجلس عصبة الامم ثم هيئة العصبة في جنيف وقد ألقى وزير الخارجية إيدن أمام المجلس خطاباً كرر فيه ان الحل الوحيد لقضية فلسطين هو التقسيم ، وطلب من المجلس التفويض في وضع الخطط لتفاصيل المشروع على أن ينال موافقة المجلس في النهاية ، فقرر المجلس الموافقة على الطلب على أن يظل محتفظاً لنفسه بوجهة نظره وبقراره في الموضوع احتفاظاً تاماً .

وفي اجتماع هيئة العصبة ألقى وزير خارجية مصر واصف غالي خطاباً قوياً مستفيضاً عن قضية فلسطين دافع فيه عن حقوق العرب وأكد اهتمام مصر الشديد لهذه القضية لما يربطها بفلسطين وأهلها من روابط الجوار والتاريخ واللغة والدين وبيّن الاجحاف الواقع من الاصرار على إنشاء دولة يهودية فيها وعدم انطباق ذلك على مبادىء الحق والعدل ، وقال إن من الظلم أن يتحمل العرب تبعة اضطهاد اوروبا لليهود وتعصبهم ضدهم وطالب بحل مشكلة فلسطين على أساس قيام دولة مستقلة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانية وحفظ حقوق اليهود الموجودين ،واستنكر إقامة دولة على أساس الدين من مختلف القوميات والأقطار ، ونقض بريطانية لما فتئت تصرح به من عدم قصدها إلى انشاء دولة يهودية في فلسطين . وقد تبعه توفيق السويدي وزير خارجية العراق بخطاب قوي أيضاً جاء فيه اننا مرتبطون ببريطانية بروابط عديدة ، ولكنا فيما يتعلق بفلسطين لن نتأخر عن استنكار سياستها وعن التوسل بكل وسيلة الى الدفاع عن حقوق اخواننا الذين يراد انزال الظلم والاجحاف فيهم بدون مبرر ، وتساءل عما إذا كان بين الامم الممثلة في العصبة أمة واحدة لا تتأثر بمثل المعاملة التي يعامل بها شعب فلسطين المهدد في بلاده وقال ان التقسيم مخالف لمبادىء العصبة وأن العراق يؤيد البيان الخطير الذي أدلى به مندوب مصر وان ما يربط العراق بفلسطين يجعله لا يسلم قط بأن تكون ضحية .

وقد كان لموقف مصر والعراق وخاصة مصر التي دخلت العصبة جديداً وقع عظيم في أوساط عصبة الأمم والبلاد العربية كما كان له أثر سيء جداً في الأوساط اليهودية . وقد خطب كثيرون في العصبة بين مؤيد لوجهة نظر العرب وقوة حقهم

وبين عاطف على اليهود ، وكان ممثلو الأفغان وايران والبانيا وايرلنـدة وفرنسة وممن خطب في جانب العرب ، وانتهت المناقشة الى قرار موافق في جملته أعرب فيه عن الأمل في حل مشكلة فلسطين حلا عادلا يقوم على اساس النظـر بعـين الاعتبار الى جميع المصالح المشروعة على اوسع وجه ممكن ، ولم يتعرض القـرار لنوع الحل ، وقد علق ديفاليرا ممثل ايرلندة على القرار طالبابالحاح من بريطانية وغيرها ممن يعود اليهم بحث المشكلة وضع الحل المنشود دون نظر الى ان مشروع التقسيم هو الحل الوحيد . ومع ان القرار عدّ فوزاً نوعيا للقضية العربية الا انه لم ينسخ قرار مجلس العصبة الذي خوّل بريطانية بأن تقوم بالدراسات الفنيـة وان تقدم مشروعاًكاملا مع الاحتفاظ بوجهة نظره وقراره . واخـذت الحكومـة الانكليزية تهيء اسباب تنفيذ ما اخذته على عاتقها من دراسات .

مقتل حاكم الجليل الانكليزي وهياج الانكليز

●

وفي تاريخ ٢٦|٢٧ ايلول ١٩٣٧ اطلقت النار على اندروز الحاكم الانكليزي للواء الجليل في الناصرة فلقي حتفه . وكان هذا ضابط الارتباط لدى اللجنة الملكية من طرف السلطات الفلسطينية وله خبرة واسعة في شؤون فلسطين ولم تكن نواياه حسنة نحو العرب . فاهتاجت السلطات اهتياجاًشديداًللحادث وقامت بحركة ارهاب واعتقال واسعة شملت عدداًكبيراً من قضاة الشرع وعلماء الدين ورجال اللجان القومية وشبابها البارزين في مختلف مناطق فلسطين حتى بلغ عدد المعتقلين في بضعة ايام نحو مئتين.

حل اللجنة العربية ونفي أعضائها

●

وقد استنكرت اللجنة العربية العليا الحـادث وفي نفس الوقت احتجت على حركة الارهاب والاعتقال الواسعة كما ان البلاد اخذت تقدم للسلطات احتجاجاتها واستنكاراتها على الحركة ، فما كان من هذه الا ان خطت خطوة ارهابية اخرى فأعلنت عدم شرعية اللجنة العربية العليا واللجان القومية وعزل المفتي من رئـاسة المجلس الاسلامي الأعلى ورئاسة الأوقاف ، واعتقلت كلا من احمد حلمي عبد الباقي والدكتورحسين الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب الغصين من اعضاء اللجنة العليا

ورشيد الحاج ابراهيم من زعماء الحركة الوطنية وساقتهم إلى بارجة راسيةفي حيفا حيث أبحرت بهم إلى سيشيل منفيين . وأصدرت بياناً قالت فيه انهؤلاء وغيرهم من المعتقلين خطر على الأمن العام وانهم يتحملون المسؤولية الأدبية لأعمال الارهاب التي وقعت في الأشهر الماضية وانها لم تعد تطيق صبراً على الحالة . وقد كان جميع أعضاء اللجنة العليا مرشحين للنفي على ما ظهر ؛ غير أنه لم يكن منهم في فلسطين إلا ألاربعة المعتقلون والمفتي وجمال الحسيني . وقد استطاع جمال أن يختفي ثم يفلت متنكراً إلى سورية بعد مدة . أما المفتي فقد ظل معتصما في الحرم فلم تجرأ السلطات على اقتحامه ولكنها شددت الحصار على أبواب المدينة ؛ وأصدرت قانوناً منعت بموجبه بقية أعضاء اللجنة الموجودين في الخارج من دخول فلسطين وهم عزة دروزة وكان في بغداد يعمل على تأليف لجنة دفاع فيها وفقاًلقرار مؤتمر بلودان وعوني عبد الهادي والفرد روك وعبد اللطيف صلاح وكانوا في اوروبا . والأولان كانا وفداً في جنيف . وواضح أن ما أقدمت عليه السلطات إنما كان وفق خطة مبيتة مرسومة وجزءاً من منهج محاربة ما يسمى المتطرفين مما كانت الصحف الانكليزية واليهودية ترهص به منذ صدور تقرير اللجنة الملكية على ما ذكرنا قبل .

اربداد الجو والدعوة إلى الجهاد

●

وقامت حركة احتجاج واسعة على ما وقع ؛ وأخذت تبدو على الجدران مناشير الاحتجاج والدعوة إلى الاضراب واستئناف الجهاد ، وأضربت المدن وقامت المظاهرات التي كان يقع فيها اشتباكات دموية ، واربد الجو وبدت فيه علائم الانفجار المتوقع من تقطيع الأسلاك والقاء القنابل والمتفجرات وتخريب السكة والطرق ونسف القطارات والجسور وتفجير أنابيب البترول واشعاله وإطلاق النار على الدوريات والجواسيس ، وأخذت ترد بعض الامدادات العسكرية من مصر على عجل ، وأعلن القائد العام ممارسته الحكم العسكري ، وأخذت القوى تترصد حدود فلسطين لمنع تسرب السلاح والمجاهدين كما أخذت تفتش عن الذين برزوا في الثورة السابقة من القواد المجاهدين المحليين ، وأخذ الذين نجوا من هؤلاء ومن الذين كانت لهم مواقف نافعة ومؤثرة في الثورة السابقة يختفون ويتطايرون إلى سوريا ولبنان والاردن بالطرق المتيسرة ومنهم من استقل الزوارق ومنهم من ركب الدواب حتى لا يحرموا حرية العمل في المرحلة الجهادية الجديدة التي



الزعماء المنفيون الى سيشيل

من اليمين يعقوب الغصين فرشيد الحاج ابراهيم فأحمد حلمي عبد الباقي، فالدكتور حسين الخالدي ففؤاد سابا .

هبت ريحها .

حصار المفتي في الحرم وافلاته الى لبنان

●

وقد كان لهذه الحركة وقع شديد في البلاد العربية ، فأخذت أصوات الاحتجاج ترتفع والاجتماعات تعقد والمظاهرات تقوم في العراق وسوريا ولبنان ومصر والاردن ، كما أخذت الحكومات العربية تتصل بالحكومة الانكليزية محتجة ومنذرة بالعواقب . ومنعت السلطات صحف فلسطين من نشر صورة المفتي وبياناته واحتجاجاته واسمه ، وأخذت تشدد في حصاره وتتحرى كل داخل إلى الحرم وخارج منه ووضعت يدها على المجلس الاسلامي ودوائر الأوقاف وأموال لجنة المنكوبين ، فرأى المفتي أن الخطر أخذ يقترب منه فدبر تدبيره واستطاع في الاسبوع الأول من تشرين الأول ١٩٣٧ أن يخرج من نطاق الحصار الشديد ويركب البحر في مركب شراعي ويصل إلى ساحل لبنان قرب صور ، حيث أعلن للسلطات الافرنسية التجاءه إلى لبنان فسمحت له بعد شيء من التردد بالاقامة في بيروت ثم في جونية تحت شيء من الرقابة ، ولم تحرمه حريته حرماناً تاماً ، وكان محلا للرعاية منها فضلا عما كان له من مجالي التكريم والحفاوة من رجالات لبنان وسوريا مسلمين وغير مسلمين ظلت إلى آخر أيام إقامته في لبنان، على اعتباره رمز فلسطين المجاهدة ، وكان المفتي قد اعد منشوراً وتركه في فلسطين فوزع وعلق على الجدران يوم وصوله إلى الساحل اللبناني . وقد دعا فيه الامة إلى الثبات والاستمرار في الكفاح ضد الظلم كما أنه أدلى بتصريح لمراسل جريدة إفرنسية في فلسطين نشر بعد وصوله إلى لبنان قال فيه : إننا لن نتوقف عن الجهاد حتى نفوز باستقلالنا التام وان على بريطانيا أن تحذر العالمين العربي والاسلامي اللذين هما قوة لا يستهان بها ولا تستطيع أن تهزأ بهما .

موقف حزب الدفاع والمعارضين من الطوارىء الجديدة

●

وقد أصدر حزب الدفاع بياناً استنكر فيه ما كان من اجراءات ووصفها بأنها « أكثر مما تقتضيه الحالة » وأعلن استعداده للقيام بالواجب الوطني بعد فراغ الميدان من اللاجنة العربية العليا واللجان القومية .

ولقد كان لانسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية في الشكل والظرف الذي وقع أولا ، وما كان من حملة الصحف الانكليزية واليهودية على المفتي والمتطرفين وترديدها وجرب تخلية الميدان منهم حتى يظهر المعتدلون ويملأوا الميدان ويصار إلى التفاهم معهم ثانية ، وعدم تناول الحملة الارهابية أحداً من الدفاعيين والمعارضين ومن في نطاقهم ثالثاً أثر تجهمي ملموس نحوهم من السواد الاعظم وأثر عطفي وتأييدي شديد للمفتي وأنصاره والوطنيين المتضامنين معه الذين كانوا موضوع الحملة والاضطهاد فكان هذا مما جعل الرأي العام لا يتلقى بيان حزب الدفاع تلقياً حسناً أو مجرداً عن الشوائب ، وجعل الحزب لا يقوم بعمل ما تقريباً في الميدان كما وعد .

ولقد كتبت جريدة فلسطين مقالا حاولت فيه تفنيد دعوى الاعتدال والتطرف ومزاعم الصحف الانكليزية بأن حزب النشاشيبي هم المعتدلون وان الذين اعتقلتهم وشردتهم السلطات هم المتطرفون ، وقالت انه لا يوجد في العرب في صدد مطالب الامة ومعارضة التقسيم اعتدال وتطرف ، ثم نشرت هذه الجريدة لبعض أركان الحزب تصريحات جاء فيها استنكار للتفريق بين العرب وجعل معتدلين ومتطرفين في قضيتهم ، وإشارة الى أن حزب الدفاع قد رفض التقسيم المرة بعد المرة وأيد مطالب الامة ، وتنبيه الى أن التجاء السلطات الى الاجراءات التي تزعم أن الحالة الحاضرة تبررها هو الذي جعلهم يجنحون الى السكون والسكوت، وأنهم مستعدون للتقدم متى اعيدت الحريات لاصحابها واطلقت الايدي للعمل ، فلم يكن لهذا وذاك تأثير في ازالة التجهم من نفوس السواد الاعظم الذي كان يرى موقف السكون والسكوت الذي جنحوا اليه غير سليم في وقت كانت البلاد تغلي فيه وتموج بالاضطراب والنار والقوة والارهاب والدماء .

ولقد نشرت جريدة فلسطين برقية من لندن جاء فيها « ان المذكرة التي قدمها حزب الدفاع احدثت دهشة كبيرة لان هذا الحزب كان يظهر استعداده للتفاهم وكان النشاشيبي في اوائل تشرين الاول يفاوض الحكومة لتأليف لجنة عربية تحل محل اللجنة التي حلتها » . ومع ان الحزب كذب الخبر فان الناس ظلوا في ريب من جد التكذيب وشموله وظلوا يعتقدون بصحة ما جاء في البرقية ، وان كل ما هنالك ان لا يكون ذلك بقرار رسمي من الحزب .

ولقد اذيع بيان يحمل اسماء الاعضاء اليهود والاعضاء العرب في بلدية القدس وهم حسن صدقي الدجاني وسعد الدين الخليلي واناسطاس حنانيا دعي فيه الى الهدوء ومعاضدة السلطات في حفظ الامن فأخذت الصحف الانكليزية تطبل بهذا البيان وترى فيه امارة من امارات التفاهم والوفاق بين اليهود والعرب المعتدلين كنتيجة لاخلاء الميدان من المتطرفين . ومع ان حسن صدقي نشر بياناً ندد فيه بتصرف وكيل رئيس البلدية اليهودي في نشره البيان باسم العرب واليهود معاً ووصفه بأنه تصرف غير صحيح وانكر توقيع الاعضاء العرب عليه وقال ان الجلسة لم تكن رسمية فان هذا البيان لم يخفف من وقع البيان الاول وما احتواه من مغزى بالنسبة للرأي العام الثائر ، ولا سيما انه لا يخلو من اعتراف ضمني بحقيقة الحادث ، ثم لا سيما ان بعض البارزين في مجال المعارضة كانوا يذيعون من آن لآخر بيانات في الصحف بمثل هذه الدعوة ويؤثر عنهم التثبيط عن الثورة والقول انها ثورة شخصية وحزبية .

وكان فخري النشاشيبي سكرتير حزب الدفاع ومدير مكتبه كثير النشاط في هذا المجال بما كان من دعايات وتصريحات ومراسلات واتصالات ونشريات صحفية ، ثم توج نشاطه بمذكرة قدمها للسلطات في خريف عام ١٩٣٨ اكد فيها ذلك القول بصراحة باسم حزب الدفاع وباسمه ، وكان الى هذا وذاك يقف من الثورة وجوها وسيرها مواقف التحدي والمناوأة .

فكان كل هذا مما جعل ذلك التجهم مستمراً ، وجر معه بعض الأحداث المؤسفة من عدوان على الاموال والانفس حينما اشتدت الثورة مما كا يعزى الى الحزازات الحزبية والشخصية والتي هي من وحي ذلك الجو وآثاره في ما نعتقد . ولا سيما انه لم يقع شيء مثل ذلك في مرحلة الثورة الاولى التي رافقت الاضراب وقد كان الذين اضطلعوا بتسييرها ومدها هم الذين اضطلعوا بالثورة الثانية ، لان الجميع كان مندمجاً في الاولى ولم يكن هذا التميُّز وهذا الجو وهذه المواقف وتلك التلقينات والتثبيطات والاختصاصات بالمطاردة والاضطهاد ؛ بل لقد امكن لبعض الدفاعيين والمعارضين بشيء من النشاط والتضحية والجرأة ان يبرزوا في تلك المرحلة ويشغلوا حيزاً فيها ويكون لهم الاسم وحسن الاحدوثة ويصبحوا ذوي كلمة مسموعة ومكانة مرموقة في مجال الزعامة الوطنية والنضالية دون أن يستطيع أحد ان يحول بينهم وبين العمل وما كان له من نتائج ..

ونرى من الواجب ان نقول إنّ فيما كان يقال بسبيل التثبيط من ان الثورة شخصية وحزبية وان المفتي وأنصاره أشعلوها إنتقاماً لأنفسهم ومراكزهم الملغاة مجانبة للحق والواقع ، وانكاراً للروح الوطنية والكفاحية وشهدائها وضحاياها وقدسيتها ، ثم إنكاراً لواقع آخروهو ان هذه الروح هي التي الهمت الأمة الاضراب الطويل الباهر والحركة الكفاحية العظيمة دون ان يكون لأي زعيم يد سابقة مدبرة ودون اي سبب او حافز يمت إلى حادث شخصي مــا . فان اضطراب النفوس وتحفز الناس وغليان الافكار بسبب ما كان يبدو من الانكليز واليهود في فلسطين ولندن وزوريخ من علائم النكث والاستهتار والجشع لم يكد يهدأ منذ انحل الاضراب ، مما كان يوحي بوجوب الاستعداد لاستئناف الكفاح بشدة اكثر مما سبق فضلا عما كان قائماً في نفوس المجاهدين والوطنيين من ان وقف الاضراب والثورة هو هدنة وان الانكليز لا يمكن الا ان يغدروا وان الجهاد لابد من ان يستأنف . وقد جرت مساع متنوعة وكانت رحلات مهمة [1] الى هنا وهنا بسبيل هذا الاستعداد وتدبير مايلزم من وسائل الكفاح قبل اغتيال اندروز بأشهر عديدة . وقد كانت هذه النفسية الكفاحية في العرب مما كان يدفع بعض المتحمسين الى الاحتكاك والحوادث الفردية ضد الانكليز واليهود ومن كانت لهم مواقف سيئة من ضباط بوليس العرب وافرادهم ومن سماسرة العرب وجواسيسهم مما ذكرناه قبل ، وكان آخره اغتيال اندروز الذي اهاج السلطات وحملها على حركة الاعتقال الواسعة وحل اللجنة العليا ونفي من طالته يدها من اعضائها وسد باب الوطن في وجه من لم تطله وعزل المفتي وحل اللجان القومية التي كانت مؤلفة من مختلف الاهواء والأحزاب ، وجعلها بعبارة اخرى تعتبر اكثرية الامة الساحقة التي يمثلها هؤلاء مسؤولة وتعلن حربها الارهابي عليها . وفي ذلك القول كذلك إنكار لما ألهم التقسيم الفظيع الذي يفرض نشوء دولة يهودية في مساحة ثلاثة أرباع اراضيها الزراعية واملاكها للعرب ونصف سكانها من العرب ويجرد العرب من وطنهم العزيز المجبول بدماء آبائهم والمملوء بذكرياتهم وأمجادهم ومقدساتهم من روح النقمة والسخط على الانكليز الذين اوحوا به وتآمروا عليه عملا وتبنوه باصرار بعد ولادته ضاربين بالعرب وملوكهم وحكوماتهم عرض الحائط ، وما يوحيه وحده بقطع النظر عن كل ملابسة اخرى من ثورة لاهبة . ولم يكن شذوذاً في تاريخ الحركات الوطنية ان تمتلىء كأس امة

---

(١) منها رحلة المفتي وعزة دروزه الى الحج في شباط عام ١٩٣٧

بتشريد زعمائها وحل لجانها ومطاردة رجالها فتجعلها تثور ؛ وقد وقع مثل هذا في شقيقات فلسطين ونعني مصر في الجنوب وسوريةفي الشمال فلم يشوه احدقدسية الثورة والدماء بأنها شخصية وحزبية .

ولو زوّى القائلون في هذا الامر على ضوءهذه الاعتبارات التي كانت ملموسة والظروف التي كانت قائمة - وكم كنا نتمنى ذلك - وتجاوبوا مع روح النضال التي كانت ترف في سماء فلسطين واندمجوا فيها كما اندمجوا في مرحلة الثورة الاولى وأبدوا او ابدى بعضهم شيئاً من النشاط والجرأة والتضحية حينما غلى مرجل البلاد وماجت بالاضطراب والقسوة والارهاب والنار والدماء بدلا من التثبيط والتبطيء والانكماش لزال التجهم ولملأوا الفراغ فعلا وقبضوا على الزمام ولكانت لهم المحمدة والفخار ولكان الخير لقضية الوطن ممتداً إلى ما بعد الثورة من احداث ..

انفجار الثورة واتساعها

●

ولم تلبث حركات الكفاح أن اخذت تشتد يوماً بعد يوم بعد ايلول ، ولم تن السلطات عن المطاردات والاعتقالات فكان ذلك مما يزيد النار لهيباً حتى اصبحت فلسطين في حالة ثورة حقيقية تتسع يوماً بعد يوم وتتسم بالشمول لجميع انحائها .

ولقد امتدت إلى أواخر عام ١٩٣٩ وبتعبير أدق الى ما بعد نشوب الحرب العالمية الثانية بمدة ما فتكون هذه المرحلة قد امتدت سنتين بقطع النظر عن التسعة أشهر التي مرت بين وقف الاضراب والثورة والمرحلة الثانية والتي كانت فلسطين فيها في حال غير عادية على كل حال بما كان فيها من قلق واضطراب واستعداد وحوادث فردية واعتقالات ومطاردات .

وقد مرت هذه المرحلة بأربعة أدوار يمكن تسمية الاول منها بدور الهياج ، والثاني بدور العصابات المنظمة الاول الذي واجهتها فيه الصعوبات ، والثالث بدور تغلب العصابات على الصعوبات وسير الثورة الى ذروتها وسلطانها وبلوغها ، والرابع بدور التعب والمصاعب والدس والمناوءات .

ادوار الثورة الاولى ومظاهرها ومصاعبها

●

وقد امتد الدور الاول بضعة اسابيع كانت البلاد فيه مضطربة متوترة

الاعصاب تقوم فيها المظاهرات وتقع الاشتباكات وتقطع الأسلاك وتخرب الطرق وتطلق النيران على السيارات وتقذف المتفجرات ،وكل ذلك في نطاق ضيق.

أما الدور الثاني فقد امتد نحو ثلاثة اشهر ، أخذت أحداث الدور الاول تشتد فيه من جهة والعصابات المسلحة تظهر هنا وهناك من جهة اخرى . وكانت ساحة نشاطها محصورة تقريباً في لواء نابلس الذي سماه الانكليز بمثلث الرعب لتمركز وقوة الثورة الاولى وخاصة بعد قدوم القاوقجي فيه ، وفي المنطقة الشمالية مما يلي قضائي عكا وصفد بنوع خاص وفي جبل الخليل . وكانت اعداد العصابات قليلة بحيث لم تكن العصابة تتجاوز الخمسة عشر ثائراً وعلى رأسها قائد من الفلسطينيين ممن برزوا في الثورة الاولى واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على رفاقهم او مناطق معينة . وقد لقي أكثرها بعض الصعوبات والعراقيل من بعض مخاتير ووجوه بعض القرى نتيجة للانذارات والتهديدات الشديدة التي كانت توجه اليهم من الحكام الذين كانوا يوجبون عليهم سد ابواب قراهم في وجوه المسلحين والتبليغ عنهم وعدم مساعدتهم في شيء . وقد كان كذالك للتثبيطات التي ذكرناها قبل اثر تشجيعي في ما قام من تلك الصعوبات والعراقيل ، فكانت العصابة حينما تطرق قرية للتموّن أو الاستجمام يتجهم المخاتير والوجوه في بعض القرى لها ويطلبون منها مغادرة قريتهم عنها ، ويمنعون عنها المأوى والقرى ويسمعون أفرادها وقوادها ما سمعوه من زعماء المعارضة والمثبطين من كون الثورة شخصية حزبية او بسبب عزل المفتي وان كونها ضارة بمصلحة البلاد ! بل وكان الامر يتعدى هذا أحياناً إلى الوشاية بالثوار والارشاد إلى أماكن السلاح وحملته مما كان يؤدي الى اعتقال بعض المجاهدين أو مطاردتهم وتصيدهم ومصادرة سلاحهم مما لقي المجاهدون الاولون منه عنتاً شديداً ومما جعل بعضهم يعود إلى دمشق حائراً أو يائساً ، ومما اضطر بعضهم إلى الالتجاء للمغاور حتى ان عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبي كمال والذي كان من اوائل قواد الثورة لم يجد له مأوى حينما جرح في احدى المصادمات فقضى بضعة أسابيع في أحد الكهوف حتى التأم جرحه ؛ فاثارت هذه المواقف والتصرفات قواد العصابات وأفرادها وجعلتهم يضطغنون على هؤلاء الوجوه والمخاتير وعلى الذين يوحون اليهم معاً ، ويجنحون إلى تأديب بعضهم ممن رأوه الاكثر اندماجا وقحة في التثبيط والنكاية حتى أوقعوا شيئاً من الرعب في هذه

الطبقة خاصة وفي اهل القرى عامة . واستفاد القواد من هذا الرعب الذي يمكن أن يكون وقع في سياقه بعض الأخطاء المؤسفةالمقصودة أو غير المقصودة فأخذوا يفرضون على القرى مقادير مناسبة من البنادق والعتاد أو اشخاصاً يحملون السلاح ويلتحقون بهم أو يبقون في قراهم قوة ظهر لهم . فلم يكد ربيع عام ١٩٣٨ يحل حتى أخذت الثورة تشتد وتتسع كمية وكيفية وحتى أخذ قوادها يتمركزون في مناطقهم ويفرضون أنفسهم ، وحتى أخذت القرى تقدم ما طلب منها من سلاح ومجاهدين ومؤن وحاجات اخرى ثم تندمج بروحها وتتسابق الى معركة الوطن بحماس ، وحتى اشتد التجهم لمن كان وظل مخامراً ومثبطاً ثم لمن تلطخت يداه بالسمسرة والجاسوسيةوغدوا عرضة لضغط الثورة والثوار ونال بعضهمالأذىفي دمه او ماله .

الثورة في ذروة سلطانهـــا

●

وهكذا أخذت الثورة تسير نحو ذروة القوة إلى أن بلغتها رائعة تضرب للعالم الأمثال كما ضربته في المرحلة الاولى واضرابها الباهر ، وهذا هو دورها الثالث الذي امتد نحو تسعة أشهر لم تلبث بعدبدئه أن أخذت تشمل جميع ساحات فلسطين بعد أن كانت محصورة في المناطق التي ذكرناها .

وصف المعارك

●

ولم يكن يمر اسبوع لم تقع فيه معركة كبرى في إحدى ساحاتها تحشد لهـــا السلطات الانكليزية القوى الكبيرة التي يصل عددها أحيانا الالفين والثلاثة مردفة بالطيارات والدبابات والمصفحات والمدافع الخفيفة والثقيلة ، ويحتشد المئات من المجاهدين الدائمين والمنجدين يبـدون اروع صور البسالة والاستماتة دون مبالاة بعدد العدو وعدده وفقدان التكافؤ فيهما وبما يقع من غالي الضحايا . وكانت الطريقة التي سار عليها المجاهدون هي طريقة الكر والفر . وكان البدء على الاغلب منهم حيث كانوا هم الذين يهاجمون المخافر والمعسكرات والمطارات والمحطات وقوافل السيارات والدوريات فتسارع قيادة الجيش الى حشد حشودها وتطويق المنطقة التي وقعت فيها المبادرة . وكثيراً مـــا كانت تمتد منطقة المعركة عشرة وخمسة عشر وعشرين كيلو متراً في خمسة او عشرة كيلـو مترات عرضاً . واكثر

ما كان الثوار يتمركزون في الجبال والأحراش والهضاب والوعر بنظام بارع من تقسيمات صغيرة غير متكتلة تكر وتفر وتحير في كرها وفرها قيادة العدو . وكثيراً ما كانت تضطر هذه القيادة إلى الانسحاب دون أن تنال من العصابات نيلا شافياً .

براعة المجاهدين

●

وقد كانت نشرات القيادة والأمن العام تعترف دائماً ببراعة الثوار في الكر والفر وتصف ذلك بقولها إنهم اختفوا كأبرة في كيس من القش ، بل لقد رددت هذه البراعة الصحف الانكليزية واليهودية في لندن وفلسطين ولم تجد لها تعليلا إلا وجود فنيين مدربين بين صفوف الثوار ، ولم يسع وزير المستعمرات إلاأن يعترف هو الآخر بقوة نشاط الثوار وجرأتهم في هذا الدور وأن يقول أن العصابات المسلحة فعالة كثيراً في جميع أنحاء البلاد وأن خطورة حركاتها ونتائج شمولها فظيعة جداً . ولقد كان فيما قالته الصحف الانكليزية في معرض الاشادة ببطولة الثوار وبراعتهم ان حفنة صغيرة من العرب الضعاف العزل في فلسطين تقوم بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة ، وتثير الحماس بين العرب في كل أنحاء البلاد العربية ... ثم لا تلبث العصابات بعد انتهاء التطويق وانسحاب الجيش الجرار من قوى السلطات أن تعود إلى نشاطها من الكر والفر واطلاق النار على المخافر والدوريات ومعسكرات الجيش فتتكرر الصورة نفسها .

شمول الثورة للممتلكات اليهودية وأنابيب النفط

●

ولم تكن حركات المجاهدين مقتصرة على هذه الصورة بل كانت تشمل المستعمرات والحقول والبساتين والممتلكات اليهودية بحيث لم يكد يمر يوم إلا وتغزى مستعمرة من المستعمرات ويجري فيها تدمير وتحريق وقلع أشجار وقتل خفراء ، وكانت تشمل كذلك أنابيب البترول تخريباً وتفجيراً وإشعالا حتى قدرت الزيوت المنسابة في شهرين من شهور صيف ١٩٣٨ باثنين وثلاثين الف طن دون أن يجدي الحراس والخفراء والدوريات فتيلا مما اضطر الشركات إلى تعميق أنابيبها في أماكن عديدة وسط المصاعب والمتاعب الشديدة .

القائد عبد الرحيم الحاج محمد ابو كمال مع بعض رفاقه المجاهدين

في الوسط القائد عبد القادر موسى كاظم الحسيني مع رفيقين من المجاهدين



القائد الشيخ يوسف ابو دره مع رفاقه المجاهدين



القائد الشيخ حسن سلامه مع بعض رفاقه المجاهدين على صهوات الجياد



من مشاهد صولة الثورة محكمة من محاكم الشعب



٦

مئات من الاهلين في العراء في طريق المحاكمة والاعتقال

من مشاهد اشتعال النفط



من مشاهد اشتعال النفط السائل من الأنابيب المخربة

النسف والتدمير

●

وكانت تشمل أيضاً خطوط السكك الحديدية وجسورها وجسور الطرق ومخيمات دوائر الأشغال والمساحة والتسوية وأسلاك التلفون والتلغراف وأعمدتها وأعمدة الكهرباء ومحطات السكك الحديدية والمطارات تخريباً ونسفاً وحرقاً وتدميراً وتقطيعاً وقلعاً ونهباً ، حتى كان التخريب في طرق السكك الحديدية يبلغ أحياناً ستين كيلو متراً طولا وكان من جملة ذلك مطار ومحطة اللد الكبيرين ومحطة غزة فضلا عن المحطات الثانوية البعيدة .

بعض مظاهر صولة الثورة

●

وحتى وصل اتساع الثورة وصولتها إلى تطويق كثير من المدن ونهب دوائر البريد والمصارف وسلاح المخافر والدخول إلى دور الحكومة الممتلئة عادة بالبوليس والحراس والموظفين ونهب بعض غرفها وأدواتها وخطف بعض الموظفين . حتى بلغ من جرأة وبسالة بعض المجاهدين ان دخلوا دار الحكومة في جنين وصعدوا إلى الطابق الثاني ودخلوا على الحاكم الانكليزي وأطلقوا عليه النار فأردوه قتيلا ثم خرجوا ونجوا مع من كان في الدار من حشود وجنود وبوليس ، وتكرر هذا النوع من البطولة والجرأة على أشكال مختلفة ، وحتى كانت تل أبيب معقل اليهود تغزى في الليل والنهار ويسير فيها الثوار دون مبالاة ويطلقون الرصاص والقذائف على الأفراد والسيارات ويشعلون النار في البنايات والحوانيت ويلقون الرعب في قلوب سكانها ، وقد بلغ هذا الرعب إلى حد ان اليهود حينما كانوا يرون في تل أبيب كتلة تلبس العقال والكوفية يتراكضون مذعورين خائفين .. وكان هذا حال طبريا التي كان أكثر سكانها يهوداً . وقد حدث مرة أن دخلها عدد كبير من الثوار فغزوا الأحياء والحوانيت اليهودية غزوة شديدة قتل وجرح فيها نحو مئة وحرق عدد من حوانيتها ودورها وتطويق الحامية الانكليزية التي كانت ترابط في جوارها مما كان له دوي شديد في الأوساط الانكليزية واستدعي المندوب السامي الى لندن للاستيضاح عنها والتفكير في التدابير المانعة لتكررها. أما يهود صفد فقد كانت حالتهم أسوأ لأنهم أقلية غير أنهم كانوا متكتلين في حي واحد يعد حصيناً بعض الشيء، فحصروا فيه

وحرموا من الخروج تقريباً إلا بحراسة حكومية شديـــدة ، وكانوا هدفاً دائمـــاً للرصاص والقذائف فقاسوا من جراء ذلك شديد الرعب والهلع ،وكانوا يرسلون الاستغاثة تلو الاستغاثة ويصفون حالتهم بحالة المعتقلين تحت وطأة حراس خطرين ولقد استطاع الثوار أن يطوقوا عدة مستعمرات وأن يفتكوا بمن فيها من سكان وخفراء وأن يدمروا ويحرقوا مبانيها وبساتينها . وقد أحاط اليهود مستعمراتهم بأطواق الأسلاك الشائكة فلم يجد هذا جدوى كبيرة في الحيلولة دون غـــزوات الثوار وفتكهم .

وقائع الثورة

●

ولقد كانت دائرة الأمن تنشر نشرة يومية عن أحداث الثورة العادية . وهذا نموذج من هذه النشرات وقد نشر في ١٦ مايس ١٩٣٨ والثـــورة في مبـــادىء دور تعاليها :

في خلال الثاني والأربعين ساعة الماضية بالاضافة إلى الاصطدام الذي ذكـــر قبل (١) وقعت الحوادث التالية :

١ ـ قتل بوليس عربي وجرح عربي آخر عندما هاجمت عصابة مسلحة سيارة تراك جنوب الخليل .

٢ ـ ووقعت سبع عشرة حادثة إطلاق نار ، اثنتان في جنين وواحدة في طبريا وأربع على مستعمرات قرب الناصرة واثنتان على دوريات بوليس في جنين وواحدة على دورية بوليس قرب صفد وخمس على مستعمرات في قضاء حيفا وواحدة على مخيم البوليس قرب الخليل وواحدة على شخص عربي قرب يافا .

٣ ـ ووقعت خمس حوادث قطع تلفون احداها على طريق نابلس ـ طولكرم انتزع فيها ١٩ عموداً .

٤ ـ وأشعلت النار في ممتلكات دائرة الأشغال العامة قرب نابلس .

٥ ـ ونسف جسر على الطريق العام قرب عكا .

٦ ـ وقطع عدد كبير من الأشجار في مستعمرة قرب طولكرم .

---

(١) هذا يعني معركة شديدة وقعت بين حشود من الثوار وحشود من قوى العدو وقد أشير في النشرة الى معركة كانت واقعة فعلا في البند التاسع .

٧ ـ واشعلت النار في أنابيب البترول قرب بيسان .

٨ ـ وسلبت دراهم عربي في ضواحي جنين .

٩ ـ وما زالت حركة الجيش مستمرة في الجهات الشمالية لمطاردة الثوار والتحري عنهم وكذلك عمليات تفتيش القرى واعتقال الأشخاص المشبوهين والعثور على بعض الأسلحة والذخائر .

١٠ ـ والهمة مبذولة كذلك بمساعدة الجيش في عملية مد الأسلاك الشائكة في الحدود الشمالية لانهائها بسرعة .

ويلفت النظر إلى الاقتضاب والتحفظ البادين في النشرة حتى لكأنها لا تريد أن تقول شيئاً لولا أن هناك وقائع يعرفها الناس لا يمكن إلا أن يقال شيء عنها . على أن الصحف كانت تنشر أنباء أحداث ثانوية أو خطيرة لم ترد في النشرات وتذكر تفصيلات هامة حول الأحداث التي ترد في النشرات بحيث يمكن أن يفرض عدد معدل الأحداث اليومية بقطع النظر عن الكيفية بعشرين ومجموعها خلال السنتين اللتين استمرت فيهما الثورة في هذه المرحلة بخمسة عشر الفاً نصفها تقريباً كانت ضد اليهود وممتلكاتهم ومستعمراتهم وخفرائهم وأفرادهم وسياراتهم ، ونصفها ضد السلطات وقواها ودوائرها ومنشآتها ومرافقها .

اشتراك المدنيين مع القرويين في الجهاد

●

ومع أن اكثر المجاهدين من القرويين وهم الذين اضطلعوا بجل احداث الثورة وبقيادتها فان النشاط الكفاحي في المدن لم يكن ضعيفاً ، فقد حمل السلاح كثير من اهل المدن ، منهم من استعمله في المدن نفسها في اغتيال افراد قوات السلطات واليهود وتخريب ممتلكاتهم ونهبها ومهاجمة المخافر والدوريات فيها ، ومنهم من استعمله خارج المدن وتحت لواء قواد الثورة .

اشتراك المثقفين في الثورة

●

ومع ان جلّ المجاهدين من سواد الشعب فقد اشترك في الحركة الكفاحية في المدن وخارجها عدد من الشبان المتعلمين تعليما متوسطاً وعالياً . وهكذا يصح ان يقال ان جل افراد الشعب وخاصة منذ ربيع عام ١٩٣٨ كانوا مندمجين في الثورة

عملا ومساعدة وروحاً . ويمكن تقدير البنادق التي كانت في ايدي الثوار بعشرة آلاف عدا المسدسات التي كانت كثيرة جداً ايضاً ، مع التنبيه على ان كثيراً مما كان في اليد لم يكن صالحاً ولم يكن له عتاد صالح ايضاً . . ثم ان كثيراً من الذين يحملونه لم يكونوا متمرنين على الرمي ولا على الحركات العسكرية .

جهد الانكليز العسكري ضد الثورة

●

ولقد اخذت الامدادات الانكليزية ترد الى فلسطين منذ بدء الثورة بحيث لم يكن يمر شهر إلا تصل خلاله نجدة ما قليلة العدد او كثيرته من بريطانية وغيرها . وقد جندت السلطات بالاضافة الى ما جاء من مدد او كان في فلسطين من جند وبوليس اصلي انكليزي وعربي نحو عشرة آلاف بوليس اضافي من العرب واليهود كانت تعهد اليهم بأعمال الحراسة داخل المدن وخارجها وفي المستعمرات . ويمكن ان يقدر مجموع قوى السلطات من جند وبوليس انكليزي وفلسطيني بما لا يقل عن اربعين الفاً وقد يكون خمسين الفاً مزودين بالعتاد الوافر والسلاح الجيد والسيارات والدبابات والمصفحات والمدافع والرشاشات والطيارات والأجهزة الكهربائية الخ . وكثيراً ما كان يشترك في المعركة عشر طيارات او اكثر مع الف والفين وثلاثة من الجنود . ومع هذا الفرق الشاسع في التسلح والاستعداد ، ومع انه كان في فلسطين نحو نصف هذا العدد عند بدء الثورة فان ذلك كله لم يكن ليمنع الثورة من الانفجار والتغلب على الصعاب والاتساع ثم بلوغ الأوج ومن استمرارها سنتين طويلتين . ولم تهدأ إلا بالدسائس والمناوءات وتأثير حالات نفسية ومادية متنوعة ثم بنشوب الحرب وانقطاع المدد عن الثوار بسببها مما لا صلة له بهذه القوى العظيمة . ولقد نشرت الصحف الانكليزية ان العتاد المستنفد عام ١٩٣٨ اكثر اربعة اضعاف مثله عام ١٩٣٧ .

قسوة أساليب الانكليز بسبيل قمع الثورة

●

ولقد عمدت السلطات بسبيل قمع الثورة الى اساليب كثيرة فيها من القسوة والعنف ما تقشعر له الجلود ولا يدخل في نطاق منطق حكومة وصية نحو شعب تحت وصايتها لا يخفى عليها انه مظلوم ، وبقصد فرض دولة غريبة تعاديه في وطنه



من آثار التدمير في مدينة جنين



من آثار التدمير في الحي العربي في يافا



لتمشية سياسة استعمارية مجرمة .

فقد عدلت قوانين الطوارىء بحيث اصبحت حيازة بضع رصاصات اوقطعة من سلاح مهما كان نوعه وصلاحه تكفي للحكم بالاعدام او السجن المؤبـد او المديد ، وبحيث اصبحت كل عمارة في مدينة او قرية وكل بيارة او بستان عرضة للمصادرة والنسف والتدمير لمجرد صدور نار ما من جهتها او وقوع حادث قربهـا حتى بلغ عدد الذين شنقوا مئة وستة واربعين وتجاوز عدد المحكومين بمدد ابديـة او مديدة الألفين منهم شيوخ طاعنون وفتيان مراهقون ومنهم نساء ، وحتى بلغ عدد المنازل والحوانيت التي نسفت وهدمت وتصدعت نحو خمسة آلاف ، ولقد نسفت احياء وشوارع برمتها في بعض المدن ومنها جنين التي نسف اكثرهابسبب قتل الحاكم الانكليزي كما نسف عدد كبير يتجاوز نصف الموجود من منازل في عدد من القرى . وكانت ترافق التحريات والتفتيشات التي تجري في المدن والأحياء والقرى قسوة هائلة من تحطيم وتدمير وتحريق وضرب وركـل وجلـد وتعذيب ونهب واتلاف متاع ومؤن وهتك عرض وانتهاك مقدسات وحرمات ، حتى لقد كان يحمل هذا أهل بعض القرى على هجر قراهم والفرار الى الجبال والأدغـال والقرى المجاورة .

الاعتقالات الواسعة

●

وعمدت السلطات منذ البدء الى اعتقـال من تشتبه بضلعهـم في الثـورة من اهل المدن والقرى ومن كانت تظن ان له نفعاً لها واستمرت طيلة استمـرار الثورة تسير على هذه الخطة ، وكانت تتسع وتشتـد فيها بنسبـة اشتداد الثورة واتساعها . ولقد انشأت اربعة عشر معتقلا كانت تكتظ ثم يسرح الأخف خطراً وعاقبة ليملأ فراغه من بدا للسلطات انه الاشد خطراً وعاقبة وهكذا دواليك حتى بلغ عدد من اعتقل مدة قصيرة اوطويلة نحو خمسين الفاً ، ومنهم من استمر اعتقاله سنة وسنة ونصفاً وسنتين ، بل منهم من قضى اربع سنـوات معتقـلا ، وكان الاعتقال يجري بأوامر ادارية وباسم قانون منع الجرائم لمدد معينة قابلة للتجديـد ودون تهمة محددة بشهادة البوليس على ما ذكرناه في مناسبة سابقة . وكان الاعتقال من المدن والقرى فردياً ثم صار بالعشرات ولم يندر ان اعتقل مئة ومئة وخمسون

ومئتان دفعة واحدة من أهل قرية او مدينة لمناسبة حادث ما ولم يندر ان يساق ذكور قرية ما وقد يبلغ عددهم الالف إلى مركز الحاكم الانكليزي ني المدينة التي تتبعها القرية فيوضعون في حظيرة تحت السماء إلى ان يفصل الحاكم في امرهم فيرد منهم من يرده إلى قريته ويأمر بمن يأمر إلى المعتقل. ومن طرق التعذيب التي كانت تعمد إليها السلطات مع أمثال هؤلاء ان يربطوا بالحبال وتسير أمامهم دبابات او سيارات جراسة وتسير خلفهم دبابات أو سيارات ويجبروا على الركض في الفراغ الذي يبقى بين السيارات الأمامية والخلفية ائلا تدوسهم ! ولم يندر أن سرح اشخاص ثم اعتقلوا ثانية وثالثة ، ومن هؤلاء قضاة الشرع ورجال الدين ورجال اللجان القومية البارزون . ولقد سرح صبحي الخضراء بعد اعتقال طويل فلم يكد يبدو خارج بوابة المعتقل حتى اختطفته سيارة جيش واخذته إلى معتقل عسكري ظل مجهولا امداً طويلا لا يعرف له مقر حيث اعتقل مدة طويلة اخرى . وكان المعتقلون يعاملون معاملة قاسية ويهانون ولا يطعمون إلا الكفاف والرديء من الاصناف فيضطرون إلى الانفاق على انفسهم .وكانوا يضربون إذا ما حدث حادث ما حتى لقد ضرب الرئيس العام للبنك عبد الحميد شومان ضرباً مبرحاً كاد يقضي عليه .

بدعة حظر التجول وعجائبها

●

وعمدت السلطات منـــذ البدء إلى منع التجول ، وكان يتسع ويشتد بنسبة اتساع الثورة واشتدادها ايضاً حيث كان يعلن المنـــع في المدينة التي تقع فيها الأحداث ليلا ويمتد اياماً وكان احياناً يطول حتى يشمل النهار والليل عدا ساعتين لقضاء الحاجات. وكان المخالفون يعتقلون ويغرمون ويخوفون بالنار . وقد كانت تقوم مظاهرة أو يعلن اضراب في مدينة فيعلن المنع حالا . ولم يندر ان يمتد المنع في بعض المدن شهراً وشهرين وثلاثة بدون انقطاع بل لقد امتد على مدينة صفد مئة واربعين يوماً . وكان قاصراً على المدن في البدء ثم اخذ يشمل القرى والطرق ويمتد آماداً تأديباً للناس من جهة ولتضييق نطاق النشاط والحركة من جهة اخرى، حتى لقد كان يشمل السير بالسيارات على الطرق العامة ثم بـــين فلسطين وسوريا ولبنان والاردن ويستمر ذلك مدة طويلة ايضاً .

المخافر الاضافية

●

وعمدت السلطات كذلك إلى اقامة مخافر اضافية في القرى والاحياء والمدن التي تقع فيها او في منطقتها أحداث ثورية هامة على نفقة السكان عقاباً لهم من جهة وارهاباً للثوار ومساعديهم من جهة ومنعاً لايوائهم وتموينهم من جهة . وكان الاهلون يكلفون تكاليف باهظة مثل تقديم الدجاج والبيض والقمح وحمل الماء الخ، فضلا عن مرتبات الخفراء ونفقاتهم الأخرى زيادة في الإعنات حتى لقد بلغ عدد هذه المخافر اكثر من مئة وخمسين يتراوح عدد الخفراء فيها بين الخمسة عشر والخمسة والعشرين . ولم يجدها هذا التدبير فتيلا لأن هذه المخافر غدت هدفاً للثوار وغدا سلاح خفرائها عرضة للنهب وافرادهم عرضة للتنكيل والتأديب والاغتيال . وقد اضطر كثير منهم الى الاستقالة او الفرار، وكان الاقبال على وظائف الخفراء والبوليس الاضافي مما لم يكن في مرحلة الثورة الاولى اثراً من آثار التثبيط والتبطيء عن الثورة وتجريءها .

احتلال القرى والاحياء

●

وقد عمدت السلطات الى تدبير اشد وهو احتلال القرى والاحياء التي تقع فيها أو في منطقتها أحداث ثورية هامة من قبل فصائل الجيش الانكليزي مجهزة بمتنوع الاسلحة ومرفقة بمتنوع الأجهزة حتى لقد تجاوز عدد القرى المحتلة في لوائي الجليل ونابلس مثلا الستين في برهة قصيرة . وخالت السلطات انها قد أتت بتدبير حاسم للقضاء على نشاط الثوار والثورة حتى تبجح وزير المستعمرات بذلك في البرلمان في مايس ١٩٣٨ وهو يذكر هذا التدبير ، ولكنه لم يمنع نفسه مع ذلك من القول انه لا يدري إذا كان التحسن يدوم ، ولم تلبث الأيام أن اظهرت ان اثر هذا التدبير لم يكن أشد وأجدى من التدبير الأول حيث غدت معسكرات القرى المحتلة هدفاً للغارات المتصلة وحيث استمرت الثورة في قوتها ونشاطها وازدادت إتساعاً وشمولا .

فرض خفارة السكك على الاهلين

●

ومما عمدت اليه السلطات أيضاً فرض خفارة السكك الحديدية والخطوط التلفونية والتلغرافية على اهل القرى وتغريمهم ما يقع من تخريبات ونسفيات عليها، ثم فرض غرامات تأديبية وغرامات فدية لقتلى الانكليز على القرى والمدن وأحياء المدن التي تقع فيها أو في منطقتها أحداث ثورية هامة ويقتل فيها ضباط أو أفراد من الانكليز . وكانت هذه الغرامات تجبى بمتنوع وسائل العنف والمصادرة والتعذيب والنهب . وقد تجاوز عدد هذه التغريمات الخمسمائة . وكثيراً ما كانت تتكرر على أهل قرية أو حي أو مدينة ما . وكانت تتراوح بين الخمسين والمئتي جنيه للقرى واضعاف ذلك للمدن .

وهذا جميعه إلى جانب ما كانت تفعله السلطات مع المجاهدين حينما تطوقهم او تطاردهم وتصوب نيرانها عليهم من الطيارات والمدافع الثقيلة والخفيفة والرشاشات والقذائف مما لم يكن شيء منه في ايديهم بدون اي رحمة او رأفة او اعتبار إنساني، وإلى جانب ما كانت تفعله مع الافراد الذين تشتبه فيهم حتى لم يكن ضباطها يتورعون عن اطلاق الرصاص عليهم دون ان يكونوا مسلحين أو في حالات مريبة وعلى ملأ من اهل القرى ، ومع الجماهير التي كانت تقوم بالمظاهرات الاستنكارية من شدة وإطلاق نار وضرب شديد بدون أي رحمة او رأفة او اعتبار إنساني كذلك . ولقد وقع أكثر من مرة ان انت قوة انكليزية إلى قرية مشتبه بايوائها للثوار أو اشتراك رجالها بالحركات الثورية فتجمع رجالها في العراء ويدير الضابط عينيه فيهم ثم ينتقي شاباً او اكثر من الشباب فيطلق عليه النار ! ولقد انفجر لغم في طريق قرية من قرى عكا تحطمت سيارة عسكرية به بمن عليها فوضع الجند لغما في نفس الطريق وجاؤا إلى القرية وأجبروا فريقاً من اهلها على ركوب سيارة نقل كبيرة سواقها منهم بحجة طلبهم من قبل الحاكم فمرت السيارة على اللغم فانفجر وحطمها وذهب من فيها ضحية لهذا المكر العجيب . وقد تجاوز عدد الشهداء الذين ذهبوا ضحايا غالبية الثلاثة آلاف كما تجاوز عدد الجرحى السبعة آلاف نتيجة لهذه القسوة المتعمدة .



من مشاهد سلطان القعورة محكمة الشعب الثورية



القائد البطل عارف عبد الرازق مع اركان حربه البطل محمد زواتا والبطل محمد العمر والحرس الحديدي

على ان كل ما اتخذته السلطات من اجراءات قاسية منكرة وحشدتهمن وسائل التدمير والقتل الوفيرة المتنوعة والمتفوقة بما لا يدخل في نطاق اي مقايسة على ما في ايدي المجاهدين كيفية وكمية لم يكن ليمنع الثورة من التغلب على مـــا قام في وجهها من عراقيل وصعوبات ومن الامتداد والاتساع والشمول ، ومن التسابق إلى صفوف الثورة وسد الثغرات التي تحدث بالقتل والجرح ومصادرة السلاح ، ومن اندماج السواد الأعظم من الشعب اندماجاً يكاد يكون تاماً ، تحمل فيه جــل ما اقتضته من نفقات السلاح والعتاد والثياب والمؤن والتغريمات مما لا يقل عــن مليوني جنيه ، حيث لم تسد التبرعات الواردة مــن الخارج إلا جزءاً يسيراً منها ، ولم يكن ليمنعها من بلوغ أوج سلطانها في اواخر ربيع عام ١٩٣٨ بحيث صار الثوار يدخلون بالمئات مهللين مكبرين فيقضون فيها الساعات وينهبون مــا في مخافرها من سلاح ويدمرون ويحرقون ما يريدون من منشآت الحكومة ويخرجون كما دخلوا مكبرين مهللين ، وبحيث كان بعضهم يدخل المدينة فينهب بنك باركليز الانكليزي احدى دوائر الحكومة او ان يأخذ منها بعض ماليه الحاجة من ادوات او يطلق النار على الجواسيس والسماسرة والبوليس الاضافي او يطلب من هؤلاء او من في نطاقهم او من يكون مطلوباً مـــن طرف القيادة لقضية او مهمة او تحقيق او شكوى او شهادة ان يتبعه فلا يجد المطلوب من التلبية مناصاً ولا نصيراً ، وبحيث صارت الاسرة التي يقتل منها قتيل في غير معركة او في ظروف مريبة تسعى جاهدة لدى قائد المنطقة لاستصدار بيان بأن قتله لم يكن تأديباً او بأن القيـــادة لا تعرف عنه ما يريب خشية من دمغة عار لا تزول عنها بعد ان غدت الامة جميعها تقريباً مندمجة في الثورة وجوّها اندماج شعور وفخر واعتزاز .

ولقد وقع في اليد تقرير مرفوع من حاكم اللواء الشمالي عن احوال الثورة في ايلول ١٩٣٨ جاء فيه فيما جاء « إن الظاهرة البارزة للوضع الحاضر هي مقاطعة العرب فعلياً لدوائر الحكومة ، وإن العرب جميعهم إلا بعض الموسرين والوجهاء الذين رحلوا الى سوريا ولبنان ثائرون او مستسلمون للثورة إستسلاماً لا يميزهم عن الثوار وإن مجرد زيارة لدار الحكومة تعرض كل مـــن ليس معارضاً للحكومة لتهمة

التجسس وما ينجم عن ذلك من محاكمة سريعـــة وإعدام على يـــد أقرب رئيس عصابة ، والعرب يعتقدون أن قضيتهم راجحة ولذلك فهـــم يتحملون بجلد رائـــع الخسائر الجسيمـــة في الارواح والاموال والمشقـــات الجسدية التي تجرها عليهم الاضطرابات ، ولقد بلغت الامور حقاً حداً إذا أرادت إدارة الانتداب معـه أن تستمر بسلام في المستقبل لا بد لها من توطيد سلطتها أولا مهما كان القرار النهـائي لمستقبل فلسطين . »

ولقد وصى الحاكم المذكور فيما وصاه فرض نظام الهويات فنفذت وصيتـه ومنع السير بالسيارات وبالسكك الحديدية إلا لمن يكون في يده هوية ومنع سير السيارات إلا برخصة عسكرية ، فما كان من القواد إلا أن اعلنوا تحـريم أخذ الهويات فشلت الحركة ووقفت حركة السير في السيارات والقطـارات وأخذ الناس يعودون إلى وسائل النقل القديمة فيركبون الزوارق بين حيفا وعكا ويسيرون المراكب بين حيفا ويافا والمجدل وغزة ويستخدمون الجمـــال والبغال والحمير في النقل والانتقال دون مبالاة بالكرب الذي ينالهم من جراءذلك إستجابة لاوامر قواد الثورة .

ولقد أذهلت هذه الروح التي تجلت بهذه القوة والشمول والعلوية السلطات ، وجعلتها تقف مكتوفة اليد بل اضطرتها الى تخفيف غلوائها في الارهاب والمطاردة والعنف والاعتقالات والتطويقات لانها رأت نفسها امام شعب جميعه ثائر ، وإلى تفادي غزوات المجاهدين وجرأتهم على قوات السلطات ودوائرها فأغلقت عـــدداً كبيراً من مراكز البرق والبريد ومخافر البوليس وكثيراً من دوائر الحكومة الاخرى في المدن الصغيرة التي كانت مراكز للاقضية وسحبت منها موظفيها ، كما الغت سير القطارات والمحطات على بعض الخطوط في النهار وعلى جميعها في الليـــل طيلة المدة التي كانت الثورة في اوج سلطانها ، بل ولقد شمل هـــذا مدناً كبيرة كنابلس والخليل حيث كانت الثورة فيها قوية وثوارهما على نشاط عظيم تساعدهم الجبال المحيطة بها فيواصلون غاراتهم على المعسكرات والدوريات وغزواتهـــم على الدوائر في الداخل والمداخل . وقد جاء يوم اضطرت السلطات فيه إلى نفض يدها من الحكم داخل المدينتين ، بل والغاء المحاكم في نابلس ونقل ملفاتها وملفات الدوائر

الاخرى إلى الثكنة العسكرية خارج المدينة وجمع الانكليز المدنيين والعسكريين في الثكنات والمعسكرات خارج المدينة ايضاً وقد حظرت على فصائل جيشها وبوليسها ودورياتها الخروج من الثكنات والقلاع واطواق المعسكرات او البقاء خارجها بعد الغروب في مناطق عديدة وخاصة في مناطق الجبال والوعور والادغال . وقد اخذت تساير الموقف الصعب فتسلم جثث الذين ينفذ فيهم حكم الاعدام من المجاهدين لذويهم فتقام لهم المواكب الحاشدة فتغضي عنها وعن ما كان يقام من مثلها لشهداء المعارك .

الكوفية والعقال زي عام

●

ولقد كانت السلطات تختص في تفتيشها ومطارداتها في المدن لابسي العقال والكوفية بنوع خاص وكان هذا الزي هو زي القرويين والثوار ، فتقبض على من تجده منهم فيها في احيان كثيرة وتضايقهم ، فاوحى قواد الثورة باتخاذ هذا الزي زياً عاماً فلم يمض شهر واحد تقريباً حتى تجرد الناس من الطرابيش وتزيوا بهذا الزي ، بل ومنهم من تجرد من العمائم وتزيا به . وقد اندمج الموظفون العرب في هذا الزي منهم من فعل ذلك بسائق الشعور الوطني الشامل ومنهم من فعله بسائق الخوف والمسايرة ، ولم يسع السلطات إلا الاغضاء لادراكها خطورة الحال وما كان يهدد الشاذين من اخطار . ومن الجدير بالذكر ان اكثر الناس ظلوا على هذا الزي إلى ما بعد خمود الثورة بمدة طويلة اعتزازاً به وبذكرى ظروفه المجيدة ، ومن طريف ما حدث ان بعض المحامين ذهبوا بهذا الزي إلى المحكمة ولبسوا الرداء الاسود وتقدموا للمرافعات فطلب القضاة الانكليز منهم خلعه في المحكمة على الاقل فكان جوابهم إنه زي قومي ارتضاه قومهم ، فلم يسع السلطات القضائية إلا الاغضاء . وقد كان السياح ومراسلو الصحف الاجنبية يحترمون هذا الزي بل ويتزيون به تأثراً بجو الثورة .

ولقد كانت ازمة الاسكندرونة التي خانت فرنسا وانكلترا فيها العرب ، فاوحى القواد بالاضراب الاحتجاجي ولكنهم لم يعينوا امداً له فاضربت المدن واستمر بعضها في الاضراب لعدم تعيين مدة له إلى ان اوحى الثوار بالاكتفاء بما كان .

هلع موظفي الانكليز

●

ولقد امتلأت قلوب موظفي الانكليز رعباً وهم يرون زملاءهم يقتلون جهرة بل وفي دور الحكومة حتى رددت الصحف الانكليزية هذا الرعب وقالت ان الموظف الانكليزي يشعر حينما يخرج من بيته إلى عمله أو من عمله إلى بيته أنه لن يعود إلا بمعجزة ؛ وحتى إن بعضهم حار في وسيلة للتزلف للعرب وإثبات حبه لهم فسمى ولده عمر ، وإن بعضهم كان يرسل الشفعاء الى القواد ليأخذوا لهم الأمان على حياتهم مقابل وعود متنوعة . . .

ولقد سجلت الوقائع فيما سجلت التحاق بضعة أفراد من الجند الانكليزي بالثوار تخلصاً من تأنيب الضمير على مقاتلتهم العرب من أجل اليهود كما سجلت فرار بعضهم من فلسطين على دبابة حتى وصلوا الى طرابلس الشام محطمين ما وقف في طريقهم من موانع مما كان له ضجة قوية في الصحف وكان موضوع تعليقات دعائية طريفة . بل لقد سجلت عدة انتحارات لضباط وأفراد من الجيش في ظروف غريبة عرفت فيما بعد انها من هذا الباب ، حيث هاجم بعضهم يهوداً اعتدوا على عرب وادعين قرب قرية مسكة المجاورة لمستعمرة يهودية فتعرضوا لوشايات اليهود وحملاتهم وتحقيقات السلطات العليا وتجهمها فدفعهم هذا الى الانتحار .

البوليس العربي

●

ولقد سرت روح الثورة الى البوليس العربي فكان منهم من يلتحق بالثوار بسلاحه ومنهم من ييسر للثوار نهب سلاح المخافر حتى اضطرت السلطات الى تسريح فريق منهم وإلى تجريد فريق كبير من سلاحه وتكليفهم بمهام ثانوية غير مسلحة ، وإلى استبدال من كان يقوم بحراسة دوائر الحكومة وغيرها من المنشآت الهامة بحراس من اليهود تفادياً من النتائج المماثلة .

اللجنة المركزية للجهاد

●

ومنذ اربداد الجو في فلسطين وبدو علائم الانفجار اضطلعت لجنة تسمت باسم

لجنة الجهاد المركزية بتوجيه الثورة وامدادها واسعاف منكوبيها ، واتخذت سوريا ولبنان مقراً لها ، وأخذت تجهز بعض البارزين من المجاهدين الذين افلتوا من فلسطين وتسيرهم ليتولوا قيادة الحركة الجهادية في مرحلتها الجديدة(١) وتنشيء الصلات بين من بقي منهم في فلسطين وتمدهم بما تستطيعه من مال وسلاح ، وتبذل جهودها في سبيل الحصول على التبرعات من مختلف البلاد العربية من اجل ذلك ، ولم تلبث ان غدت الرسل والقوافل تغدو وتروح بين فلسطين وسوريا ولبنان من حدودهما المباشره وعن طريق شرق الاردن ايضاً ، وإن صارت سوريا ولبنان وشرق الاردن مصدراً من المصادر الرئيسية لتموين الثورة بالمال والسلاح والمتطوعين والاجهزة والكساوي الخ كما غدت مراحاً لاستجمام المجاهدين ومعالجة جرحاهم بواسطة وإدارة تلك اللجنة في الدرجة الاولى . وقد برع الثوار ومساعدوهم وقوافلهم وتجار السلاح ومشتروه والمتطوعون في التنقل والتسرب بين فلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا براعة عجيبة أعيت السلطات الانكليزية التي كانت تبذل جهودها في سبيل حفظ الحدود شمالا وشرقاً ، حيث غدت الاقطار الشامية الاربعة بالنسبة للثورة والثوار بلداً واحداً لا تقوم بين أنحائه حواجز جمركية ولا مخافر بوليسية ولا دوريات من الجند ولا سمات مرور وجوازات ، فكان هذا الامر من أهم ما شغل بال هذه السلطات وأزعجها أيما إزعاج . وقد حملت الصحف الانكليزية على سوريا ولبنان والسلطات الافرنسية فيها لعدم مساعدتها الانكليز على الجد في وقف السيل ومراقبة المفتي ورفاقه الذين يتمتعون بحريتهم التامة في ادارة الثورة وإمدادها وتقوية لهيبها حملات طويلة وشديدة . وكانت إتصالات عديدة ومديدة كذلك بين الحكومتين الانكليزية والافرنسية في هذا الصدد ، وكانت فرنسا تؤكد إهتمامها وان المفتي تحت رقابة قوية ، وكانت انكلترا تضطر إلى قبول ذلك منها بسبب ما كانت عليه الحالة الدولية العامة التي لم تكن فرنسا فيها معها قلبياً وذلك في أزمة إيطالية والحبشة وأعقابها ، ويعزى موقف فرنسا إلى ما كان من موقف مماثل للانكليز من الثورة السورية وتمركز

---

(١) من هؤلاء أبو كمال وأبو ابراهيم الكبير والشيخ عطية أما اللجنة المركزية للجهاد فكانت تتألف من المفتي والشيخ حسن ابي السعود ومنيف الحسيني واسحق درويش في لبنان وعزة دروزة ومعين الماضي في دمشق .

كثير من رجال الحركة الوطنية السورية في فلسطين وشرق الاردن ونشاطهم في إمداد الثورة .

السور الحديدي بين فلسطين وشقيقاتها

●

وقد يئس الانكليز من تضامن فرنسا معهم وأخذوا يفكرون في تدبير الامر فأرسلوا إنكليزياً اسمه تيغارت تمرس في حرب العصابات فتفتقت حيلة هذا الخبير عن فكرة سد حدود لبنان وسوريا وشرق الاردن بسور من الاسلاك الشائكة وسلسلة من القلاع الحربية على امتداده ، ونفذت السلطات وصيته فأنشأت السد بطول ثمانين كيلو متراً على حدود سوريا ولبنان واربعين على حدود شرق الاردن في عرض ثلاثة أمتار وارتفاع مثل ذلك ، ووضع على طوله في مسافات متقاربة جداً مصائد من الالغام ، وأنشأت خمس عشرة قلعة ، وجهزتها كذلك بالحراس الاشداء المجهزين بكل معدات الكشف والقتال والمواصلات ، وقام بإنشاء المشروع مقاولون وعمال من اليهود تحت حراسة انكليزية شديدة وكلف نحو نصف مليون جنيه . ولكن السد لم يكد ينتهي حتى أخذ ينهار أمام براعة الثوار وجرأتهم . فقد بدأوا بمهاجمته قبل أن يتم فزاد ذلك من صعوبة انشائه ، وخربوا منه ثالث يوم انتهائه مسافات يبلغ مجموع طولها تسعة عشر كيلو متراً في أماكن عديدة ، ثم توالت هجماتهم عليه وكثرت الثغرات التي فتحوها فيه حتى صار كالعدم بالنسبة اليهم والى رسلهم وقوافلهم التي ظلت تغدو وتروح دون ما انقطاع وحتى لم يسع بعض الصحف الانكليزية إلا ان تصفه بالخرافة في معرض التنويه بقوة الثورة وروحها . وكان الثوار يأتون بالجمال والبغال ويجعلون منها قطاراً ويربطون أطراف السد ببعض الكماشات القوية ثم يسيطون الدواب فتجري مقتلعة الاوتاد والاسلاك ومن طريف ما حدث ان بعض الثوار ذهب ضحية لاحدى مصائد الالغام فكان ذلك كشفاً للثوار الذين أخذوا يبحثون عنها وينزعون كبسولاتها ببراعة ويأخذون متفجراتها مما جعل السلطات تسارع إلى رفع ما بقي منها لانها كانت وسيلة سهلة لتموين الثوار بالمواد المتفجرة ..

ونود أن ننبه على أن اللجنة المركزية للجهاد لم ترتجل ارتجالا بل انبثقت فكرتها في رؤوس الذين تألفت منهم وبعض رفاق آخرين لهم في سنة ١٩٣٥ حيث

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاخ الكريم والقائد الباسل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاننا اصبحنا نشعر في الآونة الاخيرة بشيء من القلق والاضطراب الذي يساور كثيراً من مواطنينا سيما اخواننا المسيحيين بسبب المطالب المتلاحقة في طلب الدراهم من جهات متعددة ومن اشخاص غير معروفين اولاً ومن تهديدهم بالاذى في حالة عدم الدفع ثانياً . ومن اسباب ذلك كثرة استدعاء الناس من قبل القواد وتنوع جامعين قبل القواد التابعين او بالاحرى من قبل بعض منتحلي صفة القيادة من الاشقياء وتوجيه التهم اليهم بالحق والباطل حتى لقد قيل ان النازحين منهم للانتقام من البلاد لهذه الاسباب قد جاوز عددهم العشرة آلاف وان هذه الحالة قد احدثت تذمراً في أفكار المخلصين الصميميين وجعلتهم ينتظرون علاجاً حكيماً لها ونحن لا نجهل انكم في ملاحقة هذه الظروف تروج الوشايات وتكثر الايدي الدساسة ويحاول بعض من لهم خصومات شخصية أن ينتقموا من خصومهم بشتى الوسائل والاتهامات هذا عدا عن ان السلطات الاستعمارية واعوانها والخبث اليهودي وأساليبه تحاول أن تلعب دوراً هاماً ليستغلها للافساد وخلق جو من الخوف والقلق في نفوس الناس .

اننا نعلم حق العلم ان هذه الامور لا تذهب عن ادراككم ولا تخفى عن بصيرتكم واننا نعلم حق العلم ايضاً انكم تشاركوننا بكل جوارحكم في الاعتراف بما في هذه الامور من تشويه لحقيقة الجهاد الطاهرة النقية التي سطرها المجاهدون الابرار باحرف التضحية والبطولة

لهذا فاننا نرجو ان تعالجوا هذه الامور بما عرف عنكم من الحكمة والروية فتضربون بيد من حديد كل من تسول له نفسه القاء الرعب والقلق في نفوس الناس او سلبهم اموالهم بغير حق او بدافع الانتقام والكيد الشخصي وتمنعون الاصغاء للوشايات بحيث لا يؤاخذ احد بذنب او تهمة الا بعد التثبت منها وقيام البراهين القاطعة عليها وان تحافظوا بالرأفة أولئك الذين تثبت لكم نياتهم الحسنة وسريرتهم الطيبة وان يقل استدعاء الناس واخذهم لاسباب تافهة .

وحبذا لو نشرتم منشورات تعلنون فيها عزمكم على عقاب الوشاة والدساسين والسلابين تشيرون فيها الى طهارة الثورة المقدسة ومقاومتها للظلم والسلب والغدر والباطل وان الناس لاسيما اخواننا المسيحيين يجب ان يكونوا آمنين على اموالهم وارواحهم وعائلاتهم فان منشورات مثل هذه تعيد للقلوب طمأنينتها وتردع الوشاة والدساسين والسلابين وتكون دعاية قوية لاهداف ثورتنا المقدسة ونواياها دائماً لتنيل قادتها الاجلال والله المسؤول ان يثبت اقدامكم ويرزقكم النصر المبين وأن يهدينا وإياكم سبل الرشاد ويجنبنا المواقف الزالة ومواطن العثرات بحوله وعنايته

اخوكم [illegible]

اللجنة المركزية للجهاد الوطني في فلسطين

بيان وتحذير
من اللجنة المركزية للجهاد الوطني بفلسطين

لقد ثبت للقيادة العليا للثورة العربية في فلسطين ، ان بعض الخوارج والمرتزقة الذين تحقق انهم يعملون من السلطة الغاشمة واعوانها من الصهيونيين والخونة ، وقد حاولوا ان يتخذوا من ثورتنا العربية المقدسة وسيلة لبلوغ اغراضهم الخسيسة من تشويه تلك الثورة باعمال السلب والنهب فيما تصل اليه ايديهم الاثيمة ، واستغلالها لمآربهم الشخصية الدنيئة . وقد انضم اليهم بعض اللصوص فتجرأوا على ازعاج الاهلين بطلب النقود والمساعدات المادية متوسلين الى ذلك بوسائل الارهاب والتهديد ، منتحلين لانفسهم صفة المجاهدين في سبيل الله ، الثائرين في وجه الظلم لانقاذ البلاد المقدسة ، وهم من ذلك براء .

لذلك فان القيادة العليا لاترى بدأ من تحذير المواطنين الكرام من اولئك الخوارج المأجورين السلابين الذين ليس لهم ضمير حي ولا وجدان شريف يردعانهم عن التردي في حمأة الرذيلة ومقارفة تلك الاعمال الخسيسة . وهي ترجو من كل عربي في فلسطين كان عرضة لتطاول اولئك الخونة واللصوص الآثمين ان يبادر الى اعلام قيادة الثورة بكل محاولة من المحاولات التي قاموا ، او هم يحاولون القيام بها من هذا القبيل لتعمل على تأديبهم باقصى الشدة والضرب على ايديهم بيد من حديد ، واعادة المال او المتاع المنهوب الى اهله ، فان القيادة العليا حريصة كل الحرص على تأمين راحة الاهلين جميعاً وطمأنينتهم على ارواحهم واموالهم كما هي حريصة على وضع حد لتلك الاعمال الخسيسة التي تشوه جمال ثورتنا العربية وجهادنا الوطني المقدس .

وبهذه المناسبة فان القيادة العليا تعلن للاهلين اجمعين انه لا يحق لاي كان ان يأخذ اي مبلغ منهم او يفرض اية غرامة عليهم . وعلى كل عربي تشعر نفسه الكريمة بالعطف على المنكوبين من ابناء وطنه الذين ذهبوا ضحية الظلم الاستعماري الفظيع والعدوان الصهيوني الاثيم ، ان يتقدم بما تجود به نفسه من مساعدة مادية ، وبالطريقة التي يراها مناسبة ، الى اللجنة المركزية للجهاد الوطني او اللجنة المركزية لاعانة المنكوبين مقابل ايصال رسمي يحتفظ به لابرازه عند الطلب (وما على المحسنين من سبيل)

هذا بيان للناس والله المسؤول ان يوفق اعمالنا وينجح مقاصدنا وينقذ اوطاننا والسلام على من اتبع الهدى .

اللجنة المركزية للجهاد الوطني بفلسطين

بيان المجاهدين
الى الأمة العربية الكريمة

قد بلغ المجاهدين في فلسطين ان بعض الاشرار قاموا باقتحام بعض المنازل في القرى العربية وتصـدوا لفريق من المارة العرب او بعثوا بكتب التهديد بقصد النهب وسلب الاموال ، وانهم فعلوا ذلك باسم المجاهدين وتحت ستار الجهاد المقدس .

ان المجاهدين قد باعوا انفسهم لله ، وخرجوا في طاعته لم يخرجوا الا ابتغاء وجهه، والجهاد في سبيله والفوز بمثوبته واكتساب مرضاته لا يرضون بذلك بديلا ولا يبغون عنها حولا ، صدقوا ماعاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ،وهم يتسابقون الى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق واقـامة للعدل ودفاعا عن امتهم الكريمة وبلادهم المقدسة قد فارقوا في سبيل ذلك اهلهم وتركوا اموالهم وعطلوا مصالحهم ومن كان هذا حالهم ، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة من الله لامن سواه ، حاشا لله ان يفسدوا في الارض ويسلبوا اموال اخوانهم ، فيبطلون بذلك اعمالهم ويخرجون من زمرة المجاهدين الابرار الى زمرة السفلة الاشرار .

ولذلك فان المجاهدين يعلنون بان هؤلاء السلابين ليسوا منهم وانهم بريئون من تلك الاعمال الدنيئة ويلفتون نظر الاهالي جميعا الى ما ثبتت حقيقته من ان بعض هؤلاء الاشرار ينتهزون الفرص ليصطادوا في الماء العكر كما ان بعضهم مدفوع من قبل دائرة الاستخبارات السرية الانكليزية ، وانها تستأجرهم لذلك بقصد توهـين صفوف الامة وايقاع الفساد بينها وتشويه حركة الجهاد المقدسة ، وقد حدث ان شخصا داهم في المدة الاخـيرة منزل رجل عربي ليلا وطلب منه مالا وهدده بالقتل ان لم يدفع فاستعان الرجل ببعض الناس وقبضوا عليـه وفتشوه فوجدوا معه مسدس بوليس رسمي واوراق تدل على انه ذو صلة بدائرة الاستخبارات الانكليزية وان هذه الدائرة قد استخدمت بعض الافراد والجماعات للقيام بهذه الاعمال السافلة .

والمجاهدون الذين اخذوا على عاتقهم متابعة هؤلاء الاشرار الأجراء ومطاردتهـم يرجون كل من يقع له حادث مثل هذا ويتمكن من معرفة فاعليه او الاشتباه بهم ، ان يتوسل لابلاغ ذلك الى قيـادة اي فريق من المجاهدين لينالوا شر الجزاء على ماقترفته ايديهم الاثيمة .

وانا نهيب بكل مسلم وعربي ان ينهض للجهاد في سبيل الله ويساعد المجاهدين على الدفاع عن البلاد المقدسة التي هي امانة في عنق كل منهم يسأل عنها امام الله والناس والتاريخ ، ونحن ماضون في هذا السبيل ان شاء الله الى ان يكتب النصر لهذه الامة او يأتي الله بامر من عنده (ولينصرن الله من ينصره) ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ، والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير .

قيادة الثورة العامة في فلسطين

من مشاهد المؤتمر النسائي في القاهرة وقد تصدرت هدى هانم الجمع



من مشاهد المؤتمر البرلماني في القاهرة ويبدو في الصورة محمد علي علويه واقفاً خطيباً

الفوا جمعية سرية جهادية جعلوها قائمة على بدء وحدة الخمسات من حيث التكوين وعلى بدء الجهاد الدموي والتجهيز له والاجابة إلى دعوته اجابة متسلسلة حينما تتكامل أسبابه ويدعو الداعي اليه . وقد كانت الخطوات الاولى لهذه الجمعية تبشر بالنجاح في التكوين حيث أمكن ضم عدد غير قليل من الراغبين في الجهاد والتضامن فيه رغبة خالصة لوجه الله من دون أن يعرف الواحد منهم اكثر من الذي أدخله فيها . ومع أن مفاجأة ظروف الاضراب والحركة الثورية التي انبثقت عنه في المرحلة الاولى كانت عائقة بعض الشيء في التوسع في التكوين فان ماتم إلى حين إعلان الاضراب منه قد أفادفائدة غير يسيرة في الحركات الجهادية ، كما ان الهيئة المركزية للتشكيلة قد استغلت ظروف الاضراب العام في التوجيه إلى الحركات الجهادية وتجهيزها وتدبيرها .

قيادة الثورة في يد الفلسطينيين

●

ولقد تسرب إلى فلسطين ملتحقاً بالثورة كثير من أهل شرق الاردن وسوريا ولبنان ، غير أن قيادة الثورة ظلت في هذه المرحلة في يد قوادها الفلسطينيين الذين كان جلهم أو كلهم من القرويين الذين كانت اللجنة المركزية للجهاد جهزت وسيرت بعضهم في بدء الانفجار على ما ذكرناه قبل . وقد بذلت اللجنة مساعيها أمداً غير قصير في تيسير انضمام القاوقجي في هذه المرة أيضاً وتوحيد حركات الثورة تحت قيادته لما كان من نجاح التجربة في المرة الاولى ولكن مساعيها لم تقترن بنتيجة ايجابية .

مناطق الثورة وقياداتها وقوادها

●

على ان قواد الثورة الفلسطينيين الرئيسيين قد تكشفوا عن مزايا غير يسيرة من الحزم والتنظيم والبراعة في الكر والفر وفرض النفس وتوطيد الرهبة والهيبة والاسم وحسن ادراك اسباب الثورة وغاياتها مما كان فيه عوض كبير . وان لم يكن توحيد القيادة او بالاحرى توطيد وحدتها ، لانه كان هناك شيء من التكافؤ والتناظر معاً بين اولئك القواد جعل من الصعب ان يبلغ بعضهم بعضاً ، فجرى الامر على هذا المنوال إلى آخر الشوط . وكل ما امكن هو توحيد القيادة العليا في

عدة مناطق تحت إدارة عصبة من طبقة المشايخ (١) التي كان يتزعمها ابو ابراهيم الكبير (خليل العيسى من مزرعة القدس) بما ظهر منه من شخصية قوية وحزم ودهاء يسانده فيها ابو ابراهيم الصغير (توفيق الابراهيم من اندور الناصرة) وابوعلي (سليمان العبد القادر من سمسم غزة) اللذين تكشفاهما الآخران عن مزايا شخصية قوية ؛ حيث ضمت هذه القيادة مناطق طبريا وصفد وعكا والناصرة وقسما من منطقة نابلس وقسما من منطقة القدس الشمالية . وكانت المنطقه المتوسطة (لواء نابلس) مقسمة إلى أربع قيادات رئيسية ، ففي منطقة جنين الغربية قيادة تولاها الشيخ عطية أحمد من حيفا فاستشهد فتولاها الشيخ يوسف ابو درة من السيلة الحارثية ، وفي منطقة جنين الشرقية قيادة تولاها محمد صالح العبد من سيلة الظهر المكنى بأبي خالد ، وهي التي كانت تحت إدارة قيادة المشايخ الموحدة فاستشهد فتولاها الشيخ عبد الفتاح العبد من نفس القرية المكني بأبي عبد الله فاستشهد فتولاها (ابو عمر) من نفس القرية وجميعهم من نفس الطبقة ، وفي منطقة طولكرم الشرقية قيادة كان يتولاها عبد الرحيم الحاج محمد من ذنابة الملقب بأبي كمال فاستشهد في أواخر دور قوة الثورة فتولاها مدة ما الشيخ أحمد محمد الحسن من برقة الملقب بأبي بكر، وفي منطقة طولكرم الغربية قيادة كان يتولاها عارف عبد الرزاق من الطيبة المكني بأبي فيصل ، أما المنطقة الجنوبية فقد كان في منطقة اللد منها قيادة تولاها الشيخ حسن سلامة من قضاء الرملة الملقب بأبي علي الذي تولى قيادة نفس المنطقة في حرب فلسطين الاخيرة وقبل دخول الجيوش العربية واستشهد فيها ، وفي منطقة الخليل قيادة كان يتولاها عيسى البطاط من قضاء الخليل فاستشهد فتولاهاعبدالحليم الجيلاني من الخليل الملقب بأبي منصور ، وفي منطقة القدس قيادة تولاها عبد القادر كاظم الحسيني الملقب بمنصور وهو بطل القسطل وشهيدها وقائد منطقة لواء القدس في حرب فلسطين الاخيرة .وكان هناك مناطق تقوم فيها حركات ثورية مثل بيرالسبع وغزة والمجدل وبعض أنحاء جبل القدس ؛ غير أنه لم يبرز فيها قائد يفرض نفسه وقيادته العامة في منطقته فكان قوادها يستمدون تموينهم وتوجيهاتهم من القيادات العامة التي في المناطق القريبة .

«١» هذا التعبير لا يعني مشيخة العلم الديني المعتادة . وانما هو اصطلاح جاء بسبب ما كان من تدين هذه الطبقة واطلاقهم لحاهم . وهم الذين أشرنا اليهم سابقاً .



القائد عبد الفتاح العبد
الملقب بأبي عبد الله



القائد خليل عيسى الملقب
بأبي ابراهيم الكبير



القائد ابو محمود الصفوري



القائد توفيق الابراهيم
ابو ابراهيم الصغير



القائد الشيخ عطيه



القائد محمد صالح العبد الملقب بأبي خالد

مجلس القيادة الاعلى

●

ولقد امكن كذلك تكوين مجلس اعلى من القواد الرئيسيين لتنسيق العمل والصلات ، وذلك في مؤتمر عقده هؤلاء القواد في صيف عام ١٩٣٨ بتوجيه اللجنة المركزية قرروا فيه أيضاً الاستمرار في الكفاح الى ان تتحقق غايات الثورة ودعوة الشبان المتخلفين الى السلاح وإعلان الموراتوريوم لسنة كاملة . وكان هذا في ظروف قيام لجنة التقسيم الفنية بمهمتها والارهاصات الدائرة عن نواصيها .

مباشرة الجهاد وفصائله

●

وكان من المجاهدين من فرغ نفسه للجهاد بصورة دائمة ، ومنهم من كان في قريته او مدينته مستعداً للنجدة والعمل ويقوم بالعمل من آن لآخر . وقد كان كل قائد رئيسي يقسم هؤلاء واولئك الى فصائل تحت امرة قائد ثانوي يسمى قائد الفصيل بينما يسمى القائد الرئيسي القائد العام . وكثيراً ما كان يطلق على الفصائل أسماء جهادية اسلامية مثل صلاح الدين الايوبي وابي عبيدة والقادسية واليرموك وفيصل وسعد والتقوى والجهاد الخ . ويتألف الفصيل عادة من عشرة الى ثلاثين مجاهداً او مسلحا ويعين القائد العام له ساحة عمل او مهمة خاصة يقوم بها . وقد قوي بعض قواد الفصائل حتى كادوا يرون انفسهم اكبر من ان يظلوا تابعين لقائد ويستقلون بالاعمال الكفاحية والاجراءات المحلية ويزهون بما يكون من بطولات ونجاح لهم فيها ، وكان القواد العامون يدارون امثال هؤلاء استبقاء على مظهر وحدة قيادتهم وهيبتها ويرضى هؤلاء بهذه المداراة وقلما يذهبون الى ابعد منها ، ولا سيما ان اللجنة المركزية لم تكن تشجع على الاستقلالات المحلية بل وكانت تحاول دمج القيادات في وحدات كبرى ما أمكنها ذلك وتجعل من مساعدتها على التموين قبضاً وبسطاً وسيلة إلى بقاء قواد الفصائل مرتبطين بقياداتهم العامة .

بعض قواد الفصائل البارزين

●

وممن برز من هؤلاء أبو شوكة النوباني من مزارع القدس وأبو فؤاد حمد الزاوتي من زواتا نابلس وعبد الرحمن زيدان وعبد الجادر من دير الغصون طولكرم وعلي

الفارس من أم الفحم وفوزي الجرار من صانور ومحمود سالم من زرعين وعبد الله الأصبح من الجاعونة وصبري الحمد من السنديانة وابراهيم العموري من ارتاح طولكرم وأبو سليمان عبد الحميد المرداوي من مردا نابلس وعبد الله الأسعد من عتيل وعبد الله الطه من سيلة الظهر وابراهيم أبو دية من صوريف الخليل كذلك برز عدد آخر من القواد الثانويين إسماً وكفاحاً مع بقائهم منسجمين مع قوادهم العامين انسجاماً تاماً منهم كامل الحطاب من طولكرم ومحمود الخضر الملقب بأبي خضر من حيفا ومحمود سليم الصالح الملقب بأبي عاطف من عموقة صفد ومحمد محمود الصفوري الملقب بأبي محمود من صفوريه وأحمد النوبي الملقب بأبي غازي من صفورية والحاج محمود الشنيوي من سمخ. وهؤلاء واولئك ليسوا كل البارزين وإنما الذين حضروا الذاكرة حين الكتابة حيث برز عدد لا يقل عنهم أيضاً. وقد استشهد كثير منهم فتلألأ سجل شهداء فلسطين بنور دمائهم الطاهرة.

مباشرة المعارك الكبرى

●

وحينما تكون تطويقة ومعركة كبرى نتيجة للحركات التي تقوم بها الفصائل تتجمع هذه حول القائد العام الذي يكون قائد الحملة. وكثيراً ما يكون عدد المتجمعين ثلاثمئة وأربعمئة، وكثيراً ما تأتي «فزعات» من قرى المناطق الاخرى وفصائلها فتبلغ الحملة ستمئة وسبعمئة، ويقسمهم القائد العام الى كتل صغيرة مقدمة ومؤخرة وميمنة وميسرة ومناوشين وكارّين وفارّين وحماة وهكذا بحيث لا يكون اشتباك عام، وكثيراً ما يتمكن القائد العام من اختيار المركز الملائم لحملته أو قلبها والذي يكون على الأغلب في الجبال والأدغال والوعور. والقواد العامون يعرفون ان حماس رجالهم مستمد من حماسهم وإقدامهم فيقدمون وقد يتقدمون الحملة.

ولقد ذهب في عداد ضحايا الثورة عدد من هؤلاء القواد الرئيسيين كما ذهب عدد كبير من قواد الفصائل، وكان فراغ القائد الشهيد يمتلىء بعد قليل من الواقعة فلا ينشتت شمل رجاله ولا ينفرط عقد فصائله. ولم يكن هذا في أوج سلطان الثورة حيث كان يسبغ على القائد فخاراً واسماً وتكريماً ونفوذاً يحفز إلى المغامرة بل كان يقع في الدورين الثاني والرابع من الثورة أيضاً مما فيه الدلالة على أصلية روح

الكفاح وقوته منذ الأصل في الذين تولوا القيادة رئيسية كانت أو ثانوية ونحوها ولقد نشرت السلطات منشوراً بأسماء واحد وعشرين منهم ووعدت بمكافـآت سخية متفاوتة حسب قيمة ونشاط كل واحد لمن يساعد على اعتقالهم ظناً منها ان هذا قد يغري الوشاة ويشل الحركة ، وقد خاب ظنها فلم يفد تكرر النشر والاغراء وقد اعترف وزير المستعمرات بالفشل أمام لجنة الانتدابات عام ١٩٣٨ حيث قال إنه أعلن عن مكافآت مجموعها عشرون الف جنيه لاعتقال المتهمين بقيادة الثورة فلم يتقدم أحد .

مظاهر سلطان القواد العامين

●

ولقد أصبح قواد الثورة الرئيسيون بالاضافة إلى قيادة معارك الثورة الكبيرة وتوجيه الفصائل وادارتها وتدبير مختلف الشؤون الكفاحية بمثابة الحكام الاداريين أو الامراء الاقطاعيين ، كل له منطقة معروفة الساحة والقرى ، لهم أختامهم وأوراقهم المطبوعة ونشراتهم وبلاغاتهم عن أحداث الثورة والتوجيهات المتنوعة الاخرى ولهم كتابهم وحجابهم وحراسهم ومنفذو أمرهم ، يصدرون الأوامر والتعليمات ويوجهون الناس في ما تقتضيه الظروف ويعقدون المجالس لحل ما كان يعرض عليهم من قضايا ومشاكل خاصة وعامة ثورية ومدنية وجزائية وحقوقية وينفذون أحكامهم بالسرعة ويجلبون الشهود والخصوم رضاء أو كرهاً؛وتزدحم معسكراتهم بالغادين والرائحين زواراً ومتقاضين ومستجيبين ومقترحين ومشتكين ومنفذين ومتزلفين بالهدايا دون مبالاة بالسلطات وقواتها واجراءاتها ،ومنهم من افتتح « الدفاتر العتق » فأخذ يجلب السماسرة وباعة الأراضي ويحاكمونهم ويحكمون عليهم مختلف الأحكام والغرامات والعقوبات وينفذونها كما كانوا يحكمون بالموت وينفذونه على من تثبت الشهادات والوقائع خياناتهم وتجسسهم .

وكانت القرية التي يحل فيها قائد عام تزدحم بأهل القرى المجاورة بل وبوفود المدن القريبة وتقام الولائم والحفلات الحماسية وتنشد الاهازيج وترسل الزغاريد كأنما الناس في عيد عام دون مبالاة ولاتحسّب لانه لم يكد يلمس للحكومة وجود خارج المدن .

ولقد زار بعض مراسلي الصحف الاجنبية بعض القواد بعد استئذان ومراسم

فوصفوا ما بلغ اليه شأنهم وسلطانهم وبراعتهم وهيبتهم وصفاً شائقــاً . ومن طريف ما حصل أن بعض الثوار نهب بيتاً انكليزياً في حيفــا فذهبت صاحبــة البيت تشكو للحاكم الانكليزي فهز كتفيه وقال لها مازحا اذهــبي لابي درة وهو قائد عام في منطقة جنين له بعض الاتباع في حيفا فأخذت الكلام جداً ودبرت أمرها حتى استطــاعت ان تزور أبا درة في معسكــره وأن تطلب منه إعــادة منهوباتها فعرض عليها بعض رجاله فتعرفت على بعضهم وحينئذ اعترف الثائر بصحة دعواها فأمره القائد برد مافي يده من مالها وحليها مقابلة لما كان من قدومها وشكواها اليه .

ومما كان يحدث أن بعض المدعين الذين تطول قضاياهم في محكمة مدنية أو شرعية كانوا يطلبون شطبها أو تأجيلها الى أجل غير مسمى ثم يرفعونها الى قائد عام منطقتهم لانهم كانوا يرون سرعة الحكم والتنفيذ لديه أضمن ، وكان بعضهم يحتال حتى يأخذ ملف قضيته ويقدمه الى القائد العام ، بل وقد كان بعض القضاة العرب في المحاكم المدنية يوحون للمدعي بذلك ويسهلــون عليــه الحصول على ملف قضيته .

أخطاء الثورة

●

ومما يجب تقريره أنه كان يقع أخطاء في إجراءات وتصرفات القواد ؛ غير أن اكثرها كان يقع عن حسن نية ونتيجة لسوء الفهم او ضعف التقدير او سوء نية الناقلين والمخبرين ، ولم يندر مع ذلك ان يستغل بعض القواد وخاصة بعض قواد الفصائل ما وصلوا اليه من صولة وهيبة ونفوذ استغلالا غير بريء ممــا أدى إلى تذمرات وشكايات عديدة كانت اللجنة المركزية للجهاد تبذل قصارى جهدها في التنبيه عليها والتنديد بها والعمل على تلافيها ببلاغات عامة ترسلهــا إلى القــواد العامين ، وقد اذاع القواد نتيجة لذلك بيانات تبرأوافيهامن أعمال النهب والغصب والاغتيال التي كان يقترفها بعض قواد الفصائل أو بعض الثوار واعتبروا الفاعلين خوارج وانذروهم بشديد العقاب واعلنوا استعدادهم لسماع الشكاوي والتحقيق فيها وتأديب من يثبت عليه مثل تلك الاعمــال . وقد نشرنا مع هــذا صــوراً زنكوغرافية لبعض البلاغات والمناشير في هذا الباب . وقد نفذ القواد وعودهــم

وأدبوا بعض الذين أدينوا بهذه الأفعال . وقد حاولت اللجنة المركزية فيما حاولته أن تلحق بكل قيادة مستشاراً إدارياً وآخر قضائياً وواعظاً تتكون منهم لجنة حين الحاجة لضمانة عدم التورط في تلك الأخطاء وسارت بعض الخطوات في سبيل تحقيق هذا القصد . وقد اوفد إلى الجبهات من أجل ذلك كل من واصف كمال وممدوح السخن وفريد يعيش ورشاد الشوا ومحمود علاء الدين وسليم الحسيني وأكرم الجاعوني ومصطفى الطاهر.

وأكثر الذين تولوا القيادات العامة لم يعينوا لها تعييناً وإنما فرضوا أنفسهم فرضاً بقوة شخصياتهم وبسالتهم ومجازفتهم وفرضهم أنفسهم على من انضم اليهم، وتوطد مركزهم مع الاستمرار وبنسبة اتساع الثورة واشتدادها . ولم يسع اللجنة المركزية إلا أن تساير الوقائع وتتدبر بحكمة في تقويم ما اعوج منها وفرض نفسها واسماع كلمتها . وكان ما تستطيع اللجنة أن تمد القيادات به من مساعدات متنوعة وسيلتها إلى ذلك . غير أن مواردها الضعيفة لم تكن لتسمح بأن تكون هذه المساعدات وافية وأن تكون الوسيلة الحاسمة . ومع ذلك فقد استطاعت اللجنة أن تكون قابضة على زمام الأمر منذ البدء وأن تظل كذلك وأن تحمل القواد على اعتبارها مرجعهم وأن يكون الاتصال بينهم وبينها وثيقاً وتعليماتها وتوجيهاتها نافذة في أكثر الظروف وبنسبة لا تقل عن ستين بالمئة . وهي نسبة ناجحة في ظروف الثورة وطبيعتها وفي بلاد مثل بلادنا وكيفية مثل الكيفية التي كانت عليها الثورة في هذه المرحلة من دون ريب . وقد أنقصنا النسبة عن تمامها بسبب ما كان يقع من القواد من إجراءات وتصرفات غير سليمة أو غير حكيمة أحياناً باجتهادهم الشخصي ودون رجوع إلى اللجنة ووقوف عند تعليماتها وتوجيهاتها ، وبسبب ما كان يقع كذلك من بعضهم من أعمال استغلالية لا تتفق مع الغاية التي استهدفتها الثورة ، ثم بسبب ما كان يلمس من تأثر بعضهم بالأهواء والتحريضات المغرضة ومن اندفاع بعضهم وراء الزهو والتبجح والتنافس . على أن من الحق ان نذكر أن حسن إدراك القواد لأسباب الثورة وغاياتها وغلبة الروح الجهادية والوطنية والدينية كان مؤثراً الى حد غير يسير في تلك النسبة من نجاح اللجنة المركزية .

وإذا نحن نوهنا بحسن ادراك القواد لأسباب وغايات الثورة فاننا لا نعني ان ذلك كان خافياً على غيرهم من قواد ثانويين أو مجاهدين بل والسواد الأعظم الذي

كان مندمجاً في الحركة الكفاحية . فقد غدت هذه الأسباب والغايات واضحة للجميع منذ نشوب الثورة وخاصة منذ إعلان تقرير التقسيم وتبني الحكومة الانكليزية لمشروعه والعزم على إقامة دولة يهودية في قسم من فلسطين فضلا عن أنه القسم الأفضل من مختلف الوجهات وان فيه ظلماً صارخاً في حد ذاته من ناحية سكانه وملاكه العرب .

وهنا محل الاستطراد لمسألة مهمة . فقد اغتيل أثناء الثورة بعض رجال من صفوف المعارضة ومنهم حسن صدقي الدجاني . وقد قتل مخاتير ووجوه بعض القرى الذين كانوا ينتسبون كذلك إلى المعارضة أو زعمائها .

وقد نصبت كمائن لبعض زعماء المعارضة ومنهم من اصيب فيها بجراح وقد قطعت أو دمرت بساتين وأملاك لبعض زعماء المعارضة كذلك . وربما اغتيل أو أوذي غير واحد ممن ينتسب إلى المعارضة أو يلوذ برجالها في القرى والمدن . وقد جعل هذا كثيراً من زعماء المعارضة يفرون من فلسطين وينشرون الأقوال بأن ذلك كان بايعاز المفتي ورفاقه في سوريا ولبنان . فنحن من جهتنا نؤكد للحق والحقيقة فقط انه لم يكن لنا علم مسبق بما جرى من أمثال هذه الحوادث ولا إيعاز بأي شكل بمثلها واننا كنا نستنكر وقوعها ونشدد على وجوب الامتناع بكل جهدنا عنها ونسعى ما قدرنا على تلافي آثارها . وهذا كان كذلك بشأن المفتي ورفاقه في لبنان على ما نعتقد . ولم نسمع ولم نلمس منهم أي تحبيذ أو تجويز أو إيعاز بمثل هذه الحوادث . وهذه الأحداث ــ وهي على كل حال قليلة في حقيقتها وإنما بولغ فيها مبالغة كبيرة ــ كانت تقع نتيجة لاجتهادات فاعليها وجو الثورة وروحها ، ولا سيما إن المعارضين كما قلنا قبل قد وقفوا من الثورة موقف المناوىء المثبط وكانوا يقولون أنها شخصية حزبية ويوعزون إلى من يلوذ بهم في المدن والقرى بعدم الاندماج فيها . وكان بعضهم يستجيب لهذه الايحاءات فيقف من الثورة والثوار موقف عداءٍ ومناوأة بل ووشاية . ومن الأدلة الحاسمة على ذلك قلة الذين وقع عليهم الاذى من زعماء المعارضة ومن يلوذ بهم مع أنه بقي منهم كثيرون في فلسطين في ظروف صولة الثورة واشتدادها وكانت أذيتهم أو القضاء عليهم أمراً هيناً لو كان ذلك من خطط ومرامي المفتي ورفاقه .

ولقد كان يقع إلى هذا حوادث اغتيال أو مطاردة وأذى وتأديب لاناس غير بارزين في صفوف المعارضة ايضاً ، وهذه كذلك قليلة في حقيقتها وإنما بولغ فيها

مبالغة كبيرة . وكان قواد الثورة يفعلون ذلك بسبب ما كانوا ارتكسوا فيه من جرائم التجسس والسمسرة والانحراف السابقة او اللاحقة . وبرغم إساءة روح الثورة لمثل هذه الاحداث فللحق والحقيقة نقول ايضاً انها لم تكن بعلم او موافقة او ايعاز رجال اللجنة المركزية للجهاد في سورية ولبنان .

خسائر السلطات واليهود

●

اما خسائر السلطات فلم ينشرعنها اجمال عام فيما نعلم . وكانت النشرة الرسمية تتحفظ كثيراً في الاشارة اليها حتى لقد كانت تغفلها الا مالا امكان لنكرانه من حوادث تقع جهرة ونهاراً في المدن والا بعض اشارات تافهة ذراً للرماد في العيون فبينما يكون الثوار هم البادئون او المستفزون والمتحرشون وكانوا كذلك في الاعم الاغلب ثم تجري حركة تطويق واسعة يكون الثوار فيها متحصنين في الجبال والوعور والادغال وغير متكتلين صفوفاً وتدوم المعركة ساعات طويلة وتضطر اخيراً للانسحاب تقول نشرتها انه جرح جندي واحد جراحاً خفيفة او ثقيلة واحياناً تذكر قتل جندي او ضابط ثم تقول انه يُعتقد وقوع عشرين او ثلاثين اصابة في الثوار .. وينجلي الميدان عن دماء غزيرة في اماكن الجيش ثم تأتي الرسل تحمل اخبار المعركة بوصف عظيم ونصر مبين للثوار في اكثر المعارك وعدد كبير من ضحايا قوات السلطات واسلابها .

ولقد التحق بعض افراد من الجيش الانكليزي بالثوار على ما ذكرنا سابقاً فذكروا ان اصابات الجيش هي اضعاف اضعاف ما تنشره النشرات .

ولقد حظرت السلطات على صحف فلسطين تفصيل الحوادث والتعليق عليها مما كانت تعتذر به للرأي العام عن اقتضابها الاخبار حتى لقد اضربت مرة بسبب ذلك . ومع ذلك فقد كانت تحتوي اشارات موجزة الى احداث كثيرة لم ترد في النشرة ومن جملة ذلك اخبار سيارات الاسعاف التي كانت تغدو وتروح عقب المعارك والتطويقات او اثناءها ، فكان ذلك سبباً لتحظير نشر شيء غير النشرة الرسمية ، فضلا عن ما كان محظوراً من نشر اي شيء عن الحركات والتنقلات العسكرية كأن جيوش بريطانية العظمى في حرب مع دولة كبرى مثلها ترى من الخطر نشر تنقلات جيوشها وحركاتها العسكرية .

على انه كان يرد احياناً في الصحف الانكليزية واليهودية وعلى لسان وزير

المستعمرات بعض الانباء والاعداد . ففي اجابة للوزير ذكر ان عدد القتلى في مايس ١٩٣٨ قد بلغ ٣٦ والجرحى ٤٤ دون تعيين . وفي إجابة اخرى له ان عدد القتلى في الاسبوعين الاخيرين من تموز ١٩٣٨ بلغ ٧٧ والجرحى ٢٤٧ دون تعيين ايضاً وفي برقية من لندن ان إصابات شهر تموز ١٩٣٨ بلغت ٦٧٧ منها١٤٦ قتيلا و٢٤٦ جريحاً من العرب و٤٨ قتيلا و١٩١ جريحاًمن اليهود و١٩ قتيلاو٢٣ جريحاً من الانكليز . وفي برقية اخرى ان اصابات الايام العشرة الاولى من شهر آب ١٩٣٨ بلغت ٣٥٧ منها ١٥ قتيلا وستة جرحى من الانكليز و٤١ قتيلا و٧٦ جريحاً من اليهود و١٨ قتيلا و١٧٦ جريحاً من العرب . وفي برقية اخرى ان اصابات شهر آب ١٩٣٨ هذا بلغت (٥٤٩) ... ولا تمثل هذه الارقام الحقيقة فيما نعتقد بل ونجزم وخاصة بالنسبة لاصابات السلطات والعرب . لان اكثر هذه الاصابات كانت تقع في المعارك والتطويقات التي كانت تجري في البر والجبال والادغال والوعور ، وكانت السلطات تخمن إصابات العرب فيها تخميناً بينما تتكتم في إصاباتها تكتماً شديداً . ولذلك لا نتجاوز المعقول اذا قدرنا إصابات قوات السلطات في الاشهر الستة التي كانت التطويقات والمعارك تتوالى وتشتد من اشهر صيف وخريف سنة ١٩٣٨ بستمئة وإذا ضاعفنا هذا العدد بالنسبة لبقية سنتي الثورة اي من خريف سنة ١٩٣٧ إلى خريف سنة ١٩٣٩بما في ذلك اصابات البوليس الفلسطيني اليهودي والعربي معا ، وهذا بالاضافة الى ستة ملايين جنيه كانت احتياطية في خزينة فلسطين فبلعتها النفقات الاضافية للحركات ثم أخذ وزير المستعمرات يطلب الاعتمادات المالية من البرلمان على حساب الخزينة البريطانية مما كان له رد فعل شديد في الاوساط الانكليزية حيث اخذت تشعر بشدة العبء الذي تحمله ، ولا يدخل في هـذا ما اصاب ممتلكات الحكومة في فلسطين من خسائر كبيرة .

اما إصابات اليهود فانها مهما تحفظنا في التقدير لا تقل عن الف وخمسمئة ربعهم ان لم يكن ثلثهم قتيل . وإذا كان من الصعب تقدير الخسائر التي لحقت بمستعمراتهم وممتلكاتهم وبساتينهم وحقولهم فليس من التجوز ان نقدر قيمة ذلك بنحو مليوني جنيه فضلا عن ما تكلفه من نفقات الدفاع والخفراء والاسلاك الشائكة التي أحاطوا بها جلّ مستعمراتهم وفضلا عن مامنوا به من عطالة شديدة وغلاء باهظ وانقطاع سياح ومهاجرين واغنياء بل وتبرعات مما لا يقل قيمته عن مثل ذلك وفضلا عن حركة النزوح الواسعة التي كلفتهم طائل النفقات .

آثار الثورة في العالم العربي والاسلامي

●

ولقد كان لثورة فلسطين وأخبارها وضحاياها وبطولة أبنائها وتحملهم آثار عظيمة في العالمين العربي والاسلامي .

ففي مصر نشط محمد علي علوبة في تكوين لجنة برلمانية اشترك فيها عدد من الشيوخ والنواب من مختلف الأحزاب ووضعت مذكرة قوية باستنكار المظالم الواقعة على فلسطين والانتصار لعروبتها وعربها بلغ عدد موقعيها منهم (١٧٠) ؛ ثم قررت عقد مؤتمر برلماني عربي ونفذ ذلك حيث عقد في القاهرة في صيف عام ١٩٣٨ اشترك فيه نواب وشيوخ عديدون من مصر والعراق وسورية ولبنان يمثلون مختلف الأحزاب كما اشترك فيه وفد من فلسطين وآخر عن المغرب العربي وثالث عن مسلمي الهند ورابع عن مسلمي البشناق اليوغوسلافيين . وقد قرر تأييد الميثاق القومي الفلسطيني واستنكار اصرار الحكومة الانكليزية على التقسيم ، وتمجيد بطولتهم ، كما قرر إرسال وفد إلى لندن يرفع الصوت فيها عالياً بذلك التأييد وهذا الاستنكار ، وحظي المؤتمر بعطف الملك فاروق ورعايته . ولقد سافر وفد المؤتمر فعلا برئاسة محمد علي علوبة ، وبذل جهوداً مشكورة بسبيل مهمته .

وتبع المؤتمر البرلماني المؤتمر النسائي العربي في القاهرة الذي نشطت في سبيل دعوته هدى الشعراوي وساعد أكرم زعيتر في إنجاحه . وقد اشترك فيه عدد كبير من النساء العربيات في مصر وسورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والعراق كمندوبات عن جمعياتها النسائية . وقد حذا حذو المؤتمر البرلماني في تأييد ميثاق فلسطين واستنكار المظالم الانكليزية بسبيل تنفيذ المؤامرة اليهودية الانكليزية ، والاشادة ببطولة العرب وما تحمله اهل فلسطين من عظيم التضحيات ،

ونشط جماعة الاخوان المسلمين فقاموا بمظاهرات عديدة وكذلك نشط الأزهر وعلماؤه وطلابه ونشروا بيانات شديدة.

واهتمت الحكومة المصرية اهتماماً غير يسير وكان يتولاها محمد محمود فقامت باتصالات عديدة وأبدت في البرلمان عواطفها وتأييدها ؛ وكانت قضية فلسطين موضوع اهتمام خاص في زيارة محمد محمود لندن في هذه الأثناء .

ودبّجت يراعات الكتاب مقالات رائعة في جهاد فلسطين وسمو حركتها وقدسية فلسطين في نظر العرب والمسلمين .

ومع أن الوفد المصري لم يندمج في حركة المؤتمر البرلماني اندماجاً قلبياً بسبب النفسيات الحزبية فان قضية فلسطين كانت من المواضيع التي أولاها عناية في مؤتمره العام .

وفي الجملة فقد كان اهتمام مصر وحماسها للقضية أشد وأقوى منه في عام ١٩٣٦ وكان حماس العراق واهتمامه ومساعداته قوية عظيمة هذه المرة أيضاً ، فتكررت المظاهرات والاحتجاجات من مختلف الهيئات في مختلف المناسبات كما ان مدنه أضربت أكثر من مرة وجمعت جمعية الدفاع عن فلسطين مبالغ غير يسيرة لمساعدة منكوبي الثورة ومدها كما تيسرت لها منه وسائل مهمة . وجرت اتصالات عديدة رسمية بين الحكومة العراقية والحكومة الانكليزية في صدد القضية وتطوراتها وحلولها ، وأذاع علماء العراق بيانات قوية في تمجيد الجهاد وقدسية فلسطين .

وقد تأثر شرق الاردن فاضربت مدنه وخاصة عاصمته وتظاهرت اكثر من مرة ووقعت اعتداءات عديدة على أنابيب البترول الممتدة في أراضيها كما حدثت أحداث ثورية من اعتداءات على المخافر ودور الحكومة في منطقة جبل عجلون ، وأخذت بعض الفئات الوطنية بالتفاهم مع لجنة الجهاد المركزية وتعاونها تتهيأ للقيام بحركة ثورية قوية ضد الانكليز ومنشآتهم وان لم تصل الى نتيجة إيجابية مما أزعج السلطات فيه أشد الازعاج . وقد التحق كثير من أبنائه بالثوار في فلسطين أيضاً وهذا فضلا عن ما كان له من دور هام كمصدر من مصادر تموين الثورة وكطريق لقوافل الثوار ومددهم من سورية .

وكان نصيب سورية ولبنان عظيما ، لأنهما كما قلنا قبلا كانتا مصدراً رئيسياً من مصادر تموين الثورة ومركزاً من مراكز إدارتها وتوجيهها فضلا عما كان من نشاط عظيم في سبيل جمع التبرعات وتنظيم مواردها مما كان لنبيه العظمة فضل كبير فيه ، وفضلا عن ما التحق بالثورة من عدد غير قليل من أبنائهما. وكانتا الى هذا تتجاوبان مع اهل فلسطين في كل موقف حيث كانت الاحتجاجات والمظاهرات والاضرابات تتكرر كلما وقع حادث عظيم او ظلم جديد . وقد عقد علماء البلدين مؤتمراً كانت قضية فلسطين من اهم مواضيعه ، واذاع بياناً استنكارياً وتأييداً قوياً .

وأشارت الصحف اكثر من مرة إلى اهتمام العاهل السعودي لقضية فلسطين واحداثها واستنكار تقسيمها واتصالاته بالحكومة الانكليزية وارساله المذكرات الشديدة اليها في صددها كما كانت موضع اهتمام ولي عهده الأمير سعود في رحلاته

حيث كانت تؤثر عنه تصريحات شديدة عن قدسية فلسطين وعدم إمكان التساهل في تهويد جزء منها مهما كانت النتائج .

وكانت عواطف مسلمي الهند تبدو من حين إلى حين بما كان يعقد من اجتماعات ومؤتمرات عظيمة يتقرر فيها الاستنكار والاحتجاج ويشاد ببطولة عرب فلسطين ويؤيد ميثاقهم وينوه بما لفلسطين من قدسية عظمى لدى مسلمي الهند وترفع الاخطارات بذلك إلى الحكام الانكليز . وقد أعلنت الرابطة الاسلامية يوماً خاصاً باسم فلسطين أضرب فيه المسلمون في كافة أنحاء الهند وأبرقت فيه برقيات الاستنكار الشديدة .

وكان كل هذا مما يقوي من نفوس عرب فلسطين وعزائمهم وصبرهم وتصميمهم على الاستمرار في الكفاح إلى النهاية .

آثار الثورة في الاوساط الانكليزية

●

ولم تمض غير مدة يسيرة حتى أخذ رد فعل الثورة يبدو على الأوساط الانكليزية بأشكال متنوعة . فقد أخذت بعض الصحف الانكليزية بما فيها التايمس وبعض رجالات الانكليز البارزين ومعهم بعض يهود الانكليز يرددون صعوبة تنفيذ التقسيم وخطورة عواقب إغضاب العرب والمسلمين ، والتنويه بما ثار في نفوسهم من حقد وعداء بسبب سياسة التقسيم ، وأخذت الارهاصات تكثر عن الرغبة في العدول عنه وايجاد حل مناسب على غير أساسه ، وتحديد الهجرة اليهودية بحيث يظل العرب محتفظين بأكثريتهم لئلا يفقد الانكليز ثقة العرب بالمرة وتغدو الثورة داء متأصلا حتى لقد أخذ ينشر أن خلافاً قد نشب في مجلس الوزراء البريطاني وان وزير المستعمرات اورمسبي غور هو الأشد تمسكاً وإصراراً على خطة التقسيم ،وصارت بعض الصحف تطالب بانسحابه للخروج من المأزق .

ولقد جرت هذه الأثناء مفاوضات بين بريطانية وإيطالية انتهت بشيء من التصافي والتفاهم بعد ان اشتد التوتر بينهما بسبب غزوة الطليان للحبشة فكتبت بعض الصحف الانكليزية تقول ان الآمال التي عقدها البعض على تحسن الحالة في فلسطين بعد هذا التصافي وسكوت ايطالية عن الدعاية بين العرب كانت كاذبة وان المطلع على حقيقة الحالة في فلسطين يعلم مقدار الحقد الذي أثرناه علينا في صدور العرب بسبب سياسة فرض اليهود عليهم بالقوة،ويعلم كذلك ما في حركتهم

من روح قومية . واثيرت قضية فلسطين أمام لجنة الانتدابات في سنة ١٩٣٨ فاغتنم اليهود الفرصة وحملوا بعض أنصارهم على ترديد نغمة الأموال الأجنبية في ثورة فلسطين كما فعلوا سابقاً فلم يكن لهذا رد فعل كما كان اولاً وكان الصوت خافتاً ولم يلبث أن اختنق ، وسارعت الصحف الانكليزية الى الرد على هذه النغمة التي يظل اليهود يرددونها لتشويه وجه الحركة القومية العربية وتسفيهها وأخذت تشبه فلسطين بايرلاندة وتعدد وجوه التشابه بينهما ، وتنوه بقوة الروح الكفاحية في العرب وتتوقع إشتداد الثورة وازدياد مصاعب الانكليز وتعرض أبنائهم للخطر إذا لم تجد الحكومة الوسيلة العاجلة للخروج من المأزق .

ولقد كان لمندوبي مصر والعراق في لجنة الانتدابات عندما أثيرت قضية فلسطين كما ذكرنا موقف قوي حيث حمل الاثنان على فكرة التقسيم وأشارا الى ما جرت اليه من آلام وضحايا واضطرابات في فلسطين والشرق العربي بأجمعه ، وأكدا قلق بلديهما من الحالة والحّا على ضرورة الغاء وعد بلفور ومنح فلسطين استقلالها مع ضمانة حقوق اليهود كأقلية فيها مقررين ان هذا هو الحل العادل الوحيد. وأيدهما في موقفهما مندوب ايران ومندوبو دول عديدة اخرى . وقد شرح المندوب الانكليزي الحالة في فلسطين ونوه بخطورتها وقال ان حكومته تنتظر نتائج دراسة اللجنة الفنية حيث لمس في هذا الجواب اثر الثورة في اعصاب الحكومة الانكليزية وحيرتها واحتمال عدولها عن التقسيم بوسيلة نتائج الدراسة الفنية على ما علق به المعلقون .

ولقد كان من أثر الثورة أيضاً ان خطت الحكومة الانكليزية في سنة ١٩٣٨ وحينما أخذت الثورة تشتد وتتسع خطوة جريئة بالنسبة لعادتها فأعلنت في كتاب ابيض اصدرته عدولها عن مبدأ الاستيعاب الاقتصادي الى مبدأ الاستيعاب السياسي في تحديد الهجرة اليهودية اتباعاً لتوصية من تواصي اللجنة الملكية وحددت الهجرة بمعدل الف في الشهر من جميع الأصناف معللة خطوتها فيما عللتها به بشدة الضائقة الاقتصادية عند اليهود ، وكان لهذه الخطوة وقع شديد ومفزع عند هؤلاء فدفعوا انصارهم في البرلمان إلى الشغب والاحتجاج وترديد السؤالات وتقرير مناقضة هذه الخطوة لالتزامات بريطانية وما سيكون لها من تأثير سيء متعاكس في العرب واليهود .. الخ ، مما حفز نحو عشرين نائبا بريطانياً الى تقديم اقتراح بوقف الهجرة وقفا تاما إلى أن يوجد الحل المناسب لقضية فلسطين !

وحاول الصهيونيون أن يستغلوا مشكلة النازحـين اليهود بسبب الاضطهاد الهتلري، وكان من اثر ذلك أن تقرر عقد مؤتمر دولي عرف بمؤتمر ايفيان ، غير ان الحكومة الانكليزية جدّت في الامر تفادياً من حرج جديد وكان من سعيها ان عين رئيس وفدها اللورد ونترتون رئيساً للمؤتمر ، وصمد هذا صموداً قوياً تجاه مؤامرات اليهود وجهودهم في حمل المؤتمر على حـل المشكلة عن طريق تهجير النازحين إلى فلسطين واستطاع ان يحبط هذه المؤامرات والجهود وان يبعد فلسطين عن المشكلة وأن يحمل المؤتمر على اعتبارها مشكلة دولية لا تحل إلا بتعاون الدول وفتح ابوابها للاجئين لأن فلسطين لا يمكن أن تتسع لهجرة جديدة وان احوالها الحاضرة خاصة لا تسمح بالبحث في الامر وتغيير السياسة التي تجري عليها حكومته .

وكان من أثر الثورة في الحكومة الانكليزية ان أذاع وزير المستعمرات بياناً عن مهمة اللجنة الفنية المقرر إيفادها لدرس إمكانيات التقسيم قال فيه ان الحكومة لم ترتبط بمشروع معين ولم توافق على تهجير العرب من القسم اليهودي ،وان اللجنة تعتزم السفر إلى فلسطين للقيام بمهمتها فاذا قدمت نتيجة للدراسات مشروعاً عادلا وعملياً أساسه عدم وجود عدد كبير من العرب وأملاكهم ومصالحهم في القسم اليهودي وعكس ذلك في القسم العربي عرضته على عصبة الامم والبرلمان والا فانها قد تعود إلى فكرة إنشاء حكومتين عربية ويهودية تحت نوع من الانتداب على سبيل التجربة ، ولمس المعلقون في هذا البيان شيئاً من التراجع عن التصميم الذي كان عليه الوزير على خطة التقسيم واتساع الأمل والباب للعدول عنه ، ممـا أثار كذلك ثائرة اليهود وأنصارهم وجعلهم يرون حلم الدولة اليهودية الذي كاد يصبح حقيقة على وشك الانهيار بقوة ثورة العرب وكفاحهم ، فأخذوا يرفعون أصوات الاحتجاج والاستنكار .

وهكذا أخذت آثار الثورة تبدو قوية مؤملة وتضطر الانكليز إلى التحفظ والظهور بمظهر المعقولين المنطقيين الذين لا تعوزهم الوسائل ولا الحجج او حينما يرون ذلك ضرورياً لتفادي الأزمات ، مما جعل العرب يزدادون قوة وحماساً وعزماً على متابعة الكفاح إلى ان يتحقق ميثاقهم من جهة ويستنكرون بدورهم إصرار الحكومة البريطانية على دراسة مشاريع التقسيم او اتخاذ فكرتها مهما كانت اساساً لحل قضية فلسطين . وقد كان هذا الاستنكار وذلك الاعلان من مقررات مؤتمر

القواد الذي ذكرناه في مناسبة سابقة كما كان في بيان أذاعته اللجنة العربية العليا كرد على بيانات وزير المستعمرات المذكورة .

ولقد كان من آثار الثورة وما أحدثته في الاوساط الانكليزية من تطور وهزة وجنوح نفاقي وتخديري غير غريب عن طبيعة الانكليز أن نشطت الاتصالات بسبيل الوصول إلى حلول مناسبة .

مشروع نيو كمب

●

فكان من ذلك في صيف عام ١٩٣٨ أن قدم الكولونيل نيو كمب العضو في مجلس العموم الانكليزي وزميل لورانس في الثورة العربية إلى بغداد يحمل مشروعاً بحل رآه ممكناً وملائمـاً ، فارفق بتوصية إلى الشام ليجتمع إلى ناجي السويدي ونوري السعيد ويتصل بطريقهما باللجنة العربية العليا ، وقيل في التوصية إن الرجل يشتغل مع جماعة مهمة من أعضاء الحكومة ومؤيديها وقسم من اليهود الانكليز والاميركيين والفلسطينيين ولا سيما قسم غير قليل من الصهيونيين المعتدلين . وإن المشروع الذي يحمله قد يكون صالحاً للبحث من حيث الأساس ، ورجح أن يكون قدوم الرجل باطلاع الحكومة الانكليزية او دوائر لندن النافذة . وهذه خلاصة المشروع .

١ ـ تؤسس دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة .

٢ ـ لكل فلسطيني حق سياسي ومدني في الدولة بدون تفريق جنس ودين .

٣ ـ تبقى مسؤولية بريطانية في إدارة شؤون الدولة لمدة تحدد ما بين الطرفين (والرأى الغالب ان تكون عشر سنوات) وفي خلال المدة يسمح للعرب واليهود بمزاولة الوظائف ويتسع الاشتراك في الحكم تدريجياً إلى ان تنتهي مدة المسؤولية .

٤ ـ يكون للطوائف فيما يتعلق بأمورهم الطائفية صلاحيات واسعة على أن لا تشمل اي قضاء على افراد الطوائف الاخرى .

٥ ـ يكون للبلديات في المدن والقرى العربية واليهودية لا مركزية واسعة تمكنها من السيطرة على التعليم والامور الشخصية والمدنية والادارة المحلية .

٦ ـ إن اعظم عدد لليهود يكون مقدارهم الحالي .

٧ ـ تضمن الحكومة البريطانية مصالح الطوائف المختلفة في فلسطين بعـد

تأسيس الدولة وهذا الضمان يكون عهدياً حسب العادة لمـدة معلومة ويدخل في صلب دستور الدولة .

٨ ـ تصان مصالح بريطانية المشروعة [١]

وقد كان من جملة مشاريع نيو كمب التي حملها إلى بغداد عقد مؤتمر عربي يهودي بسبيل التفاهم وسماح الدول العربية بهجرة يهودية معقولة إلى بلادها ، فنصح بعدم تشويش مشروعه الفلسطيني باقتراحات مماثلة من شأنهـا ان تحبطه ، وقـد كان المشروع موضوع تمحيص بين اللجنة العربية العليا ورجلي العراق انتهى بادخال بعض التعديلات التي تجعلها متسقة مع الميثاق ، واخذ نيو كمب المشروع المعدل وقفل عائداً إلى لندن .

ومن ذلك نشاط المطران الانكليزي في القدس حيث جاء هو والدكتور عزة طنوس بمشروع مقارب فيما عدا نسبة اليهود التي حددت بأقل من خمسين بالمئة ، وقال إن الدكتور ماغنس اليهودي المناوىء للصهيونية والدولة اليهودية متطابق معه في هذا المشروع .

وكان من ذلك نشاط واتصالات رجلي العراق توفيق السويدي ونوري السعيد اللذين كانا يسافران إلى اوروبا ويتصلان بالأوساط الانكليزية الرسمية والبرلمانية ويهيئان الجو لاستبعاد فكرة التقسيم وعدم جدواها واستحالة حل فلسطين المشكلة اليهودية العامة ووجوب ايجاد حل مناسب للقضية بعيد عن تلك المشكلة وفي نطاق وحدة فلسطين .

وكان منها أيضاً نشاط الامير عادل أرسلان والدكتور شهبندر ووفد المؤتمر البرلماني واللورد جورج لويد ثم اتصالات حكومات العراق ومصر والملك ابن السعود بما هو في النطاق الذي شرحناه آنفاً .

وكان منها مساعي الامير (الملك) عبد الله واتصالاته بسبيل مشروع يدور في نطاق دمج فلسطين وشرق الاردن . . ومما حدث أن الامير اتصل بنوري السعيد وكان في لبنان واستحثه على القدوم إلى عمان وأكد له أن عنـده شيئاً ايجابياً . وقد اتصل نوري بالمعتمد الانكليزي فتلقى جواباً مشجعاً فسافر إلى عمان فلم يجد مشروعاً راهناً ، وكل ما كان من أمر أن المعتمد ذكر حسن رغبة حكومته

---

(١) يلاحظ ما بين بعض اسس المشروع واسس الكتاب الابيض الذي صدر بعد من تشابه .

في ايجاد حل مناسب على يد مقبولة . وقد عرض الأمير عليه أن يتولى رئاسة وزارته ليكون هو صاحب هذه اليد وليتعاون معه على الحل المناسب فاعتذر نوري عن ذلك .

على أن كل هذه الاتصالات كانت تقف في النهاية عندما كانت الحكومة الانكليزية ترده من وجوب انتظار نتائج دراسات اللجنة الفنية وتوصياتها .

لجنة التقسيم الفنية في فلسطين

●

ولقد اخذت الصحف الانكليزية تعلق على بيان مهمة هذه اللجنة وترجح القول انها ستوصي توصيات على غير أساس التقسيم وتنقذ الحكومة من مأزقها . وكان الوزير يقول ان اللجنة تنتظر هدوء الحالة حتى تسافر ، فأخذت الصحف تلح على ضرورة سفرها حالا وتؤكد عدم جدوى الانتظار لأن العرب لن يهدأوا بالوعود والكلام مما جعل الوزير يعجل في سفرها ، وقد وصلت فلسطين والثورة في أوجها أي في اوائل صيف عام ١٩٣٨ واعلنت استعدادها لسماع بيانات من يريد ان يدلي لها ببيان مما يتصل بمهمتها ، وفي هذه الاثناء انسحب اور مسبي غور من وزارة المستعمرات ليشغل مركز اللوردية المنتقل اليه من ابيه فعد انسحابه فألا حسناً على موت التقسيم لأنه كان أقوى انصاره وكانت الصحف تقول بوجوب انسحابه للخروج من المأزق . وقد حزن اليهود وسموه بالشريك العزيز . على انه قد خلفه ماكدونالد الصغير المعروف بضلعه مع اليهود ، وهو صاحب المساعي التي انتهت بمسخ الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ في وزارة والده على ما ذكرناه قبل .

ولقد اختلف اليهود في التقدم الى اللجنة ، وسعى وايزمان وجماعته في حصر الكلام في القائلين بالتقسيم فاخفق وتقدم متكلمون متطرفون طالبوا بدولة يهودية في جميع فلسطين ومنهم من طالب بدولة تشمل فلسطين وشرق الأردن معاً . أما وايزمان وفئته فقد طالبوا بتوسيع الرقعة اليهودية بحيث تدخل فيها صحراء النقب والأحياء اليهودية في مدينة القدس وسهول بيسان على ما طالبوا به قبل .

اما العرب فلم يتقدم احد منهم بالشهادة الشخصية . وقصارى ما كان ، أن حزب الدفاع قدم مذكرة فند فيها فكرة التقسيم وأكد بأن الحل الوحيد هو إنشاء دولة واحدة مرتبطة بمعاهدة مع بريطانية ويحتفظ اليهود فيها بنسبتهم الحاضرة

ويكون لهم حقوقهم الدستورية كأقلية ،وطالب بتسريح المعتقلين واعادة المنفيين تهدئة للافكار .

وقد فند عاهل عمان التقسيم وقدم للجنة مشروعاً مفصلا لدولة موحدة تضم شرق الاردن وفلسطين على ان يكون لليهود فيها إستقلالهم الذاتي في مناطقهم مع مشاركتهم بنسبة عددهم في مؤسسات الدولة وأن يكون لهم الحق بهجرة محدودة بنسبة معقولة الى هذه المناطق . اما الهجرة إلى المناطق العربية فتكون منوطة برضاء العرب .

ومع ماكان من مسايرة العاهل المشار اليه للرأي العام العربي الاجماعي في تفنيد التقسيم الذي كان هو الحل العملي في إجتهاده فان إستمرار الهجرة في مشروعه كان مثار ردود حيث سارع حزب الدفاع الى إعلان عدم موافقته على ذلك ، وحيث أذاعت اللجنة العربية بياناً قالت فيه إن العرب لا يوافقـون على أي حل لا يتفق مع ميثاقهم ، وحيث ارتفعت أصوات التفنيد والمعارضة من مصر وسورية والعراق وصحفها .

على أن اللجنة قالت ان الاقتراحات خارجة عن صلاحيتها وان مهمتها هي اعداد مشروع تقسيم مفصل وحسب .

ومن طريف ما كان انه قدم للجنة مذكرة موقع عليها من علماء واعيان ووجهاء المنطقة الشمالية ذكر فيها انهم يقبلون ما يقبله الامير عبد الله .

وقد ارسلت اللجنة كتاباً لمفتي صفد تنبئه بوصول المذكرة فاكتشفت حينئذ أنها مزورة وقامت ضجة في الشمال وتنصل الموقعون وطالبوا النيابة باقامة الدعوى ضد المزورين ، وقد عرف اخيراً ان بعض المغامرين زوروا المذكرة تزلفاً للامـيـر (الملك) عبد الله .

عدول الحكومة الانكليزية عن التقسيم

●

ولقد مكثت اللجنة نحو ثلاثة أشهر ونيفاً في فلسطين طافت في خلالها المناطق العربية واليهودية وبعض مناطق شرق الاردن وكانت تحرس حراسة قوية وتقابل في المدن العربية في فلسطين وشرق الاردن بالاضراب حتى انها عدلت عن زيارة بعضها تفادياً للهياج . وكانت الصحف الانكليزية منذ تعيينها واثناء وجودها في

فلسطين تردد القول بموت التقسيم حتى أصبح هذا كأنما هو الشيء المتوقع . وعادت إلى لندن فاستمعت إلى شهود آخرين ثم قدمت تقريرها الذي احتوى مشاريع ودراسات عديدة للتقسيم كما طلب منها من جهة ووجهة نظرها في المصاعب العظيمة السياسية والاقتصادية والجغرافية التي تنجم عن أي مشروع من مشاريع التقسيم من جهة أخرى ؛ ولم تلبث الحكومة الانكليزية أن أصدرت بياناً ذكرت فيه وجهة نظر اللجنة هذه واضطرارها بسبب ذلك إلى العدول عن فكرة التقسيم والبحث عن حل آخر يضمن لها وفاءها بالالتزامات المزدوجة نحو العرب واليهود معاً ، واعتزامها دعوة الحكومات العربية وممثلي عرب فلسطين واليهود الى مؤتمر في لندن للبحث في حل مناسب !

الثورة حققت غاياتها

●

وهكذا حققت الثورة غايتها المباشرة وهي قتل التقسيم وحملت الانكليز على جعل قضية فلسطين قضية عربية عامة بصورة أوسع بكثير مما كان في المرحلة الاولى وفتحت باب الأمل بتحقيق الميثاق القومي بعد أن أعيا الحكومة الانكليزية قمعها أو بالأحرى اخماد الروح الكفاحية في أهل فلسطين الذين اندمجوا جميعهم فيها .

ومما حدث وكان ذا مغزى عظيم في هذا الباب زيارة وزير المستعمرات فلسطين خلسة للاطلاع على الحالة عن كثب والتحدث مع السلطات المدنية والعسكرية فيها . وكان ذلك قبل صدور تقرير اللجنة الفنية . وقد أذاع الوزير من لندن على أثر عودته من رحلته الخاطفة خطاباً قال فيه ان فلسطين أسوأ بلد في العالم وان مركز المندوب والقائد أسوأ وأتعب مركز رجلين في الامبراطورية وان قمع الثورة ليس بالسهولة المظنونة وانها قد تستمر أمداً غير قصير ، وان مركز انكلترة من اصعب المراكز لأن عليها التزامات مزدوجة ؛ وينطوي في هذا دليل ماتركته الثورة وقوة روحها في نفسه من مرارة وما ادركه عنها من حقيقة ، وتبرير لما أقدم عليه بعد من العدول عن فكرة التقسيم والجنوح الى تهدئة أفكار العرب وايجاد حل مناسب بالتباحث مع الامة العربية جميعها ممثلة في حكوماتها .

وقد لوحظ زيادة في لهيب الثورة عقب زيارة الوزير مما جاء مصداقاً لتنبؤه

ومما رأت اللجنة المركزية للجهاد وقواد الثورة ضرورة الى بذل مجهود كبير في سبيله .

ومما حدث كذلك أن اليهود استطاعوا الوقوف على نتائج دراسات اللجنة قبل صدور تقريرها كما حدث مثل ذلك قبل صدور تقرير اللجنة الملكية حيث ارسل ابن غوريون من لندن تقريراً الى اللجنة التنفيذية نشرته الصحف اليهودية اعترف فيه بما تواجهه الصهيونية من صراع صعب مر المذاق وقال فيها قال ان اللجنة الفنية ستصل الى نتيجة كون التقسيم غير ممكن التنفيذ وان هذه النتيجة متأثرة إلى درجة كبيرة بمقاومة العرب الشديدة والعنيفة حتى لقد تراجع الأمير وحزب النشاشيبي وخصوم المفتي عن استعدادهم لقبول المشروع بسبب هذه المقاومة .

ولقد القى وزير المستعمرات بياناً مسهباً في مجلس العموم بسبيل شرح ما اذاعه مع تقرير اللجنة الفنية باسم الحكومة والدفاع عنه فطالب فيه الاعضاء بالتروي وعدم الاندفاع وراء العاطفة والتأثر بما يقع على اليهود من اضطهاد وعدم تجاهل ما هو واقع في فلسطين ؛ وقد شرح قضية اليهود وقضية العرب ومع انه تملق اليهود كثيراً فانه قرر حقية شعور العرب وموقفهم تقريراً قوياً رائعاً حيث قال ان العرب رفضوا منذ البدء وعد بلفور وصك الانتداب ، وان اضطرابهم انقلب الى ثورة منظمة واسعة النطاق ، وان كثيراً من القائمين بالحركة مندفعون بحافز من الوطنية الصادقة وانه لو كان عربياً لملىء من الرعب مثل العرب من جراء الغزوة اليهودية وانه بالرغم عما انتفع العرب به من اليهود فانهم لا يمكنهم ان يقتنعوا بذلك لأنهم يفكرون في حريتهم المهددة ، وان الشعب البريطاني لو كان مكانهم لضحى بكل الماديات في سبيل حريته المهددة ؛ مما فيه الدلالة على ان رجال الانكليز لا ينقصهم اي شيء من دقيق الأمور وخطيرها في قضية فلسطين العربية وان مواقفهم فيها ليست مستندة الى منطق الحق وانما إلى المآرب السياسية والمكابرة والنفاق والتخدير والتضليل ... ومما قاله الوزير ان الحكومة تنوي ان تحادث العرب على حدة واليهود على حدة ثم تجمع الفريقين اذا امكن حول مائدة مشتركة واذا لم يمكن التوفيق فستعمد الى الحل الذي تراه وانه يجب على كل من العرب واليهود ان يتساهلوا في شيء من مطالبهم حتى يتم التقارب ...

آثار الثورة في اليهود

●

كذلك لم يمض مدة طويلة على انفجار الثورة في مرجلتها الثانية حتى أخذت آثارها تبدو على اليهود بأشكال متنوعة . فمن ناحية أخذت أزمة إقتصادية شديدة تنيخ عليهم متمثلة في البطالة ولاجئي المستعمرات وكساد البضائع من جراء مقاطعة العرب حتى لقد بلغت أوامر الحجز والحبس ضد المدينين اليهود في الشهر الثالث من الانفجار سبعين ألفاً ثم ارتفع الرقم حتى بلغ مئة وخمسين الفاً على ما جاء في نشرة نقابة الطبقة المتوسطة التي قالت أيضاً ان البوليس يطارد اكثر من عشرة آلاف لحبسهم لقاء الدين الذي عجزوا عن وفائه بسبب الأزمة الخانقة ، وبلغت نسبة العمال العاطلين خلال سنة ١٩٣٨ ستين في المئة من مجموعهم كما بلغت نسبة العاطلين من عمال البناء وحدهم ٩٥ ٪ ، وقد توقفت المشاريع العمرانية والزراعية عند الحد الذي كانت عليه قبل الانفجار ، إلا بعض تصفيات ببيوت سجلها خونة العرب وسماسرتهم الأنذال . وكادت الهجرة تقف فضلا عن كثرة النازحين عن فلسطين الذين بلغ عددهم ثلاثين ألفاً نزح نصفهم لمدة اكثر من سنة .

وقد نشر سميلانسكي رئيس اتحاد المزارعين اليهود ومن مشاهير زعمائهم مقالات تصور شدة الأزمة وخوف اليهود من الثورة ونتائجها . وقد وصف في إحداها حالة اليهود بخوف الموت وقال إنه أوقف هجرتهم وحمل المقيمين على النزوح لان كل يهودي يفكر بفلسطين يتصور معه القتل فيقشعر بدنه ولا يجرأ على القدوم اليها . ولقد طالب ثلاثة من أحزاب اليهود في فلسطين بوقف الهجرة بسبب البطالة والأزمة الخانقة . ولقد بلغ الجوع والعطالة بعمال اليهود إلى درجة جعلتهم يحتلون بلدية تل ابيب وغيرها مطالبين بالخبز والعمل وكاد أن ينشب من جراء ذلك فتنة شديدة بينهم . وقد منحت السلطات ألفي شهادة هجرة لأصحاب رؤوس الأموال فلم يقبل احد عليها على ما ذكرته الصحف اليهودية .

ودعا مجلس الحاخامين اليهود الى الصلاة قائلا ان سفينة اسرائيل تضطرب في بحر عاصف يكاد يبتلعها . وخلت الضائقة بخزانة الوكالة اليهودية حتى لم تستطع ان تدفع مرتبات معلمي المدارس مما حملهم على التمرد والاضراب .

وقد قويت عزيمة غير الصهيونيين المناوئين للتقسيم والمعتدلين نتيجة لهذا الجو

والجو الثورة وخطورة آثارها في الانكليز واليهود معاً فكان من آثار ذلك ان عقد حزب الأغودات وهو من الأحزاب المعتدلة مؤتمراً في لندن قرر فيه بالاجمال رفض فكرة إنشاء مملكة يهودية لاسباب دينية وسياسية ثم من اجل السلام والامن وتفضيل التفاهم والاتفاق مع العرب . وعقد اليهود غير الصهيونيين في واشنطن مؤتمراً قرروا فيه ان التقسيم غير عادل من الوجهات الاقتصادية والسياسية وان فكرة المملكة اليهودية هي السبب في الاضطراب والنزاع وان اليهود غير الصهيونيين يفضلون قيام دولة واحدة بوطنية مزدوجة. وتأثر يهود الانكليز بهذا الجو فقام منهم جماعة كبيرة تنتقد التقسيم وتردد اضراره وتدعو الى حلول اخرى لا تقوم على اساسه .

ولقد أثرت هذه الاتصالات والمؤتمرات والتصريحات في الوكالة اليهودية نفسها فعمدت من جهة الى نفي تفويض أي كان في تقديم أي مشروع والقيام بأي اتصال وقررت من جهة اخرى إعلان إستعدادها للتفاهم مع العرب على أساس حرية الهجرة وعدم بقاء اليهود اقلية مع عدم سيطرة أي شعب على الآخر كثرة كان او قلة .

ولم يكن بطبيعة الحال نتيجة ايجابية لهذه الحركات والأقوال لان الصهيونيين هم اكثرية الوكالة والفريق المنظم القوي في الحركة اليهودية كما ان قرار التفاهم لم يكن اكثر من دعاية زائفة لان الصهيونيين يعرفون ان مسألة الهجرة ومسألة الكثرة والقلة هما المسألتان الجوهريتان اللتان لا يمكن ان يوجد بين العرب من يتساهل فيهما على الوجه الذي يريدونه . غير ان هذه وتلك تدل بلا ريب على ما كان من بلبلة وقلق وإضطراب في نفوس اليهود جميعهم رسميين وغير رسميين وصهيونيين وغير صهيونيين كأثر من آثار الثورة .

وقد لبث وايزمن طيلة هذه المدة في فلسطين مترقباً ثم بدا للجنة الصهيونية ان توفد وفداً يكون على رأسه الى لندن لبذل المساعي في انقاذ السفينة التي كانت في مهب الرياح العاتية . وقد القى خطاباً في حفلة الوداع ردد فيه ذلك القلق والخوف وجاء فيه فيما جاء : إن اليهود يقفون في أخطر ساعة من تاريخ حركتهم، وان من المستحيل أن لا توجد الاضطرابات واعمال العنف والعصيان والاضراب في ذهن الانكليز مفهوماً بأن هناك امة كاملة تثور برمتها ضد ايواء شعب آخر وان هذه الامة مستعدة لكل مقاومة وتضحية ضد هذا الغرض ، وان الانكليز

اعتادوا حينما يواجهون ثورة أن يسعوا أولا إلى إخمادها وأن يجلسوا بعد ذلك مع الثوار لمنحهم امتيازات جديدة (١) ، وفي حالة ثورة العرب القائمة فان هـذه الامتيازات انما تمنح على حساب اليهود وهنا الخطر العظيم الذي يهددهم.

ولقد نشطت المنظمات الصهيونية والأحزاب المتطرفـة نشاطاً عظيما متعـدد الجبهات في سبيل درء ما لمسوه من أخطار داخلية وخارجية . فالاتحاد الصهيوني أعلن رفضه لأي مشروع وتدبير يجعل اليهود أقلية دائمة ويحد من هجرتهم ويحول دون إنشاء دولة لهم في فلسطين ، والمجلس الملي أعلن إنكاره لاي تساهل يبدو من أي هيئة يهودية في أماني اليهود القومية أو الرضاء ببقائهم أقلية معتبراً ذلك خيانة للصهيونية . ومندوبو المجالس الملية عقدوا مؤتمرهم الذي يسمى بالبرلمان اليهودي العام في لندن وقرروا فيه رفض أي حل يجعلهم أقلية دائمة والاصرار على إنشاء دولة يهودية وأعلنوا استعدادهم لجعل هذه الدولة دومينيوناً انكليزياً . وقدأقامت المنظمات الصهيونية الدنيا وأقعدتها بالاحتجاج من كل صوب حينما أعلنت الحكومة الانكليزية عدولها عن مبدأ الاستيعاب الاقتصادي إلى مبدأ الاستيعاب السياسي واخذوا يندددون بها ويصفون عملها بالغدر بقصد رشوة العرب الذين يثـورون عليهم ويقتلون ابناءهم . وفعلوا مثل هذا حينما اعلن وزير المستعمرات مهمة اللجنة الفنية واشار إلى احتمال العدول عن التقسيم اذا لم يقدم مشروع عادل وعملي حيث اعتبروا هذا قتلا للتقسيم وقضاء على قيام الدولة اليهودية ، وحركوا انصارهم في البرلمان الانكليزي فكان هؤلاء يغتنمون الفرص بل ويخلقونها للحملة على المفـتي ورفاقه في سورية ولبنان وعلى فرنسة وحكومتي سورية ولبنان التي تحميهم وتمنحهم حرية العمل وعلى الحكومة الانكليزية التي لا تقمع الثورة وتوطد القـانون ولا تحمي ارواح اليهود واملاكهم ومشاريعهم ... واخذوا يبذلون جهودهم ونشاطهم في الولايات المتحدة ويستغلون ملايين اليهود فيها الذين كان لهم تأثير كبـير في مختلف شؤونها العامة ليكون لهم من حكومتها عضد ضاغط على بريطانيا مما كان له بعض الآثار في ظروف مؤتمر لندن ثم مما كان له اثر كبير في مراحل قضيـة فلسطين بعد الحرب العالمية . ومما حدث في هذا الباب وكان مغزاه العظيم وعبرته

(١) ان وصف وايزمان صادق . غير ان الانكليز جلسوا مع العرب جلسة خداع ولم يمنحوهم الا السراب ثم منحوا اليهود الذين ثاروا عليهم بعد ذلك كل شيء !

الكبرى لزعماء العرب ان زعماء الصهيونية في اميركا دبروا اتصالا بين وايزمــان في مقره في مستعمرة ديران وبين احدى محطات الاذاعة في نيويورك ليوجه نداء إلى يهود اميركا وكان ذلك في شهر مايس ١٩٣٨ فدعا وايزمان في هذا النداءيهود اميركا الى بذل الجهود في سبيل مساعدة المشروع اليهودي في فلسطين وحمايتــه ، وقال فيما قال بسبيل تقوية اعصابهم ان كل الذين يعتقدون ان في إمكانهـــم إبادة اليهود سيتأكدون غداً ان الروح اليهودية قوية وشجاعة ونشيطة وانهاستنتصر على جميع قوات الهدم والتخريب ، والله مهما يكن من شيء فان اليهود في فلسطين امام تقدم سياسي وانهم سيتمكنون من تهجير عدد كبير من اليهــود وإنقــاذهم وان الموقف السيء الذي هم فيه في فلسطين سوف يكون سبيل يوم جديد ينير لنا الطريق وان الظلام سينقشع وستبزغ شمس جديدة في فلسطين في النهاية . . وضغط اليهود على سلطات فلسطين في شأن حماية المستعمرات فاستطاعوا ان يأخذوا منها كميــة كبيرة من السلاح للخفراء كما استطاعوا ان يأخذوا منها نصف مرتباتهم . ولقد وقف شرتوك مرة خطيباً فنوّه بنمو قوة اليهود وقال انه اصبح في ايديهم (٣٦٠٠) بندقية عسكرية وان المسموح لهم بالسلاح اكثر من هذا العدد . وقال فيما قال ان محاولات التفاهم مع العرب في لندن وبيروت ودمشق والقاهرة وفلسطين قدفشلت لانهم يشترطون ان نبقى اقلية ! وان الواجب على اليهود ان يصبروا ولا يجزعوا وان ينموا قواتهم الدفاعية وان لا يعتمدوا الا على انفسهـــم في حفظ كيانهـــم وتحقيق امانيهم .

ولقد نمت قوتهم هذه حتى ارتفع عدد البنادق المسلمة لهم الى (٤٨٠٠) كما بلغ عدد خفراء مستعمراتهم (٧٨٠٠) وقد سلح باقيهم بما كان في حيازتهم من سلاح مدخر هربوه في مختلف المناسبات . . ولقد بعث وودجود النائب الانكليزي والنصير القوي لليهود بكتاب الى جمعية المحاربين اليهود القدماء حض فيه بصراحة على التمرد على السلطات والوقوف في وجهها والمبادرة الى سلوك سبيل العــرب بأعمال العنف واعتبار ذلك حقهم والوسيلة الوحيدة الى درء الخطر عنهم . وقد اذاعت جمعية المكابيين رسالة دعت فيها الشبان للتجند للدفاع عن المستعمرات مما كان له اثر في نمو قوة اليهود المسلحة .

عدوان اليهود على العرب في بعض مراحل الثورة

●

ولم يقف اليهود عند هذا الحد ، فانهم قاموا بحركات عديدة دموية ضد العرب منها ما كان من اغتيالات فردية ضد أفراد افترصوا وجودهم في مناطقهم أو سيارات تمر بطرقهم وأحيائهم ، ومنها ما كان حوادث غدر لئيمة في صورة قنابل توضع في أماكن ازدحام العرب في القدس ويافا وحيفا في الليل وفي سلات وصناديق الخضرة والبيض وقد تعددت هذه القنابل اكثر من مرة في كل من المدن الثلاث ، وكان من جرائها ضحايا كثيرون جداً قتلى وجرحى حيث بلغ عددهم في مرة اكثر من مئة وفي مرة أكثر من خمسين وفي مرة أكثر من ثلاثين وفي مرة أكثر من عشر مما كان له وقع شديد على العرب في فلسطين حملهم على مضاعفة أعمال العنف ضد اليهود ، ومما ادى إلى غضب وهياج في الأقطار العربية ، ومما أثار قلق السلطات كثيراً وجعلها تخشى وقوع مذابح عامة بين العرب واليهود وجعلها تعمد الى منع التجول واعتقال عدد كبير من جماعة الاصلاحيين وغيرهم من متطرفي اليهود وتقديم بعضهم إلى المحاكم والحكم على اثنين منهم بالشنق وتنفيذ الحكم فيهما رغماً عن توسلات اليهود ومساعيهم ومظاهراتهم فكان هذان المشنوقان ملحة في العين وثمناً لاكثر من ثلاثمائة ضحية عربية بين قتيل وجريح في هذه الاعمال الغادرة .

التمهيد لمؤتمر لندن وعقدة تمثيل فلسطين

●

ولقد أخذت الاتصالات تجري بين الحكومة الانكليزية من جهة والحكومات العربية ــ عدا سورية ولبنان ــ من جهة اخرى بعد قليل من صدور تقرير اللجنة الفنيه وبيان الحكومة ، ثم وجهت في أوائل تشرين الثاني ١٩٣٨ الدعوة إلى العراق ومصر واليمن والرياض وعمان . وكان تمثيل فلسطين عقدة استغرقت وقتاً واستنفدت جهوداً ومراسلات كثيرة . فان الحكومة الانكليزية لم توجه الدعوة الى اللجنة العربية العليا لانها كانت في نظرها غير شرعية وحاولت في بدء الامر فرض ممثلي فلسطين فرضاً مع الاصرار على كل حال على عدم دعوة المفتي بنوع خاص حيث قال وزير المستعمرات في تصريح له في مجلس العموم ان المخابرات تجري مع

المندوب بشأن ممثلي فلسطين وان قرار الحكومة بشأن المفتي نهائي لم يتغير. وقد أخذ المندوب يبحث ويفاتح بعض الاشخاص فأبى الذين كلفوا من غير الدفاعيين، وأوعز للحكام بسؤال الناس فكانت الاجابات مجمعة تقريباً على أن الامر موكول للمفتي واللجنة العربية العليا، فتحول الانكليز حينئذ الى بغداد والقاهرة والرياض في صدد تدبير امر ممثلي فلسطين وتسمية أسمائهم لتوجيه الدعوة اليهم شخصياً دون أن ترتبط باعضاء اللجنة العربية العليا وألحوا على أن يكون بين الاسماء فريق من الدفاعيين حتى يكون تمثيل فلسطين شاملا لجميع الفئات مع جزمها بنوع خاص بشأن المفتي وسدها كل احتمال لدعوته .

مذكرة فخري النشاشيبي

●

وفي هذه الاثناء نشرت التايمس وبالستين بوست اليهودية وهذه تصدر في فلسطين باللغة الانكليزية ـ صورة لمذكرة قدمها فخري النشاشيبي للمندوب السامي تضمنت حملة على المفتي وجماعته، واتهامهم بتدبير الثورة والاغتيالات وتحذيراً من جعل المفتي مفاوضاً عن العرب . وجاء في المذكرة فيما جاء ان ٧٥٪ من مصالح فلسطين واكثر من ٥٠٪ من سكانها ممثلون في حزب الدفاع وزعمائه الذين شرد أكثرهم خوفاً من المفتي ومؤامراته ولعجز السلطات عن حمايتهم وانهم مستعدون للتعاون مع الحكومة الانكليزية لايجاد السلام إذا استطاعت ان تضمن لهم جو أمن الامن والطمانينة كما انهم يتوقون الى التفاهم مع اليهود والمعيشة معهم بسلام وقد اعتقد الملاحظون ان المذكرة إنما كتبت وقدمت بالتآمر مع السلطات لتأييد الموقف الذي اعتزمت ان تقفه بالنسبة للمفتي من الناحية السلبية وبالنسبة للدفاعيين من الناحية الايجابية حيث كان الاعتقاد راسخاً بوثاقة صلة فخري بها . وقد علقت التايمس تعليقاً ملائماً لروح المذكرة وقصدها ووصفت حزب الدفاع بالاعتدال والرغبة في السلام وانحت باللائمة على المفتي وقيادته حملة الارهاب .

ولقد أثارت المذكرة عاصفة من الاحتجاج والاستنكار ؛ وكانت وسيلة لاعلان وحدة الامة تحت لواء المفتي كزعيمها الاوحد . وقد كان الدفاعيون الموجودون في فلسطين في مقدمة المستنكرين والمعلنين . وامتلأت أنهار صحف فلسطين

بالبرقيات والعرائض . وكان من جملتها برقية من الشيخ مصطفى الخيري وهو من الدفاعيين للمندوب قال فيها إن فخري رجل مأجور وان البلاد لا تثق إلا بالزعيم الاوحد الحاج امين الحسيني ، واصدر جماعة الدفاعيين في نابلس بياناً استنكروا فيه المذكرة وذكروا أن حزب الدفاع لم يبق له وجود وان الشعب العربي كتلة واحدة تنضوي تحت لواء زعيمها الديني والسياسي المفتي الاكبر الذي له وحده حق التفاوض باسم عرب فلسطين ، بل إن راغب النشاشيبي الذي كان يقيم في مصر ابرق إلى التايمس يعلن بان ما نشره فخري لا يتفق مع آرائه وآراء ومبادىء حزب الدفاع ، وانه ليس في البلاد العربية شخص واحد لا يقاوم تصريح بلفور والانتداب وانه ليس هناك خلاف في المبادىء بين الاحزاب ، وان من الخرافة تقسيم العرب إلى متطرفين ومعتدلين ، وإن حزب الدفاع يتقبل كل خير تناله البلاد عن يد اي شخص وحزب .. وهكذا كانت عملية فخري وسيلة إلى استفتاء غير مباشر انتج توكيد وحدة الامة تحت زعامة المفتي وتاييد الثقة به ؛ وبالتالي اكسبت المفتي قوة جديدة امام الانكليز والحكومات العربية فوق القوة التي بلغها وظلت تتسع وتقوى منذ ان برز للميدان زعيما مباشراً للحركة الوطنية والكفاحية .

ونذكر بهذه المناسبة ان فخري كان دائم النشاط منذ بدء الحركات الكفاحية ضدها ومتحدياً لها وكان ينفق في هذا السبيل عن سعة واستطاع ان يسخر بعض الصحف البيروتية في التعكير على الثورة والقائمين بها وتشويهها والنيل من مقاصدها والتثبيط عنها . وكان يتصل بالحاقدين والموتورين والمأجورين فيحرضهم ضد الثورة ويحملهم على تحريض من يسمعون كلمتهم من انصارهم وذويهم ضدها كذلك وكانت السلطات تحميه حماية قوية في روحاته وغدواته ورحلاته . وقد حاول ان يقوم بمظاهرة ولائية للانكليز جهرة فجمع حشداً من الناس بواسطة الحاقدين والمأجورين في قرية يطا في جبل الخليل وكان محميا من السلطات وخطب فيهم خطبة تحريضية ضد الثوار وولائية للانكليز ، وبلغ من امره ان سلح بعض الناس لينهضوا الثوار ويشوشوا على الثورة فنالوا من الثوار جزاءً صارما .

ولقد وقف المفتي ومن حوله أعضاء اللجنة العربية العليا موقفا قويافي صدد تمثيل فلسطين ، واصروا على ان يكون ذلك للجنة فقط لانها هي التي كانت تضطلع

بمسؤولية القضية بعد أن انسحب الدفاعيون بن هذه المسؤولية بانسحابهم منها ، واستنكروا أن يفرض ممثلو فلسطين فرضاً . ولقد جرت كما قلنا مراجعات ومراسلات كثيرة في هذا الشأن ، وبدا من الملك ابن السعود خاصة الحاح شديد على المفتي ورفاقه للتساهل والمسايرة . ولكنهم لم يروا وجهاً لتغيير موقفهم الذي يسنده الحق والمنطق وقوة روح الثورة . وكل ما كان من أمر أن المفتي أكد للملك ان الأمر ليس شأناً شخصياً وأنه لن يذهب إلى لندن ولو وجهت الدعوة اليه ، وقد اضطرت الحكومة الانكليزية تجاه هذا العزم إلى التراجع خطوة بعد خطوة فقال وزير المستعمرات في موقف ثان ان اختيار ممثلي العرب متروك للعرب انفسهم وان الحكومة اذا تدخلت فيحتمل ان لا يقبل اي عربي المجيء إلى لندن وانها ترغب في تمثيل فلسطين تمثيلا تاماً وحقيقياً ، ثم أعلن قرار الحكومة باطلاق سراح المنفيين من سيشيل والسماح لمن يختار منهم أو من غيرهم بالقدوم إلى لندن نزولا على رأي اللجنة واصرارها ثم اسرعت الى ارسال باخرة خاصة نقلت المنفيين الى مصر وساعدت في تيسير انتقالهم الى بيروت وانعقاد اللجنة بكامل هيئتها الاختيار ممثلي فلسطين في جونية حيث يقيم رئيسها ... فكان هذا نصراً وطنياً رائعاً فيه الدلالة على ما تفعله العزيمة والقوة .

وقد تم الاجتماع وتقرر ان تكون اللجنة جميعها وفداً برئاسة المفتي مع ضم موسى العلمي وامين التميمي وجورج انطونيوس ، واعتذر المفتي عن السفر وعين جمال الحسيني نائباً عنه في الرئاسة كما اعتذر عن السفر عزة دروزة واحمد حلمي عبد الباقي . على ان الحكومة الانكليزية لم تصرف النظر بالمرة عن فكرة تمثيل المعارضة ، واسرعت فدعت وفداً من الدفاعيين مؤلفاً من راغب النشاشيبي وسليمان طوقان وعادل الشوا ويعقوب فراج وفخري النشاشيبي وسافروا الى لندن باستثناء يعقوب الذي تردد وتخلف . وبدت في هذه الدعوة مشكلة جديدة ، لأن اللجنة العربية العليا قررت ان يكون تمثيل فلسطين عن طريقها وحسب وقررت انسحاب وفدها إذا اصرت الحكومة الانكليزية على إشراك وفد الدفاعيين في المؤتمر ، وعادت المراجعات تجري قبل سفر الوفود الى لندن وبعده وانتهت بموافقة اللجنة على اشتراك راغب النشاشيبي ويعقوب فراج وابلغت الأخير رضاءها عن سفره فسافر ..

ولقد أعارت الحكومات العربية أمر تمثيلها اهتماماً عظيما دل على شدة الحيوية التي أثارها فيها اشراكها في قضية فلسطين وعظم ما أصبح لهذه القضية من دوي في بلاد العرب بسبب ما كان لأهل فلسطين من بطولة رائعة وجلدكبيروتضحيات جسيمة جعل الامبراطورية البريطانية تضطر إلى المسايرة والمداورة والتراجع أمامهم وهم حفنة يسيرة ضعيفة في مادياتها ومعداتها ، واكسب الاسم العربي فخاراً فكان الأمير عبد المنعم رئيساً للوفد المصري والأمير فيصل رئيساً للوفد السعودي والأمير الحسين رئيساً للوفد اليمني ، وكان نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية وتوفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الاردنية رئيسي وفدي بلديهما وكان مع كل رئيس رجالات معروفون مثل علي ماهر وعبد الرحمن عزام وتوفيق السويدي أما سورية ولبنان فلم توجه الحكومة الانكليزية اليهما الدعوة لأن فرنسة أبدت تحفظها في ذلك ولم ترد الحكومة الانكليزية إحراجها وإحراج الحكومتين السورية واللبنانية مع أنهما ودت أن تطلبا الاشتراك وتشتركا حتى حاولت إيحاء ذلك بواسطة الحكومة المصرية بصورة سرية ، ولكن فرنسة ظلت متجهمة ، وكانت ظروف سورية ومعاهدتها في حالة مرتبكة فلم تردالحكومةالسوريةالوطنية ان تزيدالارتباك والتوتر بتحدي فرنسة .

ولقد كان مما أثارته اللجنة العربية ضرورة الاتفاق مع الحكومة الانكليزية على الاسس التي تجري المفاوضات في نطاقها . وقد رأت الحكومتان العراقية والمصرية ما أثارته اللجنة ضروزياً وتوصلتا الى ذلك غير أن الحكومة الانكليزية امتنعت عن الارتباط بأي وعد مسبق ، ولم يشارك ابن السعود حكومتي العراق ومصر في رأيها وسعيها بل كاد يبرر موقف الحكومة الانكليزية في الحاحه بعدم الاحراج ، واخيراً تم الاتفاق بين الحكومات المدعوة على أن يجتمع ممثلوها في القاهرة ومعهم ممثلو فلسطين ليتفاهموا فيما بينهم على الأقل على الخطة التي يسيرون عليها ، واجتمعوا فعلا عدا توفيق أبي الهدى الذي اعتذر بارتباطه بوعد في لندن ، واتفقوا على أن لا يجلسوا مع اليهود طرفاً ثانياً ، وعلى أن تكون الخطة هي الميثاق الفلسطيني العربي أي وقف الهجرة وبيوع الأراضي وقيام دولة مستقلة بأكثرية عربية ترتبط ببريطانية بمعاهدة على غرار العراق ومصر، وقد أضيف الى هذا أن يبقى اليهود أقلية لا تتجاوز النسبة الحاضرة وأن تضمن لهم الحقوق السياسية



مشهد افتتاح مؤتمر لندن العربي الانكليزي في قصر سان جيمس سنة ١٩٣٩

بعض رجال الوفد الفلسطيني لمؤتمر لندن سنة ١٩٣٩
ويبدو في الصورة فؤاد سابا فالدكتور حسين الخالدي فعوني عبد الهادي فأمين التميمي

والمدنية ويكون للبلديات إستقلال في الشؤون المحلية وتكون اللغة العبرية لغة ثانية في مناطق اليهود .

انعقادمؤتمر لندن وفشله

●

ومع أن اليهود أعلنوا انهم لن يقبلوا الدعوة إلى المؤتمر فانهم استجابوا اليها ، وكان هناك مؤتمران عربي انكليزي ويهودي انكليزي . وافتتح شمبرلين المؤتمرين كلا على حدة في قصرسان جمس في أواخر كانون الثاني من سنة ١٩٣٩ ،وأخذت الجلسات تنعقد رسمية وخصوصية واجتمع بعض مندوبي العرب بمندوبي اليهود الذين كان يرأسهم وايزمان في جلسة خصوصية بناء على إلحاح الانكليز . وردد اليهودنغمتهم في حقهم في وطنهم التاريخي وحرية هجرتهم اليه ورفضوا الموافقة على البقاء أقلية فيه ، فلم يجد هذا الاجتماع فتيلا وقنع مندوبو العرب الجانحون إلى الاعتدال بصلف اليهود وشططهم

وقد قبلت الحكومة البريطانية في النهاية وجهة نظر العرب في حل القضية حيث وافقت على مبدأ إنتهاء الانتداب وقيام دولة مستقلة في فلسطين ترتبط معها بمعاهدة بعد مدة مناسبة ، على أن تؤلف لجنة فنية تضع مشروعاً لدستور الدولة وآخر للمعاهدة ثم يدعى مؤتمر عربي انكليزي يهودي آخر للنظر في المشروعين وتركيزهما وقالت انه لا بد من فترة انتقال قبل اعلان انتهاء الانتداب وأن على المؤتمر المذكور ان ينظر في ما يجب عمله في هذه الفترة وفي ظروف انتهائها . وأبدت استعدادها لاضافة أعضاء فلسطينيين من العرب واليهود إلى المجلس التنفيذي والمجلس الاستشاري وتسمية الأول بمجلس الوزراء والثاني بمجلس الدولة على أن يكون الأعضاء الفلسطينيون في الأول بدون وزارات .

ولم تعين مدة لفترة الانتقال ولا مبدأ لها ، ورأى الوفود العربية هذا أمراً ضرورياً وبعد أخذ ورد وافق الوفد البريطاني على ان تكون الفترة عشر سنوات مع احتمال تجديدها ومحاولة جعلها تحت رحمة السياسة البريطانية والموافقة اليهودية . فلم يوافق العرب على هذا واصر الانكليز فأدى ذلك إلى انفضاض المؤتمر بدون نتيجة اتفاقية .

على ان الوفد البريطاني تلا على مندوبي العرب الخطة التي تنوي الحكومة السير

بمقتضاها والمنبثقة من المقترحات المذكورة وطلب منهم الرضاء بها ولوانهاستصدر من طرف واحد هو الطرف الانكليزي .

وقد احتوت الخطة المبادىء التالية :

١ ــ تأسيس حكومة فلسطينية مستقلة مرتبطة بمعاهدةتضمن لبريطانيامصالحها العسكرية والتجارية.

٢ ــ وضع دستور للدولة من قبل جمعية تأسيسية فلسطينية منتخبة او معينة يضمن فيما يضمنه حرية زيارة الأماكن المقدسة ، وحماية الطوائف المختلفة بمقتضى تعهدات بريطانية للعرب واليهود ، ومركزاً خاصاً للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، والمصالح الدولية التي تعتبر بريطانية نفسها مسؤولة عنها .

٣ ــ يسبق تأسيس الدولة فترة انتقال تظل الدولة المنتدبةخلالها مسؤولة عن الحكم .

٤ ــ حالما يعود النظام والسلام بصورة كافية تتخذ الترتيبات لزيادة نصيب واضطلاع الفلسطينيين بحكومة البلاد وتكون المرحلة الاولى إضافة عدد منهم الى المجلس الاستشاري بحيث تصبح اكثريته منهم وعدد الى المجلس التنفيذي بحيث يصبح نصفه منهم ، وتكون المرحلة الثانية قلب المجلس الاستشاري إلى مجلس تشريعي بأعضاء فلسطينيين منتخبين مع احتفاظ المندوب السامي ببعض السلطات ، ويضطلع بعض اعضاء المجلس التنفيذي من الفلسطينيين بأعباء بعض الادارات الحكومية .

٥ ــ ليس من الممكن تحديد مدة للتطور الدستوري من مرحلة الى اخرى خلال مدة الانتقال كما انه ليس من الممكن تحديدتاريخ لنهاية هذه المدةوتأسيس الدولة المستقلة . غير ان الحكومة البريطانية تأمل ان يتم ذلك ضمن عشر سنواتويتوقف هذا على نجاح التطورات الدستورية وتعاون اهل فلسطين . ولا يمكنها ان تتخلى عن مسؤوليتها في الحكم ما لم تطمئن بان حسن اندماج طوائف فلسطين سيجعل امكاناً لقيام حكومة صالحة .

٦ ــ يسمح خلال خمس سنوات بعدد من المهاجرين اليهود يكوناليهود به في آخرها نحواً من ثلث السكان . ويقدر هذا العددبخمسةوسبعين الفاً .وتصبحالهجرة بعد ذلك خاضعة لموافقة العرب ويبت فيها من قبل الهيئات الدستورية التي تعمل

خلال فترة الانتقال أو بالتشاور بين الحكومة البريطانية وبين ممثلي العرب واليهود ومع عزم الحكومة على قمع الهجرة غير المشروعة فان ما يدخل إلى فلسطين بهذه الطريقة سيحسم من العدد المذكور .

وقد حاول وفود العرب تحسين هـــذه الخطة وخاصة التطورات الدستورية وتحديد مواعيدها، فعقد بعضهم مع وزارة المستعمرات اجتماعاً وامكن التفاهم على التعديلات التالية :

١ ــ حالما تسكن الاضطرابات الحاضرة تؤسس حكومة فلسطينية مستقلة بوزراء فلسطينيين .

٢ ــ يجب ان يوضع دستور فلسطين من قبل جمعية فلسطينية منتخبة .

٣ - تنتهي مسؤولية بريطانية وتصبح فلسطين مستقلة استقلالا تاماً في خلال عشر سنوات . واذالم يمكن ذلك لأسباب خارقة وانتهت السنوات المذكورة ينعقد مؤتمر بريطاني فلسطيني عربي للنظر في ما يجب عمله .

٤ ــ الهجرة تستمر في معدلها الحالي وهو (١٢٠٠٠) في السنة لمدة خمس سنين ولا يكون بعد ذلك هجرة إلا بموافقة ممثلي العرب .

وعرضت وزارة المستعمرات هذه التعديلات على مجلس الوزراء فأبدى عليها بعض الملاحظات ، وكان وفود العرب قد غادروا لندن فأرسلت الى مصر حيث تشاور فيها من كان في مصر من وفود العرب والحكومة المصرية . وقد رؤي فيها مغايرة لما تم الاتفاق عليه في وزارة المستعمرات فأبديت عليها ملاحظات قبـــل بعضها وأضيفت صيغة جديدة بشأن مدة الانتقال فأصبحت كما يلي :

« تبذل الحكومة البريطانية كل وسعها لايجاد ظروف مساعدة على قيام دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنين فاذا اتضح لها خلافاً لما ترجو عند نهاية المدة ان الأحوال تقتضي تأجيل انشاء الدولة فتستشير مندوبي فلسطين ومجلس عصبة الامم والدول العربية قبل ان تبت في التأجيل اذا ثبت لها انه لا معدى عنه . »

وتداول المشار اليهم في مصر مع بعض اعضاء الوفد الفلسطيني واتصلوا برئيس اللجنة العربية العليا الذي ارسل وفداً من بيروت يحمل وجهة نظر اللجنـــة ، وتم الاتفاق على صيغة ابلغوها للسفير البريطاني تتضمن ان الحكومات العربية ستنصح عرب فلسطين بقبول الخطة البريطانية على اساس مفاوضات ومقترحات لنـــدن

التفصيلية ، غير انها دفعاً لكل التباس ورغبة في جعل المشروع عملياً رأت ان تشير خاصة الى انه بمجرد عودة النظام في فلسطين تؤلف وزارة فلسطينية مع مستشارين انكليز ، والى انه يجب ان لا يزيد عدد المهاجرين اليهود على الخمسه والسبعين الفاً وان لا يزيد مجموع اليهود على الثلث بحال من الأحوال ، وإلى انها تأمل ان تنشأ جمعية تأسيسية لسن الدستور خلال ثلاث سنوات، وان تترك مسألة الأراضي لاتفاق المندوب السامي مع الوزارة الفلسطينية .

صدور الكتاب الابيض

●

غير ان الحكومة البريطانية لم تأخذ بعين الاعتبار ما جاء في الصيغة العربيـــة الاخيرة واصدرت الكتاب الابيض في شهر مايس ١٩٣٩ على الشكل الذي صدر به والذي قالت الحكومة المذكورة انها وضعته على ضوء ما جرى في مؤتمر لندن من ابحاث ومشاورات وقد احتوى الأسس التالية [١] .

١ ــ ان الحكومة الانكليزية تعتبر نفسها قد وفت بالتزاماتها نحو اليهود حيث ساعدت على تحقيق قيام الوطن القومي بما صار لليهود من عدد ومنشآت وكيان قومي موطد ، وانها مقتنعة بأنه متى تمت هجرة الخمسة والسبعين ألفاً التي ترى ضرورة السماح بها لا يبقى مبرر للهجرة ولن تكون تحت طائلة أي إلتزام لتسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بالرغم عن رغبة العرب .

٢ ــ ان استمرار الهجرة وانتقال الاراضي العربية لليهود يصبح بعد الآن مجحفاً بحقوق العرب ومهدداً لكيانهم . ولذلك فان الهجرة يجب ان تقف . غير ان وقفها فوراً سيكون صدمة للاقتصاديات الفلسطينية من جهة وضربة على بعض العجز والنساء والاطفال النازحين من المانيا من جهة اخرى . ولذلك سيسمح بخمسين الف مهاجر عادي وخمسة وعشرين الفاً من النازحين خلال خمس سنين ثم توقف الهجرة وقفاً تاماً الا اذا وافق العرب على غير ذلك . كذلك فانه ستتخذ التدابير حالا لوضع تشريعات تحدد انتقال الاراضي العربية لليهود بحيث تضمن عـــدم الاجحاف في كيان العرب واقتصادياتهم .

٣ ــ بما أن الانتداب من حيث أساسه موقت فان مصير فلسطين هو الاستقلال

---

(١) جدله من ملاحق الكتاب رقم (١٠)

غير ان هذا الاستقلال يجب أن يكون بالتشارك بين العرب واليهود ولا يمكن ان يتم إلا اذا قامت الدلائل المقنعة على امكان التمازج والتعاون بينهما . ولذلك فانه ستجرى تجارب ومراحل في هذا الشأن خلال مــدة عشر سنين وحسب ما تسمح به الظروف فاذا أسفرت عن قيام تلك الدلائل خطيت الخطوة النهائيــة الى انهاء الانتداب واعلان الاستقلال والا فان ممثلي العرب واليهود يدعون ثانية للبحث في النتائج والتشاور في الخطوة الواجبة . وهذه التجارب والمراحل تبدأ حالما تهــدأ الاضطرابات بالتوسع في تعيين الفلسطينيين في الوظائف العليا واشراكهم في ادارة البلاد بمقياس أوسع من قبل . وسيخطى بعد خمس سنين خطوة الى وضع الدستور الفلسطيني اذا سمحت الظروف بذلك وقامت أمارات التعاون والتمازج بين الشعبين.

٤ ــ ان الحكومة البريطانية سوف تسير في ما ذكرته مــن تجارب ومراحل الى تحقيق هدف انشاء حكومة فلسطينية مستقلة سواء اغتنم كلا الفريقين الفرصة ام لا ، وان موقف الهيئات العربية واليهودية من تلك المراحل والتجارب لن يكون له أثر في النكول عنها .

وقد سارع محمد محمود رئيس الوزارة المصرية الى التصريح غداة صدوره بأنه لا يستطيع ان ينصح عرب فلسطين بالرضاء به ووقفت الحكومة العراقية والملك ابن السعود نفس الموقف .

وقد وضعت اللجنة العربية العليا رداً على الكتاب سجلت فيه على الحكومة الانكليزية تسليمها نظرياً بمطالب العرب وانتقدتها على الاطلاق والغموض اللذين أحاطت بهما التجارب والمراحل وخاصة تعليق انهاء الانتداب وتأسيس الدولة على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في الخطة الاستقلالية ،لأن اليهود سيعملون كل ما يستطيعون على عكس ذلك لاحباط هــذه الخطة .

وقد أسرع اليهود فعلا الى تقديم الدليل حيث أعلنوا سخطهم على الكتاب الابيض وعزمهم على محاربته الى ان يحبط نهائياً .

ومما ذكرته وفود العرب أن الانكليز اعتذروا عن عدم قبول وجهة العرب كاملة بما كان من ضغط الرئيس روزفلت بتأثير اليهود ولاضطرارهم الى مسايرته بسبب تأزم الحالة الدولية . وهذه حجة ظل الانكليز يحتجون بها بعد ذلك ايضاً مع انهم ساروا في طريق النكث والغدر مــع العرب وخلقوا المشكلة اليهودية

وعقدوها قبل روزفلت بزمن طويل مما يدل على انها حجة للتصدير أكثر منها للحقيقة ولا يمكن ان تخليهم من تبييت سوء النية والتخدير والتعقيد في الأصل وفي المراحل التطبيقية لتحقيق اغراضهم. ونذكر بهذه المناسبة ان الصحف نشرت خبر مذكرة أرسلها العاهل السعودي الى روزفلت يعتب عليه فيها أنحرافه مع الباطل اليهودي ضد الحق العربي الصريح .

ومهما يكن من امر فان الكتاب الأبيض قد سلم من وجهة نظرية بمطالب العرب وماشى ميثاقهم شوطاً غير يسير ، وكان قبول الانكليز بمبدأ قيام دولة فلسطينية بأكثرية عربية في حد ذاته نجاحاً عظيما وتطوراً كبيراً لم يكن ليخطر على البال قبل سنوات . وبعبارة ثانية ان الكفاح العربي قد تكلل بالنجاح وحققت الثورة اغراضها من وجهة عملية بالغاء التقسيم ومن وجهة نظرية بحل قضية فلسطين وفق الميثاق العربي بوجه الاجمال ، حتى لقد خطر بالبال لحظة ما ان الانكليز قد عدلوا سياستهم في موضوع إنشاء دولة يهودية في فلسطين واكتفوا بما ناله اليهود، ولا سيما ان الحكومة الانكليزية قد عرضت الكتاب الابيض على البرلمان واخذت موافقته عليه كسياسة مرسومة رسمية لها .

على ان هذا قد كان على ما بدا من الانكليز مسايرة للظروف اكثر منه تسليما بالحق ، وقد انطوى فيه نية التخدير والتعقيد والتراجع معاً كما هو واضح من الخلاصة التي اثبتناها .

ومما حدث ان وفود العرب في هذا المؤتمر اثاروا مسألة عهود الحسين رحمه الله وشمولها فلسطين فاخذت الحكومة الانكليزية تكابر كعادتها ثم تم الاتفاق على تحكيم لجنة قانونية بريطانية رسمية في لندن برئاسة قاضي القضاة البريطاني فلم يسع هذا القاضي الا ان يقول في تقريره التحكيمي :

« لقد تأثر لورد شانسلور من بعض البراهين التي قدمت بشأن الجملة المتعلقة باستثناء الاقسام الواقعة غربي مقاطعة دمشق وحمص وحماه وحلب من سورية وهو يعتبر ان وجهة النظر العربية فيما يختص بهذه المسألة قد تبين ان لها قوة اكبر مما كان يظهر سابقاً » .

وقد جاء في مكان آخر في تقرير اللجنة في صدد حق الحكومة البريطانية في اصدار تصريح بلفور وتناقض ذلك مع مراسلات مكماهون ما نصه :

« إنه يتراءى للجنة جلياً من هذه البيانات ان حكومة جلالتـه لم تكن حرة التصرف بفلسطين دون احترام رغبات اهلها ومصالحهم . وانه يجب اخذ هـذه البيانات بعين الاهتمام في أي محاولة لتقدير المسؤوليات المترتبة على حكومة جلالته نحو هؤلاء كنتيجة لأي تفسير لهذه المراسلات » .

وهكذا دحض الحق المكابرات الانكليزية بلسان الانكليز انفسهم وظهر انهم قد غدروا بالعرب منذ الأصل ونكثوا بما قطعوه من عهود لهم .

متاعب الثورة ونهايتها

●

هذا ، ولقد استمرت الثورة بعد صدور الكتاب الأبيض أمداً غير قصير ، وبتعبير أدق الى ما بعد نشوب الحرب العالمية وأعلنت اللجنة المركزية للجهـاد وقواد الثورة العزم على متابعة الكفاح إلى أن تعدل الحكومة الانكليزية عن موقفهـا الملتوي وسياستها المريبة الغامضة غير ان الثورة كانت قد دخلت في دورها الرابع وهو دور التعب والمصاعب والدسائس .

فن جهة أخذ التعب يحل في الثوار وقادتهم الذين ظلوا سنة ونصفاً في حركة دائمة واضطراب مستمر ونصف مضن ؛ وأخذ النقص الذي طرأ على صفوفهم من الضحايا الجسيمة يبدو أثره في ذلك التعب لأن ثقل الحركة صار ينيخ على الباقين من قدماء القواد والثوار .

ومن جهة كان التنافس قائماً يخفت حيناً ويشتد حيناً بين القواد العامين الذين كان كل واحد منهم يرى انه الأكثر نشاطاً وأثراً والذين كان كل واحد منهم يرى نفسه كأنه امير إقطاع ينبغي ان يكون له الاستقلال في الحركات فيه ويميل الى توسيع نطاقه في الوقت نفسه ، حيث كان هذا عاملا نفسانياً مؤدياً الى تعكير الصفو بينهم والتأثير في نشاطهم ومزاجهم وحيث ظهرت قوته في دور التعب أو زاد هذا التعب .

ومن جهة فقد اتخذت القيادة الشمالية العليا ـ المشايخ ـ في دمشق مركزاً لها بسبب اتصال الحدود بمناطق نشاطها ، فصار يكثر تردد المجاهدين في هذه المنطقة على دمشق بسببه ، وقام الظن عند القواد الآخرين أن هذه القيادة متمتعة بسبب هذا المركز بامتيازات أوسع منهم لدى اللجنة المركزية ؛ فحاولوا ان يتخذوا لهم

في دمشق مراكز مثلها ، وصارت دمشق مرمق انظار القواد والثوار ومترددهم من مختلف المناطق لضرورة ولغير ضرورة . ولم تستطع اللجنة المركزية وقف العدوى لان الامر لم يلبث ان صار امراً واقعاً لا يستطاع مقاومته الا بالشدة التي كانت اللجنة ترى ان ضررها اكثر من نفعها ، فكان هذا ايضاً مما أوجد شيئاً من حب الدعة والراحة والفتور في الحركة الكفاحية .

ولقد اخذت من جهة إمكانيات تزويد الثوار بالسلاح والعتاد تضيق كثيراً عن ذي قبل لانه لم يمكن جلب جديد من الخارج ولم يف بعض مقامات العرب بوعود المساعدة ، ولان الباقي منه في سورية ولبنان والعراق وشرق الاردن اخذ ينفد فضلا عن عدم صلاحه ، فكان ذلك عاملا قوياً في عدم استمرار الحركات على الوتيرة التي كانت عليها من قبل .

وقد استغلت السلطات الانكليزية هذه العوامل فأخذت من جهة تشجع الحاقدين والموتورين والمأجورين وتمدهم بالمال والسلاح والعتاد والحماية، فصار السلاح يظهر في أيدي بعض القرويين الضالعين فيستعملونه ضد الثوار الذين يطرقون قراهم ليطلبوا ما يحتاجون إليه أحياناً حسب ما جرت العادة منذ سنة ، كما اخذ بعض أولئك الحاقدين والموتورين والمأجورين ينشطون في التعاون مع السلطات في مطاردة الثوار ، ثم تطور الامر الى ان اخذ بعض عصابات مسلحة مدفوعة بأيدي هؤلاء ومزودة بسلاح السلطات ومالها مباشرة او بطريق الطبقة تظهر لتزعج الثوار وتطاردهم حتى صار يقع بين الفريقين إشتباكات وأحداث دموية، وكانت أصابع فخري النشاشيبي بنوع خاص بارزة في هذه الحركة .

واخذت السلطات إلى هذا تتصل ببعض من تعتمدهم وتعرف إعتدادهم بأنفسهم وشدة حقدهم من النازخين وتشجيعهم على العودة الى فلسطين لاحكام حلقات المطاردة والمقاومة فعاد بعضهم واخذوا يبذلون نشاطهم هم الآخرون في التضييق على المجاهدين الذي لهم يد نافعة في الحركة الجهادية .

وجاءت الازمة الدولية التي اخذت تنذر بالحرب بسبب حركات هتلر فوطدت التضامن بين انكلترة وفرنسة ؛ وكان من آثار ذلك تبدل موقف السلطات الافرنسية في سورية ولبنان من الثورة والثوار ورجال الحركة الوطنية والجهادية، فاشتدت في المراقبة على قوافل المجاهدين التي كانت تغدو وتروح بشيء من اليسر،

واشتدت كذلك على المجاهدين واخذت تطاردهم وتمنع نشر أخبار الثورة وتشتد ايضاً في مراقبة المفتي ومن حوله كما اخذت تعتقل الفلسطينيين واعتقلتنا في من اعتقلته في دمشق بالحاح القنصل الانكليزي بتهمة إدارة الثورة وإمدادها بالمال والسلاح وإنشاء معمل متفجرات في دمشق وحاكمتنا في المحكمة العسكرية مع فريق من الفلسطينيين والدمشقيين وحكمت علينا بالسجن حيث ظللنا الى ان انهارت فرنسة ، فكان ذلك كله مؤدياً إلى ازدياد صعوبة الاتصال بين الذين في سورية ولبنان وبين الذين في فلسطين وبالتالي إلى ازدياد المتاعب والمصاعب في وجه الثوار اضعفت ما بقي فيهم من نشاط وعزيمة .

ثم نشبت الحرب العالمية فاشتدت وطأة السلطات الافرنسية اكثر من ذي قبل مما اضطر الباقين في سورية ولبنان من رجال الحركة والمجاهدين بما فيهم المفتي الى مغادرتهما او الاختفاء والتواري ، وكان جو الحرب مما يسّر للسلطات الانكليزية تشديد الوطأة على من بقي في فلسطين من قواد الثورة ومجاهديها ونجاحها في حملة المطاردة وجمع السلاح والانتقام ممن تقع عليه يدها من قواد ومجاهدين بالاعتقال والمحاكمة نجاحاً غير يسير ، مما حمل الباقين على النزوح والاختفاء والتواري كذلك .

على ان من الحق ان نسجل ان روح الكفاح لم تخمد فيهم ، وان منهم من كان يقدم بالرغم عن كابوس الحرب وسيفها المصلت على حركات كفاحية ، وان هذه الحركات كانت تتكرر طيلة سني الحرب في مختلف أنحاء فلسطين وان كانت في نطاق ضيق وخاطف .

الحكومة الانكليزية والكتاب الأبيض

●

ولقد قالت الحكومة الانكليزية في كتابها الابيض إنها ستشرع في تنفيذ ما جاء فيه من خطط حالما تهدأ الحالة في فلسطين . ولقد هدأت الحالة بعد نشوب الحرب كما قلنا ، ولكن الانكليز لم يخطوا خطوة في سبيل الخطة السياسية . وكل ما فعلوه انهم اصدروا تشريعات جعلوا فلسطين بموجبها ثلاث مناطق ، واحدة اطلقوا

عليها منطقة (أ) منعوا فيها انتقال الارض من اي شخص الا لعربي فلسطيني ، وتشمل القسم الجبلي الداخلي من فلسطين والجليل الغربي وجزءاً من منطقة غزة ، ومنطقة (ب) وقد منع فيها انتقال الارض التي يملكها عرب فلسطينيون الى غير العرب الفلسطينيين الا بموافقة المندوب السامي ؛ وهذه المنطقة تشمل منطقة الحولة وسهل بيسان ومرج ابن عامر ، وقيد المنع محصور بما يملكه العربي الفلسطيني، وهذا يعني ان اراضي العرب غير الفلسطينيين كالسوريين واللبنانيين يمكن ان تنتقل لليهود بدون حاجة الى موافقة المندوب السامي ، ومنطقة (ج) وقد ابيح بيع الاراضي فيها لغير العرب ، وتشمل السهل الساحلي بين حيفا ويافا وبين حيفا وعكا وجزءاً من السهل الساحلي بين يافا وغزة . ويلحظ ان هذا التقسيم لم يكن خارجاً في الحقيقة عن نطاق تقسيمي لفلسطين حيث ابيح البيع لليهود في المناطق المخصصة للدولة اليهوديه ومنع في المناطق المخصصة للدولة العربية تقريباً وخاصة في تقسيم هيئة الامم لعام ١٩٤٧ وبحيث يصح ان يقال بأن هذه التشريعات كانت في صالح اليهود ومسهلة لتقسيم فلسطين في المستقبل . وقد تمكن اليهود من استصفاء مساحات كبيرة من الاراضي العربية الداخلة في منطقتي (ب و ج) وخاصة في منطقة (ج) التي كان فيها مساحات واسعة لملاك غير فلسطينيين . وقد عمد اليهود بالاضافة الى هذا الى حيل عديدة احتالوا بها على نصوص التشريعات في الأقسام العربية المحظورة للاستيلاء على مساحات واسعة من اراضي العرب منها فضلا عن المنطقة التي نيط انتقال الارض العربية الفلسطينية فيها بموافقة المندوب السامي ، وقد ساعدتهم الادارة ومحاكم التسوية ودوائر الاجراء على النجاح في حيلهم ومؤامراتهم بصور مختلفة ، ومن اشكال هذه الحيل ان التشريعات استثنت نقل الارض العربية الى اليهود في اي منطقة متى كان هذا التنقل تنفيذاً لحكم سابق عن تاريخها، فاتفق اليهود مع بعض المارقين الذين كان صدر عليهم احكام لصالح اليهود قبل هذا التاريخ اي قبل سنة ١٩٤٠ على تنفيذ هذه الاحكام في دائرة اجراء تل ابيب فيعطي المحكوم عليه وكالة لمحام يهودي في هذه المدينة يمثله في دائرة اجرائها ، ومن ثم يشتري اليهود ما يسنح لهم شراؤه من الاراضي العربية في المناطق المحظورة باسم المحكوم عليه ويطرحونها للتنفيذ بدائرة الاجراء بدون اعلان فتنقل الارض بهذه الطريقة من مالكها الاصلي الى اسم المحكوم عليه ثم الى الشركة اليهودية اواليهودي المحكوم

له خلال ايام معدودات . ولقد كشف العرب تلك الحيل وضجوا بالشكوى منها مما حمل السلطات على تعيين لجنة تحقيق ثبت لها صحة الشكوى ولكنها لم تفعل شيئاً لابطال آثار هذه الحيل كما جرت عادتها في كل ما يفعله اليهود مما يشكو العرب من ضرره وخطره وشذوذه .

وظل باب الهجرة مفتوحاً بصورة رسمية من اجل الخمسة والسبعين الفاً حتى الى ما بعد انقضاء السنين الخمس بحجة ان اليهود لم يستطيعوا استنفاد كل العدد بسبب الحرب ، على ان الامر لم يقف عند هذا بطبيعة الحال حيث نشط اليهود نشاطاً عظيماً في التهريب حتى ليقدر ما دخل خلسة او قدم سائحاً او جندياً واختفى في فلسطين بما لا يقل عن مئة الف ، ولم تبذل السلطات جهداً مجدياً ضد ذلك كما كان شأنها في السنين السابقة التي جاء وقت اعترف مندوبهم فيه بأن الهجرة المهربة تفوق الهجرة المسموح بها .

وهكذا تكشفت الايام عن نية التراجع والتخدير والتعقيد التي بيتها الانكليز حينما أصدروا الكتاب الابيض الى ان نسفوه رسمياً سنة ١٩٤٦ بفتحهم باب الهجرة بالرغم عن العرب وبعودتهم الى تعيين اللجان وحلول التقسيم ثانية على ما سوف نذكره بعد .

الدعاية ضد الهيئات العربية في صدد الكتاب الابيض واندماج بعض رؤساء العرب فيها

●

ومن عجيب امرهم انهم بثوا دعاية تبريرية لعدم سيرهم في مراحل الخطة الدستورية السياسية وتجاربها بأن العرب لم يقبلوا بالكتاب الابيض وساعدهم في هذا البث بعض رجالات العرب المعروفين بالضلوع معهم ، حتى كان الناس في فلسطين وبلاد العرب بقوة هذه الدعاية ينحون باللائمة على زعماء الحركة الوطنية في فلسطين لرفضهم اياه ، ويظنون انه قد احتوى حلولا مرضية ايجابية احبطها هذا الرفض ، وكادوا ينسون ما احتواه من تعقيدات وغموض كانت نية الغدر فيها غير خفية كما كادوا ينسون ما قطعه الانكليز على انفسهم من عهد بالسير في المراحل على

كل حال وموافقة برلمانهم عليه على هذا الوجه . والرفض الذي وقع لم يكن من الهيئة العربية العليا وزعامة فلسطين فحسب ، وانما كان من وفد فلسطين الذي فيه دفاعيون ومن ممثلي الحكومات العربية بدون استثناء . وكان رفض هؤلاء قبل صدور الكتاب الابيض وبالتالي قبل رفض الهيئه العربية العليا . وقد اكد رئيسا الحكومتين المصرية والعراقية ذلك الرفض بعد صدور الكتاب الابيض لان الحكومة الانكليزية لم تقبل التعديلات القليلة المقترحة على ما ذكرناه سابقاً وقبل صدور رد الهيئة العربية . فاذا كان ما جاء في الكتاب الابيض فرصة اضيعت – وهو ما لا نعتقده شخصياً من الوجهة العملية فضلا عن الوحهة النظرية ونعتقد ان التلوم انما هو بروح الظروف المتأخرة التي غلب العرب فيها على امرهم – فلاتتحمل الهيئات والزعامات العربية الفلسطينية مسؤوليتها وحدها بل وإنّ مسؤوليتها لتأتي بعد مسؤولية الحكومات العربية ان كان هناك مسؤولية . ولا عبرة بما قيل من ان ممثلي الحكومات العربية وبعض اعضاء الوفد الفلسطيني كانوا راضين ولكنهم سايروا الزعامة الفلسطينية في الرفض او جعلوا الكلمة الفاصلة لاهل فلسطين او بتعبير آخر لزعامتها وهيئتها العليا . فان هذا لا يخليهم من تلك المسؤولية ويدل على ما لا يليق ان نصفهم به من غفلة او عدم مبالاة او ضعف ادراك واحجام عن الموقف الصريح الذي يجب ان يقفه الرجل ! والحكومات بعد اقوى من فلسطين وتعد ارشد منها .

الكتاب الابيض ليس فرصة ضاعت

وقد قلنا اننا لا نعتقد ان فرصة ضاعت وخاصة من الوجهة العملية لان نشوب الحرب غير الموقف تغييراً تاما وهيأ للانكليز الفرصة التي كانوا يريدونها للنكث والمعاذير كما هيأ القضية فلسطين من الوجهة العربية ومن الوجهةاليهودية جواًجديداً او بتعبير اصح ميدان سباق وجد ونشاط نجح فيه الواعي الجاد واخفق فيه الغافل الهازل على ما سوف نذكره بعد .

ولا عبرة كذلك بما قيل ان الانكليز انما تحللوا من الكتاب الابيض لانه من طرف واحد . – طرفهم – وان العرب لو قبلوا به لكان عهداً ثنائيا لا يسهل على

الانكليز التراجع عنه والتحلل منه ، فان وعد بلفور الذي هو كتاب منٍّ وعطف كان من طرف واحد ، ومراسلات الحسين – مكماهون كانت عهداً بين طرفين فلم يمنع الانكليز ان يضربوا بهذه عرض الحائط ويهزأوا بها ويتلاعبوا فيها ، وان يظلوا يرون في وعد بلفور عهداً واجب التنفيذ . ولقد نص صك الانتداب على عدم الاضرار بالعرب ومركزهم وهو عهد دولي فلم يمنعهم من قصر مساعداتهم على اليهود وتجاهل مركز العرب ومصالحهم كل التجاهل . ولقد اصدروا عام ١٩٣٠ كتاباً ابيض قابلة العرب بالارتياح فلم يفدهم هذا ولم يمنع الانكليز من نقضه . فالعهد عند الانكليز لغيرهم انما هو رهن بقوة هذا الغير وبمصالحهم وحسب . ولقد حاول الانكليز اقناع الناس بأنهم بدأوا بتنفيذ الكتاب الابيض بما اصدروه من تشريعات في صدد الاراضي والتزموه من قيود في صدد الهجرة ، وكلا الامرين من محتويات هذا الكتاب ، ولم يحتجوا بعدم قبول العرب ويؤخروا ما اصدروه والتزموه ، فلو كانت عندهم النية الصادقة والاخلاص في ما قطعوه على انفسهم من السير في التجارب والمراحل لساروا فيها ايضاً اسوة بذلك . ولقد كان لهم من الحرب فرصة كافية للسير في هذه التجارب والمراحل لو كانت النية صادقة والاخلاص موفوراً، ولا سيما ان الذين يسمونهم بالمتطرفين من رجال الحركة الوطنية واللجنة العربية العليا كانوا مشردين تحت كل كوكب ، وكان انصار هؤلاء وبقية سيوف الثورة معتقلين او مشردين او متوارين ؛ وكانت ظروف الحرب سيفاً مصلتاً على الجميع . وكان الذين يسمونهم بالمعتدلين ويشيدون بقابليتهم للتعاون معهم ويرددون وجوب التعاون معهم هم اصحاب الشأن والكلمة في فلسطين ، وكانوا ينشطون في مساعدتهم على تهدئة الاحوال والافكار ، وبث الدعوة لهم ولحلفائهم بحجة وحدة المصلحة وروابط الصداقة ، ويتعاونون معهم في تجنيد المتطوعين واقامة المهرجانات الدعائية في هذا السبيل حتى بلغ عددهم آلافا عديدة ، وكذلك كان شأنهم في الدعاية لسندات الحرب الانكليزية وتيسير مبالغ غير يسيرة تستقرضها بريطانيا من عرب فلسطين للاستعانة بها على الحرب الضروس التي اشتبكت فيها ؛ وهذا وذاك في وقت كان وجه الحرب كالحا إزاءها وكان مصير الامبراطورية في مهب الريح فلم يؤثر كل هذا في الانكليز ويحملهم على الارعواء والوفاء هذه المرة ، وتبييض وجه هؤلاء المتعاونين معهم الداعين اليهم !

ولم يقتصر هذا على من في فلسطين من العرب ، فقد كان اندماج الامير (الملك) عبد الله في السياسة الانكليزية أثنــاء الحرب أشد منه في وقت مضى ، وكانت تصريحاته باخلاصه لها والتضامن معها تتوالى عنه باسلوب اقوى مما كان قبل الحرب، واشتركت مفارز من جيشه في حركة ثورة العراق وغزوة سوريا تعضيداً للجيش الانكليزي ؛ وكانت رغبته الملحة في ضم فلسطين الى مملكته ومساعيــه ومشاريعه في هذا السبيل قد ازدادت قوة والحاحاً . وقد عرض نوري السعيد باسم حكومته على الحكومة الانكليزية في سنة ١٩٤٠ والحالة الحربية على اشدها حرجاً ويأسا ـ على ما جاء في محاضر مشاورات الوحدة العربية ـ استعداد العراق للاشتراك فعلا في الحرب بارسال كتائب عراقية الى بعض الجبهات مقابل سيرها في خطة ايجابية مرضية لقضية فلسطين التي كانت وظلت اهم ما يشغل افكار العرب ويثير فيهم الحقد على الانكليز. وكان رجال العرب وساستهم وكتابهم في الاقطار العربية يرسلون تصريحاتهم في كل مناسبة منوهين بالروابط التي تربط العرب بالسياسة الانكليزية والصداقة الانكليزية وبالمصلحة المشتركة التي تجمع بينهم طيلة ايام الحرب . فلم يكن كل هــذا ليجعل الانكليز يقدمون على حركة ايجابية مرضية تنفيذاً لما وعدوا به حتى ولو كان من قبيل التأميل والمجاملة . فهم يعرفون ان الخطة التي ذكروها في كتابهم الابيض هي الجوهرية في الموضوع وهي مما يخالف ما ترسموه منذ الاصل من سياسة خلق كيان يهودي لكبح جماح الحركة العربية ووقف نموها اكثر مما تتسع له سياستهم فلم يكونوا ليعبأوا بما كان من جميع العرب مــلوك ورؤساء وزعمــاء وكتاب وصحافيين من تعاون وتظاهر بالاخلاص والدعوة الى ما فيه لهم المصلحة والحاجة.

على ان تلك الحجة الزائفة اي عدم سيرهم في خطة المراحل الدستورية والحل السياسي بسبب عدم قبول زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية الكتاب الابيض قد سقطت بوقائع معينة اثناء الحرب ايضاً .

فقد جاء الكولونيل نيوكامب من لندن الى بغداد اوائل عام ١٩٤٠ وكانت حالة فلسطين قد هدأت وكان هذا شرط الانكليز لبدء المراحل وبدا ان قدومه كان باطلاع الحكومة الانكليزية لتبحث مــع زعماء فلسطين والعراق في قضية فلسطين التي كانت حائلة دون توطيد التضامن بين العرب والانكليز بينما كان هذا التضامن ضرورياً جداً لهؤلاء في هذا الظرف الذي كان موقفهم الحربي فيه في اشد حالات الحرج ؛ واتصل بنوري السعيد وزير الخارجية العراقية وبواسطته بجمال

الحسيني وموسى العلمي وكلاهما من أعضاء الوفد العربي ومن زعماء فريق المفتي ، وتم الاتفاق بينهم خطياً على التعاون في خطة ايجابية على اساس الكتاب الابيض بحيث تبدأ مرحلة ايجاد مجلس مديرين ثم يسار في المراحل الاخرى على ما جاء كذلك في محاضر مشاورات الوحدة العربية ؛ وحمل نيو كامب الاتفاق وسافر الى القدس لاتمام البحث مع المندوب تمهيداً لاستدعاء جمال وموسى ، غير ان الامر وقف عند هذا الحد وعاد نيو كامب الى لندن .

وفي سنة ١٩٤٤ عقد رؤساء بلديات فلسطين العرب مؤتمـراً وكانوا منتخبين انتخاباً وكان فيهم المعدود من انصار المفتي والهيئة العليا فكان من اول ما قرروه مطالبة الحكومة الانكليزية بتنفيذ الكتاب الابيض وتذكيرها بما كان من العرب من هدوء وحسن انسجام في السياسة الانكليزية الحربية .

وفي السنة المذكورة اجتمع وزراء خارجية الحكومات العربية في الاسكندرية بصفتهم لجنة تحضيرية لوضع مشروع ميثاق الجامعة العربية فقرروا وضع مشروع ملحق من اجل فلسطين - ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ - جاء فيه :

« ترى اللجنة ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربيـة وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي مـن حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار حيث تضمن هذا اعتراف وزراء الخارجية بالكتاب الابيض واعتباره وثيقة واجبة التنفيذ ومطالبة بريطانيـا بالمبادرة الى تنفيذها . ثم قرروا ان ترسل كل حكومة مذكرة الى الحكومة الانكليزية تطالبها بتنفيذ وعودها التي وعدتها بالكتاب الابيض بشأن المراحل الدستورية والسياسية ، ولا سيما ان السنين الخمس الاولى التي كانت مشروطة الانقضاء للخطوة الى وضع الدستور قد انقضت .

ويضاف الى هـذا ان زعماء فلسطين ورجالاتهم وصحفهم ورجالا عديدين من رجالات البلاد العربية الاخرى وصحفها كانوا يثيرون هذا الموضوع في تصريحاتهم وكتاباتهم ويطالبون الحكومة البريطانية بما قطعته على نفسها من عهود ورسمته بموافقة برلمانها من سياسة . فلم يكن من الحكومة الانكليزية إلا التصامم عن هذه

الاصوات والمذكرات والمواقف التي تعبر عن قبول الكتاب الابيض من قبل جميع الغرب تقريباً إذا كان هذا يعوزها !! ولكنها لم تكن جادة ومخاصة في الكتاب الابيض وكانت تبيت نية التخدير والتعقيد والنكث من الاصل ، ولم تكن دعايتها في صدد رفض الهيئة العربية العليا للكتاب الابيض إلا وسيلة خداع وتضليل .

ومن العجيب ان يستمر بعض الرؤساء العرب وفي طليعتهم نوري السعيد الى الآن مع كل هذه الحقائق والوقائع في توجيه النقد واللوم على الفلسطينيين وهيئتهم العليا لانهم رفضوا الكتاب الابيض اوظلوا يقفون مواقف سلبية ولا يستمعون لما كان يسدى اليهم من نصح . ونظن ان فيما قلناه الكفاية في صدد الكتاب الابيض . وكذلك فيما اوردناه في مناسبات عديدة دليل قوي على ان الفلسطينيين قد جنحوا اكثر مما تتحمله المثل الوطنية العليا الى الايجابية في مواقف عديدة حتى في ما كان تافهاً فلم يجدهم هذا شيئاً . وما كان يسدى اليهم من نصح في اثناء حركاتهم الكفاحية القوية في هذا الدور بل وما بعده من ادوار ـ عدا التقسيم ـ فانما كان يرمي الى تيسير استجابتهم الى ما كانت تدعو اليه السلطات الانكليزية وتلح فيه وتستعين بأولئك الرؤساء عليهم فيه من تراخ في الكفاح او قبول ما كانت تفرضه فرضاً تعسفياً من الامور الوسائلية والشكلية كالعدول عن الاضراب والتعاون مع اللجنة الملكية وعدم التمسك بحق اختيار ممثلي فلسطين وغير ذلك مما مر الكلام على ظروفه ومشاهده . وليس في هذا متصل بحل القضية واسسها ولم يكن من شأنه ان يجعل الانكليز يرضون بحل سليم او ينفضون ايديهم من اليهود وقضيتهم كما نعتقد ، فضلا عن ان النصح في هذه الامور كان يستجاب في النهاية . وإذا كان الرؤساء اللائمون الذين كانوا يكلفون بالنصح والتدخل يظنون هذا فانهم كانوا واهمين كل الوهم او غير نافذين الى نيات الانكليز ومطامح اليهود والسياسة المرسومة في هذا الشأن على ما هو معروف عنهم من ذكاء ، او كانوا يائسين من امكان اي حل على غير اساس دولة يهودية ما في فلسطين وعدم جدوى اي جهد ضد ذلك .. واما التقسيم فقد رفضه الفلسطينيون جميعهم متطرفوهم ومعتدلوهم ورفضه العرب في كل مكان حكومات وهيئات ، وظل مرفوضاً كذلك من الجميع الى النهاية ، بل واندمج في هذا الرفض اولئك اللائمون الذين كانوا ينصحون به ... فاختصاص الهيئات الوطنية الفلسطينية باللوم في عدم قبوله ليس له اي محل ومعنى ..

الملاحق

١ ـ الكتاب الأبيض لسنة١٩٢٢

٢ ـ صك الانتداب

٣ المذكرات المتبادلة بين المستر ملز وفريق من الوطنيين سنة ١٩٢٦

٤ ـ الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠

٥ ـ بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي عن الميثاق القومي العربي

٦ ـ بيان حزب الاستقلال بمناسبة اجتماع ذكرى وعد بلفور

٧ ـ « « « « « فتح القدس

٨ ـ نداء « « إلى جميع العرب

٩ ـ الكتاب الابيض وتواصي التقسيم لسنة ١٩٣٧

١٠ ـ الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩

ملحق رقم (١)

الكتاب الابيض الذي أصدره تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في شهر حزيران ١٩٢٢

نظر وزير المستعمرات مجدداً في الحالة السياسية الحاضرة في فلسطين برغبة صادقة بغية الوصول إلى حل للمسائل المعلقة التي افسحت مجالا للغموض والقلق الذي استحوذ على بعض طبقات من السكان . وقد وضع البيان التالي بعد استشارة المندوب السامي لفلسطين ، وهو يتضمن خلاصة الاجزاء المهمة من المخابرات التي دارت بين وزير المستعمرات ووفد الجمعية الاسلامية المسيحية في فلسطين الذي مضى على وجوده بعض الزمن في انكلترا وغير ذلك من الاستنتاجات الاخرى التي تم الوصول اليها منذ ذلك الحين .

إن التوتر الذي ساد فلسطين من حين إلى آخر يعزى معظمه إلى مخاوف اخذت تساور بعض طبقات من السكان العرب واليهود . أما مخاوف العرب فبعضها مبني على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذي اعطي بالنيابة عن حكومة جلالته في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني ١٩١٧ والذي يحبذ إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ذلك انه نشرت بيانات غير رسمية بان الغاية المنشودة هي جعل فلسطين يهودية برمتها ، واستعملت عبارات قيل فيها ان فلسطين ستصبح يهوديه كما ان انكلترا إنكليزية . فحكومة جلالته تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق وتعلن بانها لا ترمي إلى مثل هذه الغاية ، وبانها لم تفكر قط باخضاع او محو السكان العرب او القضاء على لغتهم وآدابهم في فلسطين كما يتخوف الوفد العربي . وهي تلفت النظر الى ان عبارات التصريح المنوه بها لا تشير الى تحويل فلسطين بجملتها وجعلها وطناً قومياً لليهود بل انما تعني بان وطناً كهذا يؤسس في فلسطين . ومما يلاحظ بسرور فيما يتعلق بهذا الامر ان المؤتمر الصهيوني الذي عقد في كارلسباد في شهر ايلول سنة ١٩٢١ وهو المجلس الأعلى المسيطر على الجمعية الصهيونية اتخذ قراراً اعرب فيه رسمياً عن المقاصد الصهيونية جاء فيه :

« إن الشعب اليهودي عقد النية على أن يعيش مع الشعب العربي باتحاد واحترام متبادلين وان يسعيا معاً لجعل هذا الوطن المشترك زاهراً بحيث يضمن تجديده الرقي القومي لكل من الشعبين بسلام».

وهنالك أمر آخر لا بد من لفت النظر اليه وهو أن اللجنة الصهيونية في فلسطين المعروفة الآن باللجنة التنفيذية الصهيونية لا ترغب في ان يكون لها كما انها لا تملك أي قسط في إدارة البلاد العامة . والمركز الخاص الذي تشغله الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب لا يخولها صلاحية تولي هذه الوظيفة . وإنما ينحصر مركزها الخاص في التدابير التي تتعلق باليهود ومساعدة البلاد في تقدمها دون ان يخولها ذلك حق الاشتراك بصورة ما في حكومتها .

وفضلا عن ذلك فان الحكومة تفكر في جعل جنسية الأهالي في نظر القانون الجنسية الفلسطينية ولم يقصد قط ان يكون للأهالي او لأي فئة منهم صفة قانونية اخرى .

١٠١ فيما يتعلق بسكان فلسطين اليهود فالظاهر ان بعضهم يخشى ان تنحرف حكومة جلالته عن السياسة المدرجة في التصريح الصادر سنة ١٩٨٧ ولذا من الضروري التأكيد مرة اخرى بأن هذه المخاوف لا أساس لها وان ذلك التصريح الذي تأيد في مؤتمر دول الحلفاء الكبرى المنعقد في سان ريمو ثم معاهدة سيفر هو غير قابل التغيير .

وقد اعاد اليهود في الجيلين او الثلاثة اجيال الأخيرة إنشاء طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ربعهم تقريباً مزارعون او عملة في الأرض . ولهذه الطائفة إدارات سياسية خاصة منها مجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيئة تشرف على مدارسها ورئاسة حاخامين ومجلس رباني لادارة شؤونها الدينية . وتدار اعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلغتها الوطنية ولها صحف عبرية تفي بحاجتها . وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها عن سواها وتبدي نشاطاً كبيراً في الحركة الاقتصادية . فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن وهيئتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة وعوائدها وطرق معيشتها الخاصة لها في الحقيقة مميزات قومية . ومتى سأل سائل ما هو معنى ترقية الوطن القومي اليهودي

في فلسطين يمكن ان يجاب على ذلك بانه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالا بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم ، حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية امل وطيد في تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودي مجال واف كي تظهر فيه مقدرته كان من الضروري ان يعلم بان وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة . ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان إنشاء الوطن القومي اليهودي ضماناً دولياً والاعتراف رسمياً بانه يستند الى صلة تاريخية قديمة .

اذن هذا هو التفسير الذي تفسر به حكومة جلالته تصريح سنة ١٩١٧ ، ويرى وزير المستعمرات ان هذا التصريح ان فهم على هذا الوجه لا يتضمن صراحة او ضمناً شيئاً من شأنه ان يثير مخاوف عرب فلسطين او يسبب استياء اليهود .

ومن الضروري لأجل تطبيق هذه السياسة تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة . ولكن هذه المهاجرة لا يمكن ان تكون كبيرة إلى حد يزيد في أي ظروف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية على قبول مهاجرين جدد إذ ذاك . ومن الضرروري ضمان عدم صيرورة المهاجرين عالة على أهالي فلسطين عموماً وعدم حرمان اية فئة من السكان الحاليين من اشغالها . وقد جرت المهاجرة حتى الآن على هذه الشروط وبلغ عدد المهاجرين منذ الاحتلال البريطاني نحو ٢٥ الف مهاجر . ومن الضروري ايضاً ضمان عدم إدخال الأشخاص غير المرغوب فيهم سياسياً إلى فلسطين . وقد اتخذت الادارة وستتخذ كل الاحتياطات لهذه الغاية .

وفي النية تاليف لجنة خاصة في فلسطين من اعضاء المجلس التشريعي الجديد المنتخبين من الأهالي للبحث مع الادارة في الامور المتعلقة بتنظيم المهاجرة . فاذا وقع خلاف في الرأي بين هذه اللجنة والادارة يرفع الامر إلى حكومة جلالته وهي تعيره اهتماماً خاصاً . وفضلا عن ذلك فلكل طائفة مذهبية او اي قسم كبير من اهالي فلسطين توفيقاً لاحكام المادة (٨١) من مشروع دستور فلسطين حق استئناف اية مسألة يرى ان حكومة فلسطين لم تجر فيها على أحكام صك الانتداب الى جمعية الامم بواسطة المندوب السامي ووزير المستعمرات .

اما بشأن الدستور المنوي تطبيقه في فلسطين والذي نشر مشروعه فمن المرغوب فيه ايضاح بعض النقاط بشأنه . ففي الدرجة الاولى ليس الأمر كما ادعى الوفد العربي بأن حكومة جلالة الملك اعطت في اثناء الحرب تعهداً بأن ينشأ حالا حكومة وطنية مستقلة في فلسطين . ان هذا القول يستند في الغالب إلى كتاب ارسله في ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ السر هنري مكماهون الذي كان عندئذ مندوباً سامياً في مصر إلى شريف مكة الملك حسين ملك الحجاز اليوم . وقد ادعى بأن هذا الكتاب يتضمن وعداً لشريف مكة بالاعتراف باستقلال العرب ضمن البلاد التي اقترحها الشريف وتأييده . غير ان هذا الوعد اعطي معلقاً على تحفظ ورد في نفس الكتاب وهذا التحفظ يستثني في جملة ما يستثنيه من المناطق ذلك القسم من سوريا الواقع غربي ولاية الشام . وقد أعتبرت حكومة جلالته على الدوام بأن هذا التحفظ يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل . وبناء عليه تكون فلسطين برمتها غربي الاردن مستثناة من تعهد السير هنري مكماهون .

ومع ذلك ففي عزم حكومة جلالته تأسيس حكومة ذاتية واسعة النطاق في فلسطين ولكنها ترتئي بالنظر للظروف الخاصة في تلك البلاد ان يتم ذلك تدريجياً لا طفرة . وقد خطت الخطوة الاولى في هذا السبيل حتى تأسيس الادارة المدنية فعينت المجلس الاستشاري الحالي . وذكر المندوب السامي وقتئذ أن هذه الخطوة هي الخطوة الاولى في سبيل ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وفي النية الآن اتخاذ خطوة ثانية بتأليف مجلس تشريعي تكون اكثرية اعضائه منتخبة على اساس انتخابي واسع .

وقد اقترح في مشروع الدستور أن يكون ثلاثة من اعضاء المجلس غير موظفين يعينهم المندوب السامي . ولكن بالنظر للاعتراضات التي وجهت الى هذا النص المستند الى اعتبارات قوية فان وزير المستعمرات مستعد لأن يحذفه من الدستور . وسيؤلف المجلس التشريعي برئاسة المندوب السامي من اثني عشر عضواً منتخباً وعشرة اعضاء من الموظفين . وفي رأي وزير المستعمرات ان من الحكمة ان يمر وقت ما قبل توسيع الحكم الذاتي في فلسطين وقبل تخويل المجلس صلاحية المراقبة على السلطة التنفيذية . وبعد بضع سنوات يعاد النظر في حالة البلاد ، فاذا أسفر الاختبار في سير النظم الدستورية التي يراد تأسيسها بعد الآن عن نجاح تعطى

إذ ذاك صلاحية اوفر لنواب الشعب المنتخبين ،

ويود وزير المستعمرات ان يلفت النظر إلى ان الادارة الحالية قدنقلت للمجلس الاسلامي الأعلى المنتخب من الطائفة الاسلامية في فلسطين حق الرقابة على الاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية . وقد اعادت الادارة لهذا المجلس ايضاً اختياراً منها ايرادات كبيرة لأوقاف قديمة كانت الحكومة العثمانية قدضبطتها . وللدائرة المعارف لجنة استشارية تمثل جميع طبقات الأهالي كما ان دائرة التجارة والصناعة تستفيد من تعاون الغرف التجارية التي تأسست في المدن الكبرى . وتنوي الادارة ايضاً إشراك أمثال هذه اللجان التمثيلية مع دوائر الحكومة المختلطة بصورة أعم .

ويعتقد وزير المستعمرات بأن سياسة تبنى على مثل هذه الخطط مع المحافظة على اوسع معاني الحرية الدينية في فلسطين والمحافظة التامة على حقوق الطوائف كافة فيما يتعلق بأماكنها المقدسة لا يمكن إلا إن تكون مقبولة لدى جميع طبقات السكان ، وانه على هذا الأساس يمكن ان يبنى روح التعاون الذي يتوقف عليه لدرجة كبرى رقي ورخاء الارض المقدسة في المستقبل .

ملحق رقم (٢)

صك الانتداب الفلسطيني الذي وضعته بريطانيا كدولة منتدبة واقره مجلس جمعية الامم في لندن يوم ٢٤ تموز ١٩٢٢

●

لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم [١] على ان تعهد الى دولة منتدبة تختارهـا الدول المذكورة في إدارة شؤون فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة .

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت ايضاً على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وصادقت عليه الدول المذكورة بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيئاً يضير الحقوق المدنيـة والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى .

---

(١) هذا نص هذه المادة المتعلق بالبلاد العربية :

« ان بعض الجماعات التي كانت سابقاً جزءاً من المملكة العثمانية وصلت الى درجة من الرقي يحق لها معها ان تعتبر امماً مستقلة بشرط ان يرشدها في ادارة شؤونها نصائح ومعونة حكومة منتدبة الى الوقت الذي تصبح فيه قادرة على قيادة نفسها . ويجب قبل كل شيء ان تراعى اماني تلك الجماعات في اختيار الحكومة المنتدبة » .

حيث اعتبرت البلاد العربية من هذا القسم الذي عبر عنه في الميثاق بصنف (آ) ومع ان صكوك الانتداب لسوريا ولبنان والعراق المماثلة لفلسطين قد وضعت على هذا الاساس الذي قام بمقتضاه حكومات وطنية فان هذا الاساس لم يراع في صك انتداب فلسطين بسبب تصريح فلسطين . وقد قال تشرشل في هذا الصدد بصراحة ان المانع الوحيد لتأسيس حكومة وطنية في فلسطين اسوة بالبلاد العربية الاخرى ليس كون اهل فلسطين اقل رقياً وتقدماً من سكان تلك البلاد وانما هو وعـد بلفور ! ومن تمام الصورة المضحكة المبكية انه ورد في مواد الصك تسمية لحكومة فلسطين بحيث يخيل انها شيء غير الدولة المنتدبة ولكنها كانت تسمية زائفة لأن ادارة فلسطين كانت ادارة انكليزية في نطاق وزارة المستعمرات البريطانية ...

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد .

ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين ولما كان صك الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جمعية الامم لموافقته عليه .

ولما كانت الحكومة البريطانية قدقبلت الانتداب على فلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الامم طبقاً للنصوص والشروط التالية .

ولما كانت المادة (٢٢) المتقدمة الذكر تنص على ان درجة السلطة والسيطرة او الادارة التي تكون للدولة المنتدبة إذا لم يتم الاتفاق عليها بين اعضاء جمعية الامم ينص على ذلك نصاً صريحاً فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي :

المادة الاولى - يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة إلا حيث اقيمت لها حدود في نصوص صك الانتداب هذا .

المادة الثانية ـ تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلادفي احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية انظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الاجناس والأديان .

المادة الثالثة ـ يجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الأحوال .

المادة الرابعة ـ يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية لتشير وتعاون في إدارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

المادة الخامسة ـ تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن شيء من اراضي فلسطين أو تأجيره او وضعه تحت حكم دولة اجنبية .

المادة السادسة ـ على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها في المادة الرابعة استقرار اليهود في الاراضي الزراعية ومن جملتها الاراضي المدورة والاراضي البور غير المطلوبة للاعمال العمومية .

المادة السابعة ـ يترتب على حكومة فلسطين ان تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً على الرعوية الفلسطينية .

المادة الثامنة ـ ان امتيازات الاجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الاجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات او العرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين . ولكن متى انتهى اجل الانتداب فان هذه الامتيازات برمتها او مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشأن باستثناء الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في اول آب سنة ١٩١٤ تعود الى العمل بها فوراً .

المادة التاسعة ـ الدول المنتدبة مسؤولة عن كفالة النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين للحقوق القضائية للاجانب والوطنيين ، وعن ضمانته تمام الضمان لاحترام الاحول الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما إدارة الاوقاف طبقاً للشريعة الدينية وشروط الواقفين ،

المادة العاشرة ـ تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الاجنبية بشأن تسليم الرعايا الأجانب المطلوبين في فلسطين مرعية الى ان تعقد اتفاقات خاصة بذلك في فلسطين .

المادة الحادية عشرة ـ تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في ما له علاقة بترقية البلاد ويكون لهاالسلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة أو سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية او الاعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة او التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة

العهود الدولية التي تقبلتها الدولة المنتدبة على نفسها ؛ وعليها ايضاً انتوجد نظاماً للاراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة امور اخرى منها المنافع التي تنجم عن تشجيع إكثار المهاجرة واستغلال اعظم ما يستطاع من الارض . ويجوز لادارة البلاد ان تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على ان تجري او تستثمر بشروط الانصاف والعدل والاعمال والمصالح العمومية وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها . وانما يشترط في هذه الاتفاقات ان لا تتجاوز الارباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل مباشرة او غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال . وكل مايزيد من هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها .

المادة الثانية عشرة ــ يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على علاقات فلسطين الخارجية ، وحق إصدار البراءات الى القناصل الذين تعينهم الدول الأجنبية . وللدولة المنتدبة الحق ايضاً في أن تشمل رعايا فلسطين وهم في خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها .

المادة الثالثة عشرة ــ تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين . وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة ، وضمان الوصول الى الأماكن المقدسة والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات الأمن العام والآداب ، وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة امام جمعية الامم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك بشرط ان لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ما تراه هذه الدول لازماً لتنفيذ نصوص هذه المادة ، وبشرط أن لا يفسر شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للاملاك الاسلامية او التدخل في ادارة الاماكن المقدسة الاسلامية ذات الامتيازات الدائمة .

المادة الرابعة عشرة ــ تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة بالاماكن المقدسة ، والحقوق والدعاوى التي تختص بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين . ويعرض الاسلوب الذي يتبع في تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جمعية الامم ليوافق عليه . ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس .

المادة الخامسة عشرة – يجب على الدولة المنتدبة ان تتحقق ان الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب . ويجب ان لا يكون هناك تمييز من أي نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس او الدين او اللغة ، وان لا يحرم شخص ما من دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط . ويجب ان لا تحرم اي طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتهم إذا كان ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الحكومة .

المادة السادسة عشرة – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم من الاشراف على الهيئات الدينية والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين . فاذا روعي هذا الشرط لا يجوز ان تتخذ تدابير في فلسطين لاعاقة اعمال مثل هذه الهيئات او التعرض لها او الاجحاف بأي ممثل لها أو عضو فيها بسبب دينه او جنسيته.

المادة السابعة عشرة – يجوز لحكومة فلسطين ان تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام والدفاع عن البلاد ايضاً بشرط ان تكون تحت اشراف الدولة المنتدبة . ولكن لا يجوز لادارة فلسطين استخدام هذه القوات لأغراض اخرى غير الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة. وفي ما عدا هذه الاغراض لا يجوز لادارة فلسطين ان تجمع قوات عسكرية او بحرية او جوية ولا ان تبقيها عندها . وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين . ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت ان تستخدم طريق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات .

المادة الثامنة عشرة – يجب على الدولة المنتدبة ان تكفل عدم التحيز في فلسطين ضد رعايا اي دولة تكون عضواً في جمعية الامم . وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة إذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة او أي دولة اجنبية كانت في الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطي الصنائع او المهن وفي معاملة السفن التجارية او الطيارات الأهلية . وكذلك يجب ان لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشؤها في بلد من بلدان الدولة المذكورة او

تكون مرسلة اليها . وتطلق حرية مرور المتاجر الترانزيت عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة . ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك الانتداب هذا يجوز لادارة فلسطين ان تفرض باشارة الدولة المنتدبة الضرائب والرسوم الجمركية كما تراه ضرورياً وان تتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية الموارد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها ان تعقد باشارة الدولة المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع أي دولة كانت املاكها كلها داخلة في تركيا الاسيوية او شبه جزيرة العرب في سنة ١٩١٤ .

المادة التاسعة عشرة ـ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جمعية الامم فيما بعد من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة او الاتجار بالمخدرات او تتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور الترانزيت والملاحة والطيران وبالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية والملكيات الادبية والفنية والصناعية .

المادة العشرون ـ تعاون الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جمعية الأمم لمنع انتشار الأمراض وفي جملتها امراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الاحوال الدينية والاجتماعية وسواها .

المادة الواحدة والعشرون ـ تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الاولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالآثار والعاديات ينطبق على الأحكام الآتية ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جمعية الأمم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية :

(١) يجب ان يفهم من كلمة « العاديات » كل ماينتج عن عمل البشر او صنعهم قبل سنة ١٧٠٠ (٢) ان التشريع لحماية العاديات يجب ان يكون اجدر بالتشجيع منه بالتهديد ويجب على كل شخص يكتشف اثراً بدون حصول على الاذن المذكور في الفقرة الخامسة ان يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما اكتشفه (٣) لا يمكن نقل ملكية شيء من العاديات إلا لمصلحة السلطة ذات الشأن ما لم تعدل هذه السلطة عن امتلاكه . ولا يمكن إخراج شيء من العاديات من البلاد إلا باذن من تلك السلطة (٤) كل شخص يتلف او يثلم قطعة من العاديات

تعمداً او اهمالا يجب ان يجازى جزاء يحدد مقداره آنئذ (٥) ممنوع كل حفر او تنقيب لايجاد العاديات إلا باذن السلطة ذات الشأن وإلا غرم المخالف بغرامةمالية (٦) توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية موقتاً او دائماً في الاراضي التي تحوي فائدة تاريخيةاو اثرية(٧)لاتعطى الرخصة باجراء الحفريات إلا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على خبرتهم في الآثار . وعلى الدولة المنتدبة لدى اعطاء الرخصة ان لا تستثني علماء امة ما (٨) يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الأشخاص الذين اجروه والسلطة ذات الشأن بالنسبة التي تعينها هي . فاذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التنقيب .

المادة الثانية والعشرون ــ تكون الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين . فكل عبارة أو كتابة بالعبرية تكرر بالعربية .

المادة الثالثة والعشرون ــ تعترف إدارة فلسطين بالايام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين كأيام راحة مشروعة لأفراد تلك الطائفة .

المادة الرابعة والعشرون ــ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريراً سنوياً يرتاح اليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن أو تصدر في اثناء السنة مع التقرير .

المادة الخامسة والعشرون ــ يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعية الامم ان تؤجل أو توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للاحوال المحلية الحاضرة في الأقسام الواقعة بين نهر الاردن والحد الشرقي لفلسطين [١] كما سيعين في آخر الامر وأن تضع من التدابير لادارة هذه الاقسام ما تراه ملائماً لتلك الاحوال بشرط ان لا يعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد (١٥ و ١٦ و ١٨).

المادة السادسة والعشرون ــ توافق الدولة المنتدبة على انه إذا وقع نزاع ما بينها وبين عضو آخر في جمعية الامم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها

---

(١) مع ان شرق الاردن كان جزءاً من ولاية سورية وفي ادارة منطقة سورية الداخلية الى آخر عهد فيصل ومع ان شرشل قال في كتابه الابيض ان فلسطين هي القسم الواقع غربي الاردن فان الانكليز خدعوا بمكرهم مجلس جمعية الامم اعتبار تسمية فلسطين شاملة لشرق الاردن وغربه معاً ونالوا الانتداب على فلسطين هذه !!

يعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عنها في المـــادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم إذا لم يتم حله بالمفاوضات .

المادة السابعة والعشرون ــ يلزم اخذ موافقة جمعية الامم عن كل تعديـــل في شروط صك الانتداب .

المادة الثامنة والعشرون ــ يتخذ مجلس جمعية الامم من التدابير في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة ما يراهضروريآلصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين (١٣و١٤) واستمرار احـــترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود الماليةالتي أخذتها إدارة فلسطين على عاتقها في عهدالانتداب وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة .

ملحق رقم (٣)

المذكرات التي جرت بين بعض الوطنيين ومساعد السكرتير العام في صدد تعديل الدستور

-١-

المذكرة التي هيأها المستر ملز والتي بناها على المذكرات

●

١) ان الذوات المذكورة اسماؤهم ادناه يقترحون ادخال تعديلات في دستور فلسطين وفي الأمر المعدل له الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص ، وذلك لاجل اتخاذ التدابير لانشاء حكومة دستورية يستطيع الأهالي الاشتراك فيها وفي الامور التشريعية . وهذه اسماؤهم :

رفيق بك التميمي
رشيد افندي الحاج ابراهيم
معين افندي الماضي
عزة افندي دروزه
عمر افندي الصالح البرغوشي
بولس افندي شحاده

٢) فأشاروا في البدء إلى ان الصعوبة الوحيدة هي موجودة طبعاً في صك انتداب بني على تصريح بلفور لسنة ١٩١٧ ، وهم يعلمون ان صك الانتداب يفرض على الدولة المنتدبة مسؤوليات قبلتها . ولا يرغبون في التعرض لها بل انهم راضون عن اتخاذ ترتيبات دستورية تساعد حكومة جلالة الملك البريطانية على القيام بما عليها من المسؤوليات الدولية ما دام الأهالي الفلسطينيون يشتركون اشتراكاً فعلياً في سن القوانين . الامر الذي هو مستقل تمام الاستقلال عن تلك المسؤوليات .

٣) وطالما هي هذه التسوية السياسية الرئيسية فهم يرغبون إذاً ان يكون

في جملة ما يضاف الى دستور جديد يوضع لفلسطين تفسير السياسه البريطانية الصريح بها في الكتاب الابيض (رقم ١٧٠٠) لسنة ١٩٢٢ . وهم يعلمــون ان المندوب السامي بموجب البند ٢٧ من التعليمات الصادرة من جلالته يسترشد بذلك التفسير السياسي غير انهم يشيرون الى ان التعليمات الصادرة من جلالته قابلة للتغيير بينما ان تغيير الدستور اصعب من ذلك وبمقتضى تعليمات دستورية لا حاجة لها في حالة اجراء تغيير في تلك التعليمات إلا إذا كانت هذه التعليمات موضوعة لمدى يعرف الدستور تعريفاً اكثر دقة مما هو في الوقت الحاضر . وفضلا عن ذلك طالما أن حكومــة جلالة الملك قد اوضحت لهم ما يفهم من عبارة الوطن القومي لليهود في الكتاب الابيض فهم لا يرون ما يمنع من اتخاذ ذلك التفسير احدى المصادفات الرئيسية على الترتيبات الدستورية الموضوعة في دستور فلسطين .

٤) وهم راغبون في ان يدمجوا في الدستور نصاً آخر مفاده أن اهالي فلسطين محاطون علماً بما تعهدته حكومة صاحب الجلالة من التعهدات الدولية بشأن فلسطين وان لم يكن لهم دخل في هذا الامر .

٥) أما فيما يختص بالفصل الثاني من دستور فلسطين حول المجلس التنفيذي فانهم يرغبون في اظهار الفوائد التي يمكن اكتسابها مــن تعيين بعض الوطنيين مــن وقت إلى آخــر أعضاء فوق العــادة في المجلس التنفيذي لاسداء المشورة في المسائل الخاصة .

٦) ان الفصل الثالث من الدستور في صيغته الحاضرة لا يفي برغبات أهــالي البلاد وقد اقترحوا ان يضم البرلمان في فلسطين المندوب السامي ومجلس الاعيان ومجلس النواب .

٧) وهم لا يعترضون على تأليف مجلس الاعيان من أعضاء موظفين وأعضاء غير موظفين معينين يختارهم المندوب السامي من بين اصحاب الكفاءات من أهل البلاد . ويبقى الاعضاء غير الموظفين في مناصبهم في مدة انعقاد البرلمان التي يقترحون ان تكون لاربع سنوات .

٨) يشكل مجلس النواب من اعضاء ينتخبون انتخاباً بنسبة عضو واحد لكل ٢٠٠٠٠ — ٢٥٠٠٠ من السكان وقد فصلت طريقة الانتخاب في فقرة تالية .

٩) وقد اقترحوا ان يكون لكل مجلس من المجلسين الحق بوضع القوانين

للتصديق عليها فمشاريع القوانين المالية والقوانين الخاصة بما على حكومة جلالة الملك من المسؤوليات الدولية تضعها الحكومة وحدها فقط . اما مشاريع القوانين الاخرى فيجوز وضعها وتقديمها من قبل الاعضاء في كلا المجلسين .

١٠) لمجلس الأعيان ان يعدل او يرفض أي مشروع قانون يرفعه اليه مجلس النواب . فاذا رفض مشروع قانون ما فلا يجب اعادته في دورة الانعقاد نفسها . فان رفض ثلاث مرات متوالية في دورات ثلاث وجب عندئذ سحبه .

١١) والمعاملة ذاتها في مجلس النواب تسري على مشروع قانون يرفعه عضو في مجلس الأعيان .

١٢) كل مشروع قانون مالي او قانون خاص بتعهدات حكومة جلالة الملك الدولية مما تضعه حكومة فلسطين أقره مجلس الأعيان وجب ارساله الى مجلس النواب للبحث فيه وإسداء المشورة بشأنه ثم يعاد إلى الحكومة مصحوباً بآراء وملاحظات المجلس التي توضع بصفة قرارت تتخذ بالاكثرية ولا يخول لمجلس النواب سلطة تعديل قوانين كهذه .

١٣) وعلى هذا النحو يرسل لمجلس النواب كل مشروع قانون تقدمه الحكومة مما لا يتعلق بالمالية او بالمسؤوليات الدولية الملقاة على عاتق حكومة جلالة الملك . ولا يكون لمجلس النواب سلطة تعديل ذلك المشروع انما يخول له حق البحث فيه واسداء المشورة بشأنه إلى الحكومة بشكل قرار يتخذ بالاكثرية فاذا قبلت الحكومة بما اسداه المجلس لها من المشورة وجب ان يعرض المشروع بصيغته المعدلة ثانية على مجلس الأعيان ومجلس النواب لاقراره . أما إذا اشار المجلس ان مشروع القانون غير مقبول بأجمعه فيسحب فوراً ولا يعرض ثانية على المجلس إلا في دورة ثانية وتتبع الأصول نفسها في هذه الدورة . ومن الجهة الأخرى فاذا اتخذ المجلس نفس القرار بشأن ذلك القانون في ثلاث دورات من دوراته فلا يعرض ثانية على البرلمان في مدة انعقاده .

١٤) وقد اقترح تحديد شروط حل البرلمان .

١٥) ينتخب اعضاء مجلس النواب بانتخاب مباشر من قبل الفلسطينيين وعلى أساس نائب واحد لكل ٢٠ او ٢٥ الف من السكان ويكون هناك ثلاث دوائر

انتخابية أي دائرة اسلامية واخرى مسيحية وثالثة يهودية وقد يكون من المرغوب فيه جعل فلسطين بأجمعها دائرة انتخابية واحدة للمسيحيين وكذلك لليهود هنامثال لطريقة الانتخاب لا اهمية له . ان المبدأ العمومي هو أن يكون انتخاب النواب مبنياً على أساس التمثيل النسبي لمجموع السكان دائماً بينما ان النسبة بين عدد النواب تتوقف بالكلية على المهاجرين الذين يتجنسون بالجنسية الفلسطينية حالما يحق لهم ذلك إذ أن الناخبين والمنتخبين هم فلسطينيون فقط .

١٦) ومن المرغوب فيه ان تكون مدة انعقاد البرلمان اربع سنوات وان ينعقد مرة واحدة كل سنة تستغرق أربعة أشهر ويرتب ميعاد انعقاده في وقت مناسب يمكنه من البحث والتدقيق في مشروع الميزانية بقصد رفع اقتراحاته بشأنها .

-٢-

تعليقات على المذكرة التي ارسلها المستر ملز

ما يتعلق بالمادة الاولى من المذكرة

●

ان اساس الاقتراحات مبني على الرغبة في ايجاد حل لمشكلة فلسطين فان فلسطين بينما هي جزء من البلاد التي سلخت عن تركيا وينبغي ان يكون مصيرها كمصير مثيلاتها من الأقطار الأخرى كسوريا ولبنان والعراق لا تزال عديمة الشكل في تشريعها وفي طراز حكومتها وفي مركزها السياسي . وهذا هو الذي أدى إلى الآن إلى عدم التعاون الموجود بين الحكومة والاهالي في فلسطين ، مع ان من المرغوب فيه ان يحل التعاون بدل عدم التعاون وان تأخذ فلسطين شكلا معيناً تشريعياً وحكومياً وسياسياً يقوم على توضيح وتحديد العلاقات بين الحكومة البريطانية وفلسطين . ان الاقتراحات الواردة في المذكرة ليست هي اقتراحات الذوات الذين ذكرت اسماؤهم مباشرة ، وانما هي نتيجة مداولات جرت بينهم وبين جناب المستر ملز حول طريقة اشتراك الأهالي في الحكم . ومن هذه الاقتراحات ما كان صادراً من جنابه ازاء اقتراحات صادرة من الذوات المذكورة اسماؤهم لم يرتح اليها جنابه وقال انها غير ممكنة القبول .

ما يتعلق بالمادة الثانية من المذكرة

●

ان اظهار الرضا عن اتخاذ ترتيبات دستورية تساعد حكومة جلالـــة الملك البريطانية على القيام بما عليها من المسؤوليات الدولية كان مترافقاً مـــع الرغبة في الاشتراك الفعلي ليس فقط في سن القوانين بل وفي إدارة شؤون البلاد .

فقد كان الاقتراح هكذا :

« اننا نعلم ان حكومة جلالة الملك البريطانية مرتبطة بتعهدات دولية بما يتعلق بفلسطين . فنحن نطلب من الحكومة المشار اليها ان تحـــدد مسؤولياتها وتضع تحفظاتها في ذلك بحيث لا يوضع في فلسطين تشريع ماينا قض او يخل بهذه التحفظات والمسؤوليات ثم بعدذلك يتمكن اهالي فلسطين على اختلاف طوائفهم من وضع دستورهم بواسطة ممثلين عنهم وينص في هـــذا الدستور على شكل حكومتهم واشتراكهم فيها وعلى تأليف برلمان يشترك اشتراكاً فعلياً في التشريع مثلما فعلت الاقطار الأخرى المماثلة لفلسطين كالعراق ولبنان وسوريا ونحن نعتقد ان هذا هو الحل المعقول العادل لقضية فلسطين والمتفق في الوقت ذاته مع روح الانتداب » .

ما يتعلق بالمادة الخامسة من المذكرة

●

ان اقتراح الذوات المذكورين في صدد المجلس التنفيذي كان تأليف المجلس التنفيذي من فلسطينيين يتولون زمام الادارة ويستعينون بمستشارين بريطانيين .

غير ان جناب المستر ملز لم ير هذا الاقتراح ممكن القبول وقال ان من الممكن ان يعين من وقت الى آخر اعضاء فوق العادة من الوطنيين في المجلس التنفيذي لاسداء المشورة في المسائل الخاصة .

ما يتعلق بالمادة السابعة من المذكرة

●

ان الاقتراحات بتشكيل مجلس الأعيان قد تعددت . فالذي اقترحه الذوات ان يكـــون نصف اعضائه معينين تعييناً مـــن الاهالي والنصف الثاني منتخبين انتخاباً تمثيلياً . فلم يوافق جناب المستر ملز على هذا الاقتراح . فاقترحـــوا ان يكون جمعية من الأهالي تعينهم الحكومة تعييناً فلم يوافق كذلك عليـــه . ثم قال جنابه انه لا بد ان يكون نصفه من الموظفين والنصف الآخر معيناً من الاهالي .

ما يتعلق بالمادة الثامنة

●

اشترط في السكان الذين تؤخذ نسبتهم في تعيين عدد النواب التجنس بالجنسية الفلسطينية . ان سكان فلسطين في الحاضر (٨٠٠٠٠٠) غير ان (١٠٠٠٠٠) منهم تقريباً غير متجنسين بالجنسية الفلسطينية فينبغي ان يطرحوا من العدد الاصلي. والاصح في هذا الاقتراح هو ان المبدأ العمومي ان يكون انتخاب النواب مبنياً على اساس التمثيل النسبي لمجموع السكان الفلسطينيين دائماً ونلاحظ ان مثل عدد النواب (٣٢) لم يرد في البحث ونلاحظ ايضاً ان في المثل الذي ورد في المذكرة ان اليهود يزداد عدد نوابهم كلما زادوا في الهجرة والتجنس وبذلك يتناقص عدد نواب المسلمين مع ان عددهم في ازدياد او يزداد من التوالد وهذا مخالف لذلك المبدأ العمومي الذي قبله المستر ملز .

ما يتعلق بالمادة التاسعة

●

ان جعل وضع القوانين المالية محصوراً في الحكومة وحرمان مجلس النواب من سلطة تعديلها لا يضمن المبدأ الأصلي من الاشتراك الفعلي في سن القوانين بوجه عام .

ما يتعلق بالمادة الثالثة عشرة

●

لا ينص هنا على ماذا يعمل في حال عدم قبول الحكومة للملاحظات والتعديلات التي يقررها المجلس في نصوص القوانين . مع ان المداولة انتجت أنه إذا لم تحصل الموافقة على القانون باجمعه أو على نصوصه يسحب .

ما يتعلق بالمادة الرابعة عشرة

●

اقترح وانتجت المداولة انه اذا حل المجلس وفقاً للشروط التي تحدد يجب اجراء انتخابات جديدة في خلال ثلاثة اشهر واجتماع المجلس الجديد عقب انتهاء الانتخابات فوراً .

نقاط جرت المداولة وتمت الموافقة مبدئياً عليها ولم تذكر في المذكرة :

١ – لمجلس النواب حق سؤال واستجواب الحكومة عن المخالفات والتقصيرات التي تقع في دوائرها والحكومة مجبرة على الجواب والايضاح .

٢ – لمجلس النواب الحق في إبداء ملاحظاته واقتراحاته في تعديل نصوص الدستور .

٣ – لعضو مجلس النواب حق الصيانة البرلمانية اثناء انعقاد المجلس إلا بقرار من المجلس أو في حال تلبسه بجرم مشهود .

– ٣ –

مذكرة معدلة قدمها الفريق العربي عن المذكرات

●

١) ان الذوات المذكورة اسماؤهم ادناه يقترحون ادخال تعديلات في دستور فلسطين وفي الامر المعدل له الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص لاجل انشاء حكومة دستورية يشترك الاهالي في امورها التشريعية والتنفيذية وهذه هي اسماؤهم .

٢) فاشاروا في البدء الى أن الصعوبة الجوهريه هي موجودة في صك الانتداب المبني على تصريح بلفور ١٩١٧ وهم يعلمون ان صك الانتداب يفرض على الدولة المنتدبة مسؤوليات دولية قبلت بها . وانما يرغبون في أن لاتتعارض هذه المسؤوليات مع حقوق العرب المدنية والقومية والسياسية والدينية وان يشترك الاهالي اشتراكاً فعلياً في سن القوانين وادارة البلاد .

٣) وهم راغبون في ان يدمجوا في الدستور نصاً صريحاً مفاده ان اهالي فلسطين لم يستشاروا فيما اتخذته حكومة صاحب الجلالة البريطانية في التعهدات الدولية بشأن بلادهم .

٤) أما فيما يختص بالفصل الثاني من الدستور حول المجلس التنفيذي فهم يقترحون ان يكون فيه اعضاء وطنيون لتأمين الاستفادة من اشتراك الاهالي في الامور التنفيذية .

٥) ان الفصل الثاني من الدستور في صيغته الحاضرة لا يفي برغبات اهالي البلاد وقد اقترحوا أن يكون لفلسطين برلمان يتألف من مجلس اعيان ومجلس نواب

والمندوب السامي يظل محافظاً على هذه الصيغة الى ان يتم انتخاب حاكم وطني عام لفلسطين .

٦) واذا كان لا يمكن ان يؤلف مجلس اعيان من الاهالي فقط فهم لا يعترضون على تأليفه من اعضاء موظفين واعضاء غير موظفين يختارهم المندوب السامي من بين اصحاب الكفاءات من اهل البلاد على ان تراعى النسبة العددية بين الطوائف وسكان الالوية في الاعضاء المعينين وعلى ان يكون هؤلاء الاعضاء ثلثي اعضاء المجلس . ويبقى الاعضاء غير الموظفين في مناصبهم في مدة انعقاد البرلمان التي يقترحون ان تكون لاربع سنوات .

٧) يشكل مجلس النواب من اعضاء ينتخبون انتخاباً بنسبة عضو واحد لكل عشرين الفاً من السكان الفلسطينيين على أن يكون الناخب قد اكمل الخمسة والعشرين والنائب قد اكمل الثلاثين من عمره وعلى ان تراعى الشروط الدستورية المعتادة في كل من الناخب والنائب .

٨) وقد اقترحوا ان يكون لكل من المجلسين الحق في اقتراح القوانين . على انهم لا يعترضون على ان يكون للحكومة وحدها حق وضع مشروع الميزانية ومشاريع القوانين الخاصة بما على حكومة جلالة الملك البريطانية من المسؤوليات الدولية . اما مشاريع القوانين الاخرى فيجوز وضعها وتقديمها من قبل الاعضاء في كلا المجلسين .

٩ ـ لمجلس الاعيان ان يعدل او يرفض اي مشروع قانون يرفعه الى مجلس النواب فاذا رفض مشروع ما فلا يجب اعادته في دورة الانعقاد نفسها فان رفض ثلاث مرات متوالية في دورات ثلاث فيجب عندئذ سحبه .

١٠) والمعاملة ذاتها المذكورة في البند السابق تسري في مجلس النواب على مشروع قانون يرفعه مجلس الاعيان .

١١) مشروع الميزانية او كل قانون خاص بتعهدات حكومة جلالة الملك الدولية ما تضعه حكومة فلسطين يرسل الى مجلس الاعيان فاذا أقره وجب ارساله الى مجلس النواب للبحث فيه واسداء المشورة بشأنه ثم يعاد الى الحكومة مصحوبا بآراء وملاحظات المجلس التي تقرر بالاكثرية وحين حصول خلاف على مشروع

الميزانية تحكم لجنة مؤلفة من ستة عشر عضواً نصفها من الاعيان والنصف الثاني من النواب وقرار هذه اللجنة الذي يتخذ بالاكثرية الفصل .

١٢) وعلى هذا النحو يرسل الى مجلس النواب كل مشروع قانون تقدمه الحكومة غير مشروع الميزانية والمشاريع الخاصة بالمسؤوليات الدولية ويكون من حق مجلس النواب البحث في هذه القوانين وابداء ملاحظات تتخذ بالاكثرية فاذا قبلت الحكومة ما ابداه المجلس من المشورة والملاحظات وجب ان يعرض القانون بصيغته المعدلة ثانية على مجلس الاعيان ومجلس النواب لاقراره . أما اذا لم تقبل الحكومة بمشورة مجلس النواب او اذا اشار هذا المجلس الى ان مشروع القانون غير مقبول بأجمعه فيسحب فوراً ولا يعرض ثانية على المجلس الا في دورة ثانية وتتبع الاصول نفسها في الدورات التالية فاذا اتخذ المجلس نفس القرار بشأن ذلك القانون في ثلاث دورات من دوراته فلا يعرض ثانية على البرلمان في مدة انعقاده .

١٣) وقد اقترحوا ان لا يبقى حق حل المجلس بدون قيد وشرط . وفي حال حله ينبغي اجراء انتخابات المجلس الجديد وانعقاده في خلال ثلاثة اشهر من تاريخ حله . وينبغي ان لا يحل المجلس الجديد بنفس السبب الذي حل لاجله المجلس السابق .

١٤) ينتخب اعضاء مجلس النواب بانتخاب مباشر او على درجتين من قبل الفلسطينيين الذين تعين جنسيتهم بقانون وعلى اساس نائب واحد لكل عشرين الفاً من السكان الفلسطينيين ويكون من المرغوب فيه جعل فلسطين بأجمعها دائرة انتخابية واحدة للمسيحيين وكذلك لليهود . اما المسلمون فتعتبر فلسطين كذلك منطقة واحدة لتعيين عدد نوابهم في المجلس بنسبة عددهم العام . وبعد ذلك يوزع عدد النواب بين الاقضية بنسبة سكانها المسلمين واعتبار ان كل قضاء دائرة انتخابية ويجب أن يوضع قانون للانتخابات تبين فيه الاجراءات الانتخابية .

١٥) ومن المرغوب فيه ان يكون مدة انعقاد البرلمان اربع سنوات وان يعقد مرة واحدة كل سنة تستغرق اربعة اشهر بحيث تبتدىء دورته قبل اربعة أشهر من دخول السنة المالية ليتمكن من بحث مشروع الميزانية وتدقيقه . والبرلمان يجتمع في الوقت المعين القانوني من نفسه بحكم القانون على ان يكون انعقاد المجلسين وانفصالها في وقت واحد .

١٦) ويقترحون ان يكون لمجلس النواب حق استجواب الحكومة في مايتعلق باعمال دوائرها وحق وضع اقتراحات في تعديل الدستور وان لا يعقد قرض باسم فلسطين الا بعد موافقة المجلس النيابي .

١٧) ويقترحون ان توضح حكومة جلالة الملك البريطانية بفصل خاص جميع المسؤوليات الدولية التي تعهدت بها بشأن فلسطين والتي لا تتعارض مع حقوق الاهالي العرب المدنية والدينية والقومية والسياسية والاقتصادية .

١٨) ويقترحون ان يكون للبرلمان الحق في النظر في القوانين التي وضعت او جرى العمل بها قبل تأسيس الحكومة الدستورية .

١٩) ويقترحون ان يوضع نص في الدستور مفاده ان لا تجتمع عضوية مجلس النواب او عضوية الاعيان المعينين مع وظيفة حكومية اخرى وان يكون لكل من اعضاء مجلس النواب والاعيان المعينين مكافأة سنوية .

٢٠) ويوافقون على ابقاء المادة (٣٤) من الدستور القديم المختصة بامتيازات وسلطات المجلس واعضائه .

٢١ ـ ويقترحون ان يستعمل المندوب السامي صلاحياته المذكورة في الدستور بسلطات يستمدها من قوانين توضع بحسب ما هو وارد في كل من الفقرتين (١٢ ١٣) من هذه المذكرة .

٢٢) ويقترحون ان يكون امر تنظيم الهجرة الى فلسطين بموجب قرار خاص يوافق عليه البرلمان تراعى فيه مصالح الاهالي العرب والبلاد الاجتماعية والصحية والاقتصادية والاخلاقية والسياسية والدينية .

٢٣) ويقترحون ان يتخذ ترتيب خاص توضح فيه كيفية استعمال اللغات الرسمية في فلسطين .

ـ ٤ ـ

« صورة الجواب المرسل للمفاوضين من المستر ملز في ١١ أغستوس ١٩٣٦ »

●

حضرات الافاضل المحترمين

١) أوعز الي ان اشير الى المذكرة التي قدمتموها متضمنة اقتراحات ترمي الى اشتراك اهالي فلسطين في شؤون الحكومة التشريعية والتنفيذية .

٢) وقد رفعت هذه المذكرة الى فخامة المندوب السامي فنالت لديه الاعتبار

التام . وقد سر فخامته ان يرى ان هذه المذكرة تكشف القناع عن ميل بين العرب لان يعدلوا عن السياسة السلبية المحضة التي اتبعوها بشأن مصالحهم الخاصة وان يتبعوا ابدلا منها خطة يتمكنون بواسطتها من وضع اقتراحات قيمه لتشكيل حكومة دستورية.

٣) وأود أن اذكر لكم أن حكومة جلالة الملك قد تعهدت بان ترقي وتشجع مؤسسات الحكم الذاتي في هذه البلاد وبالطبع ان المرغوب فيه تحقيق جميع الاماني الصحيحة التي ترمي إلى هذه الغاية بما لا يتعارض مع القيام بالتعهدات الاخرى التي على جلالته.

٤) وبناء على هذه الخطة تقصد الحكومة ان توجد في أواخر الخريف المقبل مجالس بلدية ينتخبها الاهالي انتخاباً .

٥) ان مدى التوسع في الحكم الذاتي وزمان اجراء هذا التوسع يتوقفان لدرجة كبرى على كيفية قيام منتخبي البلديات بالمسؤوليات الملقاة عليهم في المناطق البلدية وعلى كيفية قيام الاعضاء المنتخبين بواجباتهم في الادارة المحلية .

٦) وفي هذه الاثناء لا يرى فخامته مايمنع من رفع اقتراحات اهالي البلاد للاشتراك في حكومة دستورية الى وزير المستعمرات غير ان فخامته قبل ان يخطو هذه الخطوة يجب ان يقنع ان الاقتراحات المقدمة تعبر عن آراء هيئة عامة من اهالي البلاد .

٧) أما بشأن الاقتراحات التي رفعتموها الآن فمن الواضح ان كثيراً منها يتعذر العمل به وقد أمرني فخامته ان اعلمكم بأن امر تعديل الدستور لسنة ١٩٢٢ والامر المعدل له الصادر عام ١٩٣٣ يعزز ولا يوهن اذا وضعت الاقتراحات ضمن حدود يمكن العمل بها ويرى ان المذكرة الاولى التي بنيت عليها مذكرتكم وإن كانت تحتوي على نقاط لا تقبل بها حكومة جلالة الملك الا انها تتضمن اساساً معقولا للنظر فيها من قبل وزير المستعمرات اكثر مما تتضمنه مذكرتكم .

واقبلوا فائق الاحترام .

ملحق رقم «٤»

الكتاب الابيض الانكليزي لسنة ١٩٣٠

فلسطين

بيان الخطة السياسية لحكومة جلالته البريطانية

●

١ ـ قد كان تقرير اللجنة المخصوصة برئاسة السر ولتر شو الذي نشر في شهر نيسان مبعثاً لجدال عنيف ظهر في اثنائه ان هنالك سوء فهم كبير حول ما قامت به حكومة جلالته في الماضي من الاعمال في ادارة فلسطين وما تقصد القيام به في المستقبل واصبح من المؤكد أن الحالة تستدعي الاسراع في نشر بيان واضح شامل عن الخطة السياسية ، يرمي إلى إزالة سوء الفهم هذا وما نشأ عنه من التباس وتخوف غير أن اعداد مثل هذا البيان اقتضى اتخاذ تدابير اولية ضرورية افضت حتما إلى تأخيره لغايته.

٢ ـ وقد لفت تقرير لجنة شو النظر الى بعض نواح من المشكلة رأت حكومة جلالته انها تستدعي اجراء تحقيق عاجل شامل بالنظر لما لها من صلة وثيقة بالسياسة المقبلة . ولذلك تقرر ان يوفد إلى فلسطين محقق كبير الاختبار (هو السر جون هوب سمبسن) للتداول مع المندوب السامي بشأن تسوية الاراضي ؛ والمهاجرة، وترقية الشؤون الاقتصادية ، وتقديم تقرير بذلك الى حكومة جلالته . وبالنظر لأهمية هذه المواضيع البارزة ، ولتماسها بعضها ببعض ، تأكد لحكومة جلالته بأن ليس في الاستطاعة وضع بيان عن الخطة السياسية قبل ان تأخذ بعين الاعتبار تقريراً وافياً مفصلا عن الحالة في فلسطين فيما يتعلق بهذه الابواب الثلاثة الهامة ، بما في استطاعة السر جون هوب سمبسون وضعه بجدارة . وقد ألح على حكومة جلالته بشدة أن يتقدم استلام تقرير السر جون هوب سمبسون إصدار تصريح عن السياسة المقبلة التي تود السير عليها . غير أن حكومة جلالته ، رغماً عن تقريرها للحاجة الماسة التي

تستدعي الاسراع في اصدار مثل هذا التصريح ، رأت أنها ملزمة بالتمسك بقرارها من حيث انتظار تقرير السر هوب سمبسون معتبرة في ذلك ، على الاخص ،ماتجمع لديها من الادلة بشأن صعوبة المشكلة وتعقدها ، والحاجة إلى إجراء تحقيق واف في جميع الحقائق الواقعية قبل الوصول الى اية استنتاجات حاسمة .

وقد قدم الان السر جون هوب سمبسون تقريره ؛ ووضع هذا البيان بعد إمعان التدقيق في مضمون ذلك التقرير ، وفي غيره من المعلومات التي تيسرت في المدة الاخيرة عن حالة فلسطين .

٢ – وفي بلاد كفلسطين ، حيث تتغاير في الوقت الحاضر ، بل تصطدم من بعض الوجوه ، اماني فريقي السكان ، ليس من المنتظر أن يأتي أي بيان عن السياسة ، مهما كانت صيغته ، موافقاً كل الموافقة لاماني أي فريق ، غيرأن حكومة جلالته تود أن تأمل بأنه سيكون لازالة سوء الفهم السائد الان ، ولتفسير مقاصدها تفسيراً أتم وأوفى ، الاثر الطيب في إزالة القلق واعادة الطمأنينة لكلا الفريقين . وستبذل حكومة جلالته جهدها ، ليس عن طريق هذا البيان الحالي فحسب ، بل بما يليه من الاعمال الادارية ، لاقناع العرب واليهود بتصميمها على ترقية مصالح الشعبين الاساسية ، بكل ما اوتيت من قوة ، وعلى العمل بكل ثبات حتى تتوصل إلى تكوين شعب ميسور الحال في فلسطين ، يعيش في أمان واطمئنان تحت لواء ادارة غير متحيزة راقية . ومع ذلك فمن الضروري ؛ في هذا الصدد ، إيضاح نقطة واحدة هي من الاهمية بمكان كبير ، ذلك انه في الظروف الخاصة المحيقة بفلسطين لا يمكن لاية سياسة ، مهما كانت نيرة جلية ؛ او مهما بذل من جهد في سبيل تنفيذها ان يقيض لها النجاح ما لم تنل التأييد من جميع الطوائف التي وضعت لمنفعتهاوخيرها ليس بقبولها فحسب بل بتعاونها عن طيبة خاطر .

ليس من حاجة ؛ في هذا المقام ، للبحث في الحوادث المشؤومة التي وقعت في العام الماضي ، وفي الاحوال المؤسفة التي نشأت عنها . غير ان حكومة جلالته ترى نفسها مضطرة لان تلاحظ أنها لم تنل من كلا الجانبين سوى مساعدة طفيفة في سبيل ازالة التنابذ الذي ساد بينهما في اثناء الاشهر التي توترت فيها العلاقات وزاد فيها القلق بعد اضطرابات آب سنة ١٩٢٩ وبأن هنالك عقبة اخرى خطرة اضيفت إلى الصعوبات التي نشأت عن الريب والخصومة المتبادلة بين الشعبين ، ألا وهي

خطة عدم الثقة بحكومة جلالته التي غذتها حملة صحافية ساعدت على طمس حقائق الحالة وتشويهها . ولا حاجة إلى التأكيد بأن توطيد السلام والرفاهية في البلاد في المستقبل اللتين يتوق اليها كلا الشعبين يتوقف على تحسين العلاقات بين العرب واليهود تلك هي الغاية التي ما فتئت تصبو اليها حكومة جلالته ، وهي تشعر أن في الامكان الوصول اليها إن تعاون كلا الفريقين ، عن طيبة خاطر ، مع الحكومة ومع إدارة فلسطين ، وتأكداً من أن حكومة جلالته يمكن الاعتماد عليها عندقيامها بالالتزامات المترتبة عليها في صك الانتداب ، بل في جميع صلاتها بفلسطين ،بالمحافظة على مصالح كلا الشعبين والعمل على ترقيتها .

٣ ـ ويلوح أن كثيراً من سوء الفهم الذي أخذ يساور ، لسوء الحظ ، كلا الفريقين نشأ عن العجز عن فهم كنه الواجب الملقى على عاتق حكومة جلالته بموجب أحكام صك الانتداب ولذلك فان النقطة الثانية التي تشعر حكومة جلالته بوجوب تأكيدها ، بأقوى حجة مستطاعه ، هي أن هنالك ، على حد البيان الذي أدلى به رئيس الوزارة في مجلس العموم البريطاني في اليوم الثالث من شهر نيسان سنة ١٩٣٠ ، « تصريح يتضمن تعهداً ذا شقين ، الشق الواحد منها للشعب اليهودي والشق الاخر للاهالي غير اليهود في فلسطين » ويظهر أن كثيراً من القلق الذي ساور النفوس في السنة الماضية نشأ عن عدم التأكد من أهمية هذه الحقيقة الاساسية تمام التأكيد وقد وجه كلا العرب واليهود إلى الحكومة سيلا من المطالب والملامة المستندة على الظن الفاسد بأن من واجب حكومة جلالته أن تنفذ خططاً سياسية يحظر عليها ، في الواقع تنفيذها بموجب أحكام صك الانتداب الجلية .

وقد أعلن رئيس الوزراء في البيان المشار اليه اعلاه بعبارة غاية في الوضوح والجلاء بأن حكومة جلالته قد استقر قرارها على الاستمرار في إدارة فلسطين وفقاً لاحكام صك الانتداب كما اقره مجلس جمعية الامم ، إذ أن ذلك الصك ، على حد قول المستر رمسي مكدونالد « تعهد دولي لا يمكن العدول عنه » . ويلوح أنه رغماً عن هذا البيان الصريح خامر البعض آمال انه في الاستطاعة ، بطريقة من الطرق ، اجتناب الحدود التي تفرضها بكل وضوح وجلاء احكام صك الانتداب. فيجب والحالة هذه ان يتأكد الجميع ، بصورة باتة نهائية ، بأن من العبث للزعماء

اليهود من الجهة الواحدة ، ان يلحوا على حكومة جلالته لان تسير في سياستها ، فيما يتعلق بالمهاجرة والأراضي مثلا ، حسب اماني طبقات الرأي العام الصهيوني الا كثر تصلباً ، إذان قيامها بذلك ليس سوى تجاهل منها للواجب الملقى على الدولة المنتدبة إزاء غير اليهود من أهالي فلسطين ، ذلك الواجب الذي لا يقل عنه اهمية . كما انه من العبث ايضاً ، من الجهة الأخرى للزعماء العرب ان يصروا على مطالبهم لوضع نوع من الدستور يجعل قيام حكومة جلالته ، اوفى قيام ، بالتعهد ذي الشقين المشار اليه اعلاه في حكم المستحيل . ان لدى حكومة جلالته ما يدعوها للظن بأن من الأسباب التي آلت إلى بقاء التوتر في العلاقات والقلق بين كلا الفريقين ، ذلك الأمل الفاسد الذي اوجده المستشارون المضللون ، بأن في بذل المجهودات لتخويف حكومة جلالته والضغط عليها ما ينجم عنه في النهاية اجبارها على اتباع سياسة تكون في صالح الفريقين الواحد أو الآخر .

ولذلك أصبح من الضروري أن توضح حكومة جلالته ، باديء ذي بدء، بأنها لن تحيد ، بالضغط أو بالتهديد ، عن النهج المبينة حدوده في صك الانتداب ، كما لن تنحرف عن اتباع سياسة ترمي الى ترقية مصالح اهالي فلسطين ، العرب واليهود بكيفية تتفق مع الالتزامات المفروضة عليها في صك الانتداب .

٤ ـ ليست هذه بالمرة الاولى التي بذلت فيها حكومة جلالته جهدها لايضاح سياستها في فلسطين ، ففي سنة ١٩٢٢ نشرت بياناً وافياً بلغته للوفد العربي الفلسطيني ، الذي كان عندئذ في لندن وللجمعية الصهيونية . أما الوفد العربي فقد قابل ذلك البيان بالرفض بينما اتخذت اللجنة التنفيذية للجمعية الصهيونية قراراً اكدت فيه لحكومة جلالته بأن اعمال الجمعية الصهيونية ستسير طبقاً للخطة السياسية التي يتضمنها البيان . وفضلا عن ذلك فقد ذكر الدكتور وايزمن في الكتاب الذي ارفق به هذا القرار لحكومة جلالته ما يلي :

« لقد كانت الجمعية الصهيونية ترغب باخلاص ، على الدوام ، في ان تسير في اعمالها بالتعاون الودي مع جميع طبقات الأهالي في فلسطين . وقد اوضحت مراراً وتكراراً ، قولا وفعلا ، بأنه لن يخطر لها ببال الاجحاف ، بأقل درجة ، بحقوق غير الأهالي اليهود ، المدنية او الدينية او بمصالحهم المادية » .

وكان من نتيجة الاختبار الذي اكتسب في هذه السنوات التي مرت منذ ذلك الحين ان كشف القناع حتما ، عن بعض نقائص ادارية ومشاكل اقتصادية خاصة يجب اخذها بعين الاعتبار عند النظر في مصالح جميع طبقات الاهالي . ومع ذلك فان بيان الخطة السياسية الذي صدر في سنة ١٩٢٢ ، بعد امعان النظر والتدقيق المطول ، يعتبر الأساس الـــذي يجب ان تبنى عليـــه السياسة البريطانية المقبلة في فلسطين .

٥ ــ وفضلا عن الاقتراحات لوضع نظام حكم دستوري في فلسطين التي يتناولها البحث في الفقرات التالية ، توجد ثلاث نقاط هامة بحث فيها هذا البيان وهي :

(١) المعنى الذي تعلقه حكومة جلالته على عبارة « الوطن القومي لليهود » الواردة في صك الانتداب .

اما بشأن هذه النقطة ففي الاستطاعة اقتباس الفقرة التالية مـــن بيان الخطة السياسية الواردة سنة ١٩٢٢ :

« وقد اعاد اليهود في الجيلين أو الثلاثة أجيال الأخيرة انشاء طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ، ربعهم تقريباً مزارعون او عملة في الأرض. ولهذه الطائفة ادارات سياسيه خاصة ، منها مجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية، ومجالس منتخبة في المدن ،ورئاسة حاخامين ، ومجلس رباني لادارة شؤونها الدينية وتدار اعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلغتها الوطنية ولها صحف عبرية تفي بحاجاتها وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها عن سواها وتبدي نشاطاً كبيراً في الحركة الاقتصادية، فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ،وهيئاتها السياسية ، والدينية، والاجتماعية، ولغتها الخاصة ، وعوائدها ،وطرق معيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات قومية. ومتى سأل سائل ما هو معنى ترقية الوطن القومي اليهـــودي في فلسطين يمكن ان يجاب على ذلك بأنه لا يعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالا، بل زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخـــر من الوجهتين الدينيـــة والقومية . ولكن حتى يكون للطائفة اليهودية امل وطيد في تقدمها الحر ويفسح للشعب اليهودي مجالٌ وافٍ كي يظهر فيه مقدرته كان من الضروري ان يعلم بأن

وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة . ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي لليهود ضماناً دولياً والاعتراف رسمياً بأنه يستند إلى صلة تاريخية قديمة .

« إذن هذا هو التفسير الذي تفسر به حكومة جلالته تصريح سنة ١٩١٧ ، ويرى وزير المستعمرات ان هذا التصريح ، ان فهم على هذا الوجه ، لا يتضمن صراحة او ضمناً ، شيئاً من شأنه ان يثير مخاوف عرب فلسطين او يسبب استياء اليهود » .

(ب) المبادىء التي يجب ان تسير المهاجرة بموجبها .

وقد ورد من ذلك البيان بشأن هذه النقطة ما يلي :

« ومن الضروري ، لأجل تطبيق هذه السياسة ، تمكين الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة ، ولكن هذه المهاجرة لا يمكن ان تكون كبيرة إلى حد يزيد في أي ظرف كانت على مقدرة البلاد الاقتصادية إذ ذاك على استيعاب مهاجرين جدد ومن الضروري ضمان عدم صيرورة المهاجرين عالة على اهالي فلسطين عموماً وعدم حرمانهم اية فئة من السكان الحاليين من اشغالها . وقد جرت المهاجرة حتى الآن على هذه الشروط وبلغ عدد المهاجرين منذ الاحتلال البريطاني ٢٥ الف مهاجر .

« ومن الضروري ايضاً ، ضمان عدم ادخال الاشخاص غير المرغوب فيهم سياسياً الى فلسطين ، وقد اتخذت الادارة وستتخذ جميع الاحتياطات لهذه الغاية » .

يلاحظ ان المبادىء المبينة اعلاه تجعل من الضروري ، عند تقرير مقدرة البلاد على استيعاب مهاجرين جدد في أي وقت كان ، ان يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين من العرب واليهود لتقرير نسبة المهاجرة التي يجب السماح بها وفي نية حكومة جلالته ان تتخذ التدابير التي من شأنها ان تضمن بصورة اوفى تطبيق هذه المبادىء تطبيقاً تاماً في المستقبل .

(ج) مركز الوكالة اليهودية :

قد حوول في الفقرة المقتبسة ادناه ، الدلالة على القيود الواردة ضمناً في صك الانتداب والمقيدة بحكم الضرورة ، لواجبات الوكالة اليهودية التي ورد النص عليها في المادة الرابعة من صك الانتداب :

« وهنالك امر آخر لا بد من لفت النظر اليه وهو أن اللجنة الصهيونية في فلسطين ، المعروفة الآن باللجنة التنفيذية الصهيونية ، لا ترغب في ان يكون لها ، كما انها لا تملك ، أي قسط في إدارة البلاد العامة . كما ان المركز الذي تتمتع به الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب لا يخولها صلاحية تولي هذه الوظيفة وانما ينحصر مركزها الخاص في التدابير التي تتعلق باليهود ومساعدة البلاد على تقدمها دون ان يخولها ذلك حق الاشتراك في حكومتها في اي حال من الأحوال » .

٦ ــ ترغب حكومة جلالته في ان تؤيد بوجه عام السياسة المتضمنة في البيان الصادر سنة ١٩٢٢ ، وعلى الأخص الفقرات الثلاث التي اقتبست منه اعلاه . ويظن بأن كل محاولة لتوسيع المعنى المفهوم من هــذه النقاط الثلاث الهامة لن يكون نصيبها سوى جدال عقيم الفائدة ، ومع ذلك فان من المعترف به ، في نور الاختبار السابق ، انه لا يزال هنالك متسع للعمل على تحسين كيفية تطبيق المبادىء المعلنة في الفقرات السابقة تطبيقاً فعلياً .

وفي نية حكومة جلالته ، بالاستشارة مع ادارة فلسطين ، ان تتخذ التدابير الفعالة لايجاد وسائل إدارية وافية لأجل تلافي احتياجات العرب واليهود من جهة هذه النقاط الثلاث . ومن المعترف به ، بوجه خاص ، ان الضرورة تستدعي زيادة مجهودات المندوب السامي في سبيل ايجاد طريق للتعاون والاستشارة ، اوثق واكثر امتزاجاً ، بين إدارة فلسطين والوكالة اليهودية ، على ان يكون ذلك متفقاً على الدوام مع المبدأ الذي يجب اعتبارة اساساً وهو ان مركز الوكالة اليهودية الخاص الذي يخولها تقديم النصح والمعونة التي يخولها ، بصفتها هذه ، الاشتراك في إدارة حكومة البلاد . وعلى نفس المنوال يجب ايجاد الوسائل الادارية التي تكفل ، في الوقت ذاته ، صيانة المصالح الاساسية للطبقات الاخرى من السكان غير اليهود تمام الصيانة ، وان يتاح لتلك الطبقات فرصة وافية للاستشارة مع ادارة فلسطين حول الامور المتعلقة بتلك المصالح .

٧ ــ ومن المرغوب فيه في هذا الصدد إزالة أي سبب لسوء الفهم مما يكون قد علق بالاذهان من جراء الفقرات الواردة في صك الانتداب التي تبحث في ضمان حقوق الطوائف غير اليهودية في فلسطين . اما الاحكام التي تتناول هــذه النقطة

بوجه خاص فهي واردة في مواد صك الانتداب الثانية والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة .

(وقد سرد البيان المواد المذكورة عيناً وهي موجودة في ملحق صك الانتداب فلم نر ضرورة لسردها هنا) .

هذا ، وقد اشير اشارة خاصة إلى الوطن القومي اليهودي والمصالح اليهودية في المادة الرابعة هذه (وقد سردت فلم نر ضرورة لسردها لأنهـا موجـودة في الملحق المذكور .

٨ ــ ومما يلاحظ من الجهة الاولى ان المادة الثامنة تجعل الدولة المنتدبة مسؤولة عن ضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع أهالي فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان ، ومن الجهة الثانية ان التعهد الوارد في المادة السادسة الذي يقضي بتسهيل الهجرة اليهودية واستقرار اليهود بكثرة مشترط فيه وجوب ضمان عدم الحاق أي حيف وضرر بحقوق ومركز سائر طبقات الأهالي . وفضلا عن ذلك فان المـادة الحادية عشرة تقتضي أن تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في كل ما له علاقة بترقية البلاد .

ويتضح من نص هذه المادة أن سكان فلسطين على الاطلاق، لا فئة منهم فحسب هم الذين يجب أن يكونوا موضعاً لعناية الحكومة . ومما يلاحظ بهذا الشأن أن النص القائل باتخاذ التدابير مع الوكالة اليهودية لاقامة او إدارة الأعمال والمصالح والمنافع العمومية هو نص اختياري فقط لا إجباري وليس من الجائز أن يتعـارض مع مصلحة الأهالي المطلقة . وقد أوردت هذه النقاط بالنظر للادعاءات التي وجهت بالنيابة عن الوكالة اليهودية ، بأن لهذه الوكالة مركزاً يخولهـا الاشتراك في إدارة البلاد العمومية ، تلك الادعاءات التي لا تستطيع حكومة جلالته إلا أن تعتبرها قد تجاوزت كل التجاوز مقاصد صك الانتداب الصريحة . وفضلا عن ذلك فقد حاول البعض أن يجادل ، تأييداً للادعاءات الصهيونية، بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي الأساس الرئيسي لصك الانتداب وبأن الفقرات التي ترمي إلى صيانة مصالح غير اليهود إنما هي اعتبارات ثانوية تقيد، نوعاً ما، ما يدعى بأنه القصد

الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من اجله . ان حكومة جلالته ما فتئت تعتبر ان من الخطا الكلي فهم هذه الاحكام على هذا الوجه وهي ترى ان من المستحيل ان تحاول حل المشكلة باعتبار ان اي هذين الالتزامين هو أقل أهمية من الاخر ، حلا يتفق مع مقاصد صك الانتداب الصريحة مهما كانت الصعوبة التي تعترضها في هـذا السبيل . وقد حاول المندوب البريطاني المفوض في البيان الذي أدلى به أمام لجنة الانتدابات الدائمة في اليوم التاسع من شهر حزيران الماضي ان يوضح موقف حكومة جلالته إزاء الصعوبات المستقرة في صك الانتداب . وفي التقرير الذي رفعته لجنة الانتدابات الدائمة لجمعية الامم المتضمن مطالعاتها على هذا البيان وردت العبارة التالية ، وهي من الاهمية بمكان :

« ومن جميع هذه البيانات يظهر لنا امران يجب ذكرهما هنا وهما :

(١) ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن فريقي السكان هي من درجة متساوية .

(٢) ان الالتزامين المفروضين على الدولة المنتدبة ليسا مما لا يمكن التوفيق بينهما من اي وجه من الوجوه .

وليس لدى لجنة الانتدابات ما تعترض به على هذين التأكيدين اللذين يعربان ، في رأيها ، تمام الاعراب عما تدركه من روح صك الانتداب على فلسطين وضماناً لمستقبلها » .

ان حكومة جلالة الملك لعلى تمام الاتفاق مع روح هذا البيان وانه لمن دواعي اغتباطها ان يكون هذا البيان قد اكتسب الصيغة النهائية باقترانه بموافقة مجلس جمعية الامم .

انه لواجب شاق دقيق ذلك الواجب المفروض على حكومة جلالته الذي يقضي عليها باستنباط الوسائل لاعطاء نفس الاعتبار ، في جميع الاحيان ، عند تنفيذ سياستها في فلسطين لكلا الالتزامين اللذين يفرضهما عليها صك الانتداب بشأن فريقي السكان ، والتوفيق بين هذين الالتزامين حيثما تتعارض حتما مصلحة الفريقين .

ومن المأمول ان يؤول ايضاح الواجب المفروض على عاتق حكومة جلالته على هذا الوجه الى بيان ضرورة تعاون زعماء العرب واليهود ، عن طيبة خاطر ،

مع إدارة فلسطين وحكومـة جلالته ، تلك الضرورة الـتي أعرب عنها فـيما تقـدم .

٩ ــ إن الفقرات المتقدمة توضح المبادىء التي يجب اعتبارها السياسة الشاملة في فلسطين والشروط المقيدة التي يجب ان تسير تلك السياسة بموجبها ولذلك وجب الآن البحث في المشاكل العملية التي تواجهها حكومة جلالته في فلسطين . وهذه المشاكل يمكن حصرها بوجه التقريب تحت الأبواب الثلاثة التالية :

(١) الامن العام .
(٢) التطورات الدستورية.
(٣) التطورات الاقتصادية والاجتماعية .

(١) الامن العام

●

١٠ ــ إن من اولى واجبات الادارة توطيد أركان السلام والنظـام وحسن انتظام الحكم في فلسطين وقد أعلنت حكومة جلالته في مقام آخر بأنها لن تحيد عن القيام بواجبها بعامل الضغط أو التهديد .

إن الاضطرابات التي وقعت فيما مضى قد أخمدت فوراً. واتخذت تدابير خاصة لمعالجة أية حالة اضطرارية قد تنشأ في المستقبل . ويجب أن يفهم تماماً أن التحريض على الاضطراب أو الشقاق مهما كان مصدره، سينال أشد عقوبة ،وستوسع سلطات الادارة بقدر ما تستوجبه الضرورة كي تتمكن بصورة أوفى وأتم من معالجة مثل هذه المحاولات الخطرة ، التي لا مسوغ لها .

وقد قررت حكومة جلالته أن تحتفظ في فلسطين في الوقت الحاضر بفرقتين من المشاة وفضلا عن ذلك سيكون سربان من الطائرات وأربعة فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرقي الاردن . وكما هو معلوم ، كان المستر دوبجن مفتش البوليس العام في سيلان ، قد أوفد إلى فلسطين للتحقيق في نظام قوة البوليس الفلسطيني وقد رفع تقريراً مفصلا فيما وهو الآن موضع النظر الدقيق . وقد وضع البعض من تواصيه موضع التنفيذ ومن ذلك زيادة فرقتي البوليس البريطاني والفلسطيني ووضع مشروع للدفاع عن المستعمرات اليهودية أشير اليه في الفقرة التاسعـة من بيان خطة السياسة البريطانية في فلسطين الذي نشر بصيغة كتاب أبيض تحت رقم ٣٥٨٢ وهنالك تواصي كثيرة اخرى وردت في تقرير السر دوبجن لا تزال موضع

البحث والتدقيق بالاشتراك مع المندوب السامي لفلسطين وستجري تغييرات اخرى متى اتخذت قرارات بشأنها . وتغتنم حكومة جلالته هذه الفرصة لأن تؤيد تصميمها على اتخاذ جميع التدابير المستطاعة لقمع الجرائم وتوطيد النظام في فلسطين . وترغب في ان تؤكد في هذا الصدد ، انها عند تقرير نوع وكيفية تأليف قوات الأمن العام في فلسطين الضرورية لهذه الغاية ، تسترشد برأي مستشاريها الاختصاصيين ، وأنها في كل ذلك سترمي إلى تأمين كون القوات المستخدمة ملائمة للواجبات التي ستقوم بها بقطع النظر عن أية اعتبارات سياسية .

(٢) التطورات الدستورية

●

١١ ـ اشير فيما تقدم إلى المطالب التي وجهها الزعماء العرب لايجاد شكل دستوري يتنافى مع الالتزامات المترتبة على حكومة جلالته ، بصفتها الدولة المنتدبة . ومع ذلك فإن حكومة جلالته ترى ، بعد التبصر الدقيق ، ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين درجة من الحكم الذاتي تلك المسألة الهامة ، لمصلحة جميع السكان على الاطلاق ، بدون أي تأخير آخر وقد يكون من المناسب في باديء الأمر ، إيراد خلاصة موجزة عن تاريخ هذه المسألة منذ تشكيل الادارة المدنية .

ففي شهر تشرين الأول سنة ١٩٢٠ شكل في فلسطين مجلس استشاري ألف من عدد مساو بين الأعضاء الموظفين وغير الموظفين . وقد كان من العشرة الأعضاء غير الموظفين أربعه من المسلمين وثلاثة من المسيحيين وثلاثة من اليهود .

وفي اليوم الأول من شهر أيلول سنة ١٩٢٢ صدر دستور فلسطين وهو يقضي بتأليف حكومة في فلسطين توفيقاً لأحكام قانون الاختصاص الأجنبي . وقد قضى الفصل الثالث من هذا الدستور بتشكيل مجلس تشريعي يؤلف من المندوب السامي رئيساً ، ومن عشرة أعضاء من الموظفين واثني عشر عضواً منتخباً من غير الموظفين وقد وضعت أصول انتخاب الأعضاء غير الموظفين في الأمر الصادر في المجلس الخاص بشأن تأليف المجلس التشريعي لسنة ١٩٢٢ وفي شهري شباط وآذار من سنة ١٩٢٣ حاولت الحكومة إجراء انتخابات توفيقاً لتلك الاصول فاخفقت تلك المحاولة بسبب رفض الأهالي العرب إجمالا التعاون مع الحكومة (يراجع في هذا

الصدد التقرير المفصل الذي صدر عن هذه الانتخابات المتضمن في الكتاب الأبيض رقم ١٨٨٩ بشأن انتخابات المجلس التشريعي سنة ١٩٢٣) . وعندئـذ أوقف المندوب السامي تأليف المجلس التشريعي المقترح واستمر على تسيير الادارة باستشارة المجلس الاستشاري كالسابق .

وقد سنحت فرصتان اخريان لزعماء العرب في فلسطين للتعاون مع الادارة على حكم البلاد ، اولا : باعادة تأليف مجلس استشاري يعين تعييناً على أن يكـون عدد أعضائه مساوياً لعدد أعضاء المجلس التشريعي الذي كان في النية تشكيلـه . وثانياً : بالاقتراح الذي عُرض عليهم لتأليف وكالة عربية ، وكان المقصود أن يناط بهذه الوكالة نفس الواجبات المناطة بالوكالة اليهودية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب .

غير أن زعماء العرب رفضوا قبول كلا هاتين الفرصتين . وبناء على رفضهم هذا ، تالف في شهر كانون الأول سنـة ١٩٢٣ مجلس استشاري من أعضـاء موظفين فقط . ولا تزال الحالة كذلك حتى الآن وكل ما طرأ عليها من تغيير هو أن عدد أعضاء المجلس الاستشاري قد زيد باضافة أعضاء موظفين آخرين اقتضى تقدم الادارة إضافتهم إلى المجلس .

ومما يذكر في هذا الصدد أن حكومـة جلالته مسؤولـة بموجب أحكـام المادة الثانية من صك الانتداب عن جعل البلاد في أحوال سياسيـة وإداريـة واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي ، وترقية أنظمة الحكم الذاتي ، والمحافظة على الحقوق المدنية والدينية لجميع الأهالي . وقد أوضحـت فيما تقـدم المجهودات التي بذلت في السنـين الاولى من الادارة المدنيـة بشان التطـور الدستوري . ورغبة في تمكين أهالي فلسطين من الحصـول على اختبار فعـلي في الطرق الادارية ونظم الحكومة والتدرب على حسن التمييز في اختيار ممثليهـم ادخل اللورد بلومر ، الذي اشغل منصب المندوب السامي في فلسطـين من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٢٨ درجة من الحكم الذاتي المحلي أوسع مما كانت عليه الحال في عهد الادارة البريطانية فيما مضى .

وعندما تسلم السر جون تشانسلور زمام منصب المندوب السامي في شهر كانون الأول سنة ١٩٢٨ نظر في مسالة التطور الدستوري وأخذ رأي ممثلي مختلف طبقات الأهالي . وبعد إنعام النظر في الحالة رفع بعض اقتراحات في شهر جزيران سنة

١٩٢٩ غير أنه تأجل النظر في هذه المسألة بسبب الاضطرابات التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ .

١٢ ـ وقد أمعنت الآن حكومة جلالته النظر في هذه المسألة ، في نور درجة التقدم والرقي الحالي ، معتبرة على الأخص الالتزام الملقى على عاتقها الذي يقضي عليها بجعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية وإقتصادية ، تكفل ترقية أنظمة الحكم الذاتي . وقررت أن الوقت قد حان للتقدم خطوة اخرى في سبيل منح أهالي فلسطين درجة من الحكم الذاتي تتلاءم مع أحكام صك الانتداب .

وبناء على ذلك تنوي حكومة جلالته أن تشكل مجلساً تشريعياً ينطبق عموماً على الاصول المبينة في بيان الخطة السياسية الذي أصدره المستر تشرشل في شهر حزيران سنة ١٩٢٢ ونشر كذيل خامس لتقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ .

وتأمل حكومة جلالته أنها ستنال ، في هذة المرة ، معاونة جميع طبقات السكان في فلسطين وترغب في أن تعلن بكل وضوح وجلاء بأنها ، بينما تأسف كل الأسف لأية محاولة قد يقوم بها أي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها ، لتتخذ جميع التدابير المستطاعة لقمع كل محاولة كهذه إن وقعت ، إذ أنها ترى أن من مصلحة أهالي البلاد على الاطلاق أن لا تؤجل قط الخطوة التي تنوي الآن أن تخطوها .

وتود حكومة جلالته أن تبين بأنه لو تم تشكيل هذا المجلس التشريعي عندما عقدت النية على تشكيله في المرة الاولى لكان أهالي فلسطين قد نالوا الآن درجة أوفر من الاختبار في كيفية تسيير النظم الدستورية . ذلك ان مثل هذا الاختبار لا مفر منه لنجاح التطور الدستوري ، فكلما أسرع جميع طبقات الأهالي في إبداء رغبتهم في المعاونة مع حكومة جلالته في هذا الصدد كلما كان في الامكان إجراء هذا التطور الدستوري الذي تتوق حكومة جلالته لمشاهدته في فلسطين .

ان هنالك فوائد جلية يجتنيها جميع طبقات السكان من جراء تشكيل مثل هذا المجلس ذلك انه قد يأتي بفائدة مخصوصة للاهالي العرب الذين ليس لديهم الان وسائل دستورية تمكنهم من وضع آرائهم حول الامور الاجتماعية والاقتصادية أمام

الحكومة . وبالطبع أن ممثليهم في المجلس الذي يراد تشكيله سيتمكنـون ، ليس من إبداء آراء الأهالي العرب في شأن هذه الامور وخلافها فحسب ، بل مـن الاشتراك أيضاً في البحث والتداول فيها . وهنالك فائدة اخرى تجتنيها البلاد على الاطلاق من تشكيل المجلس التشريعي ، إذ أن اشتراك ممثلي كلا الفريقـين مـن الأهالي ، بصفتهم أعضاء في المجلس التشريعي ، سيؤول إلى تحسين العلاقات بين اليهودوالعرب .

١٣ ـ ان المجلس التشريعي الجديد سيؤلف ، كما ذكر فيما تقدم ، على النحـو المعين في بيان الخطة السياسية الذي صدر سنة ١٩٢٢ . وسيشكل من المنـدوب السامي ومن اثنين وعشرين عضواً ، منهم عشرة أعضاء موظفين وإثنا عشرعضواً من غير الموظفين وسينتخب الأعضاء غير الموظفين بطـريق الانتخـاب الأولي والثانوي . ومع ذلك ترى حكومة جلالته أن من الأهمية بمكـان ، لاجتنـاب إعادة حبوط الانتخابات ، كما حدث في سنـة ١٩٢٣ ، استنباط تدابـير تؤمن تعيين العدد المطلوب من الأعضاء غير الموظفين للمجلس فيما إذا لم يتمكن عضو واحد أو أكثر من الانتخاب بسبب موقف عدم التعاون الذي قد تقفه أية فئـة من السكان ، أو لأي سبب آخر . وسيبقى المندوب السامي متمتعاً بالصلاحيـة الضرورية التي تضمن تمكين الدولة المنتدبة من القيام بالالتزامات المترتبـة عليها إزاء جمعية الامم ومن ذلك صلاحية وضع أي تشريع تقتضيه الحاجـة الماسة ، وتوطيد النظام . ومتى نشأ خلاف حول قيام حكومة فلسطـين باحكـام صك الانتداب يستطاع تقديم عريضة بذلك إلى جمعية الامم توفيقاً لأحكام المادة ٨٥ من دستورفلسطين لسنة ١٩٢٢ .

(٣) التطور الاقتصادي والاجتماعي

●

١٤ ـ إن المشاكل العمليـة التي يجدر البحث فيهـا في هذا البـاب هي مسائل الأراضي والمهاجرة والبطـالة على الاجـمال . فهذه المسائـل الثلاث مرتبطة معاً كل الارتباط مع ما لها من وجوه سياسية واقتصادية . وعلى حلهـا يجب أن يتوقف كل تقدم يرتجى فيما يتعلق بتوطيد السلم واستقرار اليسر والرخاء فيفلسطين

ان هذه الامور ما زالت ، منذ أن لفت النظر اليها في تقرير لجنة شو ،موضع

تحقيق دقيق محلي من قبل لجنة عينها المندوب السامي في شهر نيسان الماضي للتحقيق في أحوال المزارعين الاقتصادية وطريقة استيفاء الضرائب منهم ، ومن قبل السر جون هوب سمبسون الذي توجه الى فلسطين في شهر أيار الماضي بناء على تكليف وزير المستعمرات للبحث في مسائل المهاجرة وتسوية الأراضي واقتصاديات البلاد .

١٥ ـ وكان من نتيجة هذه التحقيقات الواسعة المطولة ان كونت بعض استنتاجات وكشف القناع عن بعض حقائق ذكرت فيما يلي بايجاز :

(١) الاراضي

●

في الاستطاعة الان القول بكل حزم انه لايوجد في فلسطين في الوقت الحاضر، نظراً للطرق الزراعية الحالية التي يتبعها العرب ، أية أراض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ؛ إذا استثنيت الاراضي التي تملكها الوكالات اليهودية المختلفة على سبيل الاحتياط .

وقد وجه فيما مضي انتقاد شديد بشان الاراضي الاميرية القليلة المساحة التي وضعت تحت تصرف المزارعين اليهود . إلا انه من الخطا ان يتبادر إلى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحات شاسعة من الاراضي المحاولة التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود لاستعمارها . ذلك ان مساحة الاراضي المحاولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها . فالحكومة تدعي بمساحات كبيرة من الاراضي التي يتصرف العرب فيها ، في الواقع ، ويفلحونها . غير انه حتى ولو سلم بملكية الحكومة لهذه الاراضي ، وملكيتها مختلف فيها في كثير من الاحوال ، فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها بالنظر لوجودها في أيدي المزارعين العرب ، ولضرورة إيجاد أراضي إضافية اخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين أصبحوا الان بلا أرض .

ان إيجاد أراضي يمكن وضعها تحت تصرف المستعمرين اليهود يتوقف على ما يتم من التقدم في زيادة قوة انتاج الاراضي المشغولة الان .

١٦ ـ ويتراءى الان ، في نور أفضل التقديرات الميسورة، ان مساحة الاراضي القابلة للزراعة في فلسطين (إذا استثنيت منطقة بئر السبع) تبلغ ٦,٥٤٤,٠٠ دونماً . وهذه المساحة هي أقل بكثير من التقديرات التي اجريت فيما مضى إذ أنها

تبلغ حسب التقديرات الرسمية ، بين عشرة وأحد عشر مليون دونم .

ويلوح أيضاً أنه بينما تحتاج عائلة الفلاح إلى ١٣٠ دونماً من الأراضي على الأقل للقيام بأود معيشتها معيشة لائقة ، في الأراضي البعل (غير المسقية) نجد أنه لو قسمت الأراضي الزراعية الميسورة في البلاد ، إذا استثنيت الأراضي التي في أيدي اليهود ، بين المزارعين العرب الحاليين لنال العائلة الواحدة ٩٠ دونماً . وكي يتسنى إعطاء العائلة الواحدة من جميع المزارعين العرب ١٣٠ دونماً من الأرض ، وهو المعدل ، يحتاج إلى ثمانية ملايين دونم اخرى من الأراضي الزراعية ويظهر أيضاً أنه من بين العائلات العربية القروية التي يبلغ عددها ٨٦٩٨٠ عائلة ، يوجد ٢٩,٤ في المائة بلا أراضي . وليس بمعلوم عدد العائلات التي كانت تزرع أرضاً فيما مضى ثم فقدتها إذ أن هذه النقطة هي من جملة النقاط التي ليس في الاستطاعة الان حصرها بتأكيد بل يؤمل التثبت منها في اثناء الاحصاء الذي سيجري في السنة القادمة .

١٧ ـ ان حالة الفلاح العربي تحتاج إلى كثير من العناية ومن المقتضى وضع سياسة خاصة بالأراضي ان كان يراد تحسين أحوال معيشته .

وقد كانت الهيئات الاستعمارية اليهودية ، العمومية منها والخصوصية الوكالات الوحيدة التي اتبعت لغاية الان سياسة ثابتة في تحسين الاراضي .

وكان لاهالي المستعمرات اليهود كل فائدة يمكنهم اجتناؤها مما تيسر لهم من رأس المال والعلم والتنظيم . فإلى ذلك ، وإلى نشاط أهالي المستعمرات أنفسهم يرجع الفضل في هذا النجاح الفائق . ومن الجهة الاخرى فان الاهالي العرب، بينما تعوزهم هذه الفوائد التي يتمتع بها أهالي المستعمرات اليهود ، قد زاد عددهم بسرعة فائقة من جراء زيادة المواليد على الوفيات في الوقت الذي نقصت فيه الاراضي الميسورة لاعاشتهم بنحو مليون دونم ، انتقلت إلى أيدي اليهود .

١٨ ـ قد سبقت الأشارة فيما تقدم إلى النشاط والنجاح الفائقين اللذين تما في ميدان استعمار اليهود للاراضي . وليس من العدل في شيء أن يقبل الادعاء الذي ادلي به في معرض الخلاف الناشىء بشأن العلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين بأن نتيجة استعمار اليهود على السكان العرب كانت في جميع الاحوال مضرة بمصالح العرب فهذا الادعاء لا يمكن التسليم به إجمالا . لكنه من الضروري ، عند البحث

في هذه الناحية من المشكلة ، ان يميز بين الاستعمار الذي تقوم به جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين (المعروفة عموماً بالبيكا) وبين الاستعمار الجاري تحت رعاية الجمعية الصهيونية .

فبقدو ما يتعلق الامر بالسياسة الماضية التي اتبعتها جمعية (البيكا)لا ريب ان العرب قد استفادوا كثيراً من إنشاء المستعمرات اليهودية . وقد كانت العلاقات حسنة فيما مضى بين أهالي المستعمرات وجيرانهم العرب والحالات التي تستندعليها المراجع اليهودية في تأييد ادعائها بأن نتيجة استعمار اليهود كانت مفيدة لمجاوريهم العرب هي فيما يختص بالمستعمرات التي أنشأتها جمعية (البيكا) قبل ان يشرع في الاستعمار من صندوق رأس المال الفلسطيني الذي هو الان المصدر المالي الرئيسي للوكالة اليهودية .

أما المحاولات التي اجريت لاثبات ان الاستعمار الصهيوني لم ينتج عنه انضمام مستأجري الاراضي التي باعها اصحابها إلى الطبقة التي لا أرض لها فقد ثبت بالتحقيق انها غير مقنعة ، ان لم تكن مضللة .

١٩ ــ وفضلا عن ذلك فان نتيجة الاستعمار اليهودي على الاهالي الحاليين تتأثر تأثراً كلياً بالشروط التي تمتلك الهيئات اليهودية المختلفة بموجبها الاراضي وتستغلها وتؤجرها . فقد نص دستو الوكالة اليهودية الموسعة الموقع في زوريخ في اليوم الرابع عشر من آب سنة ١٩٢٩ (الفقرتان « د » و «ه»من المادةالثالثة)على ان الاراضي التي تمتلك « تعتبر ملك الشعب اليهودي وملكيتها غير قابلةالانتقال» وعلى وجوب « مراعاة مبدأ تشغيل العمال اليهود في جميع الاشغال والمشاريع » وفضلا عن ذلك فقد ورد في المادة ٢٣ من عقد الايجار الذي في النية تنظيمه بشأن الاراضي التي تمنحها جمعية رأس المال القومي اليهودي تعهد يقضي على المستأجر بأن يقوم بجميع الاشغال المتعلقة بزراعة الارض بواسطة العمال اليهود فقط ؛ وفرضت شروط شديدة لتامين مراعاة هذا التعهد .

وهنالك تعهد يرتبط به أهالي المستعمرات الواقعة في السهل الساحلي يقضي عليهم باستئجار العمال اليهود فقط ، كلما اضطروا إلى استئجار عمال . وهذا التعهد يدرج في الاتفاقات التي تعقد بين صندوق رأس المال الفلسطيني والذين يستلفون أموالا منه . وورد نفس هذا الحكم فيالاتفاقاتالمستعملة في مستعمرات مرج ابن عامر .

ان من الصعب ان تتفق هذه الأحكام المشددة مع التصريح الذي ادلي به في المؤتمر الصهيوني المنعقد سنة ١٩٢١ بأن « الشعب اليهودي يرغب في ان يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وان يعمل بالاشتراك مع الشعب العربي على ترقية البلاد المشتركة بينهما بحيث تؤمن رفاهية كلا الشعبين » .

٢٠ ـ وقد كان الزعماء اليهود صريحين كل الصراحة في تبرير سياستهم هذه. فقد ادعت اللجنة التنفيذية لجمعية العمال اليهود ، التي لها نفوذ كبير في تكييف السياسة الصهيونية ، بأن هذه القيود ضرورية لتأمين ادخال اكبر عدد مستطاع من المهاجرين اليهود ، وللمحافظة على اسلوب معيشة العمال اليهود خشية ان ينحط الى اسلوب معيشة العمال العرب .

ومهما كانت هذه الحجج منطقية ، من وجهة الحركة الوطنية الصرفة ، فيجب القول بأنها لم تراع فيها احكام المادة السادسة من صك الانتداب التي تشترط صراحة على حكومة فلسطين ، عند تسهيلها الهجرة اليهودية واستقرار اليهود بكثرة في اراضي البلاد ، ان تكفل « عدم الحاق اي حيف او ضرر بحقوق ومركز سائر طوائف الأهالي الأخرى » .

(٢) التحسين الزراعي

٢١ ـ ان من واجب الادارة بموجب صك الانتداب ، على نحو ما ورد في الفقرة السابقة ، ان تكفل عدم الحاق اي حيف او ضرر بمركز « سائر طوائف الأهالي الأخرى » من جراء المهاجرة ، كما انه من واجبها ايضاً بموجب صك الانتداب ان تشجع استقرار اليهود بكثرة في اراضي البلاد ، مراعية في ذلك على الدوام الشرط المتقدم ذكره .

٢٢ ـ وقد اقتنعت حكومة جلالته ، من نتيجة التحقيقات الاخيرة ، بأن الضرورة تقضي رغبة في الوصول إلى هاتين الغايتين ، باجراء تحسين فعلي في اساليب الزراعة المتبعة الآن بقصد تأمين زيادة الاستفادة من الأرض .

٢٣ ـ فباتباع مثل هذه السياسة فقط يستطاع استقرار مزارعين آخرين من اليهود في الأراضي بصورة تتفق مع الشروط المقررة في المادة السادسة من صك الانتداب والنتيجة المتوخاة لا يمكن نيلها إلا بعد مرور سنوات من الجد والعمل .

ولذا فمن حسن الحظ ان يكون لدى الهيئات اليهودية أراض واسعة احتياطية لم يستقر فيها المستعمرون بعد ولم تعمر. وعلى ذلك يمكنهم الاستمرار في عملهم بدون توقف ريثما توضع تدابير عمومية اخرى لتحسين الأراضي يستطيع الاستفادة منها كلا العرب واليهود. ومع ذلك فمن الواجب بحكم الضرورة، ان تناط مراقبة التصرف بالأراضي بالمرجع القائم بهذا التحسين فلا يسمح بانتقال الأراضي إلا متى كان ذلك الانتقال لا يتعارض مع خطط ومشاريع ذلك المرجع. وإذا اعتبرت المسؤوليات المترتبة على عاتق الدولة المنتدبة اتضح بأن هذا المرجع يجب ان يكون حكومة فلسطين.

٢٤ ــ ومن جملة المشاكل التي تستوجب النظر، مسائل الري، وجعل هذا التحسين متسقاً مع أعمال دائرة الزراعة وغيرها من دوائر الحكومة وتقرير مجال العمل لكل منها رغبة في اجتناب الاحتكاك والاختلاف والتجاوز في العمل، وبغية الحصول على اعظم فائدة مما يبذل من مجهود مشترك.

ويجب انعام النظر أيضاً في حماية المستأجرين بمنحهم حقاً من حقوق الاجازة، او بأية وسائل اخرى، لتأمين عدم اخراجهم من الأرض او تعريضهم لاجارات فاحشة.

ثم ان هنالك مسألة ذات صلة وثيقة بمثل هذا التحسين، هي الاسراع في أعمال التسوية والتثبت من الملكية وتسجيل عقود الاجار. وهنا تخرج إلى حيز الوجود مشكلة هامة بسبب وجود مساحات واسعة من الأراضي في القرى العربية مملوكة بطريق المشاع ذلك ان نصف القرى العربية بوجه التقريب مملوك بطريق المشاع، وهنالك اتفاق الرأي ان مثل هذا النظام هو عقبة كبرى في سبيل ترقية الزراعة في البلاد.

ويلوح ان تأليف جمعيات تعاون بين الفلاحين هو من الأمور الأولية المهمة في سبيل تقدمهم ورقيهم. وقد قام مؤخراً خبير ذو اختبار واسع باجراء تحقيق في هذه المسألة برمتها بالنيابة عن حكومة فلسطين.

٢٥ ــ وقد وقع على كاهل مالية فلسطين عبء ثقيل من جراء الضرورة التي دعت إلى زيادة قوات الامن العام زيادة كبرى. إلا أن هذه الزيادة اعتبرت

ضرورية في نور الحوادث التي وقعت في خريف سنة ١٩٢٩ وليس في الاستطاعة التنبؤ الآن بالزمن الذي يصح فيه تخفيض النفقات في هذا الباب تخفيضاً محسوساً . إذ أن ذلك التخفيض يجب ان يتوقف ، لدرجة كبرى ، على ما يطرأ من التحسين في العلاقات المتبادلة بين العرب واليهود ذلك التحسين الذي تأمل حكومة جلالته بأن يكون من احدى نتائجه .

ان السياسة العمومية التي تتبعها حكومة جلالته ترمي ، فيما ترمي اليه ، إلى جعل فلسطين قادرة على سد نفقتها بنفسها ، فالتحسين المنوي اجراؤه في الطرق والاساليب الزراعية ، ليس انه يستغرق وقتاً فحسب بل يستلزم نفقات باهظة أيضاً ، مع انه يؤمل ان يكون بعض النفقات التي تصرف في هذا السبيل قابلة الاسترداد . وحكومة جلالته تنظر بكل تدقيق في المركز المالي الذي ينبلج عن هذه الحالة وتبحث الآن في اتخاذ التدابير الضرورية لوضع سياستها هذه موضع التنفيذ .

(٣) المهاجرة

●

٢٦ ـ قد وضع مؤخراً النظام الذي تتبعه حكومة فلسطين في مراقبة المهاجرة إلى فلسطين على بساط البحث والتدقيق من جميع وجوهه . وفي شهر ايار الماضي رأت حكومة جلالته ان من الضروري توقيف اصدار شهادات لادخال المهاجرين بموجب جدول العمال ، أي الاشخاص الذين يشتغلون عند الغير (زيادة على الـ ٩٥٠ شخصاً الذين سبقت الموافقة على ادخالهم) في الستة الاشهر التي تنتهي في ٣٠ ايلول سنة ١٩٣٠ دون ان تتعرض لاصناف المهاجرين الآخرين ، وذلك ريثما تظهر نتيجة هذا التحقيق وتقرر الخطة السياسية المقبلة . وقد اسفر هذا التحقيق عن اظهار بعض العجز في النظام الحالي ، وثبت انه بموجب هذا النظام ادخل كثير من الأشخاص ممن لم يكن في استطاعتهم ان يحصلوا على التأشير على جوازاتهم (فيزا) لو كان جميع الحقائق عنهم معلومة . والحكومة لا تباشر مراقبة فعالة فيما يتعلق باختيار المهاجرين من الخارج إلى فلسطين ، يستند على ايجاد مستعمرات مشتركة وعلى مبدأ « اشتغال العامل بنفسه » (أي ان كل انسان يجب ان يشتغل بنفسه ويجتنب تشغيل العمال المستأجرين) وان لم يكن في استطاعة العامل

« الاشتغال بنفسه » فهي تحتم عليه استخدام وتشغيل العمال اليهود دون غيرهم .

ونظراً للمسؤولية المترتبة على الدولة المنتدبة من الضروري ان تكون حكومة فلسطين بصفتها وكيلة عنها ، المرجع الذي يفصل في جميع الأمور السياسية المتعلقة بالمهاجرة وتتضح ضرورة ذلك على الأخص متى اخذت بعين الاعتبار درجة صلة المهاجرة بالبطالة وسياسة تحسين الأراضي . غير انه لا يمكن استنباطاية تحسينات وافية في الادارة الحالية إلا إذا حصلت موافقة بين الحكومة من جهة والوكالة اليهودية من جهة اخرى فيما يتعلق بواجبات كل منهما ، واخذ بعين الاعتبار التام ذلك النفوذ الذي تصرفه نقابة العمال اليهود العمومية في تكييف سياسة الوكالة .

٢٧ ـ اما فيما يتعلق بصلة المهاجرة بالبطالة فهنالك صعوبات جمةفي الوقت الحاضر بسبب عدم وجود وسيلة وافية يمكن بواسطتها تقدير درجة البطالة في أي وقت ما . ويصدق ذلك على الأخص فيما يتعلق بالاهالي العرب . ورغماً عن عدم وجود احصاءات يصح الاعتماد عليها فقد ابديت بيانات كافية تحمل على الاعتقاد بأن درجة البطالة بين الأهالي العرب قد وصلت حداً خطراً وان البطالة بين اليهود قد أدت إلى نواح غير مرضية بالمرة وفي الاستطاعة القول بأنه قد ثبت بصراحةان تحضيرجدول العمال يجب ان يبنى على التثبت من مجموع عدد العمال العاطلين في فلسطين ويلي ذلك وجوب التأكد تمام التأكيد من مقدار عدد العمال العاطلين وستضطر حكومة جلالته بكل امعان وتدقيق في ايجاد وسيلة لهـذا الغرض ولذلك يجب الحكم على مقدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جـدد بالاستناد إلى مركز فلسطين اجمالا فيما يتعلق بالبطالة ويجب بذل كل عناية عند التأكدمن مقدرة البلاد الاقتصادية بحيث يؤخـذ بعين الاعتبار اي طلب على العمال يمكن اعتباره موقتاً بسبب زيادة التداول في السوق المالية الناشئة عن الأموال المنفقة على التعمير والتحسين ، او عن اية أسباب اخرى .

٢٨ ـ تفرض المادة السادسةمن صك الانتداب عدم الحاق أي حيف اوضرر بحقوق ومركز سائر طوائف الاهالي من جراء الهجرة اليهودية . فمن الواضح أنه إذا كانتمهاجرة اليهود تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم ، او إذا كانت حالة البطالة بين اليهود تؤثر في مركز العمال على العموم تحتم على الدولة المنتدبة ، توفيقاً لأحكام صك الانتداب، امانتخفض

المهاجرة او توقفها ، إذا استدعت الضرورة ذلك ريثما يتسنى للعاطلين من (الطبقات الأخرى) ايجاد عمل لهم ، ومما يلاحظ بهذا الصدد ، ان حكومة جلالته في نور التحقيق الذي جرى في مشكلتي المهاجرة والبطالة ، تعتبر بأن توقيفها المهاجرة بموجب جدول العمال في شهر أيار كان مبرراً تماماً .

وقد ادعي بأن موافقة المندوب السامي على إصدار شهادات المهاجرة بموجب جدول العمال يفيد ضمناً وجود مجال لادخال مهاجرين من طبقة العمال وبأن حكومة جلالته بالتالي كانت مدفوعة بعوامل سياسية عندما اوقف اصدار هذه الشهادات . غير ان الحال ليست كذلك . ذلك ان حكومة جلالته ، عندما قررت توقيف اصدار هذه الشهادات اخذت بعين الاعتبار الآراء التي اعرب عنها في تقرير لجنة شو من جهة عدم وجود اراضي كافية ومن جهة ضرورة تشديد المراقبة على المهاجرة وقد ثبت ان هذه الأمور تستوجب تحقيقاً بواسطة خبير غير ان حكومة جلالته شعرت انه ، ريثما يتم التحقيق فيها على هذا الوجه ، لا يجوز اتخاذ اية تدابير من شأنها ان تزيد في سوء الحالة الاقتصادية التي كانت مدعاة للقلق في رأي اكثرية لجنة شو .

وكل قرار يتخذ لادخال المهاجرين اليهود ، دون اعتبار هذه القيود ، يجب استنكاره ليس فقط بالنظر إلى مصالح سكان فلسطين عموماً وانما بالنظر الى مصالح الطائفة اليهودية المخصوصة أيضاً . وما زال الريب يساور الاهالي العرب ــ وهذا مما لا شك فيه ــ من ان الضائقة الاقتصادية اسفرت عن عدم وجود احتياطات تحول دون وقوع الاختلال في اصدار شهادات المهاجرين ، ودون ادخال المهاجرين غير المرغوب فيهم . وهنالك ناحية اخرى غير مرضية هي ان عدداً كبيراً من المسافرين الذين يدخلون البلاد بالاستناد على إذن يخولهم الاقامة مدة محدودة يبقون في البلاد بدون موافقة . ويقدر عدد الذين دخلوا من هذا الصنف في الثلاث سنوات الأخيرة بنحو ٧٨٠٠ شخصاً ثم يلي ذلك ناحية خطرة اخرى هي عدد الذين يدخلون البلاد مجتنبين اماكن المراقبة على الحدود .

وفي كل محاولة تجري لاستنباط وسيلة حكوميه وافية لمراقبة المهاجرة يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار الدور المهم الذي تلعبه في الوقت الحاضر نقابة العمال اليهود العمومية فيما يتعلق بمهاجرة اليهود . ان نفوذ هذه النقابة واسع المدى واعمالها

مضاعفة فهي تكوّن عاملا هاماً ضمن الحركة الصهيونية في العـالم . وفي مؤتمر زوريخ الأخير كان اكثر من ربع الأعضاء الذين نابوا عن الدوائر الصهيونية، سواء في فلسطين او الخارج . ممن ينتسبون لهذه النقابة . ويظهر النفوذ الذي تستطيع هذه النقابة ان تبذله ازاء المهاجرين بتحريمها على اي عضو من اعضائها الرجوع الى المحاكم للفصل في أي خلاف يقع بينه وبين عضو آخر ، ذلك ان لها محاكمها المخصوصة من الدرجتين الابتدائية والثانوية ومحكمة عليا للعمال تستأنف اليها الأحكام التي تصدرها المحاكم الابتدائية . وقد اتبعت هذه النقابة سياسة ترمي الى ادخال نظام اجتماعي للحالة التي يقاسونها الآن هي بلا شك ناشئة بالاكثر عن مهاجرة اليهود الزائدة وما زالت هنالك اسباب يمكن ان يظهر منها بوضوح من ان هذا الريب متأصل تماماً فلا يبقى هنالك سوى امل ضعيف لأي تحسين في العلاقات المتبادلة بين الشعبين غير انه على مثل هذا التحسين في العلاقات يتوقف بالاكثر ايجاد الطمأنينة والرفاهية في فلسطين .

ومن المأمول ان يجري تعديل في طريقة تحضير جداول العمال يؤول الى انماء العلاقات الودية بين المراجع اليهودية في فلسطين ودائرة المهاجرة . ومن الجلي ان من المرغوب فيه توثيق التعاون بـين المراجع اليهودية والحكومة إذ كلما كان التعاون وثيقاً ووديًّا كلما سهل وضع جدول بالاتفاق مبني على أساس حسن ادراك احتياجات البلاد الاقتصادية من كلا الجانبين .

٢٩ ـ وقـد سبق القول في الفقرات السابقة ان مشاكل تحسين الأراضي والمهاجرة والبطالة متصلة بعضها ببعض وبأن مستقبل فلسطين يجب ان يتوقف على ايجاد سياسة تؤخذ فيها بعين الاعتبار التام جميع هذه العوامل الثلاثة . ولا يمكن تحقيق تطورات الوطن القومي اليهودي بأي وجه من الوجوه إلا متى كانت فلسطين متمتعة بالطمأنينة والسلام والرخاء . فبالتعاون الودي بين العـرب واليهود والحكومة يمكن ان يخيم الرخاء في البلاد .

ويظهر من الحالة التي كشف القناع عنها التحقيق في العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السائدة ، ان فلسطين تواجه دوراً عصيباً في رقيها وتقدمها. ويمكن القول ان الحكومة فيما مضى تركت القوى الاقتصادية والاجتماعية تعمـل عملها بأقل تداخل أو رقابة منها . غير انه قد اتضح كل الاتضاح انه لا يمكن الاستمرار في هذه السياسة . فبالتعاون الوثيق بين الحكومة وزعماء العرب واليهود

قد يستطاع الحيلولة دون سقوط فلسطين الى حالة قدتقضي ، من الجهة الواحدة، على العمل المجيد الذي قام به اولئك الذين وضعوا نصب اعينهم بناءالوطن القومي اليهودي ، ومن الجهةالأخرى على مصالح اكثرية الأهالي الذين يملكونفي الوقت الحاضر موارد طفيفة تمكنهم من الكفاح لحفظ كيانهم . والأمرالذي تدعوالحاجة اليه هو ان يتفق كلا الشعبين على العيش معاً وان يحترم كل شعب منهما احتياجات ومطالب الشعب الآخر .

لذلك فان حكومة جلالته تدعو العرب الى الاعتراف بحقائق الحالة ، والى بذل الجهد المستمر في التعاون على الوصول بالبلادعلى الاطلاق الى حالة من الرخاء واليسر تشمل فائدتها الجميع . كما ان حكومة جلالته تطلب من الزعماء اليهود ان يعترفوا بضرورة اجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلالية الانفصالية التي اخذت تنشأ فيبعض الدوائر فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي وان يعتبروا ان من العوامل الفعالة في تكييف سياستهم ان يتم رقي البلاد بكيفية تضمن نوال مصالح العرب واليهود الاعتبار الوافي بقصد انماء الرفاهية فيكافة انحاء البلاد وذلك في احوال لا تبعث الى ايجاد اسباب للاتهام بالتحيز لفريق دون آخر بل تمكن كلا الشعبين العربي واليهودي من الرقي والتقدم بوفاق وقناعة .

ملحق رقم (٥)

نص البيان المذاع عن المؤتمر العربي القومي
في ١٣ كانون الاول ١٩٣١

بيان الى العالم العربي

●

يعرف كل من اشتغل في الحركة العربية او تتبع سيرها على اختلاف ادوارها ما كان من الجهود النبيلة التي شرع رجالات العرب ومفكروهم وشبانهم يقومون بها من عهد طويل ولا سيما بعد اعلان الدستور العثماني لتكوين قضية عربية عامة غايتها تحقيق كيان عربي مستقل يشمل الأقطار العربية المختلفة ويوصل الأمة العربية إلى الاستقلال الذي تتمتع به امم العالم الحرة . وقد اتخذ العرب لجهادهم السياسي هدفاً مقدساً ظهرت آثاره في اعمال الجمعيات والاندية والمؤتمرات التي عقدوها. ثم كانت الثورة العربية الكبرى وقطعت للعرب عهود املوا من ورائها الوصول الى غايتهم الشريفة . وقد اريقت في سبيل هذه الغاية الاستقلالية المقدسة اثناء الحرب العالمية الكبرى الدماء الذكية وبذلت الضحايا الغالية . ولكن ما كادت تنكشف الحرب حتى اخذ العرب يلقون من المطامع الاستعمارية غمطاً لحقوقهم وجهادهم وجحوداً لضحاياهم ، ويرون حلفاءهم ينصبون لهم العراقيل الحائلة بينهم وبين درك استقلالهم . وكانت نهاية ذلك ان الحلفاء ظهروا بمؤامرتهم علناً بعد ان تواطئوا عليها سراً لتجزئة بلاد العرب والكيد للقضية العربية وهي من كبريات القضايا القومية في العالم وبها تتعلق حياة امة عظيمة من اعرق امم العالم في المجد والحضارة والتاريخ وهي اليوم بنفوسها التي لا تقل عن سبعين مليوناً تشغل خير بقاع الأرض في آسيا وافريقيا .

ولقد كان أحد مظاهر هذه المؤامرة المنكرة ووسائل انجاحها اشغال اهل كل قطر من الأقطار العربية عن اخوانهم في الأقطار الأخرى بقضايا اقليمية مصطنعة واوضاع محلية متقلصة ، ونكبات متنوعة حصراً للجهود في دوائر ضيقة ومناطق

محدودة ، وصرفاً لها عن الامتداد الى افق اعلى تتلاقى في مستواه العام القضية العربية مترابطة الاجزاء متضافرة الاقسام جرياً مع السنن الكونية في نهضات الامم وارتقاء الشعوب . وقد استغرقت هذه الشواغل المدسوسة اوقات ابناء كل قطر بل انغمر كل فريق من العرب في بحرانها حتى كاد المستعمرون يدركون مأربهم من مؤامراتهم من جعل العرب اشتاتاً لا قضية كبيرة لهم وهي القضية التي عمل لها رجالاتهم وجمعياتهم وذهب في سبيلها ضحاياهم وأرواح شهدائهم والتي غاية غاياتها الكيان العربي موحداً مستقلا يستأنفون فيه ما كان لهم في سالف الأيام من حضارة مزدهرة اتسق عمرانها خير اتساق عرفه التاريخ وطأطأ لها العالم رأسه وملأت جنبات الدنيا علماً وخيراً ونوراً .

وذلك ما دعا فريقاً من رجالات العرب الذين سبقت لهم في الحركة العربية في ماضي ادوارها جهود معروفة الى دعوة جمهور من مندوبي البلاد العربية الذين حضروا المؤتمر الاسلامي العام المنعقد في بيت المقدس الى مؤتمر عقدوه في هذه المدينة مساء الاحد ٤ شعبان ١٣٥٠ وفق ١٣ كانون الأول ١٩٣١ بحثوا فيه ما يجب عمله لدرء النازلات الاستعمارية التي نزلت ببلادهم والقضايا الاقليمية التي غمرها بها المستعمرون واقروا المواد الآتية ميثاقاً مقدساً يكون للعرب هدفاً ولجهودهم مقصداً وغاية في مختلف اقطارهم فيستأنفون جهادهم في سبيل الاستقلال المنشود على نوره ويجرون على سننه حتى يأذن الله بادراك الحجة والاماني كاملة محققة . وهذا نص الميثاق :

المادة الاولى : ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليها من انواع التجزئة لا تقره الامة ولا تعترف به .

المادة الثانية : توجه الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية .

المادة الثالثة : لما كان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع رامة الأمة العربية وغايتها العظمى فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها .

ثم رأى المجتمعون ضرورة عقد مؤتمر عام في إحدى العواصم العربية للبحث في الوسائل المؤدية الى نشر الميثاق ورعايته والخطط التي ينبغي السير عليها لتحقيقه. وقد انتدبنا نحن الموقعين على هذا البيان كلجنة تنفيذية تنشر هذا الميثاق في العالم

العربي وتهيء الوسائل لعقد المؤتمر وتكون صلة المراسلة بين الأقطار العربية في الشؤون المتعلقة بهذا الأمر .

وقد بدأنا العمل مستعينين بالله عز وجل تشد ازرنا الروح النامية الفياضةالتي تجلت في ذلك الاجتماع الخطير والتي حيناً تظهربعد حين في مختلف الاقطارمتذمرة بعنف وقوة من هذا الطاغوت الاستعماري الذي ارهق العرب سيطرة وتسلطاً ومزق بجرعهم بالقضايا المحلية المولدةوعطلسير جهودهم الكبرى التي يرمي إليها هذا الميثاق المقدس لانجاح هذه القضيةعلىمقتضىهذاالعهدوالله من وراءالقصد.»

وقد وقع البيان أعضاء اللجنة التنفيذية عوني عبد الهادي وخير الدين الزركلي وصبحي الخضراء وعجاج نويهض واسعد داغر وعزة دروزه . اما الذين وقعوا الميثاق فهم :

رشيد رضا ـ محمد بهجة الاثري ـ ابراهيم الواعظ ـ خير الدين الزركلي ـ صبحي الخضراء ـ ابراهيم الخطيب ـ علي عبيد ـ محمد اسحق درويش علي ناصر الدين ـ صلاح عثمان بيهم - محمد العفيفي ـ رياض الصلح ـ شكري القوتلي راغب ابو السعود الدجاني ـ احمد حلمي ـ سالم الهنداوي ـ محمد عزة دروزه ـ عوني عبد الهادي ـ محمد طاهر الجقة ـ عمر الطيبي ـ محمد علي بيهم معين الماضي ـ نبيه العظمه ـ صالح العوران ـ مصطفى الغلاييني ـ حسين الطراونة ـ احمد الامام ـ محمد علي الطاهر ـ عوني الكعكي عجاج نويهض ـ عبد الله الداود ـ محمد طارق ـ خليل التلهوني ـ سامي السراج ـ محمدبنونه ـ سعيد ثابت ـ بشير السعداوي ـ سليمان السودي ـ محمد حسين الدباغ المكي ـ كامل الدجاني .

ملحق رقم (٦)

قانون حزب الاستقلال

المادة ١ – اسم الحزب (حزب الاستقلال العربي) .

المادة ٢ – مركزه الرئيسي (مدينة بيت المقدس) .

المادة ٣ – مبادىء الحزب .

ا – استقلال البلاد العربية استقلالا تاماً .

ب – البلاد العربية وحدة تامة لاتقبل التجزئة .

ج – فلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سورية .

المادة ٤ – خطط الحزب :

ا العمل على تحقيق المبادىء الواردة في المادة السابقة بما يستطيعه بنفسه وبالاشتراك مع الهيئات الاستقلالية في الاقطار العربية .

ب – الاحتفاظ بأراضي البلاد ومنابع الثروة للعرب .

ج – الغاء الانتداب ووعد بلفور .

د – إقامة حكم عربي برلماني في فلسطين .

ه – انهاض البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

المادة ٥ – هيئة الحزب هي الموقعون على هذا القانون ومن تقرر الهيئة بثلاثة أرباع أعضائها ضمه اليها من حين إلى آخر .

المادة ٦ – للحزب أعضاء يختارون من قبل هيئة الحزب . وحينما يبلغ الاعضاء في ناحية ما ثلاثة فما فوق فلهيئة الحزب أن تشكل فرعاً فيها تختار هيئته الادارية منهم .

المادة ٧ – ليس لاعضاء هيئة الحزب وفروعه أن ينتسبوا إلى حزب سياسي آخر إلا باذن من هيئة الحزب .

المادة ٨ – يؤدي أعضاء هيئة الحزب وفروعه اليمين الاتية :

« اقسم بالله أن أكون مخلصاً لمبادىء الحزب وخططه خاضعاً لقراراته متضامناً

مع إخواني فيه على تنفيذها وإعلاء شأن الحزب متعاوناً وإياهم على ما فيه الحق والخير والكرامة وأن لا أستغل الحزب ولا اوافق على استغلاله لمـأرب أو منصب أو نفوذ شخصي أو عائلي .

المادة ٩ - للحزب أعضاء مؤازرون وفخريون . وهم الذين يناصرون مبادىء الحزب وخططه ومقرراته ويدفعون لصندوق الحزب اكتتاباً شهرياً لا يقل عن عشرة ملات . ويسجل أسماء هؤلاء الاعضاء في سجلات هيئة الحزب إما برأي الهيئة أو برأي هيئات الفروع .

المادة ١٠ - كل من ثبتت خيانته للحزب أو لمبادئه وخططه يطردمنه بأكثرية ثلثي هيئة الحزب على أن يعطى حق الدفاع قبل ذلك .

المادة ١١ - مالية الحزب تتكون من الاكتتابات الشهرية التي يدفعها أعضاء الحزب ومن التبرعات .

المادة ١٢ - هيئة الحزب هي التي تقرر ميزانيتها وتصادق على ميزانية فروعها .

المادة ١٣ - للحزب قانون داخلي تضعه هيئة الحزب .

ملحق رقم (٧)

بيان ٢ نوفمبر بمناسبة اجتماع نابلس المعقود لهذه الذكرى من سنة ١٩٣٢

●

ان حزب الاستقلال العربي في فلسطين الذي يقيم اليوم اجتماعه الوطني الكبير في مدينة نابلس بمناسبة ذكرى صدور وعد بلفور المشؤوم بتاريخ ٢ نوفمبر يتقدم ببيانه هذا ليجدد العهد على الكفاح والجهاد في سبيل حرية هذه البلاد العربية وإنقاذها من مخالب الاستعمار والصهيونية التي جرها هذا الاستعمار وراءه واتخذها لعبة يستعين بها على استمرار بقائه فيها بحكمها بالاساليب الاستعمارية الفظيعة .

لقد سلخت هذه البلاد أربعة عشر عاماً وهي تحت سلطة الاستعمار الانكليزي تتدهور عاماً بعد عام من حضيض إلى حضيض وتبتعد يوماً بعديوم عن الغاية المقدسة العليا التي رمى اليها العرب حينما اشتركوا ، ومنهم أهل هذا القطر ، في الحركة العربية والثورة العربية وأراقوا دماءهم وقاسوا أنواع المظالم والارهاق وهي الاستقلال والوحدة العربية التي أخذت الاقطار الاخرى تقترب منها يوماً بعد يوم محطمة في سبيل الوصول اليها القيود واحداً بعد آخر . وانه على الرغم من الصرخات الداوية التي بعثتها الامة ولا تزال تبعثها استنكاراً للسياسة الغاشمة المسلطة عليها واحتجاجاً على الظلم الفادح النازل بها بحرمانها من حقها الصريح في الحرية والاستقلال وباستهدافها للاخطار القومية والاجتماعية والاقتصادية المنبعثة عن سياسة الاستعمار والغزوة الصهيونية لارهاق البلاد تحت عبء هذه السياسة ونتائجها الفظيعة ظل الانكليز يستمرون في سياستهم دون رادع من شرف أو عهد أو ضمير .

وإذا اردنا ان نستعرض نتائج هذه السياسة واخطارها رأينا منظراً من افظع المناظر وشهدنا رواية من اشد الروايات هولا تمثل في هذه البلاد ضد مصالح اصحابها العرب وقوميتهم وكيانهم لم يشهد التاريخ اشد فظاعة وهولا منها .

١ – ان الموازنة المالية في هذه البلاد جعلت لتشكيلات واسعة لا تتحملها طبيعة البلاد بوجه ، والمبالغ التي تنفق على هذه الموازنة هي اضعاف ما ينفق على مثيلاتها من البلاد العربية الاخرى ؛ والموظفون الانكليز ثم الموظفون الغرباء ثم

الموظفون اليهود يبتلعون جزءاً كبيراً من هذه الميزانية على غير ما حاجة فنية او علمية . وثلث هذه الميزانية تقريباً ينفق على الحراب التي تحمي المشروع الصهيوني الذي يعتبر بحق افظع مشروع سجله التاريخ في اعظم حوادثه وظروفه .

٢ ــ وعلى الرغم من ان الخبراء الانكليز قد اثبتوا بالارقام التي لا تدحض ان الاراضي العربية لا تكفي الآن اهل البلاد العرب لمعيشتهم وحاجاتهم وعلى الرغم من زيادة التناسل العظيمة زيادة جعلت تتحول إلى مشكلة خطيرة هائلة في المستقبل القريب بسبب عدم كفاية الارض للعرب وعلى الرغم من تعالي الصرخات بوجوب وضع تشريع يمنع انتقال اراضي العرب لليهود حماية للكيان العربي من الانهدام والفناء لا تزال السلطة الانكليزية لاهية عن ملافاة هذا الخطر ولا يزال اليهود يغتنمون فرصة الاملاق الذي اصيب به العرب من جراء سياسة الاستعمار فيقتطعون المساحات الواسعة من الاراضي العربية حتى احدق الخطر الهائل بكيان العرب احداقاً شديداً .

٣ ــ وانه فوق البطالة الضاربة اطنابها في البلاد وانسداد الرزق امام آلاف العرب العاطلين لا تزال السلطة الانكليزية فاتحة باب الهجرة على مصراعيه لدخول شذاذ الافاق اليهود ، مما ادى إلى استفحال امر البطالة ودفع العرب عن كسب قوتهم ، هذا إلى ما تسرب إلى هذه البلاد من المبادىء الاجتماعية الخطرة كالشيوعية والاباحية والالحاد مما يحمله اولئك الشذاذ وبدت آثاره وظهرت شروره .

٤ ــ ولقد كان من جراء هذه السياسة الاستعمارية ان ارهق الاهلون بالضرائب الفادحة فأصبح يصيب النفس ضعف ما يصيب اختها في البلاد العربية الاخرى او اضعافه . وقد كان قانون ضريبة الويركو اسوأ مثل قدمته هذه السياسة بتطبيقه على ما قبله ويجعل الضريبة خمسة عشر بالمئة . وقد كانت ضرائب العشر وضرائب المواد الغذائية والحاجات الضرورية من اكبر الضريبات التي رفعت اسعار المعيشة وجعلت الاهالي على حافة الافلاس وكانت عاملا من عوامل الاضطرار للخروج عن الاراضي لليهود ، هذا إلى الازمات الاقتصادية الخانقة التي لم تتقدم هذه السلطات إلى معالجتها وتفريجها بوسيلة من الوسائل الناجعة .

٥ ــ وها هي البلاد تقاسي اليوم ازمة شديدة في التعليم ، وها هم ابناؤها يتسكعون في الازقة محرومين من دور العلم بينما إدارة المعارف وغيرها مكتظة بذوي الرواتب الكبيرة الذين ليس للبلاد من حاجة اليهم إلا رغبتهم في استدرار الوظائف

والمرتبات من الانكليز ومحسوبيهم ؛ وذلك من عرق جبين الاهالي البائسين . وقد كان من جراء هذا الاهمال ان حرم خمسة اسداس الاولاد الذين هم في سن الدراسة من المدارس الامر الذي يسجل به اكبر عار على السلطة الانكليزية القائمة في البلاد.

٦ ـ وقد عمدت هذه السلطة إلى وضع مشروع لقانون المعارف تريد به ان يتشرب ابناء الامة روح الولاء لسلطة صبت على بلادهم انواع العذاب وحكمتهم بالحديد والنار وهيأت لهم اسباب الفناء والدمار .

٧ ـ وكذلك وضعت مشروع قانون للمطبوعات ارادت به كم الافواه وتحطيم الاقلام والتهديد بالجزاء الصارم لكل من تحدثه نفسه ان يرفع الصوت بالدفاع عن حقوق الامة والبلاد عن طريق الصحافه .

٨ ـ وقد سيطر على التشريع والادارة في هذه البلاد اناس غرباء عنها لا يفهمون روحها ولا احتياجاتها وتقاليدها فأمعنوا في سن القوانين الغريبة المتناقضة مع مصلحة الامة واحتياجاتها وروحها .

كل ذلك وهناك من ابناء الامة من لا يزال يتطوع لتوطئة مناكبها للاستعمار وترويضها على الاساليب الاستعمارية وبث روح الاستخذاء للسلطة واعتبارها ذات الصفة الشرعية في البلاد ؛ وهناك أيضاً من لا يزال يتزلف إلى السلطات الاستعمارية فيشترك في لجانها ويتنعم بحفلاتها ومآدبها ويساعد على الحفاوة بممثليها . وهذا إلى اولئك الابناء العاقين الاخرين الذين هم حرب على امتهم وبلادهم باجترامهم جرائم السمسرة والجاسوسية ومساعدة السياسة الاستعمارية والغزوة الصهيونية على بلوغ الوطر والتضييق على خناق الامة والقضاء الاخير عليها .

ان حزب الاستقلال العربي الذي يرى كل هذا بعين تقطر دماً وقلب يتقطع أسى يبتغي ان تجدد الامة املها والا تستسلم إلى القنوط ، لانه يعتقد بقوة روح هذه الامة الجبارة وعقيدتها الاستقلالية ومقتها للاساليب الاستعمارية واعوانها . وانه استمداداً من هذه الروح القوية الفياضة يعلن ان البلاد لم تعد تطيق هذه السياسة الاستعمارية الغاشمة التي فشلت فشلا شائناً وافلست افلاسا يسجل بها اكبر الاثم والعار على القائمين بها ، وان من حق هذه الامة العربية ان تتمتع بحريتها واستقلالها في بلادها وانها لن ترضى عن ذلك بديلا .

وانه وهو مؤمن كل الايمان بهذا الحق ومعتقد كل الاعتقاد في اعتصام الامة بعقيدتها الاستقلالية يدعو كل عربي في هذه البلاد إلى تجديد العهد للكفاح ضد

الاستعمار واساليبه وضد الصهيونية وغزوتها وضد الخائنين من أبنائها بكل قوة وثبات وعزم وإيمان ويدعو كل عربي ليعلن معه ان هذه البلاد لن تطمئن على حياتها و كيانها إلا إذا منع بيع الاراضي لليهود منعاً باتاً واقفل باب الهجرة اليهودية إقفالا تاماً واستلم ابناء البلاد الحكم ونالت استقلالها التام متحدة مع البلاد العربية الاخرى .

يا اهل فلسطين ! لقد جد الجد وسارت الركبان . فأين أنتم من اخوانكم ابناء البلاد العربية . كنتم في المقدمة فما بالكم تأخرتم ؟ اين قضيتكم من قضاياها؟ ارجعوا بها على الأعقاب فابدأوها قضية استقلالية لا لين فيها ولا هوادة . الوطن وطنكم وشرف الامة العربية بين ايديكم . فاحفظوا الامانة وصونوا الكرامة. وليستشر كل عربي قلبه وليعمل واجبه . أما الوطن فباق وأما الافراد فزائلون . فلنتعاهد على الجهاد في سبيل الحرية والوحدة العربيه .

ان يوم ٢ نوفمبر عار ابدي . فيجب على كل عربي أن يجاهد ليمحوه من سجل التاريخ والسنين . ولتحي سورية الجنوبية عربية حرة مستقلة .

صورة عن كتاب المعتمد الانكليزي للملك حسين رحمه الله

ملحق رقم «٨»

بيان ٩ كانون الاول سنة ١٩٣٢ بمناسبة اجتماع القدس لذكرى فتح القدس في مثل هذا اليوم من سنة ١٩١٧

●

أيها العرب

اعتاد الانكليز ان يقيموا في مثل هذا اليوم من كل سنة احتفالا بذكرى احتلالهم القدس تأييداً لفكرة الفتح والاستعمار التي ستروها واخفوها طول الحرب الكبرى واعلنوا ما يناقضها للعالم اجمع .

وحزب الاستقلال العربي رأى من واجبه ان يقيم في هذا اليوم وفي مثله من كل سنة مقبلة اجتماعاً وطنياً يندد فيه بفكرة الفتح والاستعمار التي يقيم المستعمرون في هذه البلاد حفلاتهم باحدى ذكرياتها ؛ وهو يجدد العهد على مكافحة الاستعمار بأصله وفرعه واستنكار أساليبه الفاحشة وخططه المنافية لمصلحة العرب ، والمطالبة بحق العرب الطبيعي في الحرية والاستقلال والاتحاد مع الاقطار العربية الاخرى ، ويعلن الحزب للملأ اجمع ان الانكليز قد نقضوا ما قطعوه للعرب من عهود ومواثيق وخالفوا ما نشروه في بلاد العرب من مناشير وبيانات وانزلوا بالعرب الضربات الموجعات التي تهدم كيانهم القومي وتجعلهم لقمة سائغة لاستعمار الانكليز والذئب الصهيوني الذي سلطوه عليهم .

وها هي بين ايديكم بعض هذه العهود والمواثيق والمناشير والبيانات (١) لتذكروا إلى اي حد وصل الاستهتار عند الانكليز بعهودهم ومواثيقهم والى اي درجة بلغوا في نقضها وخرقها ، وكيف انهم يحكمونكم حكما استعمارياً مباشراً ويحاولون وضعكم تحت نير اليهود ، وكيف أنهم يسنون لكم القوانين الصارمة لاخفات

(١) نشر مع البيان صورتان لمنشور الذي القته الطيارات الانكليزية على الجيش العثماني في فلسطين وللكتاب الذي ارسله المعتمد الانكليزي الى جلالة الملك حسين لمناسبة نشر المعاهدة السرية التي عقدها الانكليز والروس والافرنسيس اثناء الحرب باقتسام بلاد الدولة العثمانية ثم نص المنشور الذي اذاعه الجنرال اللنبي بتاريخ ١٨ تموز ١٩١٨ ونص التصريح الافرنسي البريطاني عن اهداف الحلفاء في بلاد العرب في ٨ نوفمبر ١٨٩١ .

اصواتهم باستنكار الظلم الواقع عليكم بالتنديد بهذا الاستعمار الفظيع ونكباته القاتلة وكيف انهم يرهقونكم بالضرائب الفادحة ليحموا بأموالكم المشروع الصهيوني . يفعلون كل هذا بعد ان وعدوكم بالاستقلال والحرية والوحدة واعترفوا بما بذلتموه من دماء وتضحيات في سبيل الحرية والاستقلال مما كان سبباً في النتائج الفاصلة المنصورة التي احرزوها في الحرب الكبرى . وقد اذاعوا انهم لا يقصدون فتحاً ولا استعماراً وإنما يرمون إلى تحريركم ومساعدتكم في استقلالكم وحكم انفسكم بأنفسكم وفق رغباتكم ومطلق اختياركم .

ان حزب الاستقلال العربي يطلب من كل عربي ان يذكر هذا ولا ينساه ويهيب به إلى مواصلة الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية والتوسل بكل وسيلة إلى الخلاص منهما حتى ينخذل الباطل أمام الحق وتحق الكلمة على الظالمين .

ايها العرب !

ان الميدان واسع امامكم والمجال رحب للعمل لاخذ حقوقكم فاذخلوهما بقلوب ملؤها الايمان والاباء ولا تهنوا ولا تحزنوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

ايها الانكليز :

ليس مما يشرفكم ان تحتفلوا بذكرى الفتح والاستعمار . هذه عهودكم ومواثيقكم وبياناتكم ومنشوراتكم فاقرأوها . إنا لن نطمع في رجوعكم إذا قرأتموها عن أساليبكم المبيدة للعرب الهادمة لكيانهم القومي ولا عن المؤامرة التي بيتموها مع الصهيونيين فقد انكشف عن نياتكم الستار وعرفكم العرب حق المعرفة . فلن يطمئنوا اليكم ولن ينخدعوا بكم وانتم الذين نكثوا عهودهم وخانوا وعودهم لم يردعهم عن اجتراح ما اجترحوه ضمير يحس ووجدان يتألم .

ألا ان هذا يوم يقسم العرب فيه جهد ايمانهم ان لا يغفلوا عنكم وان يناوئوكم ويساجلوكم الخصومة بالمشروع من السبل والواضح من الاساليب حتى تخرجوا من ديارهم وتنزحوا عن اوطانهم وتعود اليهم حريتهم ويخفق علمهم ويعلو لواؤهم وتتحقق وحدتهم والله بالنصر المبين كفيل .

ملحق رقم «٩»

نص البيان الموجه الى العرب في جميع الاقطار
بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣
(نداء الى كل عربي كريم وكل هيئة عربية وكل صحيفة عربية في انحاء الارض)

●

يبعث حزب الاستقلال العربي في فلسطين نداءه هذا وحالة العرب في فلسطين قد انتهت إلى ما تهلع له القلوب وتضطرب النفوس وتهتز المشاعر ، إذ أخذ المستقبل المشؤوم يبدو كالحاً مظلما والخطر الملاشي لكيان العرب يتجسم يوماً فيوماً ، ويحدق بهم احداقاً مفزعاً منبعثاً من ناحيتين كبيرتين هما ناحية بيع الأراضي والهجرة اليهودية خاصة وناحية الحكم الاستعماري المباشر عامة . وكلتا الناحيتين تؤديان إلى تلاشي العرب وانهيار بنيانهم القومي وانسلاخهم عن أرض آبائهم وأجدادهم بفعل السياسة البريطانية الصهيونية .

ومشكلة الأرض قد بلغت حدها الأكبر من الخطر إذ نشط اليهود في المدة الاخيرة لابتياع الاراضي نشاطاً عظيما وهي الاراضي العربية القليلة التي بقيت بأيدي العرب والتي إذا تسنى لليهود ابتياعها وأكثرها واقع في السهول الساحلية ذات القيمة الزراعية الجيدة أصبح اليهود يملكون معظم الجهات الساحلية الخصبة في البلاد سلسلة متصلة الحلقات وظاهر ما في هذا من خطر ينذر البلاد بسوء المصير. يضاف إلى هذا الخطر الآخر الذي يماشيه جنباً إلى جنب وهو الهجرة الصهيونية وإغراق فلسطين بسيل عرم من المهاجرين اليهود يدخلون بجوازات سفر وبطرق غير مشروعة . كل هذا نتيجة استقتال اليهود لبناء المملكة اليهودية في فلسطين على أنقاض الكيان العربي المتداعي إلى السقوط والانهدام .

ولقد أصبح أكثر من ستة وثمانين ألف عائلة عربية لا أرض لها ومن دون مأوى ولا كسب . وثبت هذا بشهادة التقارير الرسمية التي وضعها الخبراء الانكليز الذين

كلفوا درس الحالة درساً دقيقاً وكانت النتيجة الواقعة حتى اليوم أن انتقلت اجود الاراضي إلى اليهود وانزوى العرب في المناطق الجبلية القاحلة . وباتت فلسطين تشهد كل يوم مآسي انهدام كيانها بذهاب قرية بعد اخرى والاراضي قطعة بعد قطعة وتشرد المزارعين وهيامهم على وجوههم إلى حيث الفناء والدمار هم وعيالهم وأولادهم .

يجري كل هذا جرياً مطرداً سنة فسنة والسلطات الانكليزية في فلسطين ممعنة في حكم البلاد حكما استعمارياً مباشراً ثقيل الوطأة مسلحاً بأقسى ما عرفه البشر من ضروب التقنين والتشريع والانظمة مما تدأب السلطات البريطانيــة في وضعه وتكبيل البلاد به وتمهيدها لانشاء الوطن القومي اليهودي . وقد بلغت الحال خلال الخمس عشرة سنة السابقة من الويل والارهاق مبلغاً يعز وصفه ويصعب تصويره، فأصبح العرب وليس لهم من أمر بلادهم ووسائل حمايتهم شيء، ولم تلتفت السلطات البريطانية إلى شيء من أنين الشعب العربي وتظلمه وشكاته طالباً وضع حد لهذه الغزوة الصهيونية المجتاحة وسن قانون عاجل يمنع بيع الارض من العرب إلى اليهود منعاً باتاً ويغلق باب الهجرة الصهيونية وطالباً أن يتسلم مقاليد حكم نفسه بنفسه حفظاً لكيانه وهو العلاج الطبيعي الوحيــد الذي بغيره تظل فلسطين تتردى في الهوة السحيقة حيث الفناء المنتظر فتمثل فاجعة الأندلس ثانية دون أن يُغني فيها ندب أو عويل .

ويسار بالوطن القومي اليهودي في قلب البلاد العربية وعلى كنف الجزء الشمالي مــن جزيرة العرب والاقطار العربية المجاورة لم تقم بعمل بعد تشعر منه السياسة البريطانية بتضافر العرب على دفع الكارثة ودرء هذا الخطر الذي إذا استفحلت غزوته فسيشمل غير فلسطين لا محالة كما اخذت الدلائل في شرق الاردن تدل عليه في هذه الفترة الاخيرة . فحزب الاستقلال العربي في فلسطين وهو يرى كل هذا حافزاً ويقيس على الواقع المصير المتوقع مستقبلا يناشد كل عربي كريم وكل هيئة عربية وكل صحيفة عربية في أنحاء الارض ويناشد أهل البلاد العربية الشقيقة إلى التضافر والتآزر مع اخوانهم عرب فلسطين في رد هذه النكبة التي كادت تأتي عليهم وإلى الوقوف في وجه السياسة الانكليزية موقف المدافع عن حياته وبقائه وكيانه ابتغاء وضع حد لهذه الحالة المروعة التي كادت تفتك بقطر عربي وتذهب به فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية . ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٣

ملحق رقم «١٠»

بيان الحكومة الانكليزية الصادر في ٧ تموز ١٩٣٧
عن توصيات اللجنة الملكية مع بلاغ رسمي عن هذه التواصي
وحدود التقسيم المقترحة

●

١ ـ نظرت حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بأمر من جلالته في تقرير لجنة فلسطين الملكية الاجماعي وهي تجد نفسها على اتفاق مع اللجنة بوجه العموم فيما أوردته من الاستدلالات وانتهت إليه من الآراء .

٢ ـ ان حكومة صاحب الجلالة وأسلافها كانت منذ قبولها تعهدات الانتداب تعتبر كما اعترف أعضاء اللجنة في مطالعاتهم التاريخية تمام الاعتراف تعهداتها الى كل من العرب واليهود كما يستدل من فحوى صك الانتداب ليست مما لا يمكن التوفيق بينها وذلك بناء على ما افترضت من أن مع مرور الزمن سيعدل الشعبان أمانيهما تعديلا يجعل من الممكن تأسيس دولة واحدة مشتركين تحت حكومة موحدة .

٣ ـ رغماً عن التجارب العديدة المثبطة للهمم في خلال السبعة عشر عاماً الخالية بنت حكومة صاحب الجلالة سياستها على هذا الأمل وانتهزت كل فرصة لتشجيع التعاون بين العرب واليهود . إلا انها مسوقة بالنظر إلى ما كان من الاختبار والى ما أوردته اللجنة من الاستدلالات الى الاستنتاج بان هنالك تعارضاً غير قابل التوفيق بين اماني العرب واماني اليهود في فلسطين وان هذه الاماني لا يمكن تطمينها بموجب شروط الانتداب الراهن وان مشروع تقسيم أوصت به اللجنة مبينة أسسه العامة يمثل أفضل حل لهذه المعضلة المستعصية وادعى الحلول الى الأمل بالنجاح . وان حكومة صاحب الجلالة تنوي ان تشير على جلالته بذلك .

٤ ـ بناء على ما تقدم تنوي حكومة جلالته اتخاذ ما يلزم ويليق من الاجراءات بالنظر الى تعهداتها الحالية بموجب عهد جمعية الامم وغير ذلك من الوثائق الدولية لأجل القيام بحرية بتنفيذ مشروع تقسيم تأمل جد الامل بان سيكون في الاستطاعة الحصول على قسط فعال من الموافقة عليه من لدن الجماعات التي يخصها الامر .

٥ - وإلى حين تحقيق هذا المشروع لا تنوي حكومة جلالته التنازل عن مسؤوليتها عن السلام والنظام وحسن الحكم في جميع انحاء فلسطين وهي على اتفاق مع اللجنة بوجه الاجمال فيما يخص توصياتها بشأن الأمن العام . وإذا ما حدث مجدداً مشاغبات خطيرة مما يستدعي التدخل العسكري فان المعتمد السامي سيخول القائد العام للقوات العسكرية سلطات بموجب « الأوامر المجلسية (للدفاع) بشأن فلسطين » تتناول البلاد بأسرها .

٦ - وفي المستقبل القريب في أثناء تقرير تفاصيل مشروع التقسيم ترتئي حكومة صاحب الجلالة ان من الواجب كتدبير موقت اتخاذ اجراءات لمنع المعاملات في الأراضي التي قد تمس المشروع بسوء . ثم لما كانت « لائحة العمال » الحالية ينتهي مفعولها في آخر تموز ومن الواجب القيام بترتيب ما فيما يعود للمدة التي تلي ذلك ترتئي حكومة صاحب الجلالة ان يسمح بهجرة ما مجموعه ٨٠٠٠٠ شخص من اليهود من جميع الاصناف في خلال مدة ثمانية أشهر من آب إلى آذار ١٩٣٨ ، على شرط عدم تجاوز مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين .

٧ - ان حكومة صاحب الجلالة في تأييدها لحل معضلة فلسطين بواسطة التقسيم تفضل ذلك متأثرة إلى درجة كبيرة بالفوائد التي يأتي بهذا الحل للعرب واليهود معاً فالعرب سينالون استقلالهم القومي وبذلك يتمكنون من التعاون على قدم المساواة مع عرب البلدان المجاورة في سبيل الوحدة العربية وتقدم العرب . وفي النهاية يتخلصون من كل خوف من السيطرة اليهودية ومن القلق الذي أبدوه لئلا تصبح أماكنهم المقدسة يوماً من الأيام تحت سلطان اليهود . وستنال الدولة العربية مساعدة مالية على مقياس واسع من كل من حكومة صاحب الجلالة والدولة اليهودية معاً . ومن الوجهة الاخرى ان التقسيم سيؤمن وطناً قومياً يهودياً ويجعله في نجوة من كل احتمال بان يوضع في المستقبل تحت حكم العرب وهو يحوّل وطن اليهود القومي إلى دولة يهودية لها السيطرة الكاملة على الهجرة ويكتسب رعايا هذه الدولة وضعية مماثلة للوضعية التي يتمتع بها رعايا البلدان الاخرى وفي النهاية ينتهي اليهود من الحياة « كاقلية » . وبذلك يتحقق هدف الصهيونية الاول . وستضمن ضماناً دقيقاً حقوق الأقليات في الدولتين بموجب المعاهدات المقترح عقدها . وفوق كل شيء سيحل

محل الخوف والشك شعور ثقة وأمن ويحصل الشعبان على حد تعبير اللجنة على « نعمة السلام التي لا تثمن » .

بلاغ رسمي

٣٧ـ١٠

١٧ تموز سنة ١٩٣٧

●

ينقسم تقرير اللجنــة الملكية لفلسطين إلى قسمين . ففي القسم الاول تتناول اللجنة البحث على اساس الافتراض بان الانتداب الحالي سيظل معمولا به ويتضمن ذلك القسم التواصي التي تتقدم بها اللجنة لتعديل نظام الحكم القائم الآن وتحسينه . غير ان اللجنة لا تعتقد ان في الامكان ايجاد حل حقيقي او دائمي للمشكلة على هذه الاسس ولذلك فهي تحبذ في القسم الثاني إلغاء اجل الانتداب والسير على نظام جديد في فلسطين على اساس تقسيم البلاد بين العرب واليهود واقامــة دولتين مستقلتين ترتبط كل منهما بمعاهدة مع بريطانيا العظمى .

إن القسم الاول من التقرير يبحث بحثاً مستفيضاً في مختلف اعمال الحكومة غير ان مثل هذا البلاغ الموجز لا يتسع لأكثر من خلاصة مقتضبة للمقررات الرئيسية التي توصلت إليها اللجنة .وفيما يلي التواصي الرئيسية التي تقدمت بها اللجنة :

فيما يتعلق ببيوع الأراضي ، يجب ان يخول المندوب السامي ، إذا ظل الانتداب قائماً ، سلطة تمكنه من منع انتقال الأراضي في اية منطقة معينة ، من العرب إلى اليهود وإذا جرى البيع فينبغي ان يحافظ على حقوق المستاجرين والمزارعين العرب وان لا يسمح بتسرب الاراضي الاحيثما يكون في الامكان استبدال الزراعة الواسعة بالزراعة الكثيفة .

أما بخصوص المهاجرة فينبغي اذا ظل الانتداب معمولا بــه ان يبقى مقدار الهجرة اليهودية مقيداً في الدرجة الاولى بقدرة فلسطين الاقتصادية على الاستيعاب على ان يكون خاضعاً ايضاً لما تسميه اللجنة « بالحد الأساسي الاعلى » عــلى ان يكون للهجرة اليهودية من كافة الاصناف حد أعلى لا يجوز ان تتجاوزه وهــذا الحد الاعلي يجب ان يحدد باثني عشر ألف مهاجر في السنة خلال السنوات الخمس المقبلة .

واللجنة لا توصي بالقيام بايـة محاولة لبعث الاقتراح المتعلق بتشكيل مجلس تشريعي من جديد غير أنها ترحب بتوسيع المجلس الاستشاري باضافة اعضاء غير موظفين اليه .

وقد أوصت اللجنة ، لدى بحثها في الأمن العـام ، بوجوب عدم التردد في تطبيق الاحكام العرفية فيما لو نشبت من جديد اضطرابات تتطلب تدخل السلطات العسكرية ، وبوجوب تجريد الاهالي من السلاح في مثل تلك الحالة وبوجوب تشكيل قوة كبيرة متحركة من الفرسان ، وقد اشارت اللجنة أيضاً إلى ضرورة اصدار قانون جديد للمطبوعات أشد صرامة من القانون الحالي .

وتعلق اللجنة اهمية كبرى على ضرورة تحسين التدابير المتخذة الآن لتعليم العرب ومن رأيها ان الادارة يجب ان تعتبر أن النصيب الذي يستحقه العرب من الخزينة العامة لتعليمهم هو الثاني في الاهمية بعد مخصصات الأمن العام .

ومن جملة مقترحات اللجنة التي تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية ؛ تواصيها القائلة بوجوب توسيع اللامركزية في الادارة والاسراع في إنجاز طريق يافا ـ حيفا وتعديل المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب التي تنكر على فلسطين حق العمل على حماية تجارتها عن طريق فرض ضرائب جمركية متفاوتة واللجنة تجـد أيضاً ضرورة الاسراع في عمليات تسوية ملكية الاراضي واتباع خطة أنجع من الخطة المتبعة للبحث والتحري عن مرافق المياه في البلاد .

وتوصي اللجنة أيضاً باستقدام شخص خبير في مسائل البلديـات للاستعانة بخبرته علي وضع صيغة قانون جديد للحكومات المحلية « أي البلديات » وتحسين واتساق العلاقات التي تربط بين الحكومة والبلديات ومن رأي اللجنة أن الضرورة تقضي بان ينظر عـلى الفور وبعين العطف في حاجة تل أبيب الى قرض كبير .

تلك هي بالاختصار التواصي التي قدمتها اللجنة في حالة بقاء الانتداب . غير أن اللجنة ، كما سبق بيانه آنفاً ، لا تعتقد إن قبول هذه التواصي يحل المشكلة فقد سلمت لدى بحثها في مسالة الهجرة ان الاقتراح الذي قدمته يمكن اعتباره بمثابة مسكن ليس الا ، وتقول اللجنة أن منشأ الصعوبة هو أن الوطن القومي مهما كانت سعته يقف حائلا في سبيل باوغ العرب في فلسطين ما بلغه سائر العرب في آسيا

أو كادوا يبلغونه من السيادة القومية وانه اذا ظل الانتداب قائماً فستظل هذه الصعوبة ملازمة له وقد ابانت اللجنة ايضاً لدى بحثها في مسألة الامن العام بأنها لا تعتبر الاقتراحات التي ابدتها علاجاً دائماً بل هي بمثابة تدابير موقتة من شأنها ان تحول دون تكرر الثورات العلنية وان تيسر لليهود الحماية التي من حقهم ان ينالوها بموجب الانتداب ثم ان هذه المقترحات تستلزم ايضاً صرف نفقات باهظة قد لا تستطيع البلاد تحملها وقد يكون اثرها الفوري توسيع الهوة التي تفصل بين العرب واليهود .

ومن رأي اللجنة انه ليس من السهل السير في طريق القمع المظلمة إذا لم يكن من المأمول مشاهدة نور النهار في آخر تلك الطريق .

وتختم اللجنة القسم الاول من تقريرها موضحة بأن التواصي الواردة في القسم المذكور هي افضل المسكنات التي تستطيع ان تصفها للداء الذي تعاني فلسطين آلامه وهي لا تخرج عن كونها مسكنات ليس إلا فقد تؤدي إلى تخفيض درجة الحرارة ولكنها لن تستأصل شأفة الداء إذ أن الداء متأصل إلى درجة تحمل اللجنة على الجزم في الاعتقاد بأن الامل الوحيد بشفائه لا يأتي إلا عن طريق إجراء عملية جراحية .

وتقول اللجنة : انه من الواضح ان المشكلة لا يمكن حلها بمنح العرب او اليهود كل ما يصبون اليه وإذا سأل سائل مَنْ مِنَ الشعبين سيحكم فلسطين في النهاية ، فالجواب على هذا السؤال يجب ان يكون حتما : « لا هذا ولا ذاك » ثم تستطرد اللجنة قائلة : « لسنا نعتقد ان سياسياً منصفاً يسعه بعد ان ثبت الآن ان الامل بامكان التوفيق بين الشعبين غير ممكن التحقيق ، ان يفكر بأن بريطانيا يمكنها ان تسلم إلى الحكم العربي الاربعمائة الف يهودي الذين سهلت الحكومة البريطانية دخولهم إلى فلسطين بموافقة عصبة الامم او ان تسلم مليوناً من العرب الى الحكم اليهودي » غير انها تخرج من هذا البحث بالنتيجة التالية وهي انه وإن كان ليس في مكنة اي هذين العنصرين ان يتولى حكم فلسطين بأسرها بانصاف فلسنا نرى ما يمنع اي عنصر منهما من تولي الحكم في قسم منها إن كان ذلك ممكناً . فالتقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام في النهاية ، الامر الذي لا يتيحه اي مشروع آخر » .

وعلى ذلك توصي اللجنة في القسم الثاني من تقريرها بانهاء أجل الانتداب الحالي.

على أساس التقسيم وتضع لهذا التقسيم مشروعاً نهائياً تعتبره عملياً وشريفاً وعادلا .

وفيما يلي تفاصيل هذا المشروع ، الذي ورد في البلاغ الرسمي رقم ١١|٣٧ المؤرخ في ٧ تموز سنة ١٩٣٧ ان حكومة صاحبة الجلالة قد وافقت على اسسه العامة « ينتهي اجل الانتداب المفروض على فلسطين ويستبدل بنظام معاهدات يتفق مع السابقة التي درج عليها في معاهدتي العراق وسوريا .

وبموجب المعاهدتين اللتين ستتفاوض الدولة المنتدبة على عقدهما مع حكومة شرق الاردن وممثلي عرب فلسطين من جهة ، ومع الجمعية الصهيونية من جهة اخرى يعلن عن تشكيل حكومتين مستقلتين ذواتي سيادة بعد أمد قريب ، إحداهما دولة عربية تضم شرق الاردن مع ذلك القسم العربي من فلسطين المخصص للعرب ، والاخرى دولة يهودية تضم ذلك القسم من فلسطين المخصص لليهود ، وتتعهد الدولة المنتدبة ان تؤيد الطلب الذي قد تتقدم به أي الحكومتين العربية واليهودية للانضمام الى عصبة الامم . وتضمن المعاهدتان ضمانات مشددة لحماية الاقليات في كل من الدولتين وتلحق بهما مواثيق عسكرية .

ويكون تقسيم فلسطين خاضعاً للشرط الأساسي التالي وهو المحافظة على قداسة القدس وبيت لحم وتأمين الوصول إلى هذه الأماكن المقدسة بحرية وطمأنينة لمن شاء من كافة أنحاء العالم .

ولذلك ينبغي وضع صك انتداب جديد غايته الرئيسية حسن اداء هذه الامانة وتخطيط منطقة خاصة خاضعة لهذا الانتداب تمتد حدودها من نقطة شمال القدس الى نقطة جنوب بيت لحم . ويهيأ لهذه المنطقة امر الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد من القدس الى يافا أما تصريح بلفور فلا يسري على منطقة الانتداب هذه .

ويعهد للدولة المنتدبة أيضاً بادارة الناصرة وتخول السلطة التامة للمحافظة على قداسة مياه وشواطيء بحيرة طبريا ويلقى على عاتقها ايضاً عبء المحافظة على الاوقاف الدينية وعلى الأبنية والمقامات والاماكن الواقعة في اراضي كل من الدولتين والمقدسة لدى العرب او اليهود .

اما الحدود التي توصي بها اللجنة للفصل بين الدولتين العربية واليهودية فهي كما يلي :

يبدأ الحد من رأس الناقورة ويسير محاذياً الحدود الشمالية والشرقية الحالية لفلسطين حتى يصل بحيرة طبريا ومن ثم يقطع البحيرة ويتصل بملتقى نهر الاردن بالبحيرة ويسير محاذياً مجرى النهر الى ان يبلغ نقطة تبعد قليلا عن بيسان من جهة الشمال ، ثم يخترق سهل بيسان ويسير محاذياً الحافةالجنوبية لوادي « جزرائيل » ثم يخترق مرج ابن عامر لغاية نقطة تقع بالقرب من مجدو (تل المتسلم) وبعد أن يتصل الحد بالسهل الساحلي على هذه الصورة يسير جنوباً محاذياً الحد الشرقي لذلك السهل ثم ينحرف غرباً مجتنباً طولكرم الى أن يتصل بممر (القدس ـ يافا) على مقربة من اللد . وفي جنوب الممر يستمر سيره محاذياً حد السهل الساحلي الى ان يبلغ نقطة تقع على بعد عشرة كيلو مترات جنوبي رحوبوت ومن ثم ينحرف الى الغرب حتى البحر

وتبقى مدن حيفا وطبريا وصفد وعكا تحت ادارة الدولة المنتدبة مدة من الزمن . اما يافا فتؤلف قسما من الدولة العربية وإن كانت منعزلة عنها .

وبالنظر لاحتمال تقدم التجارة في المستقبل يحتفظ بمنطقة خاصة على ساحل خليج العقبة من الجهة الشمالية الغربية تحت إدارة الدولة المنتدبة .

ويشمل نظام المعاهدات المقترح على عقد ميثاق تجاري يرمي إلى تقرير تعرفة جمركية مشتركة على اكبر عدد ممكن من اصناف البضائع وتسهيل حرية تبادل البضائع بين المناطق الثلاث بالقدر المستطاع .

وتنص المعاهدتان أيضاً على حرية مرور البضائع بالاستيداع بين الدولتين ومنطقه الانتداب من الجهة الواحدة وبين حيفا ورفح وخليج العقبة من الجهة الاخرى .

اما الاتفاقات المعقودة مع حكومة فلسطين لترقية الصناعة وحمايتها كالاتفاق المعقود مع شركة البوتاس مثلا فتستلمها حكومتا الدولتين العربية واليهودية ويقومان بتنفيذها . ويجب ان تشتمل المعاهدات على الضمانات اللازمة بهذا الشأن وأن تضمن سلامة محطة توليد الكهرباء في جسر المجامع على هذا المنوال أيضاً .

وبما ان ذلك القسم من فلسطين الواقع في منطقة الدولة العربية لن يستفيد فيما بعد من قدرة المنطقة اليهودية على دفع الضرائب وبما ان مساحة المنطقة اليهودية أوسع من مساحة المنطقة الحالية التي تضم أراضي اليهود ومستعمراتهم فينبغي ان تدفع

الدولة اليهودية إعانة مالية للدولة العربية ويجب تعيين لجنة مالية لتقرير مقدارهذه الاعانة وبيان الطرق الواجب اتباعها في تقسيم دين فلسطين العام والفصل في المسائل المالية الاخرى .

ويجب تدارك الأموال اللازمة لتأمين جعل مستوى الادارة في شرق الاردن كما ينبغي ، وان يطلب الى البرلمان البريطاني أن يوافق على إعطاء الدولة العربية منحة قدرها مليونان من الجنيهات لهذه الغاية .

وينبغي ان تنص المعاهدتان على انه إذا أراد احد افراد العرب ممن يمتلكون أرضاً في الدولة اليهودية او احد افراد ممن يملكون أرضاً في الدولة العربية ان يبيع أرضه فتكون حكومة الدولة المختصة ملزمة بشراء تلك الأرض بسعر عادل يعهد تقريره إلى الحكومة المنتدبة إذا لزم الأمر . وينبغي ان تقدم الضمانة لقرض بمبلغ معقول إذا استوجبت الضرورة ذلك بغية توفير الأموال اللازمة لاجراء هذه المشتريات .

وينبغي ان يشرع فوراً في إجراء البحوث لمعرفة مدى ما يمكن اجراؤه في شرق الاردن وبئر السبع ووادي الاردن (الغور) من مشاريع الري والعمران . فاذا اتضح بنتيجة هذه البحوث ان في الامكان توفر مساحات واسعة من الأراضي لاعادة اسكان العرب المقيمين في المنطقة اليهودية لدى القيام بمشاريع واسعة النطاق للري والعمران فمصلحة الفريقين تقضي بأن يبذل اقصى ما يمكن من الجهد للوصول إلى اتفاق بشأن تبادل الاراضي والسكان . على أن نفقات تعمير المناطق المشار اليها قد يفوق ما ينتظر أن تستطيع الدولة العربية تحمله ولتسهيل الوصول إلى ذلك الاتفاق يجب ان يطلب إلى برلمان المملكة المتحدة الموافقة على منح اعانة لسد نفقات تلك المشاريع .

وينبغي أن تحفظ حقوق جميع موظفي الحكومة الحاليين بكاملها بما فيها حقهم في الحصول على التقاعد والمكافأة .

إن هذا النظام الجديد لا يمكن بالطبع أن يطبق فوراً . فالضرورة تقضي بأن تمضي فترة انتقال قبل أن يوضع الانتداب الجديد والمعاهدات موضع التنفيذ . وفي غضون فترة الانتقال هذه يظل الانتداب الحالي دستوراً تسير عليه إدارة فلسطين . وفيما يلي التواصي التي وضعتها اللجنة لدور الانتقال :

يمنع اليهود من شراء الأراضي في المنطقة العربية ويمنع العرب من شراء الاراضي في المنطقة اليهودية .

لا يسمح بهجرة اليهود إلى المنطقة العربية ويقرر مقدار الهجرة اليهودية على أساس قدرة الاستيعاب الاقتصادي لفلسطين باستثناء المنطقة العربية منها .

يفتح باب المفاوضات بدون إمهال بغية الوصول إلى تعديل المادة الثامنة عشرة من صك الانتداب ووضع تجارة فلسطين الخارجية على أساس أعدل من الأساس الذي هي عليه الآن .

يوسع نطاق المجلس الاستشاري إذا امكن بتعيين ممثلين للعرب واليهود فيه .

يعدل نظام البلديات على الأساس الموصى به بالاستنارة برأي رجل من أصحاب الخبرة .

يبذل مجهود جدي لزيادة عدد المدارس العربية .

واللجنة ترى أنه بالرغم من أن هذه المقترحات لا تحقق كل ما يتمناه العرب او اليهود فهي تسهل لكل فريق منهم نيل ما هو في أشد الحاجة اليه وهو الحرية والطمأنينة . ويمكن تلخيص الفوائد التي يجنيها عرب فلسطين من هذا المشروع بما يلي :

١) ينال العرب استقلالهم القومي ويصبح في وسعهم أن يتعاونوا على قدم المساواة مع عرب البلاد المجاورة لتحقيق وحدة العرب ورقيهم .

٢) يتخلصون من الخوف باكتساح اليهود لهم واحتمال خضوعهم للحكم اليهودي .

٣) ان تقييد حدود الوطن القومي تقييداً نهائياً بتخوم معينة ووضع انتداب جديد لحماية الأماكن المقدسة بضمانة عصبة الامم يزيل بصورة خاصة كل قلق يساور الناس في إمكان صيرورة الأماكن المقدسة يوماً من الأيام تحت هيمنة اليهود .

٤) ومقابل ما يخسره العرب من البلاد التي يعتبرونها بلادهم تتلقى الدولة العربية إعانة مالية من الدولة اليهودية وتنال أيضاً من الخزينة البريطانية بسبب أحوال شرق الاردن منحة قدرها مليونان من الجنيهات وإذا أمكن الوصول إلى اتفاق بشأن تبادل السكان والأراضي تعطى الدولة العربية منحة اخرى تستعين بها

على تحويل ما يستطاع تحويله من الأراضي غير القابلة للزراعة إلى أراض منتجة يستفيد منها الزراع والدولة على السواء . أما فوائد التقسيم لليهود فهي :

(١) إن التقسيم يؤمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وينقذه من احتمال خضوعه في المستقبل للحكم العربي .

(٢) ان التقسيم يمكن اليهود من ان يعتبروا الوطن القومي وطنهم الخاص وذلك لأن التقسيم يحوله إلى دولة يهودية ويصبح في وسع رعايا هذه الدولة ان يدخلوا من اليهود العدد الذي يعتقدون هم أنفسهم بامكان استيعابه . وبذلك يحققون هدف الصهيونية الرئيسي ألا وهو وجود امة يهودية متمكنة في فلسطين تمنح رعاياها نفس الوضع الذي تمنحه سائر الامم في العالم لرعاياها وبذلك يتخلصون أخيراً من العيش عيشة «الأقلية» .

ملحق رقم «١٠»

الكتاب الابيض الانكليزي لسنة ١٩٣٩
الذي صدر عقب انفضاض مؤتمر لندن

كانت حكومة جلالته قد اعربت في البيان الذي أصدرته عن فلسطين في اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني ١٩٣٨ ، عن رغبتها في دعوة مندوبين عن عرب فلسطين وبعض البلاد العربية المجاورة ، وعن الوكالة اليهودية للتفاوض معهم في لندن بشأن السياسة المقبلة . وكانت تأمل باخلاص الوصول الى شيء من التفاهم بنتيجة اجراء مباحثات وافية مقرونة بمنتهى الحرية والصراحة . وقد عقدت في الآونة الأخيرة مؤتمرات بين العرب واليهود استغرقت بضعة أسابيع ، وكانت هذه المؤتمرات وسيلة لتبادل الآراء بين الوزراء البريطانيين ومندوبي العرب واليهود . وقد وضعت حكومة جلالته، على ضوء المباحثات المشار اليها ، والحالة السائدة في فلسطين وتقرير اللجنة الملكية وتقرير لجنة التقسيم ، بعض المقترحات . وعرضت تلك المقترحات على وفود اليهود والعرب كأساس لتسوية متفق عليها . غير أنه لم تر وفود العرب ولا وفود اليهود ان في استطاعتها قبول تلك المقترحات . ولذلك لم تسفر المؤتمرات عن اتفاق . وبناء على ذلك ترى حكومة جلالته نفسها حرة في وضع سياستها الخاصة . وقد قر رأيها بعد انعام النظر الدقيق على التمسك بصورة عامة بالمقترحات التي عرضت نهائياً على وفود العرب واليهود وبحثت معهم .

١ ـ لقد كان صك الانتداب على فلسطين ، الذي أقر نصوصه مجلس عصبة الامم في سنة ١٩٢٢ أساس السياسة التي اتبعتها الحكومات البريطانية المتعاقبة زهاء عشرين عاماً وهذا الصك ينطوي على تصريح « بلفور » ، ويفرض على الدولة المنتدبة أربع التزامات رئيسية . وقد بسطت هذه الالتزامات في المواد الثانية والسادسة والثالثة عشرة من صك الانتداب ، ومن بين هذه الالتزامات التزام لم يقم أي خلاف حول تفسيره ، وهو الالتزام الذي يبحث في حماية الأماكن المقدسة، والمباني، والمواقع الدينية ، وتسهيل الوصول اليها . اما الالتزامات الأخرى فهي كما يلي :

اولا ــ وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها ان تضمن انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ؛ وتسهيل هجرة اليهود في أحوال ملائمة ، وتشجيع حشد اليهود في الأراضي ، بالتعاون مع الوكالة اليهودية .

ثانياً ــ صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين ، بقطع النظر عن العنصر والدين وضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى مع تسهيل الهجرة اليهودية واستيطان اليهود في الأراضي .

ثالثاً ــ وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية من شأنها ان تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي .

٢ ــ وقد لفتت اللجنة الملكية ، ولجان التحقيق الأخرى التي سبقتها ، النظر إلى الغموض المحيط ببعض العبارات الواردة في صك الانتداب كعبارة : « وطن قومي للشعب اليهودي » ووجدت في هذا الغموض ، وفي ما نشأ من الريبة حول الأهداف التي ترمي اليها الخطة السياسية ، سبباً اساسياً للقلق والشحناء بين العرب واليهود . ان حكومة جلالته مقتنعة ان مصلحة السلام ورفاه جميع اهالي فلسطين تتطلب وضع تعريف صريح للخطة السياسية ولأهدافها . ولقد كان من شأن اقتراح التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية ان يوفر مثل هذه الصراحة ، غير انه وجد أن تشكيل دولتين مستقلتين في فلسطين احداهما عربية والأخرى يهودية يكون في استطاعتهما سد نفقاتهما بذاتهما ليس من الأمور العملية . ولذلك كان لزاما على حكومة جلالته ان تستنبط بدلا من التقسيم ، سياسة اخرى ، من شأنها ان تفي بما تتطلبه الحالة في فلسطين على وجه يتفق مع الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب ونحو اليهود . وقد ادرجت آراء ومقترحات حكومة جلالته ادناه في ثلاثة ابواب، هي : (١) الدستور . و(٢) المهاجرة . و(٣) الأراضي .

١ ــ الدستور

●

٣ ــ لقد قيل في معرض الجدل ان عبارة « وطن قومي للشعب اليهودي » تفسح المجال لصيرورة فلسطين ، على مرور الزمن ، دولة ومملكة يهودية . ان حكومة جلالته لا تود أن تقارع الرأي الذي اعربت عنه اللجنة الملكية وهو ان الزعماء الصهيونيين كانوا يدركون حين صدور تصريح « بلفور » ان نصوص ذلك التصريح

لا تحول دون قيام دولة يهودية في النهاية. غير ان حكومة جلالته تشاطر اللجنة الملكية الاعتقاد بأن واضعي صيغة الانتداب الذي ادمج فيه تصريح « بلفور » لا يمكن ان يكونوا قد قصدوا تحويل فلسطين إلى دولة يهودية خلافاً لارادة العرب سكان البلاد. اما انه لم يكن المقصود تحويل فلسطين إلى دولة يهودية فيمكن استنتاجه ضمنا من الفقرة التالية المقتبسة عن الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢ .

« لقد قيلت اقوال غير مصرح بهامؤداها ان الغاية التي يرمي اليها هذا التصريح هي خلق فلسطين يهودية برمتها. واستعملت عبارات كمثل القول بأن فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية ، وحكومة جلالته تعتبر ان كل امل كهذا غير ممكن التحقيق ، وهي لا ترمي إلى مثل هذا الهدف . كما انه لم يخطر في بالها في اي وقت من الأوقات ... ان يزول الشعب العربي او اللغة او الثقافة العربية في فلسطين ، او ان تصبح مسيطراً عليها . وهي تود ان تلفت النظر الى ان التصريح المشار اليه (أي تصريح بلفور) لا يرمي إلى تحويل فلسطين بكليتها إلى وطن قومي يهودي بل إلى أن وطناً كهذا سيؤسس في فلسطين » .

٤ ــ غير ان هذا البيان لم يزل الشكوك ، ولذلك فان حكومة جلالته تصرح الآن بعبارة لا لبس فيها ولا ابهام انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية وهي تعتبر في الواقع انه مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب ، والتأكيدات التي اعطيت للشعب العربي فيما مضى ان يجعل (بضم الياء) سكان فلسطين العرب رعايا دولة يهودية خلافاً لارادتهم .

٥ ــ وقد وصف ماهية الوطن القومي اليهودي وصفاً اوفى الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٢٢ على الوجه التالي :

« لقد اعاد اليهود في القرنين أو الثلاثة قرون الأخيرة تكوين طائفة لهم في فلسطين يبلغ عددها الآن ثمانين الفاً ، وربعهم تقريباً مزارعون اوعملة في الارض. ولهذه الطائفة هيئاتها السياسية الخاصة ، ومجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ، ومجالس منتخبة في المدن ، وهيئة للاشراف على مدارسها ، ولها رئاسة ربانيين منتخبة ، ومجلس رباني منتخب لادارة شؤونها الدينية ، وتستعمل هذه الطائفة اللغة العبرية كلغة محلية ولها صحف عبرية تفي بحاجاتها ، وهي تتبع نمطاً تهذيبياً يميزها عن سواها وتبدي نشاطاً كبيراً في الحركة الاقتصادية . فهذه الطائفة ، بسكان

المستعمرات والمدن ، وبتشكيلاتها السياسية والدينية والاجتماعية ، ولغتها الخاصة، وعاداتها ، ومعيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات قومية ولو سأل سائل عن مغنى تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين لأمكن الرد عليه بأنها لا تعني فرض الجنسية اليهودية على اهالي فلسطين اجمالا ، بل زيادة نمو الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم حتى تصبح مركزاً يكون فيه للشعب اليهودي برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والعنصرية . ولكي يكون لهذه الطائفة خير أمل في التقدم الحر،ويفسح للشعب اليهودي مجال واف يظهر فيه كفاياته ، كان من السبب الضروري ان يعلم ان وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة . وذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان وجود وطن قومي لليهود في فلسطين ضماناً دولياً والاعتراف رسمياً بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة » .

٦ ـ ان حكومة جلالته تتمسك بمبدأ التفسير لتصريح سنة ١٩١٧ وصفاً معتمداً وشاملا لماهية الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وهذا التفسير ينطوي على اطراد نمو الطائفة اليهودية في البلاد بمساعدة اليهود الموجودين في انحاء العالم الاخرى . ومما يقيم الدليل على ان حكومة جلالته ما فتئت تقوم بالتزاماتها من هذه الناحية انه منذ صدور بيان الخطة السياسية سنة ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين ما يزيد على (٣٠٠٠٠٠) يهودي،وان عدد سكان الوطن القومي قد ارتفع حتى بلغ نحو (٤٥٠٠٠٠) نسمة ، او ما يقرب من ثلث سكان البلاد برمتهم ، هذا وان الطائفة اليهودية لم تقصر من جهتها في اغتنام الفرص التي اتيحت لها الى اقصى حد، فنمو الوطن القومي اليهودي ، وما توصل الى اتيانه في كثير من الميادين ، هو مجهود انشائي جدير بالاعتبار وحري بأن ينال اعجاب العالم ، بأن يكون على الأخص مصدر فخر للشعب اليهودي .

٧ ـ لقد اوردت الوفود العربية في سياق المباحثات الاخيرة الحجة القائلة بأن فلسطين مشمولة في المنطقة التي تعهد السير هنري مكماهون بالنيابة عن الحكومة البريطانية في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ ان يعترف باستقلال العرب فيها ويؤيده . وقد بحث مندوبون من البريطانيين والعرب خلال المؤتمرات التيعقدت مؤخراً في لندن في صحة هذا الادعاء الذي يستند الى المراسلات المتبادلة بين السير

هنري مكماهون وشريف مكة بحثاً مقروناً بالدقة والعناية ، ويقوم تقريرهم الذي تم نشره ان المندوبين العرب والبريطانيين بذلوا جهدهم ليفهم كل فريق منهما وجهة نظر الفريق الآخر ، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى اتفاق حول تفسير هذه المراسلات ، ولا حاجة هنا الى تلخيص الحجج التي اوردها كل من الفريقين ، ان حكومة جلالته تأسف لسوء الفهم الذي نشأ حول بعض العبارات المستعملة في تلك المراسلات ، وهي من جهتها ، استناداً إلى الأسباب التي بضعها مندوبوها في التقرير ، لا يسعها إلا أن تتمسك بالرأي القائل أن جميع فلسطين الواقعة غربي الاردن كانت قد استثنيت من العهد الذي قطعه السير هنري مكماهون وهي لذلك لا تستطيع ان توافق على ان مراسلات مكماهون تشكل اساساً عادلا للادعاء بوجوب تحويل فلسطين الى دولة عربية مستقلة .

٨ ــ ان حكومة جلالته ملزمة بصفتها الدولة المنتدبة « ان تضمن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي » في فلسطين . وهي عدا عن هذا الالتزام المعين ، تعتبر ان ابقاء سكان فلسطين تحت تدريب الدولة المنتدبة الى الأبد يخالف روح نظام الانتداب من أساسه . فمن الصواب ان اهل البلاد بما امكن من السرعة ان يتمتعوا بحقوق الحكم الذاتي التي يمارسها اهالي البلاد المجاورة . ان حكومة جلالته لا تستطيع في الوقت الحاضر أن تتنبأ بشكل الحكم الدستوري الذي ستصطبغ به حكومة فلسطين في النهاية . ولكن الهدف الذي ترمي اليه هو اقامة الحكم الذاتي ، ولذا ترغب في أن ترى قيام دولة فلسطينية في النهاية .

وينبغي ان تكون تلك الدولة ، دولة يساهم فيها الشعبان المقيمان في فلسطين ، العرب واليهود ، بممارسة سلطة الحكم على وجه يكفل ضمان المصالح الرئيسية لكل من الفريقين .

٩ ــ ان تشكيل دولة مستقلة في فلسطين ، والتخلي التام عن رقابة الانتداب فيها ، يتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب اليهود ومن شأنها ان تجعل حكم البلاد حكماً صالحاً في حيّز الامكان ، اضف الى ذلك ان نمو مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين لا بد له ان يسير على قاعدة النشوء والارتقاء شأنه في البلاد الأخرى . فقبل الوصول إلى الاستقلال لا بد من فترة انتقال تحتفظ خلالها حكومة جلالته بالمسؤولية النهائية ، بصفتها السلطة المنتدبة ، بينما يزداد في اثنائها نصيب اهالي البلاد

من الاضطلاع بالحكم ؛ وتنمو فيهم روح التفاهم والتعاون ، وستبذل حكومة جلالته جهودها المتواصلة لترويج نمو العلاقات الطيبة بين العرب واليهود .

١٠ ــ وعلى ضوء هذه الاعتبارات تصدر حكومة جلالته التصريح التالي معلنة فيه نواياها بشأن حكومة فلسطين المقبلة .

اولا ــ ان الهدف الذي ترمي اليه حكومة جلالته هو ان تشكل خلال عشر سنوات حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع المملكة المتحدة بمعاهدة تضمن للبلدين تطلباتهما التجارية والحربية في المستقبل ضماناً مرضيا . وهذا الاقتراح بتشكيل دولة مستقلة من شأنه ان ينطوي على التشاور مع مجلس الامم بقصد انهاء الانتداب .

ثانياً ــ ان الدولة المستقلة يجب ان تكون دولة يساهم العرب واليهود في حكومتها على وجه يضمن صيانة المصالح الأساسية لكل من الفريقين .

ثالثاً ــ يكون تشكيل الدولة المستقلة مسبوقاً بفترة انتقال تحتفظ حكومة جلالته خلالها بمسؤولية حكم البلاد . وفي أثناء فترة الانتقال يعطى اهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم وستتاح لكلا فريقي السكان فرصة الاشتراك في إدارة الحكومة ، وسيسار في هذه العملية سواء اغتنم كلا الفريقين هذه الفرصة ام لا .

رابعاً ــ حالما يتوطد الأمن والنظام في فلسطين توطيداً كافياً تتخذ التدابير لتنفيذ هذه السياسة ألا وهي سياسة إعطاء اهل فلسطين نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم ، والهدف الذي يرمى اليه هو تولية الفلسطينيين زمام جميع دوائر الحكومة بمساعدة مستشارين بريطانيين خاضعاً ذلك لرقابة المندوب السامي . وتحقيقاً لهذه الغاية ستكون حكومة جلالته مستعدة لاجراء الترتيبات اللازمة لتولية الفلسطينيين فوراً زمام بعض الدوائر مع مستشارين بريطانيين ، ويكون رؤساء الدوائر الفلسطينيون اعضاء في المجلس التنفيذي الذي يزود المندوب السامي بالمشورة . ويدعى مندوبون عن العرب واليهود لتولي مناصب رؤساء الدوائر بنسبة عدد السكان من كلا الفريقين على وجه التقريب . ويزداد عدد الفلسطينيين الذين يتولون زمام الدوائر كلما سمحت الظروف بذلك الى ان يصبح رؤساء جميع الدوائر فلسطينيين يمارسون المهام الادارية والاستشارية التي يقوم بها الآن الموظفون البريطانيون ، وعند بلوغ تلك المرحلة ينظر في امر تحويل المجلس

التنفيذي الى مجلس وزراء مع اجراء ما يترتب على ذلك مـن التغيير في وضع ومهام رؤساء الدوائر الفلسطينيين .

خامساً ــ ان حكومة جلالته لا تتقدم في هذه المرحلة بأية مقترحات حـول تشكيل هيئة تشريعية منتخبة . ولكنها على الرغم من ذلك تعتبر هذا الأمر تطوراً دستورياً في محله ، وإذا أعرب الرأي العام في فلسطين فيما بعد عن تحبيذه لكل هذا التطور تكون حكومة جلالته مستعدة لتشكيل الادارة اللازمة بشرط ان تسمح الأحوال بذلك .

سادساً ــ لدى انقضاء خمس سنوات على توطيد الأمن والنظام ، تشكل هيئة ملائمة مـن ممثلي اهل فلسطين وحكومة جلالته للنظر في كيفية سير الترتيبات الدستورية خلال فترة الانتقال ، وللبحث في وضع دستور لدولة فلسطينية مستقلة وتقديم التواصي بهذا الشأن .

سابعاً ــ وستتطلب حكومة جلالته انتقتنع بأن المعاهدة المنتظرعقدها في البند (١) او الدستور المنتظر وضعه في البند (٦) أعلاه قد ضمن النصوص الوافية .

(أ) لحماية الأماكن المقدسة وتسهيل الوصول اليها ، وحماية مصالح وأملاك الهيئات المختلفة .

(ب) لحماية مختلف الطوائف في فلسطين وفقاً للالتزامات المترتبة على حكومة جلالته نحو العرب ونحو اليهود ، وفيما يتعلق بالوضع الخاص الذي للوطن القومي اليهودي في فلسطين .

(ج) بشأن الامور المطلوبة لملافاة الحالة الحربية مما قد تعتبره حكومة جلالته ضرورياً على ضوء الظروف التي تكون سائدة في ذلك الحين .

وستطلب حكومة جلالته ايضاً ان تقتنع بأن المصالح التي لبعض البلاد الأجنبية في فلسطين والتي تضطلع حكومة جلالته الآن بمسؤولية المحافظة عليها ، هي مصونة صيانة وافية .

ثامناً ــ وستبذل حكومة جلالته كل ما في وسعها لايجاد ظروف تمكن الدولة الفلسطينية المستقلة من الخروج الى حيز الوجود خلال عشر سنوات . وإذا ظهر لحكومة جلالته لدى انقضاء عشر سنوات ان الظروف تتطلب إرجـاء تشكيل الدولة المستقلة ، خلافاً لما تأمله ، فانها تتشاور مع ممثلي اهالي فلسطين ، ومجلس

عصبة الامم ، والدول العربية المجاورة قبل اتخاذ قرار بشأن هذا الارجاء . فاذا قر رأي حكومة جلالته انه لا مناص من هذا الأرجاء فانها تدعو هؤلاء الفرقاء للتعاون معها في وضع خطط للمستقبل بقصد الوصول الى الهدف المنشود في أقرب وقت ممكن .

١١ ــ وستتخذ التدابير اثناء فترة الانتقال لزيادة سلطات ومسؤليات البلديات والمجالس المحلية .

٢ - المهاجرة

●

١٢ ــ ان ادارة فلسطين مكلفة بمقتضى المادة السادسة من صك الانتداب ، بتسهيل هجرة اليهود في احوال ملائمة ، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى ، وباستثناء ما تقدم لم يحدد مـدى الهجرة اليهودية المسموح بها الى فلسطين في أي موضع آخر من صك الانتداب . ولكن ورد في الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢ (١٧٠٠) انه تنفيذاً لسياسة انشاء وطـن قومي يهودي :

« من الضروري ان تتمكن الطائفة اليهودية في فلسطين من زيادة عددها عن طريق المهاجرة . وهذه المهاجرة لا يمكن ان يكون مقدارها بحيث تتجاوز قدرة البلاد الاقتصادية في حينه على استيعاب القادمين الجدد . ومن المحتم ضمان عـدم صيرورة المهاجرين عبئاً على اهالي فلسطين عموماً ، وان لا يحرموا اية فئة مـن السكان الحاليين من عملهم . »

ومن الوجهة العملية اعتبرت قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ،منذذلك التاريخ فصاعداً ،حتى الآونة الأخيرة ، العامل الوحيد الذي تحدد الهجرة على اساسه. وورد في الكتاب الذي ارسله رمزي مكدونالد بصفته رئيساً للوزراء الى الدكتور « وايزمن » في شهر شباط سنة ١٩٣١ في معرض بسط الخطة السياسية : ان قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب هي الأساس الوحيد لتحديد الهجرة ، ثم ايدهنا التفسير بقرارات اتخذتها لجنة الانتدابات الدائمة . لكن حكومة جلالته لا ترى في بيان الخطة السياسية الصادر سنة ١٩٣١ ؛ ولا في كتاب رئيس الوزراء الصادر سنة ١٩٣١ ، ما يمكن تفسيره بأن صك الانتداب يقضي عليها في جميع الاوقات

والظروف ان تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين على اساس اعتبار قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب دون سواها كما انها لا تجد في صك الانتداب ولا في بيانات الخطط السياسية التي صدرت بعده ما يؤيد الرأي القائل بأن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لا يمكن تحقيقه إلا اذا سمح للهجرة بالاستمرار إلى ما لا نهاية له فاذا كانت الهجرة تؤثر في وضع البلاد الاقتصادي تأثيراً سيئاً فمن الواضح انه يجب تقييدها . وكذلك الحال ، إذا كان للهجرة اثر يضر ضرراً خطيراً بوضع البلاد السياسي ، فان ذلك عامل يجب ان لايغفل عنه . ومع انه ليس من الصعب ان يقال « في معرض الجدل » بأن ذلك العدد الكبير من المهاجرين اليهود الذين دخلوا البلاد حتى الآن قد استوعبتهم البلاد من الناحية الاقتصادية . فان المخاوف التي تساور العرب من ان هذه الهجرة المتدفقةستستمر الى ما لا نهاية له حتى يصبح السكان اليهود في وضع يمكنهم من السيطرة عليهم ، قد اسفرت عن نتائج عميمة الخطورة للعرب ولليهود على السواء ولسلام ورفاه فلسطين .فما هذه الاضطرابات المفجعة التي وقعت خلال السنوات الثلاث الماضية إلا آخر وأثبت مظهر برزت فيه تلك المخاوف العظيمة التي تساور العرب . ان الأساليب التي سلكها الارهابيون العرب ضد مواطنيهم من العرب وضد اليهود على السواء يجب ان تقابل بالاستنكار المطلق ، غير انه لا يمكن الانكار انالخوف من استمرار الهجرة اليهودية استمراراً لا نهاية له ، منتشر انتشاراً واسعاً بين السكان العرب ، وان هذا الخوف هو الذي هيأ السبل لوقوع الاضطرابات التي صدمت تقدم البلاد الاقتصادي صدمة عنيفة ، واستنزفت خزينة فلسطين ، وجعلت الناس غير مطمئنين على ارواحهم واموالهم، وخلقت بين السكان العرب واليهود مرارة يؤسف لحدوثها بين مواطني بلاد واحدة . ولو استمرت الهجرة في هذه الظروف الى الحد الاعلى الذي تسمح به قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب ، بقطع النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى ، لأدى ذلك الى تخليد عداوة قاتلة بين الشعبين ، ولأمكن أن تصبح الحالة في فلسطين عندئذ مصدراً دائماً للاحتكاك بين جميع شعوب الشرق الادنى والاوسط . وحكومة جلالته لا يسعها ان تأخذ بالرأي القائل ان الالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب ، او ان العقل الراجح والعدالة ، تقضي عليها بتجاهل هذه الظروف لدى وضع سياستها بشأن الهجرة .

١٣ ـ لقد كان من رأي اللجنة الملكية ان إدماج تصريح « بلفور » بنظام الانتداب ينطوي على الاعتقاد بامكان التغلب على موقف العرب العدائي من ذلك التصريح عاجلا أم آجلا ، وقد كانت الحكومة البريطانية منذ صدور تصريح « بلفور » تأمل أن يرضى السكان العرب مع مرور الزمن عن اطراد نمو الوطن القومي اليهودي بعد ان يدركوا الفوائد التي سيجنونها من الاستيطان والعمران في فلسطين . ولكن هذا الأمل لم يتحقق ، واصبح على حكومة جلالته الآن ان تختار بين سياستين فهي : اولا ـ اما ان تعمل على توسيع نطاق الوطن القومي توسيعاً لا نهاية له عن طريق الهجرة ضد رغبات سكان البلاد العرب التي أعربوا عنهـا بكل شدة ، او ثانياً ـ ان تسمح بزيادة توسيع الوطن القومي اليهودي عن طريق الهجرة إذا كان العرب على استعداد للقبول بتلك الهجرة ، ولكـن ليس بدون ذلك . اما السياسة الاولى فؤادها الحكم بالقوة وهي بقطع النظر عن الاعتبارات الاخرى ، تخالف رأي حكومة جلالته ، وروح المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم كل المخالفة ، كما انها تناقض أيضاً الالتزامات الصريحة المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب على فلسطين . اضف إلى هذا ان العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين لا بد لها من أن تبنى عاجلا أم آجلا على اساس التسامح والنية الطيبة . فسلام الوطن القومي اليهودي نفسه وسلامته وتقدمه تتطلب ذلك. ولذلك قررت حكومة جلالته بعد انعام النظر والتدقيق ، وبعد اعتبار المدى الذي سهل فيه نمو الوطن القومي اليهودي في خلال السنوات العشرين الماضية ، انه قد حان الوقت للأخذ، من حيث المبدأ، بالسياسة الثانية من السياستين المشار اليهما أعلاه.

١٤ ـ لقد طلب بالحاح وقف كل هجرة اخرى إلى فلسطين في الحال . وان حكومة جلالته لا تستطيع ان تقبل باقتراح كهذا إذ ن من شأنه ان يلحق الضرر بنظام فلسطين المالي والاقتصادي بأجمعه . وبذلك يؤثر تأثيراً سيئاً في مصالـح العرب واليهود على السواء . ثم ان حكومة جلالته ترى انه ليس من الانصاف للوطن القومي اليهودي وقف كل هجرة اخرى وقفاً فجائياً . غير ان حكومـة جلالته ، فضلا عن هذا كله ، تلم بالمحنة القاسية التي يعانيها الآن عدد كبير من اليهود الذين يلتمسون ملجأ يلجأون اليه من بعض البلاد الاوروبية ، وهي تعتقد ان في استطاعة فلسطين ان تساهم في سبيل هذه المشكلة العالمية المسلحة ، وانه ينبغي لها ان تقوم بذلك . وفي جميع هذه الظروف تعتقد أنها باتخاذها المقترحات التالية بشأن

الهجرة تكون قد سارت وفقاً لالتزامات الانتداب الملقاة على عاتقها إزاء العرب واليهود معاً ، في خير طريق يؤدي الى خدمة مصالح سكان فلسطين بأسرهم . وهذه المقترحات هي كما يلي .

اولا ــ تكون الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية بمقدار من شأنه ان يزيد عدد السكان اليهود في فلسطين الى ما يقرب من ثلث مجموع سكان البلاد، بشرط ان تسمح قدرة الاستيعاب الاقتصادية بذلك . فاذا اخذت بعين الاعتبار الزيادة الطبيعية المتوقع حصولها في عدد السكان العرب واليهود ، وحسب حساب عدد المهاجرين اليهود غير الشرعيين الموجودين الان في البلاد فان ذلك يسمح بادخال نحو ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودي خلال السنوات الخمس التالية اعتباراً من اول نيسان من السنة الحالية ، وسينظم دخول هؤلاء المهاجرين مع مراعاة قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب على اساس القاعدة التالية :

أ ــ يسمح في كل سنة من السنوات الخمس التالية بدخول حصة من المهاجرين اليهود لا يتجاوز مقدارها ١٠٠٠٠ شخص ، مع العلم ان كل نقص قد يقع في اية سنة يمكن ان يضاف الى حصص السنين التالية خلال مدة الخمس سنوات ، بشرط ان تسمح بذلك قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب .

ب ــ بالاضافة الى ذلك ، ومن قبيل المساهمة في حل مشكلة اللاجئين اليهود، يسمح بدخول ٢٥٠٠٠ لاجىء الى البلاد حالما يقتنع المندوب السامي بأن الوسائل الواقية لاعالتهم قد اصبحت مضمونة ويرجح من هؤلاء اللاجئون الأطفال والمعالون.

ثانياً ــ يحتفظ بالادارة الحالية لتقرير قدرة البلاد الاقتصادية على الاستيعاب، ويضطلع المندوب السامي بالمسؤولية النهائية في تقرير حدود قدرة الاستيعاب الاقتصادية، ويستنير برأي مندوبين من اليهود والعرب قبل اتخاذ قرار بشأن كل فترة.

ثالثاً ــ لدى انقضاء السنوات الخمس المشار اليها لا يسمح بهجرة يهودية اخرى

إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها.

رابعاً ــ ان حكومة جلالته مصممة على قمع الهجرة غير المشروعة ، وتتخذ الان اجراءات اخرى للحيلولة دونها . وإذا افلح عدد من المهاجرين اليهود غير الشرعيين في دخول البلاد على الرغم من تلك الاجراءات ، وكان هؤلاء ممن لا يمكن ابعادهم ينزل عددهم من الحصص السنوية .

١٥ ــ ان حكومة جلالته مقتنعة انه متى تمت الهجرة التي يفكر فيها الان على

مدار الخمس سنوات المشار اليها لن يكون لها مبرر ، كما انها لن تكون تحت طائلة اي التزام لتسهيل إنشاء الوطن القومي اليهودي عن طريق السماح بهجرة اخرى بقطع النظر عن رغبات السكان العرب.

٣ ـ الاراضي

●

١٦ ـ ان المادة السادسة من صك الانتداب تقضي على إدارة فلسطين بتسهيل حشد اليهود في الأراضي ، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق جميع فئات الأهالي الاخرى . ولم يفرض لغاية الان أي قيد على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود . وقد دلت التقارير التي وضعتها مختلف لجان الخبراء على أنه بالنظر لنمو عدد السكان العرب الطبيعي واستمرار بيع الأراضي من العرب إلى اليهود، في السنوات الأخيرة لا يوجد الان في بعض المناطق أي مجال لانتقال الأراضي من العرب إلى اليهود ، في حين أنه لا بد من وضع القيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود في بعض المناطق الاخرى إذا كان يراد احتفاظ المزارعين العرب بمستوى معيشتهم الحالي والحيلولة دون تكوين جماعة كبيرة من العرب ممن لا أراضي لهم. وبالنظر لهذه الظروف سيمنح المفوض السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي . وسيبدأ العمل بهذه السلطات من تاريخ نشر هذا البيان للخطة السياسية ، والتي سيرسمها المفوض السامي خلال فترة الانتقال .

١٧ ـ وستنصرف سياسة الحكومة إلى اعمار الأراضي وتحسين الأساليب الزراعية حيثما يكون ذلك ممكناً . وعلى ضوء هذا العمران سيباح للمندوب السامي لدى اقتناعه بأن حقوق ووضع السكان العرب قد حفظت حفظاً تاماً ، بأن يعيد النظر في أية أوامر أصدرها بمنع انتقال الأراضي أو تقييده أو تعديل تلك الأوامر

١٨ ـ لقد بذلت حكومة جلالته لدى وضعها هذه المقترحات جهدها باخلاص للتقيد بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب واليهود معاً . فان غموض العبارات التي استعملت في بعض الحالات لوصف هذه الالتزامات قد أدى إلى المشادة وجعل مهمة تفسير تلك العبارات شاقة . ان حكومة جلالته لا يمكنها ان تأمل بارضاء الذين يتحيزون لهذا الفريق او ذاك في هذه المشادة التي نشأت عن صك الانتداب .

والغاية التي ترمي اليها هي ان تقف موقف الانصاف بين الشعبين المقيمين في

فلسطين اللذين تناولت الحوادث العظمى التي وقعت في السنوات الأخيرة مقدراتهما في تلك البلاد ، واللذين يتحتم عليهما ان يتدربا على تبادل التسامح والنية الحسنة والتعاون ما داما سيعيشان جنباً إلى جنب في فلسطين . وحكومة جلالته إذ تنظر إلى المستقبل لا يغرب عن بالها ان بعض الحوادث التي وقعت في الماضي ستجعل إنشاء هذه العلاقات مهمة شاقة غير انه مما يشجعها على الأمل أن العرب واليهود كثيراً ما عاشوا معاً في السنوات الأخيرة بصفاء في أماكن عديدة في فلسطين . ان على كل طائفة من هاتين الطائفتين ان تساهم بنصيب وافر في سبيل رفاه بلادهما المشتركة ، ولا بد لكل منهما ان تجنح إلى السلم بنية صادقة كي يتاح لها أن تساهم في العمل على إطراد رفاه أهل البلاد بأجمعهم . ومما يزيد في خطورة التبعة الملقاة على عاتقهم وعلى عاتق حكومة جلالته ، من حيث التعاون معاً في سبيل تأمين السلام ، ان البلاد يقدسها في كافة أنحاء العالم ملايين عديدة من المسلمين واليهود والمسيحيين الذين يبتهلون إلى الله تعالى أن يخيم السلام في ربوعها ، وأن يوفر أسباب السعادة لأهليها .